



الخبيث والطيب في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

١١٣٩
٢٤

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على

(درجة الماجستير) في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الطالب

عبد العزيز بن محمد بن صالح الربيعي

الرقم الجامعي

٢٩١٩٠٠٠٥٤

٥٧١٣

إشراف الدكتور

إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي

الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

الجزء الأول

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

الخبث والطيب في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على

(درجة الماجستير) في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الطالب

عبد العزيز بن محمد بن صالح الربيعي

الرقم الجامعي

٢٩١٩٠٠٠٥٤

إشراف الدكتور

إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي

الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

الجزء الأول

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخبيث والطيب في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد الطالب

عبدالعزیز بن محمد بن صالح الربيعي

تقرير اللجنة:

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة؛ استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في (القرآن وعلومه).

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

أعضاء اللجنة	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
المشرف الرئيس	د. إبراهيم بن صالح الحميضي	أستاذ مشارك	القرآن وعلومه	
المناقش الداخلي	د. محمد بن عبدالله العيدي	أستاذ مشارك	القرآن وعلومه	
المناقش الخارجي	د. عبدالله بن عبدالعزيز العواجي	أستاذ مساعد	القرآن وعلومه	

تاريخ المناقشة ١٥ / ٧ / ١٤٣٣ هـ

الخبث والطيب في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد الطالب

عبد العزيز بن محمد بن صالح الربيعي

ملخص الرسالة^(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن رسالة (الخبث والطيب في ضوء القرآن الكريم) مكونة من مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، ومجموعة من الفهارس.

وقد عُني القرآن الكريم بالحديث عن هذا الموضوع، وبيانه وتأصيله، ولُفت الأنظار إليه، منتهجاً مبدأ التمييز، ونفي المساواة بين الخبث والطيب؛ حتى لا يحصل لبس، ولا خلط، وليكون المسلم على وعي، وحذر من مؤامرات الخبيثين، الساعين لتذويب المسلم في خبثهم، وتمييع ولاته لربه ودينه، وإخوانه المسلمين.

إن التمييز بين الخبث والطيب أمر مستقر في النفوس، وهو مطلب عقلي وشرعي، وله تعلق في أمور الناس، ويمس حياتهم الدينية والدنيوية.

والحاجة لمعرفة الخبث من الطيب والتمييز بينهما أمر ضروري كل وقت، ولا سيما في هذا الزمان الذي اختلت فيه الموازين، وكثرت فيه الفتن والانحرافات، والمغريات والمتغيرات، وظهرت كثير من السلوكيات الخاطئة، والجرأة على شرع الله، واستحسان الخبائث؛ فكان لذلك الأثر الكبير على الأفكار، والتعبادات، والمعاملات والأخلاق، والتصرفات.

(١) حسب التعليمات المقررة في دليل إعداد وكتابة الرسائل العلمية بجامعة القصيم ص ١٤، و ٢٦.

[ب]

ومن خلال التمهيد تبيّن مفهوم الخبيث في اللغة والشرع، والعلاقة بينهما، ثم بيان لأهمية التمييز بين الخبيث والطيب.

وقد أطلق أهل اللغة (الخبيث) على ضد الطيب؛ من الرزق، والناس، والطعم، واللون، والفعل، والكلام، والأخلاق الفاسدة، والسيئة، وعلى الشر، وصاحبه، والرديء، والفجور، والمحرم، والنجس، وغير ذلك مما هو مبغض مكروه.

وأما الشرع فقد استعمل لفظ (الخبيث) في الفاسد والحرام، والضار والرديء، والنجس، وما تكرهه النفوس؛ من الطعم، والرائحة، وخبيث الفعل، والقول، والأشخاص، والشر، والكفر، والمعاصي، والفسق، والفجور، وغير ذلك مما هو مكروه مبغض من المحسوس، أو المعقول.

وقد خلص الباحث إلى أن الخبيث: اسم جامع لكل ما عرف في الشرع، والعقل قبحه وفساده من المعتقدات، والأقوال والأفعال، والأعيان، والصفات، والأشخاص، والمطعومات، وغيرها.

أما الطيبُ: عند أهل اللغة فهو الأفضل من كل شيء، وما تستلذه الحواسّ والنفوس، وكل ما خلا من الأذى، والخبيث، وتخلّى عن الرذائل، وتخلّى بالفضائل.

وتتسع معانيه فتأتي بمعنى: حسن، ولذ، وزكا، وطهر، وحلّ، وصارحاً حلالاً، وبمعنى العفيف، والسائغ السهل، والمساحة، والترك، وغير ذلك مما هو مرغوب محبوب.

ويُعرّف الطيبُ بأنه: اسم جامع لكل ما عرف في الشرع، والعقل حسنه؛ من المعتقدات والأقوال والأفعال، والأعيان والصفات، والأشخاص والمطعومات، وغيرها.

وقد كان الحديث في الفصل الأول عن ألفاظ، ومعاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم، وتبين أنها عديدة، وأنها جاءت في سياقات ومناسبات مختلفة؛ فكانت ذات دلالات ومعاني متنوعة، وتحمل إشارات وتنبهات لطيفة؛ في صيغها، وسياقها، وتعالج قضايا ومواضيع بارزة؛ ترغيباً، وترهيباً، وأمرأ، ونهيأ؛ مما يُكوّن أثراً بالغاً في نفس من تدبرها وعقلها، ويدعو للوقوف عندها بتأمل واعتبار، واستجابة لمضامينها، وتسليم تام لمُنزّلها.

أما الفصل الثاني: فيتحدث عن ضوابط الخبيث والطيب، وعن الحكمة من تحريم الخبائث، وإباحة الطيبات في القرآن الكريم.

وتم تخصيص الفصل الثالث والرابع لأنواع الخبيث والطيب في القرآن الكريم، وفي كل منهما سبعة مباحث، تشتمل على بيان الخبيث والطيب من الناس، والأموال، والمطعمات، والأماكن، والأقوال، والأفعال، وعموم المخلوقات.

وقد اتضح من خلال الفصل الخامس عدد من أسباب الخُبث والطيب في القرآن الكريم، تجعل المسلم يحرص على تحقيق الطيب، والحث عليه، والتفور من الخبيث، والتحذير منه.

أما الفصل السادس فيتحدث عن أساليب القرآن في التحذير من الخبيث، والحث على الطيب، وقد تلخص في تسعة مباحث؛ شملت أسلوب الأمر، والنهي، والنفي، والاستفهام، والوعيد، والوعد، والذم والمدح، وضرب الأمثال.

وختام الفصول كان بياناً لمجموعة من آثار الخبيث والطيب في القرآن الكريم، تورث الترغيب في هذا، والترهيب من ذلك.

واختتمت الرسالة بأهم النتائج التي تم التوصل إليها، مع مجموعة من التوصيات النافعة. وأخيراً فالرسالة مزودة بسبعة أنواع من الفهارس؛ في الآيات، والأحاديث، والأعلام، وغريب الألفاظ، والأماكن، والمصادر والمراجع، ثم الموضوعات. جعلها الله خالصة لوجهه نافعة لعباده، إنه سميع مجيب.

المقدمة

وتشتمل على ما يأتي:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- أهداف البحث.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اقتضت الحكمة الربانية وجود الخبيث والطيب في هذه الحياة، ولكن الله ﷻ أكرم عباده فأرسل لهم رسلاً، اختارهم واصطفاهم، وجعلهم أشرف الناس، وأفضلهم وأطيبهم، فجاؤوا بالمعتقدات والأقوال والأعمال الطيبة، وأمروا بها، ونهوا عن كل خبيث يضادها.

وأرسل محمداً ﷺ، وجعل من صفاته أنه يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، وميّز به بين الخبيث والطيب؛ فمن أطاعه فهو الطيب الذي يتمتع بالحياة الطيبة، والسعادة والهناء، أما من عصاه فهو الخبيث، الذي يفتقد من السعادة والطمأنينة والراحة بقدر خبيثه، ويغرق في صور من الذل والنكد، ولا يستوي هؤلاء وألئك؛ فلكل منهما دار تناسبه؛ فالطيون أهل جواره ومساكنته، والخبيثون البعداء أهل دار الشقاء والخبيث.

وقد كرم الله ﷻ الإنسان بالعقل الذي يميز به الضار من النافع، والخبيث من الطيب، ثم جاءت الشريعة لتقرير ما هو مستقر في الفطر والعقول؛ من تحسين الحسن وتقييح القبيح^(١)، وبيان الجزاء لكل منهما؛ إذ التمييز بينهما أمر يتطلبه الدين، وتدعو إليه الفطرة، ويُقره العقل، ولا تستقيم المجتمعات إلا به.

ولقد ضلت أفراد ومجتمعات؛ بسبب عدم التفريق بين الخبيث والطيب، وعدم مراعاة حدود الشرع فيهما، مما سبب الفوضى والانحراف عن الصراط المستقيم.

ولما كان خير سبيل لاتباع الحق وإظهاره سلوك منهج القرآن؛ تلاوة وتفسيراً وتدبراً، فقد وقع اختياري على موضوع (الخبيث والطيب في ضوء القرآن الكريم) دراسة موضوعية^(٢)؛ ليكون موضوع البحث في مرحلة (الماجستير) في قسم (القرآن وعلومه)،

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٢ / ٥٩ و ٢٧٣.

(٢) قدم الخبيث على الطيب تبعاً للقرآن الكريم عند تجاور اللفظين.

فلاقي استحساناً، وقبولاً وتأيداً سريعاً من أساتذة القسم في أول عرض له، فله الحمد.

أهمية الموضوع:

ترجع أهميته إلى أنه موضوع متعلق بالقرآن الكريم، وهذا يُكسبه شرفاً وفضلاً على العلوم التي لا تتعلق به.

كما أن القرآن الكريم عُني بالحديث عن الخبيث والطيب، وأولاه اهتماماً عظيماً، وبيّناً وتأصيلاً، ولَفَتَ أنظار المكلفين إليه في عدد كثير من الآيات التي تناولته وتحدثت عنه. إضافة إلى أن الخبيث والطيب أمران موجودان في القديم والحديث، والتمييز بينهما أمر مستقر في النفوس، وهو مطلب عقلي وشرعي.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان اختيار هذا الموضوع راجعاً إلى عدة أسباب أهمها:

أولاً: الإسهام في خدمة كتاب الله ﷻ، الذي بيّن الضار من النافع، وميّز الخبيث من الطيب.

ثانياً: أنه موضوع يُثري المكتبة القرآنية، وله تعلق في أمور الناس، وحياتهم الدينية والدنيوية.

ثالثاً: الحاجة للتمييز بين الخبيث والطيب ضرورية في كل وقت وحين، ولا سيما في هذا الزمان الذي اختلت فيه الموازين، وكثرت فيه الفتن، والضلالات والانحرافات عند كثير من الناس، وقَلَّ فيه التمييز، بل كثر الخلط بين الخبيث والطيب؛ فجاء هذا الموضوع إسهاماً في إبراز ما وجهت به الآيات من ضرورة التمييز؛ والتحذير من الخلط بينهما، وليستطيع المسلم معرفة الطيب من الخبيث في جميع مجالات الحياة، وشؤونها.

رابعاً: ضرورة بيان منهج القرآن الكريم وعلاجه للنوازل الحادثة المتعلقة بهذا الموضوع؛ خاصة مع كثرة المغريات والمتغيرات في هذا العصر؛ بسبب الانفتاح على العالم من خلال القنوات، ووسائل الاتصال، حيث ظهرت كثير من السلوكيات الخاطئة،

والجرأة على شرع الله، واستحسان الخبائث، وسوء الأعمال؛ فكان لذلك الأثر الكبير على الأفكار، والتعبادات، والمعاملات والأخلاق، والطباع والتصرفات.

الدراسات السابقة:

بعد مراجعة فهرس الرسائل العلمية، وسؤال أهل الخبرة، ومُكاتبَة المؤسسات العلمية، والمراكز التي تُعنى برصد الرسائل والبحوث العلمية، وبعد البحث في المواقع ووسائل الاتصال الحديثة المهتمة بالقرآن وعلومه، لم يظهر لي وجود دراسة قرآنية متخصصة سابقة في هذا الموضوع.

أهداف البحث:

لهذا البحث أهداف عديدة من أهمها:

أولاً: إبراز عناية القرآن الكريم في الحديث عن الخبيث والطيب؛ لكونه موضوعاً يعمس جانباً قوياً من حياة الناس في جميع شؤونهم.

ثانياً: بيان الأسباب الموصلة للخبيث والطيب من خلال القرآن الكريم.

ثالثاً: توضيح أساليب القرآن الكريم في التحذير من الخبائث، والحث على الطيبات.

رابعاً: خدمة كتاب الله ﷻ، والمساهمة في نشر علومه؛ ليسهل التطبيق والعمل.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة:

وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وخطته، ومنهجه.

التمهيد:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الخبيث في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مفهوم الطيب في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أهمية التمييز بين الخبيث والطيب في القرآن الكريم.

الفصل الأول: ألفاظ ومعاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ألفاظ الخبيث في القرآن الكريم.

المطلب الأول: ألفاظ الطيب في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مرادفات لفظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مرادفات الخبيث في القرآن الكريم.

المطلب الأول: مرادفات الطيب في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: معاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معاني الخبيث في القرآن الكريم.

المطلب الأول: معاني الطيب في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: ضوابط الخبيث والطيب في القرآن الكريم. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ضوابط الخبيث في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: ضوابط الطيب في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الحكمة من تحريم الخبائث وإباحة الطيبات في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحكمة من تحريم الخبائث في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الحكمة من إباحة الطيبات في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: أنواع الخبيث في القرآن في الكريم. وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الخبيث من الناس في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الخبيث من الأموال في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الخبيث من المطعومات في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الخبيث من الأماكن في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: الخبيث من الأقوال في القرآن الكريم.

المبحث السادس: الخبيث من الأفعال في القرآن الكريم.

المبحث السابع: الخبيث من عموم المخلوقات في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: أنواع الطيب في القرآن الكريم. وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الطيب من الناس في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الطيب من الأموال في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الطيب من المطعومات في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الطيب من الأماكن في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: الطيب من الأقوال في القرآن الكريم.

المبحث السادس: الطيب من الأفعال في القرآن الكريم.

المبحث السابع: الطيب من عموم المخلوقات في القرآن الكريم.

الفصل الخامس: أسباب الخُبث والطيب في القرآن الكريم. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب الخُبث في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أسباب الطيب في القرآن الكريم.

الفصل السادس: أساليب القرآن في التحذير من الخيِّث والحث على الطيب. وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الأمر.

المبحث الثاني: أسلوب النهي.

المبحث الثالث: أسلوب النفي.

المبحث الرابع: أسلوب الاستفهام.

المبحث الخامس: أسلوب الوعيد.

المبحث السادس: أسلوب الوعد.

المبحث السابع: أسلوب الذم.

المبحث الثامن: أسلوب المدح.

المبحث التاسع: أسلوب ضرب الأمثال.

الفصل السابع: آثار الخيِّث والطيب في القرآن الكريم. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آثار الخيِّث الدينية والدينوية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آثار الطيب الدينية والدينوية في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ومجموعة من التوصيات.

الفهارس: وتشمل ما يلي:

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس الغريب.

٥- فهرس الأماكن.

٦- فهرس المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

يتحدد منهج البحث في الأمور التالية:

أولاً: المنهج الاستقرائي للموضوع؛ وذلك بجمع الآيات، ثم تصنيفها في فصول ومباحث متناسبة، ثم الحديث عنها حسب متطلبات البحث، وطبيعة الدراسة.

ثانياً: الاعتماد على أمّات^(١) المصادر القديمة، مع الاستفادة من المراجع الحديثة؛ للجمع بين أصالة الماضي، وتحقيقات وإرشادات الحاضر.

ثالثاً: كتابة الآيات بالرسم العثماني، مع عزوها إلى سورها، وذكر أرقامها.

رابعاً: تخرّيج الأحاديث والآثار، وعزوها إلى مصادرها؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بهما، وإلا خرجته من مظانه، وبينت درجته؛ حسب كلام أهل العلم.

خامساً: عزو الأقوال إلى قائلها، وتوثيقها من مصادرها.

سادساً: توضيح الكلمات الغريبة، مع ضبطها بالشكل.

سابعاً: التعريف بالأعلام^(٢)، والأماكن، والبلدان.

ثامناً: تزويد الرسالة بالفهارس العلمية المساعدة؛ ليسهل وصول القارئ إلى ما يريده.

وفي الختام أحمد الله ﷻ وأشكره على نعمه العظيمة، وأسأله التوفيق والسداد، ثم أشكر والدي الكريمين؛ على حسن تربيتهم، وحثهم لي على طلب العلم، والأخذ عن العلماء واحترامهم.

كما أتقدم بالشكر، والتقدير إلى الأستاذ العزيز فضيلة الشيخ الدكتور: إبراهيم بن صالح الحميضي، الذي أشرف على هذه الرسالة، وأكرمني بحسن خلقه، ورحابة صدره،

(١) أكثر ما يقال أمّات لغير الآدميات. ينظر: العين، مادة: (أمم) ٨/ ٤٣٤، وتهذيب اللغة ٦/ ٢٥١، والمفردات في غريب القرآن ص ٨٦.

(٢) قد أذكر بعض المشهورين؛ كالأنبياء والمرسلين ﷺ لا للتعريف بهم، وإنما بياناً لطيبهم، وحديث القرآن عنهم.

وأعطاني من وقته وجهده، وأمدني بتوجيهاته القيمة المفيدة، وإرشاداته السديدة، وتابعني في البحث من أوله إلى آخره، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأمد في عمره على طاعته.

كما أتوجه بالشكر لجامعة القصيم، ممثلة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وقسم القرآن وعلومه.

والشكر موصول إلى فضيلة الشيخين المناقشين؛ الدكتور: محمد بن عبدالله العيادي، والدكتور: عبدالله بن عبد العزيز العواجي؛ على ما أمضياه من جهد، ووقت في قراءة هذه الرسالة، وإبداء للملاحظات، والتوجيهات المفيدة؛ في سبيل تقويمها، وتسديدها.

كما أشكر كل من ساعدني، وسعى معي لاستكمال هذا العمل؛ من زوجة، وأولاد وإخوان، وأصدقاء.

والله أسأل أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأوفره.

وأخيراً فما بذلته من جهد في هذه الرسالة فهو عمل بشري، فما كان منه صواباً فمن الله، وما كان خلافه فأسأل الله أن يغفر لي، والكمال لله وحده، والعصمة لمن عصمه الله.

هذا وأسأل الله أن يوفقني لخدمة كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه، صواباً على هديه وشرعه، نافعاً لعباده، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الخبيث.

المبحث الثاني: مفهوم الطيب.

المبحث الثالث: أهمية التمييز بين الخبيث والطيب.

المبحث الأول: مفهوم الخبيث:

أولاً: مفهوم الخبيث في اللغة:

الخبيث مأخوذ من خَبَثَ، قال الخليل^(١): «خَبَثَ الشَّيْءُ خَبَاثَةً، وَخُبُثًا فَهُوَ خَبِيثٌ»^(٢).
وقال ابن فارس^(٣): «الخاء والباء والثاء أصل واحد يدل على خلاف الطَّيِّب»^(٤)،
والخبيث: ضد الطَّيِّب؛ من الرزق، والولد، والطعم واللَّوْن، والفعل، والكلام، والأخلاق^(٥).
ولفظ الخبيث في اللغة يطلق على عدة معانٍ حسب سياق الكلام، ومن ذلك:
المعنى الأول: الكَرِيهُ أو المَكْرُوهُ، وهذا هو المعنى الأصلي للخبيث، قال الأزهرى^(٦):
«يقال للشئ الكريه الطعم والرائحة: خبيث، مثل: الثوم، والبصل، والكراث»^(٧).
وقال ثعلب^(٨): «أصل الخبيث في كلام العرب: المكروه؛ فإن كان من الكلام فهو

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري، عالم اللغة والنحو، ومؤسس علم العروض، له كتاب (العين)،
و(العروض)، توفي سنة ١٧٠هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٤، وإنباه الرواة ١ / ٣٤١.
(٢) العين، مادة: (خَبِثَ) ٤ / ٢٤٨.
(٣) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أحد أئمة اللغة والأدب المشهورين، فقيه شافعي ثم مالكي، كان في
النحو على طريقة الكوفيين، ومن تصانيفه: (مقاييس اللغة)، و(جامع التأويل في تفسير القرآن)، توفي سنة ٣٩٥هـ.
ينظر: معجم الأدباء ١ / ٤١٠، وفيات الأعيان ١ / ١١٨، وُبُعْيَةُ الوعَاة للسيوطي ٢ / ٢٩٤.
(٤) مقاييس اللغة، مادة: (خَبِثَ) ٢ / ٢٣٨.
(٥) ينظر: جمهرة اللغة، مادة (خَبِثَ) ١ / ٢٥٨، و(تهديب اللغة ٧ / ٣٣٨، والمحكم والمحيط الأعظم ٥ / ١٦٥).
(٦) محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، أبو منصور، أحد أئمة اللغة والأدب، عني بالفقه، ثم غلب عليه التبحر في العربية،
له: (تهديب اللغة)، و(تفسير القرآن)، و(فوائد منقولة من تفسير للمزني) ٣٧٠هـ. ينظر: العبر ٣ / ٣٦٣،
وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣ / ٧٢.
(٧) تهديب اللغة، مادة: (خَبِثَ) ٧ / ١٤٧.
(٨) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان
راوية للشعر، مشهوراً بالحفظ، وصدق اللهجة، ثقة حجة، من كتبه (معاني القرآن)، و(إعراب القرآن)، توفي في
بغداد سنة ٢٩١هـ. ينظر: تاريخ بغداد ٥ / ٢٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٤ / ٥.

الشم، وإن كان من الطعام فهو الحرام، وإن كان من الشراب فهو الضار»^(١).

المعنى الثاني: الفاسدُ، نقل الخليل عن الليث^(٢) قال: «والخبِيثُ: نعتُ كلِّ شيءٍ فاسدٌ»^(٣).

المعنى الثالث: الشرُّ، وصاحِبُه، يقال: «أخبِثَ فهو مُخبِثٌ: صار ذا خُبِثٍ، وشرٌّ»^(٤).

المعنى الرابع: الرَّذِيءُ، يقال: «رجل خبيث: رديء المذهب»^(٥)، «وخبِثُ الحديد وغيره؛ مما يذاب بالنار، وهو: ما يبقى من رداءته إذا أخلص جيده»^(٦).

المعنى الخامس: الفُجُورُ، قال ابن دُرَيْد^(٧): «الخبِيثَةُ: الفجور»^(٨)، يقال: «خبِث بفلانة: فجر بها»^(٩).

المعنى السادس: المُحَرَّمُ، يقال: «طعام مَحْبَثَةٌ، إذا كان من غير حِلِّه»^(١٠).

المعنى السابع: النَّجِسُ، يقال: «شيءٌ خبيثٌ أي: نجسٌ»^(١١)، والأخبِثان البول

(١) تهذيب اللغة، مادة: (خَبِثَ) ٧ / ١٤٨.

(٢) الليث بن المظفر بن نصر بن يسار اللغوي، من علماء اللغة المتقدمين الصالحين، ومن أكتب الناس في زمانه، وأبرعهم في الأدب، وأبصرهم في الشعر والنحو، كانت وفاته بعد سنة ١٧٠ هـ. ينظر: معجم الأدياء ١٧ / ٤٣، والوفاء بالوفيات ٧ / ٣٠٢.

(٣) العين، مادة: (خَبِثَ) ٤ / ٢٤٩، وينظر: تهذيب اللغة ٧ / ١٤٦.

(٤) العين، مادة: (خَبِثَ) ٤ / ٢٤٩.

(٥) جمهرة اللغة، مادة: (خَبِثَ) ١ / ٢٥٨، وينظر: العين ٤ / ٢٤٩، والمخصص ١ / ٢٨٣.

(٦) العين، مادة: (خَبِثَ) ٤ / ٢٤٩.

(٧) محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأزدي، أبو بكر، من أئمة اللغة والأدب، وقد قيل: ابن دريد أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، ومن كتبه (الاشتقاق)، و(الجمهرة)، توفي في بغداد سنة ٣٢١ هـ. ينظر: بغية الوعاة ١ / ٧٦، وإنباه الرُّوَاة ٣ / ٩٢.

(٨) جمهرة اللغة، مادة: (خَبِثَ) ١ / ٢٥٨.

(٩) أساس البلاغة، مادة: (خَبِثَ) ١ / ٢٢٩.

(١٠) جمهرة اللغة، مادة: (خَبِثَ) ١ / ٢٥٨.

(١١) المغرب في ترتيب المغرب، مادة: (خَبِثَ) ١ / ٢٤١.

والعذرة^(١).

فتحصل من كلام أهل اللغة أن الحَيْثُ يطلق على ضد الطيب؛ من الرزق، والناس، والطعم، واللون، والفعل، والكلام، والأخلاق الفاسدة، والسيئة، وعلى الشر وصاحبه، والرديء، والفجور، والمحرم، والنجس، وغير ذلك مما هو مبغض مكروه.

ثانياً: مفهوم الخبيث في الشرع:

قلّ أن يذكر أهل العلم تعريفاً شرعياً جامعاً للخبيث في كتبهم؛ لذا يحسن استعراض عدد من النصوص الشرعية التي ورد فيها لفظ الحَيْثُ؛ وأنه يطلق على معانٍ عديدة؛ ليتم بعد ذلك استخراج تعريف جامع شامل له.

قال الله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، «أي: ما لا يوافق النفس من المحظورات»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، كناية عن إتيان الذكور^(٣).

وقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧]، «أي: الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنفوس الخبيثة من النفوس الزكية»^(٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]، «أي: «الكافر والمؤمن، والأعمال الفاسدة والأعمال الصالحة»»^(٥).

(١) ينظر: جمهرة اللغة، مادة (حَبْثَ) ١/ ١٠٢، وتهذيب اللغة ٧/ ٣٣٧، ومختار الصحاح ١/ ١٩٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٥٢٢.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨٤، وعمدة الحفاظ ١/ ٤٨٣، وبصائر ذوي التمييز ١/ ٧٠٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٥٢٢.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٣.

ولكل خبيث ما يناسبه من الأقوال والأشخاص والصفات والأفعال الرديئة^(١)، قال

تعالى: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِثِ﴾ [النور: ٢٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، فإشارة إلى كلمة الكفر، وكل كلام فاحش^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]، أي: الحرام بالحلال^(٣).

ونهى الله ﷻ عن قصد الصدقة من الخبيث^(٤)، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وأطلقت السنة الخبيث على النجس، كما في قوله ﷺ: ((إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبِيثَ))^(٥).

و«الْخَبِيثُ بفتحين: النجس»^(٦).

وكان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَبِيثِ وَالْخَبَائِثِ))^(٧).

الْخَبِيثُ بضم الباء: ذكور الشياطين، وإنثائها، وقيل: هو الخُبْتُ بسكون الباء، وهو خلاف طيب الفعل من فجور، وغيره، والخبائث يريد بها الأفعال المذمومة، والحصل

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٢٣٦، والمفردات في غريب القرآن ص ٢٧٣.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ١ / ٢٨٤.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر ١ / ٢٧٠.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن ١ / ١٤١، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٦٩٧.

(٥) أخرجه الدارمي في كتاب الطهارة، باب قدر الماء الذي لا ينجس ١ / ٥٦٩ رقم ٧٥٩، وأبو داود، في الطهارة

باب ما ينجس الماء ١ / ١٧ رقم ٦٣، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء ١ / ٩٧ رقم

٦٧، والنسائي في الطهارة، باب التوقيت في الماء ١ / ٤٦ رقم ٥٢، وهذه رواية الترمذي، من حديث ابن عمر

رضي الله عنهما، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١ / ٦٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤، وعون المعبود ١ / ٧١، وتحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي ١ / ١٨٠.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحة، في كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء ٨ / ٧١ رقم ١٤٢، ومسلم، في

الطهارة، باب ما يقول عند دخول الخلاء ١ / ٢٨٣ رقم ٣٧٥، من حديث أنس رضي الله عنه.

الرديئة^(١)، وقيل: «الخبث يعني: الشر، وأما الخبائث فإنها: الشياطين»^(٢)، وقيل: من الكفر، والمعاصي^(٣).

وَالْخَبَثُ: الْوَسَخُ^(٤)، كما قال الرسول ﷺ في المدينة: ((وَأِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ))^(٥).

وإذا كثرت الفواحش، حصل الهلاك؛ فعن زينب بنت جحش^(٦) رضي الله عنها أنها قالت: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ))^(٧).

وَالْخَبَثُ: «فسره الجمهور بالفسوق، والفجور، وقيل: المراد الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً»^(٨).

ويطلق الخبيث على الشيء الضار، ومنه نهي الرسول ﷺ ((عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ))^(٩).

- (١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٦، وشرح ابن ماجه لمغطاي ١/ ٧٤، وعمدة القاري ٢/ ٢٧٠.
- (٢) غريب الحديث لابن سلام ٢/ ١٩٢، وغريب الحديث للخطابي ٣/ ٢٢١، وقوت المغتذي على الترمذي ١/ ٣٩.
- (٣) ينظر: المصباح المنير، مادة: (خَبَثَ) ١/ ١٦٢.
- (٤) ينظر: شرح النووي على مسلم ٩/ ١٥٣، وتحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي ٨/ ٣٠٤.
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ ٤٧/٦ رقم ٤٥٨٩، ومسلم في الحج، باب المدينة تنفي شررها ٢/ ١٠٠٦، رقم ١٣٨٤، من حديث زيد رضي الله عنه.
- (٦) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية، ابنة عمه رسول الله ﷺ، ومن المهاجرات الأول، كانت تحت زيد بن حارثة، فلما طلقها زوجها الله نبيها بلا ولي ولا شاهد، وكانت من سادة النساء؛ ديناً وورعاً، وجوداً ومعروفاً، صادقة الحديث، وصولاً للرحم، كثيرة الصدقة، توفيت سنة عشرين، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودفنت في البقيع، وهي أول أزواج النبي ﷺ موتاً بعده. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٨٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢١١، والإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٦٦٧، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ١/ ١٠.
- (٧) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج ٤/ ١٣٨ رقم ٣٣٤٦، ومسلم، في الفتن وأشراف الساعة، باب اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج ٤/ ٢٢٠٧ رقم ٢٨٨٠.
- (٨) شرح النووي على مسلم ٣/ ١٨، وينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٤٧٤.
- (٩) أخرجه أحمد ١٣/ ٤١٦ رقم ٨٠٤٨، وأبو داود، في الطب، باب في الأدوية المكروهة ٤/ ٦ رقم ٣٨٧٠، والترمذي، في الطب، باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره ٤/ ٢٨٧ رقم ٢٠٤٥، وابن ماجه، في الطب، باب النهي عن الدواء الخبيث ٢/ ١١٤٥ رقم ٣٤٥٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ٤/ ٤٥٥، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ٢/ ١٢٨٢ رقم ٤٥٣٩.

قال الترمذي^(١): «يعني السُّم»^(٢).

وقال ابن الأثير^(٣): الدواء الخبيث «هو من جهتين:

إحدهما: النجاسة، وهو الحرام؛ كالخمر والأرواث والأبوال، كلها نجسة خبيثة، وتناولها حرام، إلا ما خصته السنة من أبوال الإبل عند بعضهم، وروث ما يؤكل لحمه عند آخرين، والجهة الأخرى: من طريق الطعم والمذاق، ولا ينكر أن يكون كره ذلك؛ لما فيه من المشقة على الطباع، وكراهية النفوس لها»^(٤)، فعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ شَيْئًا فَلَا يَقْرَبْنَا فِي الْمَسْجِدِ))^(٥).

«يريد الثوم، والبصل، والكراث، خبثها من جهة كراهة طعمها، وريحها؛ لأنها طاهرة»^(٦).

ويطلق الخبيث ويراد به المحرم، أو الرديء كما في قوله ﷺ: ((ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ))^(٧).

(١) أبو عيسى: محمد بن عيسى بن يزيد بن سَوْرَةَ التَّرْمِذِي، أحد أئمة الحديث الحفاظ، له تصانيف منها: (الجامع)، و(العلل)، وكانت وفاته بترمذ سنة ٢٧٩هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٤/٢٧٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/١١٤٥، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٠/٢٤٨.

(٣) أبو السَّعَادَات: المبارك بن محمد الشيباني الجزري، ثم الموصلية، الكاتب، محدث، لغوي أصولي، كان ذا بَرِّ وإحسان، مرض فبطلت حركة يديه ورجليه، له مصنفات عديدة، قيل: إن كثيراً منها كان في مرضه، إملأه على طلبته، ومنها (النهاية في غريب الحديث) و(الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف) في التفسير، توفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٨٨، وشذرات الذهب ٥/٢٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث ١/١٧١ رقم ٨٥٦، ومسلم، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها مما له رائحة كريهة عن حضور المساجد حتى تذهب ذلك الريح ١/٣٩٥ رقم ٥٦٥، واللفظ له.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٥.

(٧) أخرجه مسلم، في كتاب المساقات والمزارعة، باب تحريم ثمن الكلب، وحلوان الكاهن ومهر البغي، والنهي عن بيع السنور ٣/١١٩٩ رقم ١٥٦٨، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

قال الخطَّابي^(١): «قد يُجمع الكلام بين القرائن في اللفظ الواحد، ويُفَرَّقُ بينها في المعاني، ويُعرَف ذلك من الأغراض والمقاصد فيها»^(٢).

«فأما مهر البغيِّ، وثمنُ الكلب فيريد بالخبيث فيهما الحرام؛ لأن الكلب نجس، والزنا حرام، وبذل العوض عليه وأخذه حرام، وأما كسب الحجَّام فيريد بالخبيث فيه الكراهية؛ لأن الحجامة مباحة»^(٣).

كما وردة السنة بمعنى آخر للخبيث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ))^(٤).

أي: ثَقِيلُهَا كَرِيهُةُ الْحَالِ^(٥).

ومن خلال هذه النصوص يتبين أن الشرع استعمل لفظ الخبيث في: الفاسد، والحرام والضار، والنجس والرديء، وما تكرهه النفوس؛ من الطعام، والرائحة، واللون، وخبيث الفعل والقول والأشخاص، والشر والكفر، والمعاصي والفسق والفجور، وغير ذلك؛ مما هو مكروه مبغض من المحسوس أو المعقول.

(١) أبو سليمان: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطَّاب البُستِّي، الخطَّابيُّ، من نسل زيد بن الخطاب، من بلاد كابل كان فقيهاً محدثاً، أديباً، له تصانيف كثيرة منها: (معالم السنن) و(بيان إعجاز القرآن)، توفي سنة ٣٨٨ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٢ / ٢١٤، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٣.

(٢) معالم السنن ٣ / ١٠٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ٢ / ٥٢ رقم ١١٤٢، ومسلم، في كتاب صلاة المسافرين، باب الحث على صلاة الليل وإن قلت ١ / ٥٣٨ رقم ٧٧٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٧.

أقوال العلماء في تعريف الخبيث:

مما ذكره العلماء في تعريف الخبيث ما يلي:

الأول: ما يتناول «الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبیح في الفعل»^(١)، زاد ابن حجر^(٢): «وعلى الحرام والصفات المذمومة القولية والفعلية»^(٣).

الثاني: «ما حَكَمَ الشرع بقبحه وفساده»^(٤).

الثالث: «ما شَغَلَ صاحبه عن الله»^(٥).

الرابع: «ما يكره رداءة وخساسة، محسوساً كان أو معقولاً؛ وذلك يتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبیح في الفعل»^(٦).

ويظهر مما سبق أن كل التعاريف تناولت جانباً، أو أكثر؛ من مفهوم الخبيث، وشيئاً من معانيه، ولكنها غير شاملة، فنحتاج إلى تعريف أعم وأشمل.

وبعد التأمل في النصوص وأقوال العلماء يمكن أن يُعرَّفَ الخبيث بأنه: اسم جامع لكل ما عرف في الشرع والعقل قبحه وفساده؛ من المعتقدات، والأقوال، والأفعال، والأعيان والصفات، والأشخاص، والمطعومات، وغيرها.

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٥ / ٤٥٩.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكِنَانِي العَسْقَلَانِي الشَّافِعِي، محدِّث فقيه، ولع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، وصارت له شهرة كبيرة، له تصانيفه كثيرة منها: (فتح الباري)، (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة)، (أسباب التزلزل)، وكانت وفاته سنة ٨٥٢ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ وذبوله ٥ / ٦٩، ونظم العقيان في أعيان الأعيان ١ / ٤٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١٠ / ٥٦٤، وينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم ١٣ / ٢٢١.

(٤) لطائف الإشارات ١ / ٦٢٤.

(٥) المصدر السابق.

(٦) روح البيان ٥ / ٥٠٣.

ثالثًا: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

بعد النظر في استخدام أهل اللغة للفظ الحَيْث، وشمول معناه عندهم للمحسوسات والمعقولات، وأنه لفظ يطلق على كل مكروه مبغض، وأن كراهية كل شيء بحسبه، يلاحظ التوافق والتطابق في استخدامه من جهة الشرع واللغة، سواء أكان ذلك بألفاظه أم بمعانيه؛ حيث كثر في القرآن الكريم والسنة المطهرة استخدامه بألفاظ متعددة؛ ليعبر كل لفظ عن معنى مراد للشارع، يُعرف ذلك من سياق الكلام، ومدلولات اللغة، والحالات التي قيلت فيه، والأسباب والدوافع التي سيق من أجلها.

وبهذا نعلم أن الشرع استخدم هذه الألفاظ، والمعاني كما استخدمها أهل اللغة، إلا أن الشرع المطهر، جعلها أداة معبرة عن الذم، والتحذير مما يؤثر على الدين والأخلاق، أو مصالح الناس في دينهم، أو دنياهم. والله أعلم.

المبحث الثاني: مفهوم الطَّيِّب:

أولاً: مفهوم الطَّيِّب في اللغة:

الطيب مأخوذ من طاب، وطَيَّب، قال الخليل: «طَابَ يَطِيبُ طِيبًا فَهُوَ طَيِّبٌ»^(١).

وقال ابن فارس: «الطاء والياء والباء أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث»^(٢).

ولفظ الطيب في اللغة يطلق على عدة معانٍ حسب سياق الكلام، ومن ذلك:

المعنى الأول: الأَحْسَنُ، والأَفْضَلُ، والخَيْرُ، والجَيِّدُ^(٣)؛ فالطيب من الكلام: «أفضله

وأحسنه»^(٤)، والطيب من الرجال: الخَيْرُ، ومن المكاسب: جِيَادُهَا^(٥).

ولعل هذا هو المعنى العام للفظ الطيب.

المعنى الثاني: الحَلَالُ^(٦)، يقال: «سبي طيب: يجل سبيّه»^(٧).

المعنى الثالث: اللَّذِيذُ، والزَّكِيُّ، والعَدْبُ، يقال: طاب الشيء: لَدَّ، أو زكا^(٨)، وماء طيبٌ

إذا كان عذباً^(٩).

المعنى الرابع: العَفِيفُ، يقال: فلان طيب الإزار إن كان عفيفاً، و«بيت طيبٌ يكتنى به عن

شرفه، وصلاحه، وطيب أعراقه»^(١٠).

(١) العين، مادة: (طَيَّب) ٧ / ٤٦١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة: (طَيَّب) ٣ / ٤٣٥.

(٣) ينظر: العين، مادة: (طَيَّب) ٧ / ٤٦١، وتهذيب اللغة ١٤ / ٣٠.

(٤) العين، مادة: (طَيَّب) ٧ / ٤٦١، وينظر: تهذيب اللغة ١٤ / ٣٠، والمحكم والمحيط الأعظم ٩ / ٢٢٦.

(٥) ينظر: المحيط في اللغة، مادة: (طَيَّب) ٢ / ٣٣٢، والمحكم والمحيط الأعظم ٩ / ٢٢٥، والمغرب ص ٢٩٦.

(٦) العين، مادة: (طَيَّب) ٧ / ٤٦١، وينظر: المصباح المنير ٢ / ٥٢٢.

(٧) تهذيب اللغة، مادة: (طَيَّب) ١٤ / ٣٠، وينظر: معجم مقاييس اللغة ٣ / ٤٣٥.

(٨) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (طاب) ١٤ / ٣٠، والمحكم والمحيط الأعظم ٩ / ٢٢٤.

(٩) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (طاب) ١٤ / ٣٠.

(١٠) المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (طَيَّب) ٩ / ٢٢٥.

المعنى الخامس: **المُسَامِحَةُ**، **والتَّرْكُ**، يقال: طابت نفسه بالشيء إذا سَمَحَتْ به، وتركته من غير كراهة، ولا غَضَبٍ^(١).

المعنى السادس: **السَّائِعُ السَّهْلُ**، يقال: «طعام طَيِّبٌ إذا كان سائِعًا في الحَلْقِ»^(٢)، ويقال: «فلان طَيِّبُ الأخلاقِ إذا كان سَهْلَ المعاشرةِ»^(٣).

المعنى السابع: **الطَّهَارَةُ**، **والاستنجَاءُ**، يقال: «أطاب الرجل واستطاب إذا استنجى، وأزال الأذى»^(٤)؛ «لأنه يطيب جسده بإزالة ما عليه من الخَبَثِ بالاستنجاءِ، أي: يُطَهِّرُهُ»^(٥).

المعنى الثامن: **حُلُولُ الشَّيْءِ**، يقال: «طاب القتالُ أي: حلَّ»^(٦).

وحاصل كلام أهل اللغة أن الطَّيِّبَ من كل شيء أفضله، وما تستلذُّه الحواسُّ والنفوس، وما خلا من الأذى والخَبَثِ، وكل من تخلَّى عن الرذائل، وتخلَّى بالفضائل، وأن معانيه تتسع فتأتي بمعنى: حَسُنَ ولدٌ وزكا، وطهر وحلَّ، وصار حلالاً، وبمعنى العفيف، والسائغ السهل، والمسامحة والترك، وغير ذلك مما هو مرغوب محبوب.

ثانياً: مفهوم الطَّيِّبِ في الشرع:

من المهم استعراض عدد من النصوص الشرعية التي ذُكر فيها لفظ الطَّيِّبِ؛ ليتبين لنا بعد ذلك المفهوم الشرعي المناسب للطيب.

وقد تنوع في القرآن الكريم والسنة استخدام لفظ الطَّيِّبِ؛ فامتدَّ الله ﷻ على عباده

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (طَيِّب) ٩/ ٢٢٦، وأساس البلاغة ١/ ٦٢٠.

(٢) تهذيب اللغة، مادة: (طَيِّب) ١٤/ ٣٠، وينظر: لسان العرب ١/ ٥٦٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تهذيب اللغة، مادة: (طَيِّب) ١٤/ ٣٠، وينظر: العين ٧/ ٤٦١، والصحاح ١/ ١٧٣.

(٥) لسان العرب، مادة: (طَيِّب) ١/ ٥٦٦، وينظر: الصحاح ١/ ١٧٣، وتاج العروس ٣/ ٢٨٦.

(٦) العين، مادة: (طَيِّب) ٧/ ٤٦١، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٣٠، وأساس البلاغة ١/ ٦٢٠.

بالطيبات، وأحلها لهم، وأمرهم بالإنفاق منها، وأمر رُسله خصوصاً، وعبادة المؤمنين عموماً بالأكل من الأطعمة الطيبة، وما تشتهي نفوسهم من رزق ربهم^(١)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا﴾ [الأنبياء: ٥١].

والطعام الطيب في الشرع: ما كان مُتناولاً مما يجوز، وبقدر ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز، ومما حدده الشرع، لا بأطماع الناس وأهوائهم، وإذا حصل ذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً، وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، وهذا هو المراد بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]^(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٥]، فقيل: عني بها الذبائح^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، إشارة إلى الغنيمة^(٤).

وأصل الطيب ما تستلذه الحواس، والنفوس^(٥)، قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا

فَكُونُوا﴾ [النساء: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

وجاء النهي عن الاستعاضة عن الطيب بالخبث، واستبدال الأعمال السيئة بالأعمال

الصالحة، والحرام بالحلال، والكفر والشرك بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾

[النساء: ٢]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ٧١٠، والبحر المحيط ٢/ ١٠٨، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٤٨٠.

(٢) ينظر: جامع البيان ٨/ ٦٠٦، والمفردات في غريب القرآن ص ٥٢٧، وعمدة الحفاظ ص ٤٢٩.

(٣) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٥، وإصلاح الوجوه والنظائر ص ٣٢١، والمفردات في غريب القرآن ص ٥٢٧.

(٤) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٥، والمفردات في غريب القرآن ص ٥٢٧، وعمدة الحفاظ ص ٤٢٩.

(٥) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤/ ٢٧٨.

طَيْبَةً ﴿ [إبراهيم: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ^(١).

والطَّيِّبُ من تَعَرَّى من نجاسة الجهل والفسق، وقبائح الأقوال والأعمال، وتَحَلَّى بالإيمان ومحاسن الأفعال، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿طَيِّبُكُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠] ^(٢).

وقد ورد الطيب في القرآن شاملاً للأقوال، والأفعال، والأشخاص ^(٣)، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

إن الطيب يشمل الأراضي، والبلدان، والمساكن، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، أي: تراباً لا نجاسة به ^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [سبأ: ١٥] إشارة إلى الأرض الطاهرة الزكية، وأطيب المساكن ما وعد الله به أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢] ^(٥).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ [الرعد: ٢٩]، وأخبر النبي ﷺ عن غربة الإسلام بداية ونهاية، وقال: ((فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)) ^(٦).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦ / ٣٥١، وتفسير ابن المنذر ١ / ١٦٩، ومعالم التنزيل ٣ / ٣٧.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٢٧.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٢٣٣، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤ / ١٧٤.

(٤) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٥، والمفردات في غريب القرآن ص ٥٢٧، وعمدة الحفاظ ص ٤٣٠.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٢٧، وعمدة الحفاظ ص ٤٣٠، واللباب في علوم الكتاب ٣ / ١٦٨.

(٦) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وأنه يَأْرُزُ بين المسجدين

١٣٠ / ١ رقم ١٤٥، من حديث أبي هريرة ؓ.

ومعنى طُوبَى: الجنة، وقيل: اسم شجرة فيها، وقيل: بل إشارة إلى كل مستطاب في الجنة؛ من بقاء بلا فناء، وعز بلا زوال، وغنى بلا فقر^(١).

وسنة الرسول ﷺ مليئة؛ بالنصوص الدالة على استعمال لفظ الطيب، وإطلاقه على عدة معانٍ، قال ﷺ عن المدينة: ((إِنَّهَا طَيْبَةٌ))^(٢).

وكان اسمها يثرب فكرهه النبي ﷺ؛ لاستعمال الثرب في معنى اللوم، وتقيح الفعل، والفساد، والأخذ على الذنب^(٣)، وغيره إلى طيبة؛ ليطيب مكانها بالدين، أو لخلوصها من الشرك وتطيبها منه، أو لطيب رائحتها، وأمورها كلها، أو لحلول الطيب بها؛ وهو المصطفى ﷺ، أو لكونها تنفي خبثها ويبقى طيبها، أو لغير ذلك^(٤).

وشبهه الجليس الصالح بحامل المسك، فقال ﷺ: ((إِمَّا أَنْ يُحْدِثِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً))^(٥).

وأطلق الطيب على طيب النفس، فقال ﷺ: ((الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبٌ نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ))^(٦).

واستأذن عليه عمَّارُ بن ياسر^(٧) بالدخول، فقال ﷺ: ((أَتَدْنُوا لَهُ، مَرَحَبًا بِالطَّيِّبِ

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن ١ / ٣٠٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٣ / ١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد ٦ / ٤٧ رقم ٤٠٥٠، ومسلم، في كتاب الحج باب المدينة تنفي خبثها، وتسمى طابة وطيبة ٢ / ١٠٠٦، رقم ١٣٨٤، واللفظ له، من حديث زيد ﷺ.

(٣) ينظر: الصحاح ١ / ٩٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ١ / ١٥٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٢٩٢.

(٤) ينظر: غريب الحديث للخطابي ١ / ٤٣٥، والفائق في غريب الحديث ١ / ٥١، وفتح الباري لابن حجر ٤ / ٨٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك ٧ / ٩٦ رقم ٥٥٣٤، ومسلم ٤ / ٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٨، من حديث أبي موسى ﷺ.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب في استئجار الرجل الصالح ٣ / ٨٨ رقم ٢٢٦٠، ومسلم، في الزكاة، باب أجر الخازن الأمين ٢ / ٧١٠ رقم ١٠٢٣، من حديث أبي موسى ﷺ.

(٧) عمَّارُ بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي، الممتلئ من الإيمان، الثابت الصابر حين الافتتان، من السابقين الأولين، والمهاجرين المتقدمين، والأعيان البدرين، ومن أول من أظهر إسلامه، فعذب في الله عذاباً شديداً، وأول من بنى مسجداً في الإسلام، وكان قتله علامة على الفئة الباغية، سنة ٣٧ هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨ / ٢٢٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ١٢٩، والإصابة في تمييز الصحابة ٧ / ٦٤.

المُطَيَّبِ))^(١)، «أي: الطَّاهِرِ المَطْهَّرِ»^(٢).

وَنَهَى ﷺ ((أَنْ يَسْتَطِيبَ الرَّجُلُ يَمِينَهُ))^(٣).

و«الاستطابة الاستنجاء؛ سُمي استطابة لأنه يُطَيَّب جسده مما عليه من الخبث بالاستنجاء» أي: يُطَهَّرُه^(٤).

ومما أُرشدنا إليه ﷺ في التشهد أن نقول: ((التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ))^(٥).

فُسِّرَت الطيبات بالأقوال الطيبات، وقيل: بل اللفظ عام؛ فيشمل الطيبات من الأفعال والأقوال، وطيب الأوصاف بكونها صفة الكمال، وخلوصها عن شوائب النقص^(٦).

وبعد هذا العرض لجملة من النصوص الشرعية في الطَّيِّبِ، يتبين أن الشرع استعمله لمعنى شامل لكل ما فيه طهارة أو حسن، وللشيء الفاضل والخير؛ من المطعوم، والملبوس والمسكن، والأنفس والمعاملات، والأقوال والأفعال.

أقوال العلماء في تعريف الطَّيِّبِ:

مما ذكره العلماء في تعريف الطَّيِّبِ ما يلي:

الأول: «الطَّيِّبُ ما شهد العلم بحسنه، وصلاحه»^(٧).

(١) أخرجه أحمد ١٦٩ / ٢ رقم ٧٧٩، والترمذي، في كتاب المناقب، باب مناقب عمار بن ياسر ٦٦٨ / ٥ رقم ٣٧٩٨، وابن ماجه، في المقدمة، باب فضل عمار بن ياسر ٥٢ / ١ رقم ١٤٦، قال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١٧٥٦ / ٣ رقم ٦٢٣٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤٣ / ٣.

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٦ / ١٢ رقم ٧٣٦٨، وابن ماجه، في كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالأحجار ١١٤ / ١ رقم ٣١٣، واللفظ له، من حديث أبي هريرة ؓ، والحديث حسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١١٢ / ١ رقم ٤٣٧.

(٤) تهذيب اللغة، مادة: (طاب) ٢٩ / ١٤، وينظر: مختار الصحاح ص ١٩٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ١٦٧ / ١ رقم ٨٣٥، ومسلم، في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة ٣٠١ / ١ رقم ٤٠٢، من حديث ابن مسعود ؓ.

(٦) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٣٠٧ / ١، وفتح الباري لابن حجر ٣١٣ / ٢.

(٧) لطائف الإشارات ١ / ٦٢٤.

الثاني: عرّفه السَّعْدِيُّ^(١) بأنه: «اسم جامع لكل طيب نافع، من العقائد، والأخلاق والأعمال، والمآكل والمشارب، والمكاسب»^(٢).

الثالث: «ما تستطيبه النفوس السليمة»^(٣).

الرابع: ما يطيب عند الناس ويحسن؛ طعمًا ومنظرًا، ونفعًا وزينة^(٤).

وهذه التعريفات تناولت جزءًا أو أكثر من المفهوم الشرعي للطَّيِّب، لكنها غير شاملة؛ لذا يحسن البحث عن تعريف أعم وأشمل.

وبالنظر إلى النصوص وأقوال العلماء فإنه يمكن أن يُعرّف الطيب بأنه: اسم جامع لكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه؛ من المعتقدات، والأقوال والأفعال، والأعيان والصفات، والأشخاص والمطعومات، وغيرها.

ولذلك يرى صاحب المنار^(٥): أن الحَيْثُ والطَّيِّب «قد استعملوا في الأناسي، والأشياء، والأفعال، والأقوال»^(٦).

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدِيُّ، التميمي الحنبلي، فقيه، مفسر، مربي، له عدة كتب قيِّمة محققة، تخلو من الدخيل، والغرائب، وأسلوبها سهل، ميسر، من أبرزها (تيسير الكريم الرحمن)، واختصره في (تيسير اللطيف المنان) والقواعد الحسان في تفسير القرآن، وكانت وفاته سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: الأعلام ٣/ ٣٤٩، ومشاهير علماء نجد ١/ ٢٩٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٤٤.

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد ١/ ٦٧٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٣٤٥.

(٥) محمد رشيد بن علي رضا الحسيني، القلموني، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، والكتاب العلماء بالحديث والتفسير، والأدب والتاريخ، ومن أشهر آثاره: مجلة (المنار) و(تفسير القرآن الحكيم) ولم يكمله، توفي فجأة في سيارة كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة سنة ١٣٥٤هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٦/ ١٢٦.

(٦) تفسير القرآن الحكيم ٦/ ١٤١.

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

بعد النظر في استخدام أهل اللغة للفظ الطَّيِّب، وشمول معناه عندهم للمحسوسات والمعقولات، وأنه لفظ يطلق على كل ما هو محبوب مرغّب فيه، يلاحظ التوافق والتطابق في استخدامه من جهة الشرع مع اللغة، سواء أكان ذلك بألفاظه، أم بمعانيه؛ حيث كثر في القرآن الكريم، والسنة المطهرة استخدامه بألفاظ متعددة؛ يُعبّر كل لفظ عن معنى مراد للشارع، يُعرف ذلك من سياق الكلام، ومدلولات اللغة، ومن الحالات التي قيلت فيه، والأسباب والدوافع التي سيق من أجلها.

وبهذا نعلم أن الشرع استخدم هذه الألفاظ، والمعاني كما استخدمها أهل اللغة، إلا أن الشرع المطهر جعلها أداة معبرة عن المدح، والترغيب لما يقوي الإيمان والأخلاق، ولما يسعد الناس في دينهم أو دنياهم. والله أعلم.

المبحث الثالث: أهمية التمييز بين الخبيث والطيب:

إن مبدأ التمييز، ونفي المساواة بين الخبيث والطيب منهج درج عليه القرآن الكريم ووضحه غاية التوضيح، حتى لا يحصل لبس، ولا خلط بينهما، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

فما كان الله ليدع المؤمنين في حالة من اللبس والخلط، فلا يُعرف المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فافتضت حكمته ﷺ أن يتليهم، ويفتنهم بما يتميز به الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم، فصار منهم مطيع وعاص، ومؤمن وكافر؛ ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلق.

والله ﷻ يعقد سبباً من المحنة يظهر فيها وليه، ويفتضح عدوه؛ ويُعرف المؤمن الطيب والمنافق الخبيث؛ كما حصل يوم أحد؛ حيث ظهر الصدق والإيمان، والصبر والثبات، وهتك ستر المنافقين؛ فظهرت خيانتهم، ومخالفتهم لله ولرسوله وللمؤمنين^(١).

لقد ميز الله الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر، وأهل السعادة من أهل الشقاء، في الدنيا، وكذا مَنْ يطيعه بقتال أعدائه الكافرين، ممن يعصيه بالتكول^(٢) عن ذلك؛ بما يظهر من الكفرة الأخباث للمؤمنين، وكيدهم ومكرهم، ومبارزتهم لله ولرسوله، بالعداء وسعيهم في إطفاء نوره؛ ليبطلوا الحق وتوحيد الرحمن، وينصروا دين عبادة الأوثان، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

فيجمع الخبيث من الأعمال والأموال والأشخاص بعضه على بعض في نار جهنم،

(١) ينظر: جامع البيان ٧/ ٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٣، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٥٨.

(٢) التَّكُولُ: الامتناع. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (نكَل) ٥/ ٤٧٣، والمخصص ٣/ ٣٥٩.

فيخسرون دنياهم وآخرتهم، وأنفسهم وأهلهم يوم القيامة^(١).

وكما يميّز الله الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر في الدنيا، فإنه يميزهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ بِنَفَرٍ قَوْمٍ﴾ [الروم: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [بس: ٥٩].

ففي الآخرة يجمعون إلى جهنم؛ ليدوقوا عذابها، فهي دار الخبث والخبثاء، والله ﷻ يريد أن يميّز الخبيث من الطيب، ويُجعل كلاً منهما في دار تخصه، فيُسكن الطيبين جنته، ويترل الخبيثين نارَه^(٢).

إن الخلق مفطورون على التفريق بين الخبيث والطيب، والتمييز بينهما، ويعلمون أن لكل مقامًا، وجزاءً وثوابًا.

وإذا كان الأمر كذلك فإن من أسوأ المؤامرات على أمة الإسلام الخلط بين الخبيث والطيب؛ فهي أنكى مكيدة لتذويب الدّين في نفوس المؤمنين، وتحويلهم إلى قطع مهزوز في اعتقاده، غارق في شهواته، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، ولا يفرق بين خبيث وطيب، فكان من سنة الله أن يوضح لعباده، ويبيّن لهم ما يكون به التمييز والتفريق.

ما يحصل به التمييز بين الخبيث والطيب:

التمييز طريق الفلاح، والتميع والخلط طريق الخيبة والضلال، فاقتضت حكمة الله الباهرة أن يُجري ما يحصل به التمييز، ومن ذلك:

أولاً: الرُّسُلُ وَالْمُعْجَزَاتُ:

بعث الله رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم؛ فكان من الناس الطيب المطيع،

(١) ينظر: جامع البيان ١١/١٧٦، والهداية إلى بلوغ النهاية ٤/٢٨٢٠، والوسيط للواحد ٢/٤٥٩.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٣/٤٧٠، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤/١٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٤.

والخيث العاصي، وقيض للحق من يعانده ويجادله، فيتضح وتظهر آياته وأعلامه، وينكشف الخيث وتظهر سوءته^(١)، ولولا مصادمته للحق لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء؛ فلولا الليل ما عُرف فضل النهار، ولولا القبيح ما عُرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما عُرفت منفعة النور، ولولا الخيث ما اتضح الحق اتضاحاً ظاهراً، تظهر به الحكمة الربانية، ويكون الثواب والعقاب، ويظهر عدل الله وفضله، وحكمته لخالقه^(٢).

لقد ميز الله ﷻ رسله بالمعجزات التي تبين صدقهم، وطيب ما يحملونه من حق، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]، فألقاها فإذا هي حية تسعى تَلْقَفُ وتلتهم جميع العصي والحبال، وما جاؤوا به من سحر وكذب وافتراء، فوق الحق وظهر في ذلك الجمع، وبطل الخيث، وما كانوا يصنعون^(٣).

فامتاز برسله وما جاؤوا به من الأوامر والنواهي والمعجزات طيب الناس من خبيثهم وجيدهم من رديئهم، والشقي من الغوي، والولي من العدو، ومن يعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حَرَف، ومن يصلح لقربه وكرامته مِمَّنْ لَا يَصْلِحُ إِلَّا وَقودًا لجهنم^(٤).

ثانياً: الابتلاء بالأدب:

وهي سنة لله ماضية، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُهُ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فقد جرى على عباد الله الطيبين أنواع المخاوف، من التهديد بالقتل والنفي، وأخذ الأموال وقتل الأحبة، إلى أن وصلت بهم الحال أن استبطئوا نصر الله - مع يقينهم به - ولكن لشدة الأمر وضيقه، ومع ذلك فهم صابرون ثابتون، لا يرضون أن يتطرق إلى دينهم

(١) السُّوءَةُ: كلُّ عملٍ وأمرٍ شائنٍ؛ ومنه العورة. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (سَوَأ) ١٣ / ٩٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤ / ٢٠٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٤.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٠ / ٣٥٨، ومعاني القراءات ١ / ٤١٨، والمفردات في غريب القرآن ص ٧٤٤.

(٤) ينظر: مفتاح دار السعادة ٢ / ٨٠، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ٢٦٦.

وَهَن^(١)، أو يتسرب إلى عقيدتهم فساد^(٢).

فَمَنْ قام بدين الله فهو مُعَرَّضٌ للابتلاء؛ فإن صبر ولم ييال بالمكارة المعترضة سبيله فهو الطيب الصادق، الذي سينال من السعادة كما لها، ومن السيادة آلتها، ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، فصدته المكارة، وثنته الحن عن الحق فهو الخبيث الكاذب، فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولا بالدعاوى حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه.

إن الابتلاء من سنة الله في عباده، وهو للنفوس بمثزلة الكبر^(٣) يخرج خبثها وطبيها، كما قال تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

ثالثاً: الابتلاء بالمحن، والمصائب:

وهي تُمَيِّزُ كلاً من الخبيث من الطيب على حقيقته، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

إن الله يبتلي عباده بالأعداء، والجوع، وحصول النقص في الأموال والثمار؛ بجائحة، أو غرق أو ضياع، أو أخذه من قبل الظلمة، والسراق وقطاع الطريق، كما يحصل الابتلاء بذهاب الأحباب؛ من أولاد، وأقارب، وأصحاب، وبالأمراض، ونحو ذلك مما يقدره الله، وما جرت به حكمته، وإن كان ﴿بِشَيْءٍ﴾ يسير قليل، ولو ابتلاههم بالخوف أو الجوع كله لهلكوا، والحن تمحص لا تملك^(٤).

قال سيد قطب^(٥): «ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة

(١) الوهن: الضعف. ينظر: العين، مادة: (وهن) ٩٢/٤، ومجاز القرآن ١/١٠٤.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣٣/٢١٤، ورسالة التوحيد ١/٥٨.

(٣) الكبر: زقٌ يُفْنَخُ فِيهِ الْحَدَادُ النَّارِ. ينظر: الصحاح ٢/٣٧٥، ومقاييس اللغة ٥/١٤٩، مادة: (كبر).

(٤) ينظر: معالم التنزيل ١/١٥٥، وزاد المسير في علم التفسير ١/١٢٤، وتفسير القرآن العظيم ١/٤٦٧.

(٥) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر، حفظ القرآن، واهتم بالأدب، وتولى عدة وظائف، وانظم إلى جماعة الإخوان المسلمين بمصر، وسجن فعكف على تأليف الكتب ونشرها، وبلغت مؤلفاته حوالي ستة وعشرين

الحق بالمخاوف والشدائد... ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة؛ كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف... وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم وكانوا أضن^(١) بها... ولا بد من البلاء كذلك؛ ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش^(٢) مكنون^(٣) القوى، ومدخور^(٤) الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب^(٥) ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد.

والقيم، والموازن والتصورات ما كانت لتصح وتدق^(٦)، وتستقيم إلا في جو المحنة التي تُزيل الغبش^(٧) عن العيون، والرآن^(٨) عن القلوب^(٩).

رابعاً: الابتلاءُ بالهزيمة:

من حكمة الله ﷻ، أن جعل من أوجه الابتلاء، والتمحيص بروز الخبثاء المفسدين، فكَم منهم من يُخفي الانحراف في صدره، فإذا جاءت الفتنة والبلوى انكشف أمره، وبان ما يحمله، وما يخفيه من ضلال وإجرام^(١٠).

وفي أهل القبلة من يُظهر بعض الخبث إذا سنحت^(١١) له الفرصة، مع التظاهر بالصلاح

كتاباً، منها: (في ظلال القرآن) و(التصوير الفني في القرآن)، و(مشاهد القيامة في القرآن)، وأعدم عام ١٣٨٧هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٧.

- (١) الضنة: البخل بالتفيس. ينظر: جامع البيان ٢٤/ ١٦٨، والصحاح، مادة: (ظنن) ٦/ ٢١٥٦.
- (٢) الجيش: الثوران والغليان. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (جيش) ١/ ٤٧٩، ومقاييس اللغة ١/ ٤٩٩.
- (٣) المكنون: المستور المحفى. ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٧٠، وجمهرة اللغة، مادة: (كنن) ١/ ١٦٦.
- (٤) المدخور: المدخر المحفوظ، والمبقى. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (دخر) ٢/ ٣٧٠، والمفردات ص ٣٢٦.
- (٥) السرب: الطريق والمذهب. ينظر: مجاز القرآن ١/ ٣٢٣، والمغرب، مادة: (سرب) ص ٢٢٢.
- (٦) الدق: يقال دق الشيء يدقه دقاً إذا أظهره. ينظر: تاج العروس، مادة: (دق) ٢٥/ ٢٩٥.
- (٧) الغبش: «شدة الظلمة». العين، مادة: (غبش) ٤/ ٣٦١، وجمهرة اللغة ١/ ٣٤٤، وتهذيب اللغة ٨/ ٤٦.
- (٨) الرآن: الطبع والحنتم، والتغطية، والصدأ. ينظر: الصحاح، مادة: (رآن) ٥/ ٢١٢٩، والمفردات ص ٣٧٣.
- (٩) في ظلال القرآن ١/ ١٤٥.
- (١٠) ينظر: بحر العلوم ١/ ٢٧٨، والسراج المنير ١/ ٢٠٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤/ ٨٠.
- (١١) سنح: عرض. ينظر: العين، مادة: (سنح) ٣/ ١٤٥، وجمهرة اللغة ١/ ٥٣٦.

وشيء من التقوى، فتأتي الحن ليحصل التمحيص، ويخرج ما في القلوب؛ وليجري التمييز بين الطيبين والمنافقين الخبيثين الزائغين.

وتأتي التوجيهات الإلهية الحكيمة لما حصل في أحد، فيقول تعالى: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فبعد معركة بدر كثر النفاق، وخرست^(١) السنة المنافقين، وبعد هزيمة أحد رفع هؤلاء الأخبثات رؤوسهم، وكذا يوم الأحزاب أثناء الشدة والضيقة، ظنوا أن المسلمين قد انتهوا وأنه لم يبق إلا أيام وينتهي أمر هذا الدين، وقالوا: إن محمداً يعِدنا بملك كسرى وأحدنا لا يستطيع أن يذهب ليقضي حاجته!

وهكذا حالهم في كل زمان، وطيلة التاريخ الإسلامي، فإذا ضعف أهل الحق، وكانت الدولة لغيرهم ظهر الخبيثون وكثروا^(٢) عن أنيابهم، كالأفاعي تتستر وتتحين الفرصة المناسبة، والسهم ناقد في أنيابها^(٣).

إن الله ﷻ يوضح حال الخبيثين ويبينها؛ لئتم البعد عنها واجتنابها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة لم يكشف سرها^(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّيَسَّبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

خامساً: الابتلاء بالتشريع:

إن الاستجابة لأوامر الشرع والتسليم للأحكام الإلهية صفة المؤمنين الطيبين الصادقين، أما صاحب النفاق والخبث فصفته الامتناع، والإعراض والتولي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا

(١) الخرس: «ذهاب الكلام خلقة، أو عيياً». العين، مادة: (خرس) ٤/ ١٩٥، وينظر: جهرة اللغة ١/ ٥٨٤.

(٢) الكثر: «بدو الأسنان عند التبسم». العين، مادة: (كثر) ٥/ ٢٩١، وتهديب اللغة ١٠/ ٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤/ ١٢٥، وإيثار الحق على الخلق ١/ ٢١١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٦٣، وتفسير القرآن الحكيم ٧/ ٣٧٦.

الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴿البقرة: ١٤٣﴾، ففي تحويل القبله امتحان للذين طابوا بنعيم الإيمان فاستجابوا للشرع برضا وتسليم، بخلاف المنقلبين المعرضين المتبعين لأهوائهم فإنهم يزدادون خبثًا، وحيرةً، وحُججًا باطلة، وشبهًا زائفة^(١).

إنَّ الأَدْعِيَاءَ كَثِيرُونَ، وَأَهْلَ الْحَقِّ قَلِيلُونَ^(٢) ولكن ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

سادسًا: تسليط إبليس:

إن سوق الامتحان قائم بتسليط إبليس، وتسويله^(٣) لبني آدم، والمحاولة الجادة لإغوائهم؛ وليحصل العلم الظاهر للخلق الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، ويقع ما يتميز به الطيب من الخبيث؛ ويعرف من كان إيمانه صحيحًا، يثبت عند الامتحان، ممن يتزلزل إيمانه بأدنى شبهة، وأقل داع يدعو به إلى ضده^(٤)، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١].

فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط؛ ولولا ذلك لم تظهر فضيلة الأعمال الطيبة، والصفات الحسنة؛ من الصبر والعفو، وكظم الغيظ، ولا حلاوة الظفر والقهر^(٥).

سابعًا: التفوی:

من اتقى الله حصل له الفرقان والتمييز بين الخبيث والطيب، ومعرفة الهدى من الضلال، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤١٥، ولباب التأويل ١/ ٧٤١، وإيثار الحق على الخلق ١/ ٢١١.

(٢) ينظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد للسعدي ١/ ١٢١.

(٣) التَّسْوِيلُ: التزيين. ينظر: العين، مادة: (سَوَّلَ) ٧/ ٢٩٨، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٢١٣.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٩٩، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٥١٣، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٧٧.

(٥) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ٢٦٦.

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الأنفال: ٢٩]﴾^(١).

فميز الله ﷻك الطيبين بالإيمان والتقوى، والاستجابة لله ورسوله، فهم أهله المنقادون له المقبلون على الأوامر بالقبول والتسليم، التاركون للنواهي بلا تردد أو تأخير، أما أهل الخبث من الكفرة المعاندين، والمنافقين المخادعين فهم للأوامر عاصون، وللنواهي مرتكبون، وفي شك وارتياب، وسوء ظن برب الأرباب، وأصحاب مكر وتخذيل، يَتَفَوَّهُونَ بالخبث ويثنون الخبائث، أهل سَخَطٍ وَبُغْضٍ، يَزُولُونَ عند أدنى شبهة، ويسقطون عند المحنة^(٢).

ومن هنا نعلم شيئاً من حكمة الله ﷻك أن مَيَّزَ الخبيث من الطيب بالوحي، وبالحن والمصائب، ويارسال الرسل، وتشريع الأحكام، والتقوى، وبإبليس وأعدائه^(٣).

وبهذا التمييز يتطهر الصف المؤمن من الخبيثين الذين في قلوبهم مرض، وتُعرف العداوة بين الفريقين، وتنكشف ألعوبة بعض المتسمين بأسماء الإسلام، وهم الخبثاء الساعون لتذويب المسلم في خبثهم، وتمييع ولائه لربه ودينه، وإخوانه المسلمين.

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٦، والكشف والبيان ٤/ ٣٤٧، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣١٩.

(٢) المَحْنُ: الابتلاء والاختبار. ينظر: العين، مادة: (مَحَنَ) ٣/ ٢٥٣، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٠٢، والمفردات ص ٧٦٢.

(٣) ينظر: غرائب القرآن ٢/ ٣١٧، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤/ ١٣٧.

الفصل الأول

ألفاظ ومعاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ألفاظ الخبيث في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ألفاظ الطيب في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مرادفات لفظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مرادفات الخبيث في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مرادفات الطيب في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: معاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معاني الخبيث في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: معاني الطيب في القرآن الكريم.

مدخل:

لا بد من حصر ألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم، وبيان معانيها المتعددة، وما يمكن أن يكون مرادفاً لها؛ حتى يتبين المقصود، ويستكمل الموضوع من جميع جوانبه، وهذا ما ستكشفه المباحث الثلاثة التالية:

المبحث الأول: ألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم:

ألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم عديدة، وذات دلالات ومعانٍ متنوعة، وتحمل إشارات وتنبهات لطيفة في صيغها، وسياقها، وتعالج قضايا، وموضوعات مختلفة؛ ترغيباً وترهيباً، وأمرًا ونهيًا؛ مما يُكوّن أثرًا بالغًا في نفس من تدبرها وعقلها، ومما يدعو للوقوف عندها بتأمل واعتبار، واستجابة لمضامينها، وتسليم تام لمنزلها، وهذا ما سيتبين في المطالبين التاليين:

المطلب الأول: ألفاظ الخبيث في القرآن الكريم:

بعد حصر ألفاظ الخبيث الصريحة في القرآن الكريم يتضح أنها جاءت متعددة، وفي سياقات ومناسبات متنوعة، محذرة عما يبعد عن الله، ويحرم من نعيم الحياة الطيبة في الدارين، ويؤدي إلى ضرر على الفرد والمجتمع، وفي هذا المطلب يتم استعراضها، وذكرها مع أعدادها، واستخلاص نتائجها، بعد تحليل عام يُمهّد للتفصيل فيها في ثنايا هذه الرسالة، وهذا ما سيتبين في التالي:

١- العدد الإجمالي لألفاظ الخبيث الصريحة الواردة في القرآن الكريم ستة عشر لفظًا.

٢- انحصرت هذه الألفاظ في عشر آيات كريمات.

٣- عدد ألفاظ الخبيث الصريحة في القرآن من غير تكرار سبعة، كما في الآيات التالية:

• قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ

الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧].

• قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خُبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٨).

• قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (إبراهيم: ٢٦).

• قال تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءَ أَيْنَنَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجِّنَنَّهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِتْهُمَ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَسِقِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٤).

• قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: ٢٦).

٤- أكثر الألفاظ وروداً، لفظ: ﴿الْخَبِيثُ﴾؛ حيث تكرر سبع مرات.

٥- توزع مجموع هذه الألفاظ على تسع سور من القرآن الكريم.

٦- تفرقت هذه الألفاظ بين السور المكية والمدنية، إلا أنها في المدنية أكثر؛ فلم تُذكر إلا خمس مرات في ثلاث سور مكية، هن: الأعراف وإبراهيم والأنبياء؛ ولعل ذلك راجع إلى ما ذكره العلماء في خصائص الخطاب المكي، الذي تميز بالإيجاز، وقصر آياته وسوره؛ فقد كان المخاطبون أهل فصاحة، واهتمام بالبيان، وصناعة بليغة في الكلام، فيناسبهم الإيجاز والإقلال، دون الإسهاب والإطناب، مُرَكِّزاً على عدد من الحبائث، التي أعظمها الكفر والشرك، والفواحش واستباحة الأعراض، لافتاً أنظارهم إلى غيرها من الحبائث العظام، والأخطار الجسام، وما زال بهم حتى طهرهم منها، وأبعدهم عنها.

بينما كان النصيب الأوفر من هذه الألفاظ لست سور مدنية، هن: البقرة وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنفال والنور؛ حيث وردت فيهن إحدى عشرة مرة؛ ولعل ذلك راجع إلى ما يتميز به الخطاب المدني؛ من إسهاب في الأسلوب، وبسط في القول؛ حيث الإطناب والتطويل في آياته وسوره، والتحدث عن دقائق التشريع، وتفاصيل الأحكام، وأنواع من التشريعات في شتى شؤون الحياة، وسائر ضروب العبادات

والمعاملات، والأخلاق والحقوق، ومعلوم أن البلاغة تقوم على رعاية مقتضيات الأحوال، وحال المخاطبين، ﴿وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]^(١).

٧- الحظ الأوفر من هذه الألفاظ كان لسورة النور، ففيها أربعة ألفاظ متتاليات، مجتمعات في آية واحدة، وبصيغة الجمع، على حسب الموقع الإعرابي، قال تعالى: ﴿الْخَيْثُوثُ وَالْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوثُ وَالْخَيْثِينَ﴾ [النور: ٢٦].

٨- جاءت هذه الألفاظ على النحو التالي:

أ- الفعل الماضي وهي: ﴿خَبَثَ﴾.

ب- صفة لما قبلها، مرتين بلفظ: ﴿خَيْثَةٌ﴾.

ج- باقي الألفاظ أسماء، معرفة بـ(أل)؛ ما بين: مفرد وجمع.

قال الألوسي^(٢) عند قول الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ يُادِنُ رَبَّهُ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَجَسًا﴾ [الأعراف: ٥٨]: «والتعبير أولاً بـ ﴿الطَّيِّبُ﴾ وثانياً بالذي ﴿خَبَثَ﴾ دون الخبيث؛ للإيدان بأن أصل الأرض أن تكون طيبة مُنْبَتَةً، وخلافه طارٍ»^(٣).

وأيضاً فإن ﴿خَبَثَ﴾ «دون الخبيث في الخُبث، فإن صيغة (فَعِيل) من الصيغ التي تدل على الصفات الكاملة الثابتة، والتأكد قد يكون فيما دون هذا من الخُبث، ومن دقة البلاغة في هذين التعبيرين دلالتهما على الترغيب في طلب الرسوخ في صفات الكمال، وتجنب أدنى الخُبث والنقص، وبين ذلك درجات»^(٤).

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٢٠٢، ومباحث في علوم القرآن للقطان ١/ ٦٤.

(٢) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، فقيه مفسر محدث، اشتغل بالتأليف، والتدريس في سن مبكرة، وتولى منصب الإفتاء، له عدة كتب قيمة، أبرزها تفسيره: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، توفي في بغداد سنة ١٢٧٠هـ. ينظر: الأعلام ٧/ ١٧٦.

(٣) روح المعاني ٤/ ٣٨٦. وينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي) ٤/ ١٧٦.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٨/ ٤٢٨.

ودلت الألف واللام اللتان دخلتا للتعريف في: ﴿الْخَبِيثَ﴾ على العموم، وأن هناك أشياء معهودة، قد عُرف وتقرّر خبثها وفسادها عند المخاطبين بها^(١).

٩- تختص السور المدنية بوجود التجاور بين ألفاظ الخبيث والطيب من غير فاصل بينهما بكلمة أو أكثر.

١٠- يتقدم لفظ الخبيث على لفظ الطيب عند تجاور اللفظين؛ من غير فاصل بينهما بكلمة أو أكثر.

قال أبو السعود^(٢): «وتقدم الخبيث في الذكر؛ للإشعار من أول الأمر بأن القصور الذي يُنبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله؛ فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيعين المتفاوتين زيادة ونقصاناً، وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [النور: ١٦]، إلى غير ذلك»^(٣).

ومعنى ذلك: أن تقدم الخبيث على الطيب؛ ليقع فعل الميز عليه، ويُعلم أنه المطرَح والملقى من الشيعين لرداءته؛ فإن الميز يقع على الأدون والأهون^(٤).

قال الألويسي: «وتعليق الميز بالخبيث - مع أن المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم، وإفرازهم عن المنافقين - لما أن الميز الواقع بين الفريقين إنما هو بالتصرف في المنافقين، وتغييرهم من حال إلى حال أخرى، مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من أصل الإيمان، وإن ظهر مزيد إخلاصهم لا بالتصرف

(١) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (خَبِثَ) ٧ / ١٤٧.

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، المفتي، والمفسر، اشتغل بالتدريس، وتولى القضاء، ثم الإفتاء ثلاثين سنة، له مصنفات عدة، منها: كتاب التفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، و(تحفة الطلاب) في المناظرة، و(قصة هاروت وماروت)، توفي سنة ٩٨٢هـ. ينظر: شذرات الذهب ٨ / ٣٩٨، والبدر الطالع ١ / ٢٦١، ومعجم المؤلفين ١١ / ٣٠٢.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣ / ٨٣.

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان ٢ / ٣١٧.

فيهم، وتغييرهم من حال إلى حال، مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار، وإنما لم ينسب عدم الترك إليهم؛ لما أنه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب إليه، فإن المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة، كما يشهد به الذوق السليم، قاله بعض المحققين، وقيل: إنما قدم الخبيث على الطيب، وعلق به فعل الميز؛ إشعاراً بمزيد رداءة ذلك الجنس؛ فإن الملقى من الشيئين هو الأدون»^(١).

المطلب الثاني: ألفاظ الطيب في القرآن الكريم:

في هذا المطلب يتم استعراض ألفاظ (الطيب) الصريحة التي جاءت في القرآن الكريم، ضمن سياقات متنوعة، وبأعداد كثيرة، وألفاظ مختلفة، ليتم بيانها وذكرها، مع شيء من دلالتها إجمالاً؛ تهيةً للتفصيل فيها خلال هذه الرسالة في مناسباتها، فكانت على النحو التالي:

١- العدد الإجمالي لألفاظ الطيب الصريحة في القرآن الكريم خمسون لفظاً.

٢- انحصرت هذه الألفاظ في ست وأربعين آية قرآنية.

٣- عدد ألفاظ الطيب من غير تكرار ثلاثة عشر لفظاً، كما في الآيات التالية:

• قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

• قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسئون﴾ [الأحقاف: ٢٠].

• قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَجَسًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

• قال تعالى: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِثِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤/ ١٣٧.

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢].
- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨].
- قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨].
- قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء: ٣].
- قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤].
- قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].
- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩].

٤- جاءت هذه الألفاظ على النحو التالي:

- أ- الفعل الماضي، وهن: ﴿طَبَّنَ﴾، و﴿طَابَ﴾، و﴿طَبَّتْ﴾.
- ب- صفة لما قبلها، وهن: ﴿طَيِّبِينَ﴾، و﴿طَيِّبَةً﴾، و﴿طَيِّبًا﴾^(١).
- ج- باقي الألفاظ - وهن الأكثر - أسماء، ما بين معرفة ونكرة، ومفرد وجمع ومضاف، وهن: ﴿الطَّيِّبِ﴾، و﴿طُوبَى﴾، و﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾، و﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾، و﴿طَيَّبْتِ﴾.

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤ / ٣٦.

وأكبر أنواع الرجس، والخبث، والقدر الأنداد التي جعلت آلهة مع الله، قال تعالى:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] (١).

قال الشوكاني (٢): «والرجس النجس، وليست النجاسة وصفاً ذاتياً لها، ولكنها وصف شرعي فلا تزول إلا بالإيمان، كما أنها لا تزول النجاسة الحسية إلا بالماء» (٣).

خامساً: المنكر: وهو ما تستنكره النفوس المعتدلة، وتكرهه الشريعة؛ من فعل أو قول،

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢] (٤).

وقد أعظم الله النكير، والتشنيع على الذين بلغ بهم الخبث إلى أن أظهروا فسادهم، وقبح فعلهم مع التنوع فيها، دون حياء، أو خوف منه، قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، من الإحداث في المجالس، وإيذاء المارة بالحذف والسخرية بهم، وعمل اللواط في مجالسهم، وغير ذلك من أعمالهم الخبيثة المنكرة، فقد أعلنوا من الأفعال والأقوال في مجالسهم ومجتمعاتهم ما لا يليق، وما يجعل منه أرباب الفطر السليمة، والعقول الراجحة (٥) الحصيصة (٦).

سادساً: الزبد: وهو الخبث الذي يظهر على وجه الماء، أو على وجه القدر (٧) قال

تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٣٧.

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، من كبار علماء اليمن، مفسر، محدث، فقيه مجتهد أصولي، له ما يزيد على مائة مؤلف، منها: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، و(نيل الأوطار)، و(البدر الطالع)، توفي سنة ١٢٥٠هـ. ينظر: هدية العارفين ٣٦٥/٢، ومعجم المؤلفين ٥٣/١١، والأعلام ٢٩٨/٦.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٦٤٥/٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥٧/١٤.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٠/٢٠.

(٦) الحصيصة: المحكم العقل، الجيد الرأي. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (حَصَفَ) ١٤٨/٤، والصاحح ١٣٤٤/٤.

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/١٦، وتذكرة الأريب ١٦/١.

﴿الطَّيِّبَاتِ﴾، و﴿طَيَّبْتِكُمْ﴾.

- ٥- عدد ألفاظ الطَّيِّب قريبٌ من ضعف ألفاظ الخبيث، التي سبقت في المطلب الأول.
- ٦- أكثر ألفاظ الطَّيِّب وروداً لفظاً: ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾؛ حيث ذكر ثلاث عشرة مرة، كما جاء لفظاً: ﴿طَيَّبْتَهُ﴾ تسع مرات، أما ﴿الطَّيِّبِ﴾، و﴿طَيَّبْتِ﴾، فتكررا سبع مرات، ثم ﴿طَيَّبَا﴾ ست مرات، وأما بقية الألفاظ فلم يحصل فيهن تكرار.
- ٧- تَوَزَّعَ مجموع هذه الألفاظ على ثلاثٍ وعشرين سورة.
- ٨- هذه الألفاظ مبثوثة بين السور المكية والمدنية؛ فقد ذكرت في ثلاث عشرة سورة مكية، هن: الأعراف ويونس، وإبراهيم والنحل، والإسراء وطه، والمؤمنون وسبأ وفاطر، والزمر وغافر، والجاثية والأحقاف.
- بينما ذكرت هذه الألفاظ في عشر سور مدنية، هن: البقرة وآل عمران، والنساء والمائدة، والأنفال والتوبة، والحج والنور والصف.
- ٩- مع أن عدد السور المدنية في القرآن الكريم أقل من المكية إلا أن ذكر هذه الألفاظ فيهن أكثر عدداً؛ فقد ذكرت فيهن تسعاً وعشرين مرة، بينما كان نصيب السور المكية من هذه الألفاظ واحداً وعشرين لفظاً؛ ولعل ذلك راجع إلى خصائص السور والآيات المدنية، كما مضت الإشارة إلى ذلك في المطلب السابق.
- ١٠- المائدة أكثر سورة وردت فيها هذه الألفاظ؛ حيث جاءت ست مرات بألفاظ مختلفة.
- ١١- توالى أربعة ألفاظ في آية واحدة من سورة النور، وبصيغة الجمع على حسب موقعها الإعرابي، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].
- ١٢- إذا اجتمع لفظ الخبيث والطيب في آية ووجد فاصل بينهما بكلمة أو أكثر فإنه يقدم لفظ الطيب، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُنصِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

١٣- تكرر ذكر الحلال مع الطيبات في ثمانية مواضع، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ أَطْيَبْتُ﴾ [المائدة: ٤]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]؛ ولعل ذلك من باب التأكيد والإعلام بأن ما أحله الله فهو طيب؛ ولإبطال ما اعتقدوه في زمن الشرك من تحريم ما ليس بمحرّم، وتحليل ما هو خبيث^(١).

لطائف في الألفاظ:

في نهاية هذا المبحث يتضح لنا بعض اللطائف ومنها:

١- قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلْبَابٍ لَّعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

فكل من ﴿الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ صفة مشبهة، وهي صفة ملازمة للموصوف لا تفارقه ولا تنفك عنه، واللطف أن كل واحدة من الكلمتين جاء على وزن خاص من أوزانها: ﴿الْخَبِيثُ﴾ على وزن (فَعِيل)، و﴿الطَّيِّبُ﴾ على وزن (فَعِيل)، وهو أبلغ وأكد من (فَعِيل)، وعليه فإن الخبيث لا يساوي الطيب في أي شيء حتى في ميزانه^(٢).

٢- الخبيث والطيب لفظان عامان شاملان، وصفتان لكل المعاني التي يدلان عليها، فلا يُصْرَفان عن هذا العموم والصفات إلا بدليل، فهما ينطبقان على كل طيب وخبيث، من الأفكار والمبادئ، والأشخاص، والأقوال والأعمال، والممارسات والتصرفات^(٣).

٣- أنه لا مساواة بين الخبيث والطيب، ومن ساوى بينهما فليس لديه حاسة تمييز، ولا بصيرة، وهو واقع في ضلال مبین، ومُضِرّ بنفسه ومجتمععه؛ لأنه فاقد لمقياس ثمين، ومعياري أساس، لا تستقيم الحياة إلا به، وبمزاولته وتطبيقه في جميع شؤون الحياة.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ١١٢.

(٢) ينظر: وقفات مع آيات ص ٥٥.

(٣) ينظر: وقفات مع آيات ص ٤٥.

فَيَمَكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿ [الرعد: ١٧]؛ فالماء الصافي الباقي هو الحق، أما الذاهب الزائل الذي يتعلق بالأشجار، وجوانب الأودية هو الباطل.

من هنا نلاحظ أن القرآن الحكيم أتى بألفاظ صريحة تدل على الخبيث، وأشار في ألفاظ أخرى غير صريحة إلى خبيث أعمال، وأقوال، وأشخاص، وغيرها، مما يُقطع يقيناً بخبيثها؛ لما تلبست به من مخالفة لخالفها؛ فالمنافقون، والكافرون، والمشركون خبيثاء، وهم شر الدواب، وشر البرية، ومتوعدون بالعذاب والهوان، مبغضون عند الله، ومذمومون في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ^(١).

المطلب الثاني: مرادفات لفظ الطيب في القرآن الكريم:

بداية يحسن تذكّر معاني (الطيب) إجمالاً، والتي سبق تفصيلها في التمهيد^(٢)؛ لئتم الربط بينها وبين ما سيأتي من تشابه وتوافق، وما يوصل للمعنى المقصود. وبعد فهذه مجموعة من الألفاظ القرآنية التي تشارك لفظ (الطيب)، في شيء من معناه، أو وصفه:

الأولى: أَرْكَى: والأَرْكَى هو: الأطيب والأحسن؛ لأن الرُّكُوءَ: الزيادة في الخير، والنفع^(٣) وقد جاءت آيات كثيرة في هذا المعنى، كما قال تعالى: مخاطباً أولياء المطلقات الراغبات في الرجوع لأزواجهن: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، فإن ذلك أطهر، وأفضل، وأطيب^(٤) مما يظنه الولي بأن عدم تزويجه هو اللائق، وأنه يقابل بطلاقه الأول فلا يزوج، كما هي عادة

(١) وهذا ما سيتبين في مبحث (ضوابط الخبيث) من الفصل الثاني.

(٢) وملخصها: أن الطيب من كل شيء أفضل، وما تستلذه الحواس والنفس، وما خلا من الأذى والخبيث، وكل من تخلّى عن الرذائل، وتخلّى بالفضائل، وأن معانيه تتسع، فتأتي بمعنى: حَسَنٌ ولَدٌّ، وزكا وطهر، وحلٌّ، وصار حلالاً، ومعنى العفيف، والسائق السهل، والمساحة والترك، وغير ذلك مما هو مرغوب محبوب.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٥ / ٢٨٥.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١ / ٣٠٦.

المبحث الثاني: مرادفات لفظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم:

الحديث عن الترادف، وهل هو موجود في اللغة أو القرآن الكريم مسألة طويلة، وليس هذا مجال بحثها^(١).

ولمناسبة لفظ (المرادفات) في هذا المبحث، أكتفي عن هذه المسألة، بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: «الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر، وإما معدوم، وَقَلَّ أَنْ يُعْبَّرَ عَنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ يُؤَدِّي جَمِيعَ مَعْنَاهُ، بَلْ يَكُونُ فِيهِ تَقْرِيبٌ لِمَعْنَاهُ، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ»^(٢).

والغرض من هذا المبحث الإشارة إلى مجموعة من الآيات التي تحدثت عن الخبيث أو الطيب من غير تصريح، ولكن من خلال السياق، أو أن اللفظ يشاركهما في معنى من معانيه، أو أن أحد أوصاف الخبيث أو الطيب ينطبق على المذكور في الآية؛ فيصفه بعض المفسرين بالخبيث أو الطيب، ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول: هذا خبيث، وهذا طيب.

وسيكون عرض هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: مرادفات لفظ الخبيث في القرآن الكريم:

قبل الدخول في مرادفات لفظ الخبيث في القرآن الكريم يحسن تذكُّر معاني الخبيث إجمالاً، والتي سبق تفصيلها في (مفهوم الخبيث)^(٣).

وبعد: فهذه مجموعة من الألفاظ القرآنية، المشاركة للفظ الخبيث في شيء من معناه أو وصفه.

(١) مسألة الترادف بحثها العلماء قديماً وحديثاً، وأشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من كتبه كما في مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٤١، و٢٠ / ٤٢٣، وروضة المحبين ١ / ٥٤، والزرکشي في البرهسان ٢ / ٤٧٦، والسيوطي في الإتيان في علوم القرآن ٢ / ٤٩٠، وغيرهم كثير.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٤١.

(٣) وملخصها: أن الخبيث يطلق على ضد الطيب؛ من الرزق والناس، والطعم واللون، والفعل والكلام، والأخلاق الفاسدة والسيئة، وعلى الشر وصاحبه، والرديء والفجور، والمحرم والنجس، وغير ذلك مما هو مبغض مكروه.

أولاً: السُّوء، والسَّيِّئ، والمُسِيء: وهو الإثم، والقيح، والمعاصي التي تسوء صاحبها بسوء عاقبتها له عند الله ﷻ^(١).

فكلمة السوء: «لفظة جامعة لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة؛ صغيرها وكبيرها»^(٢).

وقد حذر الله عباده من السوء، ومن عمله وأهله، وأخبرنا أن النفس أمارة بالسوء، وداعية إليه، وميالة إلى العصيان وراغبة فيه^(٣)، وأنها يوم القيامة تبرا من أعمالها القبيحة الخبيثة التي أحضرت لها^(٤)، و﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

لقد أخبرنا مولانا ﷻ أن ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، وأنه ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، وأن الكافرين لو ظفروا بالمسلمين لسيطروا إلينا أيديهم وألستهم بكل ما يسوؤنا؛ قتلاً وشتماً، ولكن عاقبة مكرهم السيئ تحلُّ بهم^(٥)، ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فطر: ٤٣].

كما أخبر ﷻ أنه يتوب على الذين ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، إذا رجعوا إليه تائبين، وعلى ما اقترفوه نادمين.

وأن أهل الحق والخُلص من العباد، الذين ينهون عن السوء هم أهل النجاة في الدنيا والآخرة، فقد نجى وحفظ نبيه يوسف ﷻ فصرف عنه السوء؛ لأنه من عباده المخلصين، وأنجى الذين ينهون عن المنكر، وعذب أهل الخبث، والظلم والإساءة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/٣٠٣، والسراج المنير ١/٩٨.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٢٨.

(٣) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢/٩٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٣١.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٣٢٦.

المترفعين المتكبرين، فلا مجال لحظوظ النفس، وإنما هذا أمر الله وحُكمه، وهو أعلم بالمصالح، ولا يخفى عليه شيء من الأمور^(١).

وفي قصة أهل الكهف عندما أرسلوا أحدهم بدراهم؛ ليشتري لهم طعاماً، وأمره أن يتخير خيره، وأحله، وأطيبه، وألذّه^(٢)، قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ [الكهف: ١٩].

وفي آية أخرى يذكر الله ﷻ أدباً عظيماً من آداب الاستئذان، وهو تعليم الصراحة بالحق، وقبوله^(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آتِجُوا فَاتِجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [النور: ٢٨]، فصاحب البيت إما أن يأذن بالدخول أو يمتنع؛ لأنه بيته، وهو صاحب الحق، فلا تمتنعوا من الرجوع، ولا تغضبوا منه، فإن صاحب المنزل لم يمنعكم حقاً واجباً لكم، وإنما هو متبرع، فإن شاء أذن أو منع، فلا يأخذ أحدكم الكبر، والاشتمزاز من هذه الحال ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾، وأشد لتطهيركم من السيئات، وتميكتكم بالحسنات^(٤)، وهو أفضل وأطيب، وخير لكم من أن يأذنوا على كراهية؛ فقد يكون في حالة غير مهياة لاستقبال الآخرين؛ من وجود مرض، أو مصلحة أهم، أو غير ذلك مما قد لا يخطر على بال الزائر، بحيث لو أذن له لتضايق، وود لو أن أهل البيت اعتذروا عن استقباله، ولم يُخرجوا أنفسهم ومن جاء لزيارتهم^(٥)، ولو اعتاد الناس التصارع بالحق بينهم؛ لزال عنهم كثير من ظنون السوء بأنفسهم وبإخوانهم^(٦).

وثمة أدب وإرشاد آخر للذين معهم إيمان يمنعمهم من الوقوع بما يخل بالإيمان، ويحفظون به عفافهم وأعراضهم، بأن يكفوا عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبية، وإلى مَنْ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٠٣.

(٢) ينظر: الكشاف ٢/ ٦٦٤، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥/ ٢١٤، وأضواء البيان ١٩/ ٦٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٠٠.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٦٥.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/ ١٤٩.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/ ١٥٠، والتحرير والتنوير ١٨/ ٢٠٠.

وحذرنا من أتباع طرق الشيطان التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي؛ من كفر وفسوق وظلم، فهو عدو لدود ظاهر العداوة، وهو أغش مخلوق لعبيد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ [البقرة: ١٦٩]، فهو يأمر بكل شر، وكل سيئ خبيث.

ثانياً: الفَحْشَاءُ، والفَاحِشَةُ، والفَوَاحِشُ: أفعال بالغة في القبح، تشمل جميع المعاصي، وبخاصة ما تنهى خبيثه؛ كالزنا واللواط وشرب الخمر والقتل، والقذف^(١).

فالشيطان يأمر بالفحشاء، ويزين للناس الوقوع فيها، وربنا ﷻ ينهى عنها، ويحرمها قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويتنوع الفاعلين لها بالعذاب والتكال، مشدداً على الناشرين لها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]. كما ذم ﷻ المتعاطين للفواحش، المعلنين لأنفسهم بأنها طريقة آبائهم وأجدادهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقال تعالى مادحاً عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدم الفواحش، وتحذر منها، وتبين عاقبة أصحابها، وأن من تلبس بها فقد وقع في شر وبلاء، واتصف بالخبث، وعرض نفسه لعقوبة الله ونكاله.

ثالثاً: النَّجْسُ: وهو القدر حسياً كان أو معنوياً، وقد وصف القرآن به المشركين، فقال ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]^(٢).

قال أبو السُّعود: «وُصِفُوا بِالْمَصْدَرِ مَبَالِغَةً كَأَنَّهُمْ عَيْنُ النَّجَاسَةِ، أَوْ هُمْ ذُو نَجَسٍ؛ لِحَبْثِ

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٧، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٥٦٦، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن ١/ ٤٨٣.

باطنهم، أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، أو لأنهم لا يتطهرون، ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم»^(١).

فالمشركون خبيثاء أنجاس؛ في عقائدهم وأعمالهم، فلا يكونون أهلاً لفضل ما دام الواحد منهم متلبساً بالشرك، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئاً؟!.

فالمشرك نجس؛ لأجل شركه، وقد يكون جسده نظيفاً مطيباً لا يستقدر، وقد يكون مع ذلك مستقدر الجسد ملطخاً بالنجاسات؛ لأن دينه لا يطلب منه التطهر، ولكن تنظفهم يختلف باختلاف عوائدهم، وبيئتهم.

والمقصود من هذا الوصف لهم في الإسلام تحقيرهم، وبيان بعدهم عن مجامع الخير، ولا شك أن خبائثة الاعتقاد أشد من قذارة الأجساد؛ ولذلك وجب الغسل على المشرك إذا أسلم؛ انخلاعاً عن تلك القذارة المعنوية بالطهارة الحسيّة؛ وإزالة لخبائثة نفسه^(٢).

رابعاً: الرّجس؛ وهو الشيء القدير المتن، وكل ما استقدر من عمل قبيح^(٣).

وقد نهي الله ﷻ عباده عن عدد من الأرجاس في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

والمحرمات كلها رجس، وخبث، وهي من الخبائث المستقدرة التي حرّمها الله على عباده؛ صيانة لهم، وتكرمة عن مباشرة الرجس الخبيث^(٤).

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤/ ٥٧، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ٢١٧٠.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٣٣، والتحرير والتنوير ١٠/ ١٦٠.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/ ١٩٤، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ١٤٥٦.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٧٧.

يُخْشَى بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ، وَيُوقَعُ فِي الْمَحْذُورِ^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، وَمِنَ الْحَفْظِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْآيَةُ سِتْرَ الْعَوْرَاتِ بَلْبَسَ مَا يَسْتَرُهَا؛ لِئَلَّا يَرَاهَا مِنْ لَا يَحِلُّ لَهُ رُؤْيُهَا، ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عَنِ الْوَطْءِ الْحَرَامِ فِي قُبُلٍ أَوْ دُبُرٍ، أَوْ مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعَنِ التَّمَكُّينِ مِنْ مَسْهَاهَا، وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا؛ لَمَا فِي حَفْظِ الْأَبْصَارِ، وَالْفُرُوجِ مِنَ الْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ الَّتِي نَبِهَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ الْكَرِيمِ: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، وَأَطْهَرَ، وَأَطْيَبَ، وَأَمْنَى لِأَعْمَالِهِمْ.

قَالَ السَّعْدِيُّ: «فَإِنْ مِنْ حَفِظِ فَرْجِهِ، وَبَصَرَهُ طَهَّرَ مِنَ الْخَبْثِ الَّذِي يَتَدَنَسُ بِهِ أَهْلُ الْفَوَاحِشِ، وَزَكَتْ أَعْمَالُهُ بِسَبَبِ تَرْكِ الْحَرَمِ الَّذِي تَطْمَعُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَتَدْعُو إِلَيْهِ؛ فَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»^(٢).

الثَّانِيَةُ: أَحْسَنُ: وَهَذَا لَفْظٌ مَشْعُرٌ بِمَعْنَى الطَّيِّبِ، وَهُوَ اسْمٌ تَفْضِيلٌ، أَوْ مُسْتَعْمَلٌ فِي قُوَّةِ الْحُسْنِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِيهِ^(٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

فَمَنْ لَطَفَ اللَّهُ بِعِبَادِهِ أَنْ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَقْوَالِ الَّتِي فِيهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَيْثُ أَمَرَ بِكُلِّ كَلَامٍ يَقْرُبُ إِلَيْهِ، وَكُلِّ كَلَامٍ حَسَنٍ لَطِيفٍ مَعَ الْخَلْقِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، بَلْ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِأَيْثَارِ أَحْسَنِهِمَا، وَأَقْوَاهُمَا فِي الْحُسْنِ، إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

وَفِي الْآيَةِ تَأْدِيبٌ عَظِيمٌ فِي مِرَاقَبَةِ اللِّسَانِ وَمَا يَصْدُرُ مِنْهُ؛ فَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِكُلِّ خَلْقٍ جَمِيلٍ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ طَيِّبٌ؛ فَإِنْ مِنْ مَلِكٍ لِسَانُهُ مَلِكٌ جَمِيعٌ أَمْرُهُ.

وَالْمُجَادَلَةُ تَكُونُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، بِحُسْنِ خُلُقٍ، وَلُطْفٍ وَلِينٍ كَلَامٍ، وَدَعْوَةٍ إِلَى الْحَقِّ وَتَحْسِينِهِ، وَإِظْهَارِهِ، وَقَبُولِهِ وَالْإِهْتِدَاءَ بِهِ، وَرَدِّ اللَّبَاطِلِ، وَبَيَانِ لِقَبْحِهِ وَفَسَادِهِ وَخَبِيثَتِهِ، بِأَقْرَبِ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ١٥٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٦٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٥ / ١٣١.

الطريق الموصلة لذلك^(١)، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهناك إحسان خاص له موقع كبير عند الله ﷻ وعند خلقه وهو ما أرشد إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، فإذا أساء إليك مسيء - خصوصاً من له حق عليك؛ كالأقارب والأصحاب ونحوهم - إساءة بالقول أو بالفعل فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك أو تكلم فيك حال غيبتك أو حضورك فلا تقابله بالمثل، بل اعف عنه، وعامله بقول لين، وإن هجر وترك الخطاب فطيب له الكلام، وابذل له السلام؛ فإن في مقابلة الإساءة بالإحسان فوائد جمّة^(٢)؛ إما برجوعه عن الإساءة، أو بما يجده المحسن في نفسه من الراحة، وتذكّر ما وعد الله به المحسنين، والعافين من الأجر^(٣)، فعطاؤه وجزاؤه غير محدود، فهو يتقبل من عباده الطيبين ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٦]، ويجزيهم، ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

ونبي الله شعيب عليه السلام قال لقومه محاجاً لهم، وشاكراً لربه: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، أي: رزقني من لدنه رزقاً طيباً من النبوة، والحكمة، أو رزقاً حسناً حلالاً طيباً من غير بخس، ولا تطفيف^(٤).

الثالثة: خير، وخيراً، والخير: وغيرها من الألفاظ القرآنية، التي تدل على شيء محبوب مرغوب فيه، وهي من معاني الطيب التي تقدم ذكرها في (مفهوم الطيب).

والخير: ضد الشر وهو: اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله؛ من الأعمال الصالحة صغيرها

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٣٢، والتحرير والتنوير ٦/٢١.

(٢) الجم: الكثير. ينظر: جامع البيان ٢٤/٣٨٢، ومجاز القرآن ٢/٢٩٨، والمفردات، مادة: (جم) ص ٢٠٠.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥/١٣٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير ص ٧٤٩.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٥/١٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٤/٣٤٤، والتفسير المنير ١٢/١٢٩.

وكبيرها^(١).

فطاعة الله ورسوله، والتحاكم إليهما، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وذكر الله والأعمال الصالحة يُؤمّل أجرها وثوابها، وبرها ونفعها عند الكريم الوهاب، ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، فما عند الله لعباده المؤمنين الصادقين خير عظيم؛ ولذا بين محاسنهم، وشرفهم وفضلهم؛ لما حصل لهم من الإيمان، والعمل الصالح، فاستحقوا الثناء، والمدح وأن يكونوا خير الخليقة، وجيادها^(٢)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

وبهذا يتضح جلياً أن هناك ألفاظاً تشارك لفظ (الطيب)؛ في معنى من معانيه، ويتبين ذلك من كلام المفسرين، وذلك بالنص على أنه يدل على الطيب، أو من خلال الوصف، أو الثواب والجزاء، أو يكون اللفظ على وزن أفعل التفضيل، أو سيق من أجل المبالغة في الحسن، والخيرية، أو الطهر مثلاً^(٣).

فالمسلمون والمؤمنون، وأهل التقى والصدق، ومن رضي الله عنهم كلهم طيبون، ومستحقون لوصف الطيب، وهم خير البرية، وموعودون بالجنات والبركات والخيرات.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٢٨.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/ ١٨٦، وتفسير المراغي ٣٠/ ٢١٦.

(٣) وهذا ما سيتبين في مبحث (ضوابط الطيب) من الفصل الثاني.

المبحث الثالث: معاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم:

لألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم معانٍ عديدة، ووجوه متنوعة، بناء على ما ورد من آثار، وما نقل عن أئمة التفسير، وما يفهم من أسباب التزلزل، وما يتضح من سياق الآيات، ودلالة اللفظ.

وفي هذا المبحث يتم عرض وجوه ونظائر^(١) هذه الألفاظ، حسب أقوال أهل العلم، الذين ألفوا في هذا الشأن، وسيكون بيان ذلك في مطلقين:

المطلب الأول: معاني الخبيث في القرآن الكريم:

اجتهد بعض العلماء في حصر المعاني والأوجه للفظ (الخبيث) في القرآن الكريم، حيث ذكر أهل التفسير، ومن ألف في الوجوه والنظائر جملة من الأوجه، على اختلاف فيما بينهم في عددها، ومعانيها، ونظائرها.

فأشار الرَّاعِبُ^(٢) إلى عدة أوجه من غير أن يحصرها بعدد معين، أما الدَّامَغَانِيُّ^(٣) فأشار إلى ثلاثة أوجه^(٤)، ومثله ابن الجوزي^(٥)، إلا أنه حصرها في ثلاثة^(٦)، ونص إسماعيل

(١) النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني. ينظر: الوجوه والنظائر ص ٢٢.

(٢) الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بالرَّاعِبِ، كان من أذكى المتكلمين، وله تصانيف عدة منها: (المفردات في غريب القرآن) و(حل مشابهاة القرآن)، وكانت وفاته سنة ٥٠٢ هـ. ينظر: تاريخ حكماء الإسلام ١١٢، وسير أعلام النبلاء ١٨ / ١٢٠، وبغية الوعاة ٢ / ٢٩٧.

(٣) اختلف في اسمه، والراجح أنه: الحسين بن محمد الدَّامَغَانِيُّ، أبو عبد الله، نسبة إلى دامغان بلدة بين الرِّيِّ ونيسابور، فقيه حنفي، له كتاب (الوجوه والنظائر) في علوم القرآن، و(سوق العروس وأنس النفوس) في المواعظ، وكانت وفاته سنة ٤٧٨ هـ. ينظر: هداية العافين ١ / ٣١٠، ومعجم المؤلفين ٤ / ٤٤.

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر ص ٣٢٢.

(٥) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، الملقب بابن الجوزي، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مفسرٌ محدث، واعظ مؤثر، ومصنفاته كثيرة منها: (فنون الأفتان في عيون علوم القرآن)، و(المغني) في التفسير، ثم اختصره في (زاد المسير)، وتوفي ٥٩٧ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٦٥، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١ / ٣٩٩، وعقد الجمان ١٧ / ٢٦١.

(٦) ينظر: نزهة الأعين النواظر ١ / ٢٧٠.

النَّيسَابُورِي^(١) على ستة وجوه^(٢)، على اختلاف ظاهر فيما بينهم في بعض الأوجه، مما يعني أن هذه الأوجه اجتهاد قابل للأخذ والرد، ما لم يستند شيء منها إلى نص معتبر.

وكثير منها صحيحة، إلا أن الاختلاف يأتي عند التطبيق على الآيات؛ فعالم يحمل هذه الآية على هذا الوجه، والآخر يحملها على وجه آخر، علماً أن كثيراً منها مما يندرج تحت التفسير بالمثال، وليست وجهاً مغايراً لا تدل عليه الآية.

ومما ذكره العلماء من الأوجه للفظ الخبيث في آي القرآن الكريم ما يلي:

الوجه الأول: الرَّدِيءُ^(٣): قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِشُّوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧]، فأمرهم بالإنفاق من أطيب المكاسب، وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال، ودينه - وهو خبيثه - فـ((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))^(٤)، وقيل: معناه: لا تعدلوا عن المال الحلال، وتقصدوا إلى الحرام، فتجعلوا نفقتكم منه، والراجح القول الأول؛ فإن أناساً كانوا يأتون بالقنو^(٥) فيه الحشَفُ^(٦)، والشَّيْصُ^(٧)، فيتصدقون به فنهوا عن ذلك^(٨).

(١) إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الحيري النيسابوري، أبو عبد الرحمن، الضرير، من فقهاء الشافعية، مفسر مقرئ، له تصانيف في التفسير والقراءات، والحديث والوعظ، ومنها: (الكفاية) في التفسير، و(وجوه القرآن الكريم)، كانت وفاته سنة ٤٣٠ هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ٤/٢٦٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١/٢٠٦.

(٢) ينظر: وجوه القرآن الكريم ص ١٣٢.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/٥٥٩، والوجوه والنظائر ص ٣٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن ١/٢٨٤.

(٤) أخرجه مسلم، في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، وتربيتها ٢/٧٠٣ رقم ١٠١٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) القنؤ: عذق النخل مما فيه من الشماريخ. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (قنو) ٩/٢٣٧، وتاج العروس ٢٦/١٢٧.

(٦) الحشَفُ: أردأ التمر، وهو الذي يجف من غير نضج. ينظر: المصباح المنير، مادة: (حشَف) ١/١٣٧.

(٧) الشَّيْصُ: التمر الذي لا يشتد نواه، إذا لم تلغح النخل. ينظر: الصحاح، مادة: (شَيْص) ٣/١٠٤٣.

(٨) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢/٥٢٨، وتفسير القرآن العظيم ١/٦٩٨.

قال الطَّبْرِي^(١) بعد ما ذكر القولين: «تأويل الآية هو التأويل الذي حكيناه عن حكيثنا عنه من أصحاب رسول الله ﷺ لصحة إسناده، واتفق أهل التأويل في ذلك»^(٢).

وقال ابن كثير^(٣) «والصحيح القول الأول»^(٤).

وليست الرداءة خاصة بالأموال بل هي شاملة للأفعال والأقوال الرَدِيَّة، والاختيارات المَبْهَرَجَة^(٥) لأمثالها^(٦)، قال تعالى: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِئَاتِ﴾ [النور: ٢٦]، بذلك قضى العليم الخبير أن كل شكل ينضم إلى شكله، ويفعل أفعال مثله، وبراً بنت الصديق العفيفة الطاهرة الطيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من مقالة أهل الإفك الخبيثة، وفضحهم ويبن ما جاؤوا به من سيئ الظن واختلاق القذف، وتوعددهم وهَدَدَهُمْ، ونَزَّهَ وبراً رسوله ﷺ من أن تكون له أزواج خبيثات؛ فهو المعصوم وصاحب المكانة والمقام والمترلة العالية عند الله ﷻ، فيأبى الله مع مَنْ هذه حاله أن تكون أزواجه غير طيبات، بل إن الله شَرَّفَهُ على الخلق، واختار له خُلُصَّ عباده؛ من الأزواج، والأولاد والأصحاب^(٧).

(١) أبو جعفر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطَّبْرِيّ، من أمَل طَبْرِسْتَان، أحد الأئمة المجتهدين، والثقات الحفاظ، كان رأساً في التفسير، وإماماً في الفقه، والإجماع، والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عالماً بالقراءات، وباللغة، له تصانيف بديعة، منها: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) في التفسير، و(القراءات والتزييل والعدد)، و(تاريخ الأمم والملوك)، وله كتب كثيرة، واختيارات فقهية فريدة، توفي سنة ٣١٠ هـ. ينظر: طبقات الفقهاء ١٠٨/١، وسير أعلام النبلاء ٢٨٢/١٤، وطبقات الشافعية للسبكي ١٢٨/٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/٥٦٣.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي، الشافعي، فقيه متقن، ومحدث محقق، ومفسر أثري، وحافظ مؤرخ، لازم ابن تيمية وأحبه، له تصانيف مفيدة، انتفع بها الناس، وشاعت بينهم منها: (تفسير القرآن العظيم)، و(البداية والنهاية)، كانت وفاته سنة ٧٧٤ هـ. ينظر: ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص ٣٨، والرد الوافر ص ٩٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٣٤، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/١٥٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/٦٩٧.

(٥) المَبْهَرَجُ: الباطل، والرديء من كل شيء. ينظر: تاج العروس، مادة: (بَهْرَج) ٥/٤٣٣.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ١/٢٨٤، وعمدة الحفاظ ١/٤٨٣.

(٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٣/٢٤٤.

قال ابن عاشور^(١): «فمكانة الرسول ﷺ كافية في الدلالة على براءة زوجه، وطهارة أزواجه كلهن، وهذا من الاستدلال على حال الشيء بحال مقارنه ومماثله، وفي هذا تعريض بالذين اختلقوا الإفك بأن ما أفكوه لا يليق مثله إلا بأزواجهم»^(٢).

فالكلمات الخبيثات للرجال الخبيثين المحيين شياع الفاحشة في الذين آمنوا، والنساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والأفعال الخبيثات للفاعلين الخبيثين^(٣).

الوجه الثاني: المنافق^(٤) أو الكافر^(٥)، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَمَنُّوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ويرجح الإمام الطبري أن الخبيث في هذه الآية هو المنافق؛ لأن الآيات قبلها في ذكر المنافقين، وهذه في سياقها؛ فكونها فيهم أشبه من أن تكون في غيرهم^(٦).

ونظير هذه الآية، قول الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

فالخبيث هو: الكافر بربه، مع بقية إخوانه الخبيثاء الذين يبذلون جهودهم، وينفقون أموالهم باستمرار؛ ليصدوا عن الحق؛ كيداً للإسلام وأهله، ولكن الله جاعل عملهم، وأموالهم الخبيثة التي أنفقوها لتحقيق خبائثهم حسرة وندامة عليهم؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله، وظهور كلمتهم الخبيثة، ويأبى الله إلا أن يعلي كلمته، ويتم نوره، فمن عاش منهم رأى

(١) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين في تونس، وعضو الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام ٦/ ١٧٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٨/ ١٩٤، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٨/ ١٨٥.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ ١/ ٤٨٣.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٤٢٤.

(٥) ينظر: الوجوه والنظائر ص ٣٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن ١/ ٢٨٤، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ١٧٣.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٤٢٦.

وسمع ما يحزنه، ومن قُتل أو مات في الحزني والعذاب الأبدي^(١).

ونظير هذه الآية أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]؛ هذا مثل ضربه الله للشرك^(٢) والكفر؛ فالكلمة الخبيثة: كلمة الكفر^(٣) وتعاليم أهل الشرك وعقائدهم^(٤).

ويرى الرَّاعِبُ الأصفهاني أن الآية أعم وأشمل، وأما إشارة إلى كل كلمة قبيحة من كفر وكذب وغيمة وغير ذلك^(٥).

وقال أبو السُّعود: «هي كلمة الكفر، والدعاء إليه، أو تكذيب الحق أو ما يعم الكل أو كل كلمة قبيحة»^(٦).

وأما قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَأْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فمثل ضربه الله للكافر والمؤمن^(٧).

الوجه الثالث: الحرام^(٨)، قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْبَغُ أَمْوَالُهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

فأكل مال اليتيم حرام، وكبيرة من كبائر الذنوب، ومتوعد عليه بعذاب شديد، ومقرون مع أعظم ذنب عُصي الله به؛ وهو الشرك، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ، قَالَ: الشَّرْكَ بِاللَّهِ،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣، والتحرير والتنوير ٩/ ٣٤٠.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/ ٥٨٣، وجوه القرآن الكريم ص ١٣٢.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥/ ٤٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢٥.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٣/ ٢٢٥.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ١/ ٢٨٤.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥/ ٤٤.

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٣٠.

(٨) ينظر: معالم التنزيل ٣/ ١٠٤، والوجوه والنظائر ص ٣٢٢، ونزهة الأعين النواظر ١/ ٢٧٠.

وَالسَّحْرِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

ولقد أتى الوعيد الشديد في صورة مُفزعة مُخيفة، تشعر بأن هذا المعتدي على مال اليتيم يحمل ناراً تلتهب، وتتأجج في بطنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقد اتفق العلماء: على أن النهي شامل لكل ما فيه إتلاف أو تفويت؛ سواء أكان ذلك بأكل أم لبس، أو سكن أو جحد، أو إحراق أو إغراق، وغير ذلك؛ مما يمنع وصوله إليه^(٢).

وقد فسر ابن الجوزي الخبيث بالحرام^(٣) في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِئُ الذُّلُّ لِلْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

إلا أن أبا حيان^(٤) لم يرض ذلك؛ فرأى عموم اللفظ، منبهاً إلى أن هذا تفسير بعض معاني الآية، وليس تخصيصاً، فقال: «والظاهر أن الخبيث والطيب عامان، فيندرج تحتها حلال المال وحرامه، وصالح العمل وفاسده، وجيد الناس ورديثهم، وصحيح العقائد وفاسدها... وقد خصص بعض المتقدمين هنا الخبيث والطيب ببعض ما يقتضيه عموم اللفظ؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن: هو الحلال والحرام، وقال السُّدِّي^(٥): هو المؤمن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [١٠] ١٠/٤ رقم ٢٧٦٦، ومسلم، في الإيمان، باب الكبائر وأكبرها ٩٢/١ رقم ٨٩.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٥٦٥.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر ١/ ٢٧٠.

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي الغرناطي، نحوي لغوي، مفسر، من تصانيفه: (البحر

الحيط) في التفسير، (التذليل والتكميل في شرح التسهيل) ٥٧٤٥. ينظر: تذكرة الحفاظ وذيوله ٥/ ١٤،

وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٣/ ٦٧، والدرر الكامنة ٢/ ٢٠١.

(٥) أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، المعروف بالسُّدِّي الكبير، أدرك

بعض الصحابة رضي الله عنهم، وكان من أعلم الناس بالتفسير، كانت وفاته سنة ١٢٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤،

والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٣٢.

والكافر، والأحسن حمل هذه الأقوال على أنها تمثيل للطيب والخبيث، لا قصر اللفظ عليها»^(١).

الوجه الرابع: مَا لَا يُوَافِقُ النَّفُوسَ السَّلِيمَةَ^(٢)، وما هو خبيث في الطباع والعقول، بحيث إذا عرض على العقول السليمة استقدرته، وأنكرته أشد الإنكار^(٣).

فإنه ﷺ حرم الخبيث؛ لكونه خبيثاً^(٤)، وجعل من صفات رسوله ﷺ أنه يحرم ما هو خبيث^(٥)، قال تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فما يحرمه المصطفى ﷺ تشهد العقول الصحيحة بقبحه، وخبيثه^(٦).

الوجه الخامس: كِنَايَةٌ عَنِ إِثْبَانِ الرَّجَالِ^(٧): شهوة من دون النساء، كما جاءت بذلك الآيات الصريحة في غير ما موضع من الكتاب الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ أَيْنَعَهُ حَكْمًا وَعِلْمًا وَبَيَّنَّاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]. لقد انتكست فطرهم، فرغبوا بإتيان الذكور عن الإناث، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

وهذه الفعلة الخبيثة النكراء هي التي سُميت بالفاحشة في آيات عديدة، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ﴾ [النمل: ٥٤].

(١) البحر المحيط ٤ / ٣٠ - ٣١.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ٧٠٩.

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٢ / ٦، وتفسير المراغي ٩ / ٨٢.

(٤) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٢ / ٧.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ١٧ / ١٧٨.

(٦) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١ / ٢٣٥.

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ١ / ٢٨٤، وعمدة الحفاظ ١ / ٤٨٣، وبصائر ذوي التمييز ١ / ٧٠٩.

والمراد بالفاحشة هنا هي ما يسمى باللواط^(١).

وبعد هذا العرض للأوجه والمعاني يتبين أن من العلماء من اجتهد فحصر ألفاظ الخبيث في عدد من الأوجه، ومنهم من أشار إليها من غير حصر، لتشمل الرديء والمنافق، والكافر وكلمة الكفر، وتعاليم أهل الشرك وعقائدهم.

ويكون الخبيث بمعنى: المحرم، وما لا يوافق النفوس السليمة؛ مما هو خبيث في الطباع والعقول السليمة، فستقدره، وتستقبحه وتستخبثه، وتنكره أشد الإنكار، فالحكيم ﷺ حرم الخبيث؛ لكونه خبيثاً، فكل ما حرمه الشرع فلا يشك عاقل سليم بقبحه وخبثه، ويأتي الخبيث كناية عن إتيان الرجال بفعل فاحشة اللواط، وبمعنى الأفعال الرديئة، وأن الخبيث يكون في الرجال والنساء، والأقوال والأفعال، وكلُّ يكون مع من يناسبه.

ومن العلماء من توسع في بعض ألفاظ الخبيث؛ فجعل بعضها ليس وجهاً، وإنما هو من باب التفسير بالمثال؛ ولذا أخذ بعموم اللفظ؛ ليتناول لفظ الخبيث كل باطل في الاعتقاد؛ من الكفر والشرك والنفاق، والكذب في المقال، والقبیح في الفعال، والأعمال الفاسدة، وما تقرر في العقول السليمة والطباع خبثه وقذارته، وما لا يوافق الفطر السليمة، والعقول الصحيحة؛ من المحظورات، والمطعومات والمشروبات، ويشمل الخبيث كل كلمة قبيحة من كفر، وكذب ونميمة، ولعن وشتيم، وغير ذلك. والله أعلم.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٦٦.

المطلب الثاني: معاني الطيب في القرآن الكريم:

اجتهد العلماء في تعداد وحصر الأوجه لألفاظ (الطيب) في القرآن الكريم، فأشار ابن الجوزي إلى ثلاثة أوجه^(١)، وعدَّ السَّمِينُ الحلبي^(٢) ستة^(٣)، وأوصلها الدَامَعَانِي، وإسماعيل النيسابوري إلى ثمانية^(٤).

وهذا الاختلاف مبني على الاجتهاد في توجيه بعض الآيات، واختيار أحد معانيها، ولعلنا نستعرض تلك الأوجه مع عرضها على ما قاله أئمة التفسير؛ وذلك لاختيار الأنسب والأولى منها كما يلي:

الوجه الأول: الحلال^(٥)، وقد كان أهل الجاهلية يُحرِّمون على أنفسهم شيئاً من الحرث والأنعام، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]^(٦).

ونظير هذه الآية^(٧)، قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

ومن المفسرين مَنْ حَمَلَ ﴿طَيِّبًا﴾ على كل مستطاب لا يضر الأبدان ولا العقول^(٨).

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر ١ / ٢٧٠.

(٢) أحمد بن يوسف بن محمد، المعروف بابن السَّمِينِ الحلبي، أبو العباس، فقيه شافعي، مقرئ، بارع في النحو والتفسير، وعلم القراءات، له تصانيف حسنة منها: (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)، و(أحكام القرآن)، توفي سنة ٧٥٦ هـ. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه ٣ / ١٨.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ ص ٤٢٩ - ٤٣١.

(٤) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٤ - ٢١٥، والوجوه والنظائر ص ٣٢٠.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/٢، ١٠١، وجوه القرآن ص ٢١٤ - ٢١٥، والوجوه والنظائر ص ٣٢٠.

(٦) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١ / ١٢٩، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٤٨٠.

(٧) ينظر: الوجوه والنظائر ص ٣٢٠.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١ / ٤٧٨.

ومن الآيات التي بمعنى الحلال، قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢].

فالإسلام حفظ اليتيم وماله، وجعل من الخبيث المحرم أكل ماله اليتيم، واستبداله بالحلال الطيب^(١).

ونظير الآية^(٢)، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، يعني: الحلال؛ من الحرث والأنعام، وقد كانوا لا يأكلون اللحم والودك^(٣) في حال إحرامهم^(٤) فحرّموا على أنفسهم ما كان في الأصل حلالاً.

ومن الآيات التي بمعنى الحلّ، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، فمعنى ﴿طَابَ﴾ حلّ^(٥)، ومن المفسرين من جعل المعنى: حسن^(٦).

وروي عن ابن عباس، وجماعة أنهم فسروا، قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، بالرزق الحلال الطيب، وقال الضحاك^(٧): يأكل حلالاً، ويلبس حلالاً، وروي غير هذا؛ من الإيمان بالله، والقناعة، والعافية، والرضا بالقضاء،

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٥٢٥، والكشف والبيان ٣/ ٢٤٣، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: وجوه القرآن ص ١٣٢، والوجوه والنظائر ص ٣٢٢، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٠٣.

(٣) الودك: الدسم. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (ودك) ٧/ ١٢٩.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/ ٣٩٦، وجوه القرآن ص ٢١٤، والوجوه والنظائر ص ٣٢٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٥، والدر المنثور ٤/ ٢٢١، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/ ٨.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ٢٢٤.

(٧) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، أبو القاسم، لقي جماعة من التابعين، منهم سعيد بن جبیر بالري، فأخذ عنه التفسير، ولم يشافه أحداً من الصحابة رضي الله عنهم، وكان من أوعية العلم، وقد وثقه أحمد، وأبو زرعة، والعجلي وكانت مدة حمله سنتين، وولد وله أسنان، وكان يعلم الصبيان، ولا يأخذ منهم أجراً، توفي سنة ثنتين ومائة، وقيل بعدها. ينظر: تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٦٨، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٨، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٢٥.

والسعادة، والعمل بالطاعة والانسراح بها، والجنة وأنه لا يطيب لأحد حياة إلا فيها، والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة كلها من أي جهة كانت^(١).

الوجه الثاني: المَنُّ والسَّلْوَى^(٢)، قال تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]^(٣).

ونظيرها^(٤)، قوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. وهذه الآيات تتحدث عن مَنَّةِ اللَّهِ ونعمته على بني إسرائيل؛ أن أسبغها^(٥) عليهم؛ فأرسل عليهم السحاب ليقبهم حرَّ الشمس في التَّيِّه^(٦)، وأعطاهم الرزق الحسن، ومنه الزَّنجَبِيلُ^(٧)، والكَمَّاءُ^(٨)، والحبز، والطيور السَّمَائِيَّةُ^(٩)، وغير ذلك^(١٠).

ويرجح ابن جرير أن المقصود بقوله تعالى: ﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾: المشتبهات، وليس هو الحلال؛ لأنه وَصَفَ ما كان القوم فيه من هيء العيش الذي أعطاهم بالطيب، الذي هو

-
- (١) ينظر: زاد المسير ٤/ ٤٨٨، وتفسير العز بن عبد السلام ١/ ٥٧٩، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٠١.
- (٢) سيأتي لهما شرح وتفصيل وبيان في مبحث الطيب من المطعومات في القرآن الكريم.
- (٣) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٤، والوجوه والنظائر ص ٣٢٠، ونزهة الأعين النواظر ١/ ٤١٨.
- (٤) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٤، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢١/ ١٤٧.
- (٥) الإِسْبَاغُ: الإتمام والإكمال. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (سَبَغَ) ٣/ ١٢٩، والمفردات ص ٣٩٥.
- (٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٩٠، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٢٦٦.
- (٧) الزَّنجَبِيلُ: نبت معروف تستطيبه العرب، وهو عروق تسري في الأرض. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (زنجبيل) ١١/ ١٧٧، والحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٦٠٠.
- (٨) الكُمَّاءُ: نبات ينفذ الأرض، فيخرج كما يخرج الفُطْرُ، وقيل: هو شَحْمُ الأرض، والعرب تُسميه: جُدْرِيَّ الأرض. ينظر: لسان العرب، مادة: (كَمَأَ) ١/ ١٤٨، وتاج العروس ١/ ٤٠٨.
- (٩) السَّمَائِيَّةُ: طائر صغير ممتلئ الجسم، طويل العنق والرَّجْلين، يعيش غالبًا حول الماء. ينظر: المخصص ٢/ ٣٤٣، وموسوعة الطير والحيوان ص ٢٢٢.
- (١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٦٨، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٢، وأضواء البيان ٢١/ ١٤٧.

بمعنى اللذة، وذلك أحرى من وصفه بأنه حلال مباح^(١).

أما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [يونس: ٩٣]، فالطيبات هنا هي: المَن، والسَّلْوَى، كما نص عليه الدَّامَغَانِي، والشَّنْقِيطِي^(٢).

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجنات: ١٦].

والأخذ بالعموم أولى، فيشمل كل رزق طيب نافع مستطاب طبعاً وشرعاً، وهذا الذي يدل عليه الظاهر من عموم اللفظ؛ فإن الله ﷻ امتن عليهم فأسكنهم أرضاً وبلاداً صالحة مرضية، تميزت بالبركة والخصب، ولذيد الثمار وتنوعها^(٣).

الوجه الثالث: الشُّحُومُ، واللُّحُومُ، ولَحْمُ كُلِّ ذِي ظُفْرٍ، قال تعالى: ﴿فِيظَلِمَنَّ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [النساء: ١٦٠].

وهذه الطيبات التي حرمت عليهم هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْغِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]^(٤).

الوجه الرابع: الذَّبَائِحُ^(٥)، قال تعالى: ﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٤) أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢ / ١٠١.

(٢) ينظر: الوجوه والنظائر ص ٣٢٠، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢١ / ١٤٧.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥ / ١٩٩، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٩٥.

(٤) ينظر: الكشاف ١ / ٤١٣، ونزهة الأعين النواظر ١ / ٤١٨، وإرشاد العقل السليم ٢ / ٥٨.

(٥) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٥، والوجوه والنظائر ص ٣٢١، ومفردات ألفاظ القرآن ٢ / ٣٧، ونزهة الأعين

النواظر ١ / ٤١٨، وعمدة الحفاظ ص ٤٢٩.

الفصل الثاني

ضوابط الخبيث والطيب في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ضوابط الخبيث في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: ضوابط الطيب في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الحكمة من تحريم الخبائث وإباحة الطيبات. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحكمة من تحريم الخبائث في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الحكمة من إباحة الطيبات في القرآن الكريم.

هُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ [المائدة: ٤-٥].

وقيل: الطيبات ما يستلذه آكله ويستطيبه مما أحله الله لعباده، ولم ير الشوكاني تخصيص الطيبات في الآية بالذبائح؛ حيث قال: «وهو تخصيص للعام بغير مخصص، والسبب والسياق لا يصلحان»^(١).

فالأصل العموم، والذبائح مما يدخل تحت عموم الطيبات، وهذا ما درج عليه كثير من المفسرين^(٢).

الوجه الخامس: الغنيمَة، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْتِيَكُمْ أَيْدِيهِمْ وَيَنْصَرُّوكم وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]^(٣). ونظير الآية^(٤)، قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

فبعد أن عاتبهم على أخذ الفداء في بدرٍ أباحه لهم، وجعله من جملة الغنائم المباحة، لا يلحقهم به عتاب ولا لوم^(٥).

الوجه السادس: الكلامُ الحسنُ، ولا أحسن من الكلمة الطيبة؛ كلمة التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١٩ / ٢.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٥٧٢، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٢٢ / ٢.

(٣) ينظر: الوجوه والنظائر ص ٣٢١، ومفردات ألفاظ القرآن ٢ / ٣٧، وعمدة الحفاظ ص ٤٢٩.

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر ص ٣٢١.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٩١٤، والجواهر الحسان ٢ / ١١١.

كشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿ [إبراهيم: ٢٤] ^(١).

وقد «أجمع المفسرون على أن الكلمة الطيبة هاهنا: لا إله إلا الله» ^(٢).

ونظير الآية، قول الله ﷻ: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤] وكذا قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوُ ﴿ [فاطر: ١٠] ^(٣).

وطيب القول والكلام شامل لكل كلام حسن يقرب إلى الله ﷻ ^(٤)، وهو ما يتحلى به أهل الفضائل، والنقاء والطهر؛ فالأقوال الطيبة تصدر من الطيبين، ولا تليق إلا بهم ^(٥) كما قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

الوجه السابع: الجيد والخيار ^(٦)، والزكي والحسن؛ وهذا شامل للمكاسب والمساكن، وغيرها مما فيه حسن وجودة.

وقد أمر الله عباده بالإنفاق من جيد الأموال، وأحبها لنفوسهم ^(٧)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿ [البقرة: ٢٦٧].

ووعد المؤمنين بمساكن طيبة؛ حسنة البناء، طيبة القرار ^(٨)، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ

(١) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٥، والوجوه والنظائر ص ٣٢٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩١.

(٢) تفسير السمعاني ٣/ ١١٣.

(٣) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٥.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/ ٥٩٥، وتفسير السمعاني ٣/ ٤٣١، وتفسير القرآن العظيم ٥/ ٤٠٨.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/ ١٤٢، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٢١١.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٥٥٥، وأنوار التنزيل ١/ ٥٦٩، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٦٩٧.

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/ ٥٧.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧٥.

مدخل:

في توجُّه المؤمن إلى ربه، وفي سيره وانقطاعه إليه يحتاج إلى ما يضبط سلوكه، ويزن أقواله وأفعاله وتصرفاته؛ حتى لا يَحِيدَ عن الطريق، ولا يَخْطئ الجادة.

وبتدبر القرآن الكريم يتضح لنا جملة من القواعد والضوابط التي تحكم الخبيث من الطيب؛ حتى لا يقع اللبس، ومن ثمَّ النقص والخلل بينهما.

والضابط في اللغة: لزوم الشيء، وحفظه، وعدم مفارقتة^(١).

وفي الاصطلاح: «أمرٌ كُلِّيٌّ ينطبق على جزئيات؛ تُعرَف أحكامها منه»^(٢).

وهذه الضوابط تبين وتوضح ما كان طيباً من غيره، وقد تم جمعها باستقراء نصوص القرآن الكريم.

وهي ضوابط اجتهادية، مكونة من أوصاف وأسباب، وموانع وعلامات على أفعال، وأقوال خبيثة وأخرى طيبة، وأمارات على أشخاص، أو مخلوقات كذلك.

ولم أجد من نص عليها من أهل العلم بهذه الصياغة أو دَلَّلَ عليها، فاجتهدت في صياغتها، وتقسيمها، مع البيان والشرح، ثم التذليل على كل ضابط من غير إطالة؛ لوضوح الدليل عليه.

علماً أن الدليل الواحد قد يصلح لعدد من الضوابط؛ فربما يستدل به في أكثر من جزئية، أو مناسبة داخلها.

كما أن هذه الضوابط ستكون أساساً يستفاد منها حين البيان والتفصيل في أنواع الخبيث والطيب، وأسبابهما.

هذا وسيكون الحديث عن هذه الضوابط في المبحثين التاليين:

(١) ينظر: العين، مادة: (ضَبَطَ) ٧/٢٣، وتهذيب اللغة ١١/٣٣٩.

(٢) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ٢/٥، وينظر: مقدمة تحقيق القواعد للمقري ١/١٠٦، والقواعد

والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير ١/٣٩.

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

ونظيرها، قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢].

وأهل سبأ كانوا في بلدة طيبة؛ لحسن هوائها وقلة وخبثها^(١) وحصول الرزق الرغد، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥]^(٢).

ونبي الله زكريا عليه السلام يدعو ربه أن يهبه نسلاً مباركاً تقيّاً صالحاً رضيّاً به، قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]^(٣).

وكما يكون الحسن في المساكن، والمكاسب؛ فيكون في الكلام، ومنه إلقاء التحية، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لِّلَّذِينَ لَعَنُوا لَعْنَةً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: حسنة جميلة^(٤).

الوجه الثامن: جَمِيعُ الْأَرْزَاقِ، وَالْأَقْوَاتِ، وَاللَّذَائِدِ؛ التي امتن الله بها على عباده فهي حلال لهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]^(٥).

(١) الوَخْمُ: «تَعَفُّنُ الْهَوَاءِ، الْمَوْرَثُ لِلْأَمْرَاضِ الْوَبَائِيَّةِ». تاج العروس، مادة: (وَخَمَ) ٣٦ / ٣٤.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٧٧.

(٣) ينظر: معلم التنزيل ٢ / ٣٣، وروح المعاني ٣ / ١٥٢، والتحرير والتنوير ١٨ / ٣٠٥.

(٤) ينظر: معالم التنزيل ٦ / ٦٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٥٢.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٢٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٤٥.

ونظير الآية^(١)، قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وتكرّم على عباده بأن رزقهم من طيبات الطعام والشراب؛ فجعل رزقهم أطيب من
رزق الدواب، والطيّر، والجن^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ووصف رسوله محمداً ﷺ بقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ
لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فما يأمر به تشهد العقول الصحيحة على حسنه وكونه معروفاً، وما يُحله تشهد على
كونه طيباً^(٣).

ومن كان مؤمناً عاملاً للصالحات فهو ينتظر الحسنى، وسيصب خيراً كثيراً؛ لما يناله
من كرم الله، وجوده وفضله؛ فقد وعده ربه بما يُفرحه ويؤنسه، وتقرّ به عينه، وسيحصل له
غبطة وسرور، وفرح وحبور^(٤)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى
لَهُمْ وَحَسَنٌ مَّثَابٌ﴾ [الرعد: ٢٩].

وأما الكفار فقد أخذوا ما كُتب لهم من اللذائذ في الدنيا، وقدموا حظهم من النعيم في
هذه الدر الفانية، ولم يعملوا للحصول على طيبات الآخرة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا
عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٤١٠، والبحر المحيط ٧ / ٤٥٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز ١ / ٣٧١، ولباب التأويل ٤ / ١٧٠، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٩٧.

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١ / ٢٣٥، ومفتاح دار السعادة ٢ / ٦.

(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٥ / ٢٨٨، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٥٥.

المبحث الأول: ضوابط الخبيث في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم ضوابط كثيرة، توضح بجلاء ما كان من عداد الخبيث من غيره، مما يجعل المسلم على بينة من أمره؛ ليجتنبه ويحذره، وقد جاءت بأوصاف، وأسباب ومسميات عديدة، شاملة لعلاقة الإنسان مع ربه، وعلاقته مع الآخرين؛ لتعم جوانب الحياة الدنيوية والأخروية، فإلى تلك الضوابط، وبيانها، والتمثيل، والتدليل عليها:

الضابط الأول: كُلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﷻ فَهُوَ خَبِيثٌ:

الشرح: الله ﷻ لا يَمْنَعُ عباده من الحلال الطيب، فأى شيء نُهى عنه، أو حَكَمَ عليه بالتحريم؛ منعاً لعباده من اقترافه فإن ذلك علامة على خبيثه.

وقد نصت آيات القرآن العظيم على جملة من المحرمات والمنهيات؛ في العبادات والمعاملات، والأطعمة، والأقوال والأفعال، وغير ذلك مما هو ضرر على العقيدة، أو السلوك والأخلاق، أو العلاقة بين المسلمين، مما يدل على خبيثها وقبحها، فجاءت أوامر الرب الحكيم بطلب الكف، والبعد عنها.

الأمثلة والأدلة:

١- تحريم ما عُرِفَ خُبَيْثُهُ:

هذه قاعدة قرآنية، وعَلِمَ من أعلام نبوة محمد ﷺ^(١)، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال ابن عثيمين: «فيكون الوصف بالخبيث علة لما حرّمه الشرع، وأن الشرع لا يحرم إلا خبيثاً، فإذا حرم شيئاً فلا تبحث هل هو طيب؟ أو غير طيب؟ بل إذا حرّمه فاعلم أنه خبيث»^(٢).

(١) ينظر: مدارج السالكين ١/ ٢٣٥، ومفتاح دار السعادة ٢/ ٦، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٢١.

(٢) الشرح المتمع على زاد المستقنع ١٥/ ٢٤، وينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٢١١.

الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ وَيَمَّا كُنْتُمْ نَفْسُونَ ﴿ [الأحقاف: ٢٠] ^(١).

الوجه التاسع: المؤمن ^(٢)، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ

الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ونظير الآية، قوله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وقد شبه الله المؤمن بالبلد الطيب ^(٣)، قال تعالى: ﴿ وَأَبْلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ

وَالَّذِي حَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

الوجه العاشر: الطاهر ^(٤)، في موضعين من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ

عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ [النساء: ٤٣]، و[المائدة: ٦].

وتفسير قوله تعالى ﴿ طَيِّبًا ﴾، بالظهور أولى من تفسيره بالحلال، كما هو رأي البعض

ويقوي ذلك حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ؛

جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَ تُرَابُهَا لَنَا

طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ)) ^(٥).

وقد أثنى الله ﻋَﻠَﻴْكَ على المتقين، بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ

عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢].

فالملائكة يقبضون أرواحهم في حال كونهم طيبين ظاهرين من دنس الشرك والمعاصي،

زاكية أقوالهم وأفعالهم، متصفين بالأخلاق الفاضلة، متبرئين عن الأخلاق المذمومة، وهم

(١) ينظر: معالم التنزيل ٧/ ٢٦٠، والجواهر الحسان ٤/ ١٥٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤٩/ ٤٠.

(٢) ينظر: وجوه القرآن ص ١٣٢، والوجوه والنظائر ص ٣٢٢، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ١٧٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٣٠.

(٤) ينظر: وجوه القرآن ص ٢١٥، ومفردات ألفاظ القرآن ٢/ ٣٧، وعمدة الحفاظ ص ٤٣٠.

(٥) أخرجه مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة ١/ ٣٧١ رقم ٥٢٢.

طيبون بتطيب الله إياهم بنظافة الإيمان، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم^(١).

ويساقون إلى الجنة ويستقبلون بالترحيب والإكرام، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

الوجه الحادي عشر: العفيف^(٢)، على أحد الأوجه في قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

الوجه الثالث عشر: سَمَاحَةُ النَّفْسِ وَرِضَاهَا، وملاءمة الشيء لها، قال تعالى: ﴿وَأَتَوْا النِّسَاءَ صُذُقْنِهِنَّ نَجْلَةً فَإِنَّ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ تَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤]، أي: فإن طابت نفوسهن، ورضين بإعطائكم شيئاً من الصَّدَاقِ من غير ضرار، ولا خديعة فكلوه، ولا ذنب عليكم ولا إثم في أخذه^(٣).

وطيب الريح موافقتها للسَّائِرِ في البحر؛ لينة الهبوب، ساكنة موافقة لمقصدهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَجَبْنَا مِنْ هَدْوِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]^(٤).

فتحصل مما سبق أن للطيب في القرآن أوجهًا عديدة، يعرف ذلك من خلال تفسير الأئمة له، أخذًا من أسباب التزول، أو سياق الآيات، أو استنتاجًا لغويًا، أو غير ذلك.

وكثير مما ذكره من تفسيرات وأوجه هو مُندرج تحت التفسير بالمثال، وداخلة تحت عموم اللفظ، وغير مقتصرة عليه، وإن كان بعضها أولى من بعض، والله أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان ١٧ / ١٩٨، وأنوار التنزيل ١ / ٣٩٥، وأضواء البيان ١٧ / ٩٥.

(٢) ينظر: وجوه القرآن ص ١٣٢.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤ / ٣٠٨، والتحرير والتنوير ٤ / ٢٣٢، وتفسير المراغي ٤ / ١٨٤.

(٤) ينظر: معالم التنزيل ٤ / ١٢٨، وزاد المسير ٤ / ١٩، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ١٩٢.

وقال الثعالبي^(١): ﴿وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ «يعني لحم الخنزير، والدم، والميتة، والربا وغيرها من المحرمات»^(٢)، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِأَلْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ [المائدة: ٣].

٢- تحريمُ الشرك:

وهو أخبث الذنوب وأعظمها.

٣- تحريمُ قتل الأنفس المعصومة:

وقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة على هذا، ومن ذلك قتل الأولاد خشية الفقر فلا يحل إزهاق نفس إلا بالحق الذي بينه الله ﷻ، وأكدته رسوله ﷺ.

٤- تحريمُ الفواحش:

من الزنا واللواط، وغيرها من مساوئ الأفعال والأقوال.

وهي خبائث محرمة في جميع الشرائع، وجاءت التعاليم الربانية في القرآن الكريم توضح خبثها وقبحها، وتجلي شيئاً من رذائل المشركين، وسخف تقاليدهم، وعبث أهوائهم، وما يجرح العقيدة، ويعبث بالأخلاق^(٣)، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ

(١) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجزائري المالكي، أبو زيد، عالم زاهد مُفسِّر، له مصنفات نفيسة أبرزها (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) و(الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز)، و(نفايس المرجان في قصص القرآن)، توفي سنة ٨٧٥ هـ. ينظر: الضوء اللامع ٤/ ١٥٢، ومعجم المؤلفين ٥/ ١٩٢، والأعلام ٣/ ٣٣١.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٤/ ٢٩٣.

(٣) ينظر: تحريم القتل وتعظيمه ص ١١٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤٧٩، والجواهر الحسان ١/ ٥٦٧.

وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ ﴿ [الأنعام: ١٥١]، فهذه الجرائم الثلاث، الشرك، والقتل، والزنا تعتبر أمّات الذنوب، وأعظمها الشرك بالله العظيم، ثم ما كان أشدُّ لُصُوقًا به من القتل والزنا، وكانت غالبية على المشركين^(١)، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أُفْرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠]»^(٢).

لقد كشفت هذه الآية بعض ما عليه أهل الجاهلية من زيغ وضلال، وانحرافات ومخالفات، وأباطيل وشبهات.

٥- تحريم نكاح المحارم:

لما فيه من امتهان للكرامة، والمقت عند الله، والبغض عند أهل المروءات^(٣)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

فالتشريع الرباني منع الزواج من المحارم، كالأمهات والبنات، والأخوات والعمات والحالات، وغيرهن، مبطلًا بذلك الكثير من أنكحة الجاهلية، وعاداتها، وخبثها^(٤).

٦- تحريم أكل أموال الناس بالباطل:

ومن الأكل بالباطل الربا، والحيل، والمكاسب الرديئة، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ لأنه من أحبب المكاسب، والله عز وجل قد أعلن الحرب على أهله، وكفى بذلك جرماً،

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٩ / ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب ٤ / ١٨٤ رقم ٣٥٢٤.

(٣) المروءة: كمال الرجولية، وغلبة العقل للشهوة. ينظر: العين، مادة: (مرأ) ٨ / ٢٩٩، وبصائر ذوي التمييز ٤ / ٤٩٤.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل ١ / ١٦٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٧٣.

ولم يُعلمه على غير هذا الصنف من الخبيثاء^(١)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

ومع هذا الإعلان الرباني إلا أن الإعراض مستمر عند كثير من المسلمين في تعاملاتهم الشخصية والتنفيذية، وإدارتهم للأموال العامة، وسن الأنظمة والقوانين، والتشريعات الربوية، والأخذ بنظم الكافرين في الاقتصاد، دون تمحيص، أو رغبة في التصحيح.

ومن العجيب نداءات الاقتصاديين من غير المسلمين بترك الربا، والمطالبة بتطبيق النظام المالي الإسلامي؛ حفاظاً على اقتصادهم وقوته، وحماية له من الانهيار، يُقابل ذلك صدور وإعراض من الاقتصاديين، وأصحاب القرار من المسلمين! مع أنه دينهم، وأوامر ربهم، وفيه خيرهم وصلاتهم^(٢)!.

الضابط الثاني: كُلُّ مَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ ﷻ، أَوْ فَعَلَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعِقَابَ فَهُوَ خَبِيثٌ:

الشرح: أخبر ﷻ أنه عاقب، وتوعد جماعات وفردى، خالفت أمره، وارتكبت نهيها؛ لما عظم خبثهم وقبح فعلهم، فاستحقوا عقابه؛ فلعنهم، ومقتهم، وغضب عليهم، وجعل قلوبهم قاسية زائغة، وجعل عملهم مانعاً من القبول والهداية، والفلاح، وسبباً لزوال نعمته، وحلول نقمته، والحرمان من جنته، أو كان سبباً لاستهزائه، وسخريته، ونسيانه لهم.

كما شرع ﷻ الحدود عقاباً، وردعاً للمجرمين، لأفعالهم الخبيثة، وأعمالهم السيئة.

الأمثلة والأدلة:

١ - الكافرون، والمشركون، والمنافقون:

إن هؤلاء جحدوا حق ربهم في العبودية، ووجدانيته فيها، وحصل منهم من التولي والأعراض، ومصادمة الحق ما استحقوا به عدداً من العقوبات المتنوعة.

(١) ينظر: من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية وأحكام المداينة ص ١٥.

(٢) ينظر: يسألونك عن المعاملات المالية المعاصرة ص ٥ و ٦٥ و ٢٤٧.

ومما نص عليه القرآن الكريم ما يلي:

أ- اللّٰعَن: وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

ولفرعون الخبيث حظه من اللعنة في الدنيا، زيادة على عذاب النار، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتَهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوٰحِينَ﴾ [القصص: ٤٢].
والمنافقون الذين تظاهروا بالإسلام كذباً وزوراً، ذمهم الله ووبخهم، ولعنهم وطردهم من رحمته؛ بسبب مسالكهم الخبيثة، وصفاتهم السيئة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأٰتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صٰيِحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ فَنَلَّهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

وفي هذا لعن، وذم لهم، وتقييح لحالهم، فلفظ: ﴿قُتِلَ﴾ أو ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾، ألفاظ بمعنى اللعن؛ وكل شيء في القرآن بهذا اللفظ فهو لعن^(٢).

ب- الغَضَبُ: لمن اختار الكفر راضياً به، مطمئناً إليه، قال تعالى: ﴿وَلٰكِن مِّنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْتَهُمُ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]^(٣).

ج- المَمْتُ: وهو البغض الشديد لمن يتعاطى القبيح^(٤)، فيمقت الله الكافرين، ويبغضهم، كلما استمروا على كفرهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكٰفِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكٰفِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

فلا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له، وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم من مقت

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٢٤٧، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١ / ٢٤٢.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٤ / ٢٠٧، وتفسير القرآن العزيز ٢ / ٢٥١، والتسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٢٣٩٠.

(٣) ينظر: مختصر القواعد السلفية في الصفات الربانية ص ٤٥.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن ١ / ٤٧٠، والتدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات ص ٢٦.

الرب الكريم لمن عمل الموبقات الخبيثة؟! (١).

د- قسوة القلب: فاليهود الخبيثاء لما نقضوا عهد الله وميثاقه سبوا لأنفسهم لعنة حلت بهم، وغلظة تمكنت في قلوبهم، وبعداً عن الموعظة والتذكير فلا تنقاد لخير^(٢)، قال تعالى:

﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

هـ- زيف^(٣) القلب: فالذين خبثت قلوبهم، وعدلوا عن اتباع الحق، وانصرفوا عنه مع علمهم به عاقبهم الله بزيف قلوبهم عن الهدى، وحلول الشك والحيرة^(٤) والخذلان فيها^(٥)، قال

تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

و- الحرمان من المغفرة، والهداية، والفلاح، ودخول الجنة: فمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه، وازداد في ضلاله حتى مات، فهو محروم من المغفرة، والهداية؛ لأنه مضطرب،

متلاعب بالدين، ليست له نية صحيحة ولا قصد خالص^(٦)، قال تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَّيْكُنَّ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧].

والذين كثر إجرامهم، واشتد طغيانهم، فكذبوا بآيات الله، مُحَال^(٧) دخولهم الجنة،

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى

يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

إن خبث الشرك والكفر، والتلبس بهما حتى الممات مانع من دخول الجنة؛ لأنها دار

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٥٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٩٠.

(٢) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١/ ٤٥١.

(٣) الزيف: الميل عن الاستقامة. ينظر: العين، مادة: (زيف) ٤/ ٤٣٤، والمفردات في غريب القرآن ص ٣٨٧.

(٤) الحيرة: التردد في الشيء. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (حير) ٢/ ١٢٣.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨/ ١٠٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٥٨.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٣٤، وفتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير ١/ ٧٩٣.

(٧) المُحَال: ما يمتنع وجوده. ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٧، والتعريفات ص ٢٠٥.

الموحدين الطيبين^(١)، و﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ﴾^(٢).

ولا يتم الفلاح إلا بترك ما حرم الله، ومن ذلك أربعة أشياء خبيثة:

أولها: ما يُذهب العقل من عموم المسكرات.

وثانيها: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين.

وثالثها: الأصنام، وما ينصب، ويعبد من دون الله.

ورابعها: الأرزلام التي يَسْتَقْسِمُونَ بها، فهذه الأمور خبائث مانعة من الفلاح، ومُعَوِّقَةٌ

له^(٣)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَقُّرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [المائدة: ٩٠].

فالخبيث لا تحسن له عاقبة، وإن كثر، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ

أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوَى إِلَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ [المائدة: ١٠٠].

فلا فلاح للمتعلقين بالشياطين من السحرة ونحوهم؛ ممن عظم شرهم، وظهر خبيثهم،

فلا يفلحون في أي عمل من شأنه أن يهدى إلى الخير والحق، ولا يظفرون بمطلوب، ولا

ينجون من مكروه^(٤)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

وإنما لهم الخيبة والخسران، كما قال لهم موسى عليه السلام: ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

فَيَسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه: ٦١].

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٥٢، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٧، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب إن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر ٤/ ٧٢ رقم

٣٠٦٢، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في

النار، وأن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ١/ ١٠٥ رقم ١١١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٤٣.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٥/ ١٨٠، وإرشاد العقل السليم ٤/ ١٦٨.

ز- الحِرْمَانُ مِنْ قَبُولِ الْعَمَلِ: فمن مات على غير التوحيد، فلن يُقبل منه خير ولو كان قد أنفق ما يعادل ملء الأرض من الذهب فيما يراه قُرْبَةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُبْعَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتَدِيَ بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١].

وقال في شأن أهل النفاق: ﴿قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ﴾ [التوبة: ٥٣ - ٥٤].

ح- عدمُ الدعاءِ، والصلاةِ على مَنْ مات على غير الإسلام: فالله ﷻ نهي رسوله ﷺ أن يصلي على مَنْ مات على الكفر، والنفاق، أو أن يدعو له بالرحمة والمغفرة له؛ عقاباً له، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، وهذا يدل على خبث النفاق وأهله، وسوء عاقبتهم، وهذا حكم عام في كل من تُيقن نفاقه، وموته على غير ملة الإسلام^(١)، قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

ط- زوالُ النِّعَمِ، وحُلُولُ النَّعْمِ: بعدم شكر النعم، وعدم تنفيذ الأوامر الربانية، وعصيان الرسل وتكذيبهم، والتمادي في الجرائم.

هاهم أهل سبأ، بلدتهم طيبة الثمار والهواء، كثيرة الخيرات، كفروا نعمت ربهم وجحدوا فضله، وأعرضوا عن الحق^(٢)، فأراد الله أن يذيقهم وبال^(٣) أمرهم، فأرسل عليهم ما أهلكهم، وبدد^(٤) شملهم، فاجتاح جناحهم، وخربها، وبدلها بأشجار كريهة المنظر، كثيرة

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/ ٣٥٥، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ١٩٢.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٦٥، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٧٩.

(٣) الوبال: الشدة في المكروه. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٧١٢، والمخصص، مادة: (أَبَل) ٣/ ٣٦٦.

(٤) التَّبْدِيدُ: التفريق. ينظر: مختار الصحاح، مادة: (بَدَدَ) ص ٣٠، ولسان العرب ٣/ ٧٨.

الشوك، مُرة الطعم^(١) من الحَمَطِ^(٢)، والأَثَلِ^(٣)، والسِّدْرِ^(٤)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

ي- الاستهزاء، والسُّخْرِيَّةُ، والنِّسْيَانُ: كحال المنافقين الخبيثاء، الذين يستهزئون بالمؤمنين، فإذا اجتمعوا بهم أظهروا أنهم معهم، وإذا اجتمعوا بقيادتهم في الشر قالوا: إنا معكم في الحقيقة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

قال السَّعْدِيُّ: «وهذا جزاء لهم على استهزائهم بعباده، فمن استهزأه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، ومن استهزأه بهم يوم القيامة أنه يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً، فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفق نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع»^(٥).

فهذه حالهم الخبيثة؛ استهزاء وسخرية بالمطيعين لخالقهم في جميع الأحوال والمناسبات، فلا يسلم أحد من عييبهم ولزهم؛ لما في قلوبهم من البغض للحق، والضَّغِينَةُ^(٦) لأهله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، فقابلهم على استهزائهم، ولزهم وسخريتهم، بأن سخر منهم جزاء وفاقاً.

ولما نسوا الله فلم يذكره إلا قليلاً نسيهم، قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ

(١) ينظر: التفسير الواضح ٣/ ١٣٤، والتفسير الحديث ٤/ ٢٧٤.

(٢) الحَمَطُ: كل شجر لا شوك له. ينظر: المفردات ١/ ١٥٩، ومقاييس اللغة، مادة: (حَمَط) ٢/ ٢٢٠.

(٣) الأَثَلُ: شجر عظيم لا ثمر له، شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (أَثَل) ١/ ٥٨.

(٤) السِّدْرُ: شجر النبق. ينظر: الصحاح ٢/ ٢٤٣، ومختار الصحاح، مادة: (سَدْر) ١/ ٣٢٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٣.

(٦) الضَّغِينَةُ: الحقد. ينظر: العين، مادة: (ضَغَن) ٤/ ٣٦٦، وجمهرة اللغة ٢/ ٩٠٦، والمفردات ص ٥٠٩.

الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿ [التوبة: ٦٧].

ويقال لأهل النار تقيعاً، وتوبيخاً؛ بسبب نسيانهم، وتكذيبهم بيوم القيامة: ﴿فَذُوقُوا
يَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [السجدة: ١٤].

وقوله ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ من باب المقابلة^(١)، والجزاء من جنس العمل، قال تعالى:
﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الحاثية: ٣٤]، وإلا فرينا ﷻ لا يضل، ولا ينسى.

ك- الهجر، والحرمَان من كلام الله، وتركيتهم لهم: كحال الخبثاء الذين يبيعون دينهم
بديانهم، ويتوسلون إليها بالأيمان الكاذبة، والعهود المنكوبة^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا
يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فيردون
القيامة، وهم متلوثون بالجرائم، متدنسون بالخبائث، فلا يكلمهم بما يجبون حين يكلم
عباده؛ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يسمعوا كلاماً ساراً من رب العالمين، فقد أصموا آذانهم
عن سماع كلماته، ولا ينظر إليهم؛ لأنهم أغمضوا أعينهم عن النظر في آيات الله، وتدبر
ما فيها من هدى ونور، ولا يُطهرهم من الآثام التي حملوها معهم، ولا ينالهم بمغفرته
ورحمته، كما يتجاوز لأهل مودته^(٣).

٢- المقترفون لما يوجب إقامة الحد:

لقد شرع الله عقوبات محددة لعدد من الخبائث؛ كالزنا، والقذف، والسرقه؛ حماية
للنفس، والمجتمع من وبائها، وآثارها.

فالزنا من أخص الذنوب، وقد شدد فيه الدين، وأغلظ العقوبة على فعله^(٤)، وأمر بإقامة

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٦٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٤٣.

(٢) التَّكْتُ: التَّقْض. ينظر: الصحاح، مادة: (نَكَثَ) ١/ ٢٩٥، والمفردات في غريب القرآن ص ٨٢٢.

(٣) ينظر: جامع البيان ٣ / ٣٣٠، وتيسير الكريم الرحمن ص ٩٦٩، والتفسير القرآني للقرآن ٢ / ٥٠٣.

(٤) ينظر: تفسير المراغي ١٨ / ٦٩.

الحد على مرتكبه، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وفي مشروعية الحدّ على القاذف إظهار لحفظ الأعراض في الإسلام، فمن تعدى على أعراض الناس واتهم بالفحشاء وهم منه براء، دونما شهادة معتبرة أو إقرار، وطالب المقذوف، فإنه يُحكم على القاذف بالحد؛ لقوله الخبيث، ويعتبر فاسقاً، لا تقبل شهادته إلا إذا صحت توبته؛ عقاباً وردعاً له^(١)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ أَفْسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

لذا نحن بحاجة إلى تربية الناشئة على محاسن الأخلاق، والبعد عن سفّاسف^(٢) القول وردعهم عن التهجم على الأعراض، والاستهانة بها، وتنبههم على مخاطره، وعواقبه. أما جريمة السرقة فهي خبث وجشع، وعدوان على حق الفرد والمجتمع، فلا غرؤ^(٣) أن يُرتب الشرع عليها عقوبة متكافئة مع خطورتها^(٤)، فمن سرق فقد تسبب لقطع يده عقوبة محددة من الرب الحكيم، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وحيثما تنتشر السرقة، فإن هذا مشعر بعظم المسؤولية على الجميع، فيقوم كل بدوره في النصح والتوجيه، والحفظ والرعاية، وإيجاد الدراسات المبيّنة لدوافعها وأسبابها، وسبل الوقاية منها، وسد وسائلها، وبيان مخاطرها، وآثارها على الدين، والنفس، والمجتمع والأسرة، وضرورة تنفيذ حكم الشارع فيها عند ثبوتها، استشعار للأمانة، وأداء للواجب.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦١، والتفسير الحديث ٨ / ٣٧١، والحدود والتعزيرات عند ابن القيم ص ٢٠٩.
 (٢) السفّاسف: الأمر الحقيق، والرديء من كل شيء. ينظر: لسان العرب، مادة: (سف) ٩ / ١٥٥.
 (٣) العرؤ: العجب. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧٩، ومجمل اللغة، مادة: (غرأ) ص ٦٩٤.
 (٤) ينظر: التفسير الحديث ٩ / ١١٧، وجوب تطبيق الحدود الشرعية ص ٢٥.

الضابط الثالث: كلُّ شيءٍ ذمُّهُ اللهُ ﷻ في القرآن الكريم فهو خبيثٌ:

الشرح: ذم الله ﷻ مجموعة من الأشياء الخبيثة، وذم فاعليها، ووصفهم بصفات مكروهة، أو مبغضة للنفوس أو ما فيه احتقار، ومهانة، ومذلة؛ كالسوء والخبث، والرجس والنجس، والضلالة، أو شبه فاعله بمن لا يعقل؛ من البهائم، أو شبهه بالشیطان وأعوانه، وغير ذلك من صفات الذم، البغيضة المنفرة، المبينة لخبثهم، وخبث أعمالهم.

الأمثلة والأدلة:

١- المبذرون والمُسرفون^(١):

هؤلاء مرتكبون لما نهى الله ﷻ عنه؛ لذا وصف الخبيثاء من قوم لوط بالإسراف؛ لوضعهم البذر في غير المحرث^(٢)، فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ ذُورِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

ووصف الخبيث فرعون بالإسراف بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]، وأخبر عن خبث المبذرين، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، أطاعوهم فيما يأمرهم به من الإسراف فهم أمثالهم في الشر لأن الشياطين تدعو إلى كل معصية، فمن أطاعهم فهو من أوليائهم، وأصدقائهم، وهذا غاية المذمة^(٣).

فهل يفقه ذلك من تلاعبت بهم الشياطين، فأنفقوا عشرات الملايين في الإسراف في الولائم، بما لا يخطر على البال، ولا يكاد يصدق به عاقل، لولا أنه رأي العين، وشهود الثقات، مما تنكسر له قلوب الفقراء، ويخشى على أصحابها من الاستدراج، وأنت ترى

(١) التَّبذِيرُ: إنفاق المال في غير حقه، وتفريقه كما يفرق البذر، ولا ينحصر بالمال، بل بكل شيء وضع في غير موضعه، والإسْرَافُ: صرفه زيادة على ما ينبغي. ينظر: الفروق اللغوية ١/ ١١٤، وغرائب القرآن ٤/ ٣٤٣.

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ٢١٦.

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ١٥٧.

الأطعمة ملقاةً في الصحاري، فضلاً عما يلقي في التُّفَايَات^(١)، وما يخالط القاذورات.

كل هذا ليذيع صِيَّتَهُمْ، وليقال: عملوا كذا، وتميزوا بكذا، وفاقوا غيرهم، وهؤلاء أكرم من آل فلان، وهذه القبيلة أكرم من الأخرى، طلبوا ثناء الناس، وغفلوا أن الله يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١ والأعراف: ٣١].

ومن الحرمان، وقلة التوفيق، أن هؤلاء المسرفين، يعرفون أن الفقر ضارب أطنابه بين ذويهم، وأن الديون قد حبست استقرار أسرهم، وأن كثيرين مهددون بالسجون إن لم يكونوا قد دخلوها، وأن لديهم من الشجار على الأمور الزهيدة ما يكشف زيف شعاراتهم وكذب ادعاءاتهم، ومع هذا يابون إلا الفخر والتعالي، الذي حجبهم عن أحوال الشعوب البائسة التي يصعب على أكثرها الحصول على شربة ماء، أو كسرة خبز، أو كساء.

جاهروا بالكرم أياماً، وأهملوا التفتقات وحقوق القربات سنين عدداً، ولو وضعوها في مشاريع تنفع أسرهم، وتقضي ديونهم، ويستفيد منها فقيرهم، وتعلم جاهلهم لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم.

٢- ثمر شجرة الزقوم:

هذا الثمر مُشَبَّه برؤوس الشياطين، وهي وإن كانت لا تُرى فقبُحُ صورتها متصور في النفوس، قال تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ [الصفات: ٦٥]، وهذا الثمر طعام خبيث، كرهه المذاق، يُكره أهل النار على تناوله^(٢).

٣- القتل بغير حق:

إنه عمل خبث مذموم؛ ولذلك ندم موسى عليه السلام على قتل القبطي وأدرك أنه من عمل الشيطان وتزيينه^(٣)، و﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

(١) التُّفَايَاتُ: «ما نفي من الشيء لرداءته». مختار الصحاح مادة: (نفي) ص ٣١٧، وينظر: الصحاح ٦/ ٢٥١٤.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٧/ ٤٢.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٤١، والاشترار المتعمد في الجناية على النفس بالقتل أو الجرح ص ٣٥٢.

فإذ تقرر هذا فإننا بحاجة إلى توعية الكثيرين ممن رخصت عندهم دماء المسلمين، فعَدُّوا أخذ السلاح حين الشُّجار شجاعة ورُجولة، حتى إذا وقع الفأس في الرأس، وعظُمة الجريمة استيقظوا على هَوْل^(١) الكارثة، وإزهاق الدم الحرام، ندموا، ولات حين مندم.

٤- السُّخْرِيَّةُ بالناس، وَعَيْبُهُمْ، وَتَعْيِيرُهُمْ بقول، أو فعل:

هذه كلها خبائث، ومذموم أصحابها في القرآن الكريم، وموصوفون بالظلم إن لم يتوبوا منها، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَائِهِمْ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْمِزُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

فهل يعي هذا ناهشو الأعراض، المتلذذون باحتقار الناس، وإساءة الظن بهم، والطعن فيهم بما يكرهون من الألقاب؛ في المجالس، وغير المنتديات الإلكترونية، أو ممن ساءت أخلاقهم، فعبروا بما في صدورهم عن إخوانهم برسومات، أو كتابات قدرة، على الجُدُر، وفي أماكن التَّن.

ألم يعلموا أن هذه خصال خبث وفسق، ومذمة طبعاً وشرعاً، وقصور في الخلق، والعقل، وحرام بنص كتاب الله ﷻ؛ ولذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ الْأَلْمِزُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾.

٥- عَدَمُ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ:

كحال اليهود الخبيثاء، الذين أعطوا التوراة، وحُمِّلوها للعمل بها، فلم يعملوا، فمثَّلهم في ذلك كمثل الحمار إذا حُمِّلَ كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسيّاً ولا يعلم ما عليه، فهؤلاء لم يحملوها كما أراد الله، حفظوها لفظاً من غير فهم ولا عمل، بل أوَّلوا، وحرفوا، وبدَّلوا، فهم أسوأ حالاً من الحَمِير؛ لأن الحمار لا عقل له، وغير مخاطب، وهؤلاء

(١) الهَوْلُ: المخافة. ينظر: العين ٤/ ٨٦، وتهذيب اللغة، مادة: (هَوْلٌ) ٦/ ٢١٨، والفروق اللغوية ص ٢٤٣.

لهم عقول لم يستعملوها؛ ولذا استحقوا الذم^(١)، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ كَفَرُوا سَوَاءٌ أَلَمُوا أَمْ لَمْ يَلَمُوا وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ [الجمعة: ٥].

٦- الموصوفون بالخبيث، والنجاسة:

من الكافرين، والمشركين، والمنافقين، وأصحاب الفواحش.

وقد ضرب الله مثلاً للكافر بالأرض السبّخة المالحة التي لا تخرج منها البركة؛ لأن الكافر خبيث، وعمله خبيث^(٢)، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وأخبر الله عباده المؤمنين أن الخمر والقمار والأصنام، وما كان يَسْتَقْسِمُ^(٣) به أهل الجاهلية أن ذلك كله من الأمور الخبيثة، التي يجب اجتنابها، وعدم التدنس بجنبتها، ورجسها^(٤)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وصف أهل النفاق بقوله: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة: ٩٥].

وحرم الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، ووصفها بالرجس، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

أما أصحاب الفواحش فمذمومون موصوفون بالسوء، ومحكوم عليهم بالفسق، قال

(١) ينظر: اقتضاء العلم العمل ص ١٥، وتفسير القرآن العظيم ٨/ ١١٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٠٤، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ٤/ ٢٤٣.

(٣) الاستقسام: من القسم وهو الحظ والنصيب. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٤١.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٣٦٢، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٨، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٣.

تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءَأَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبِحَيْنَتِهِ مِنْ الْقَرَبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

فَمَنْ ظَهَرَ خَبِيثُهُمْ، وَعَلَامَاتُ تَشْبِيهِهِمْ بِهَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ الْخَبِيثَةِ فَإِنْ مَصَابِحَتُهُمْ وَرَفَقَتُهُمْ بِلَاءٍ، وَمُظَنَّةٌ سَوْءٍ، يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْهُمْ، وَتَنْبِيهُ وَمَنْعٌ مِنْ لَا يَدْرِكُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، مِنَ الصَّغَارِ وَالسَّفَهَاءِ؛ خَوْفًا مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِهِمْ، ثُمَّ الرُّكُوبِ، وَالسَّمْرِ^(١) مَعَهُمْ، فَرُبَّمَا يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَى الْفَوَاحِشِ، وَتَدْنِيسِ الْأَعْرَاضِ بِاللُّوَاطِ^(٢).

٧- الموصوفون بالعداوة، والمسببون لها:

مَنْ وَصَفَهُمُ الْقُرْآنُ بِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ عَدُوَّهُمْ؛ كَالَّذِينَ يَعَادُونَ اللَّهَ، أَوْ رُسُلَهُ، أَوْ مَلَائِكَتَهُ، أَوْ الْفَاعِلُونَ لِمَا يَسَبِّبُ الْعِدَاوَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، كُلُّ هَؤُلَاءِ فِي زِمْرَةِ الْخَبِيثَةِ.

فِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَرَكَ الْإِسْتِغْفَارَ لِأَبِيهِ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ لِمَا ظَهَرَ لَهُ خَبِيثَتُهُ، وَعِدَاوَتُهُ لِرَبِّهِ^(٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [براءة: ١١٤].

وَجَاءَ التَّحْذِيرُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ عَنْ أَمْرَيْنِ خَبِيثَيْنِ؛ الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ؛ لِمَا يَجْلِبَانَهُ مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٤)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

الضابط الرابع: كلُّ ما استعاد منه الأنبياء، أو تبرَّأ منه فهو خبيث:

الشرح: الاستعادة هي الالتجاء والاعتصام، ولا تكون إلا بالله فيما لا يقدر عليه غيره،

(١) السَّمْرُ: «حديث الليل». غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٩٨، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٢٥.

(٢) ينظر: الفاحشة عمل قوم لوط ص ٦٩.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٩٤.

(٤) ينظر: المسكرات والمخدرات ص ٣٢، والأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات ص ٥٠.

كما لَفَتَ الأنظار إلى أماكن مقدسة شريفة طيبة، حاثًا على احترامها، وتعظيم ما عظمه الله ورسوله منها.

فهذه الأشياء المدوحة والمعظمة محبوبة عند الله، ومعدودة من الطيبات.

الأدلة والأمثلة:

١- عباد الله الصالحون:

فقد أتى على عدد من عباده الطيبين من الأنبياء، والرسل والعبادين، ومدحهم، فهذا نبيه سليمان، وأيوب عليه السلام اتصفا بأفعال طيبة تستحق المدح، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠)، حيث كانا رجَّاعين إلى الله في جميع أحوالهما، بالتَّأَلُّهُ^(١)، والإنابة والتوبة، والمحبة والذكر، والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاته، وتقديمها على كل شيء^(٢).

ومدح عبده الصابر على البلوى أيوب عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤٤)، ولي نداء نبيه زكريا عليه السلام بالولد، وصارت الأسرة مثلاً أعلى في العبودية؛ فأثنى عليهم في عبادتهم، وحالهم حين القيام بها؛ رغبة ورهبة وخشية؛ مما يدل على حسن صنيعهم، وطيب أعمالهم؛ والترغيب في الإقتداء بهم^(٣)، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وبهذا المدح والثناء عليهم، وما قاموا به من عبودية خالصة لربهم، فإنه ينبعث لدى المسلم الصادق الهمة، والتطلع إلى القرب من الله، والتقرب إليه، فيحث نفسه، إلى كل عمل يعلو به شأنه عند ربه، وأن يكون صاحب البيت المسلم مثلاً حسناً، وقدوة طيبة لأهل بيته، في إتقان

(١) التَّأَلُّهُ: التَّعْبُدُ والتَّنَسُّكُ. ينظر: النكت في القرآن الكريم ص ١٠٨، والمخصص، مادة: (أَلَهُ) ٤/ ٦٣.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل ١/ ٤٥، والسراج المنير ٣/ ٣٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧١٢.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/ ٥٢١، وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٧٥.

فهو الذي يُعيد المستعدين، ويعصمهم، ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره^(١).

وقد استعاذ الأنبياء بالله من الشياطين، وهمزاتهم^(٢)، ومن المتكبرين، وتبرؤا من كل ما عبُد من دونه، ومن عبدها، وشكوا إلى الله إعراض قومهم، ومعاصيهم.

الأمثلة والأدلة:

١ - الشياطينُ وشرورُهم:

أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يستعيد بالله من همزات ونزغات^(٣) الشياطين، ومسهم^(٤)، ووسوستهم، وأن يحضروا شيئاً من أمره^(٥)، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وأن يستعيد بالله من شرورهم إذا أراد قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

٢ - المتكبرون عن الحق:

فموسى عليه السلام استجار بالله، ولجأ إليه من شر كل متكبر عن الحق^(٦)، فقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].
فاستعاذة الأنبياء عليهم السلام من هذه الشرور دليل على خبيثها وفسادها.

(١) ينظر: بدائع الفوائد ٢ / ٤٢٩.

(٢) الهمز: النَّحْسُ والدفع، وهمز الشيطان مسه ووسوسته. ينظر: معاني القرآن للنحاس ٤ / ٤٨٤.

(٣) التَّرْغُ: الإفساد. ينظر: العين، مادة: (تَرْغ) ٤ / ٣٨٤، ومجاز القرآن ١ / ٢٣٦، وتهذيب اللغة ٨ / ٧٨.

(٤) المَسُّ: «يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى». المفردات في غريب القرآن ص ٧٦٧.

(٥) ينظر: إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان ١ / ٩٥، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٤٩٢.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧ / ١٣٩، ودستور الأخلاق في القرآن ص ٧٠٢.

٣- معبودات المشركين، وشركهم:

فقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من شرك أبيه وقومه، ومن معبوداتهم^(١)، فقال: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ لِلَّهِ وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤].
وأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد، والبراءة من كل معبود سواه^(٢)، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وأن يعلن البراءة من المشركين الخبيثاء يوم النحر^(٣)، مجمع الحج الأكبر، فقال: ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

فعداوة المشركين، والبراءة منهم أصل في عقيدة المسلم، ومحاولة زحزحت هذا الحاجز والتهوين من عداوتهم بدعوى التسامح، وشعار التقريب بين الأديان، إضعاف لهذا الأصل، وتوهّمات أثبت الواقع فشلها، وعدم إيمان العدو بها، أو تجاوبه معها، والله تعالى يخبر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿هَآأَنتمْ أَوْلَآءُ حُبُونهمْ وَلَا يُحِبُونكمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِهِ وَإِذَا لَقُوتُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلُوتُا عَضُوا عَلَيْكمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

إن ربنا صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نفتدي بخليته إمام الحنفاء إبراهيم، بالبراءة من المشركين، وشركهم، وبالمجاهرة بالعداوة لمعبوداتهم^(٤)، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المتحنة: ٤].

وهذا هو الذي يبقى ويصح، وخلافه وهمٌ وضلال، ونوع من الضعف والاستسلام.

(١) ينظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ١ / ٥٧.

(٢) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ١ / ٣٣٠.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز ١ / ٢٤٠.

(٤) ينظر: الولاء والبراء في الإسلام ص ٢٦.

العبادة، والمسارة إلى فعل الخيرات، لينالوا شرف المدح، والثناء، والجزاء الأوفى من ربهم ﷻ.

٢ - حُرْمَاتُ اللَّهِ وَشَعَائِرُهُ:

وهي أعلامُ دينه التي عَظَّمَهَا، وأمر بتعظيمها: وجعل لها حرمة ومترلة وقدرًا، كالعبادات، وأماكنها وأزمتهَا، والمناسك، وشهر رمضان، وليلة القدر، وغيرها مما يحبه الله، ويقرب إليه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

ومن تعظيمها إجلالها بالقلب ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، من غير تمأون ولا كسل، بل برغبة وانقياد، ورضًا وتسليم^(١).

فَمَنْ عَظَّمَهَا وَأَجَلَّهَا، فله عند ربه خير، وقد جاء بما يُدَلِّل على إيمانه وتقواه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٣ - مَنْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِكَ بِهِ لِشَرَفِهِ:

فالخيل من أطيب الحيوانات، وأنفعها زينةً، وركوبًا، ومتعةً، وإرهابًا للأعداء حين الجهاد^(٢)، وقد أقسم بها في قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيْبَتِ ضَبْحًا^(١) فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا^(٢) فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا^(٣) فَاتْرَنَ بِهِ نَقْعًا^(٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا^(٥)﴾ [العاديات: ١ - ٥].

فأقسم بخيل المجاهدين، وبإغارتها على الأعداء، بنظرها المهيب، وسماع صوت زفيرها الشديد، وأنفاسها المتصاعدة، وخروج شرر النار مع شدة جريها السريع، وصلابة حوافرها، وملامستها الصخر، مغيرة على العدو صباحًا، بفرسانها المجاهدين في سبيل الله إلى العدو، فآثرن بعدوهن، وغارتهن غبارًا، فتوسطن براكبهن جموع الأعداء^(٣).

وفي هذا إعلاء لشأن الخيل، في نفوس المؤمنين، والعناية بها تربيةً، وركوبًا، وتدريبًا، وما يشبه ذلك، مما يرهب الأعداء من السلاح، والآلات، حسب الأزمنة والأمكنة، لنصرة هذا

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥ / ٤١٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٣٧.

(٢) ينظر: أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ص ٢٤.

(٣) ينظر: الفروسية ص ١٣٠، وتفسير المراغي ٣٠ / ٢٢٢، والتفسير المنير ٣٠ / ٣٦٩.

الضابط الخامس: كلُّ مُضِرٍ فهو خبيثٌ:

الشرح: فأى شيء يعود بالضرر على المكلف في دينه، أو دنياه فهو خبيث، فما ثبت ضرره على الدين، أو النفس، أو المال، أو غيرها فإنه يدخل في دائرة الخبائث. ومُحال أن يكون الضَّار الذي حرمه الله طيباً، أو النافع الذي أباحه الله خبيثاً، ومُحال أن يُحرِّم الله على عباده ما فيه نفع لهم، أو يبيح لهم ما يضرهم في دينهم أو دنياهم.

الأمثلة والأدلة:

حرم الله الميتة لمضرتها؛ لما فيها من الدم المُحْتَقِن^(١)، فهي من الخبائث الضارة على البدن، المحرمة بالنص القرآني، ودخولها في عموم قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]^(٢).

وهذا إخبار أن النبي ﷺ سيفعل ذلك فأحل الطيبات، وحرم الخبائث، التي هي ضارة للعقول، والأخلاق، والأبدان، والدين، والمجتمع، فنهاهم عنها، وحرَّمها عليهم؛ لأنها تضرهم في المقصود الذي خلقوا له^(٣).

(١) المُحْتَقِنُ: المجتمع والمحتبس. ينظر: العين، مادة: (حَقَنَ) ٣ / ٥٠، ومقاييس اللغة ٢ / ٨٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ١٤، والتفسير المنير ٦ / ٧٦.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ١٧ / ١٧٩ - ١٨٠.

المبحث الثاني: ضوابط الطيب في القرآن الكريم:

باستقراء نصوص القرآن الكريم، يتكون لدينا مجموعة من الضوابط التي تُبين ما كان طيباً من غيره، وهي في حقيقتها أعمال طيبة محبوبة للرب الجليل، وعلامات على أقوال يثيب عليها، أو أمارات على أشخاص طيبين، أو مخلوقات طيبة، استحقت الإشادة بها؛ لكونها تُقرب إلى الله، ومما يحبه ويرضاه، ورتب عليها الجزاء والثواب في الدنيا أو الآخرة، أو هما جميعاً، بعد أن مدح القائمين بها، وأثنى عليهم، ونص على جملة من أعمالهم.

فهي مُرادة للشارع، ومطلوبة من المكلف، وتجعل له مزية على غيره، وترفعه درجة عن من لم يقم بها.

الضابط الأول: كل ما أحله الله ﷻ فهو طيب:

الشرح: فأى شيء جعله الله حلالاً لعباده، أو امتن عليهم به فهو طيب، فالرب الكريم الجواد ﷻ، لا يجلب لعباده ما كان خبيثاً، ولا يمتن عليهم بحرام؛ إذ لا منة في شيء محرم، أو خبيث، كما أن «الطيب اسم يتناول جميع ما أحله الله»^(١).

الأمثلة والأدلة:

١- الرزق من الطيبات:

مما تفضل به الرب الكريم على عباده من أنواع الطعوم، والمشتهيات اللذيذة، والمناظر، والملابس الحسنة، وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

فشرف بني آدم، وكرمهم، بجميع وجوه الإكرام؛ فخلقهم على أحسن الهيئات، وأكملها، وكرمهم بالعلم والعقل والنطق، وجعلهم أهلاً لحمل الأمانة، وكرمهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأسبغ عليهم نعمه، وحملهم في

(١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص ٢١١، وينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٤٩٥.

الدين، وكف أذى الأعداء عن المسلمين.

الضابط الثالث: كُلُّ مَنْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِوَصْفٍ حَسَنٍ فَهُوَ طَيِّبٌ:

الشرح: وصف الله عددًا من خلقه بالطيب والحسن، والبركة والخير، مما يدل على طيب الموصوف، وفضله ومترلته من جهة، والحث والحرص على تحصيله من جهة أخرى.

الأدلة والأمثلة:

١- الذرية الطيبة:

استجاب الكريم الوهاب ﷻ لنبية زكريا ﷺ لما دعاه قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] فرزقه نبياً من الطيبين اسمه يحيى.

إن السعي في تحصيل الذرية الصالحة مطلب لكل مسلم، يريد سعادة الدنيا والآخرة، والآية تشير إلى سبب من أسباب تحصيلهم وصلاتهم، وهو الدعاء بصدق وإخلاص، وانطراح وتذلل بين يدي الرب الكريم.

فما أحوجنا إلى استشعار عظمة الدعاء، والاهتمام به وبآدابه، لنعبد الله به، ونحصل مبتغياتنا عن طريقه، إيماناً منا بفضله، وعلو شأنه، وكبير أثره.

٢- المساكن الطيبة:

التي وعد الله ﷻ بها المؤمنين، والمؤمنات في الجنة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وهذا الوعد الصادق مخصوص بأهل الإيمان، الذين سكن الهدى في قلوبهم، فانبعث جميع تصرفاتهم مستنيرة بهدي الإيمان، فأكرمهم مولاهم، بمساكن اللؤلؤ في الجنان، والقصور

البر، على الدواب، والمراكب البرية، وفي البحر على السفن، والمراكب الحديثة، وفضلهم على كثير ممن خلق من الحيوانات، وأصناف المخلوقات^(١).

وهذا تفضيل جنس، لا يلزم منه تفضيل كل فرد على كل فرد، فلفظ: ﴿كَثِيرٌ﴾ مراد منه التقييد والاحتراز، وأن ثم مخلوقات غير مفضل عليها بنو آدم، تكون مساوية، أو أفضل إجمالاً أو تفصيلاً^(٢).

فجمعت الآية خمس منن طيبات: التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات.

٢- ما عَرَفَ طَيْبِهِ فَهُوَ حَلَالٌ:

الله ﷻ جعل حلَّ الطيبات من أصول الرسالة المحمدية^(٣)، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وعند تأمل هذه الآية نجد أنها تُصرح بأن الحلال كان طيباً قبل حله، وأنه لم يستفد طيبه من نفس التحليل لأمرين:

أولاهما: أن هذا علم من أعلام نبوته ﷺ التي احتج الله بها على أهل الكتاب.

وثانيهما: لو كان الطيب استفيد من التحليل، لم يكن في ذلك دليل، فإنه بمنزلة أن يقال: يحل لهم ما يحل، وهذا تكرار، لا فائدة فيه، فثبت أنه أحل ما هو طيب في نفسه قبل الحل، فكساه بإحلاله طيباً آخر، فصار منشأ طيبه من الوجهين معاً^(٤).

وما ثبت حله شرعاً ليس لأحد أن يجرمه، فالتحريم والتحليل تشريع من خصائص، وحقوق الرب الحكيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٥٠١، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٦٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٥ / ١٦٦.

(٣) ينظر: التفسير الحديث ٢ / ٣٨٩.

(٤) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٢ / ٦.

تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ [المائدة: ٨٧].

فالأية صرحت بالنهي عن تحريم الطيبات، بأي وجه من الوجوه، ومن ذلك ردها وعدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فذلك تجاوز وتعدي على حدود الله، وما شرعه لعباده؛ لأن جملة ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، معترضة، مفادها أن تحريم الطيبات اعتداء على ما شرع الله وحكم^(١).

وذكر الاعتداء مقابل تحريم الطيبات يدل على أن المراد النهي عن تجاوز حد الإذن المشروع، فلما نهي عن تحريم الحلال أردفه بالنهي عن استحلال المحرمات، فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، فلا تحريم للطيبات، ولا تجاوز عن الحد المشروع^(٢).

وفي هذا انسجام مع مبدأ وسطية الإسلام واعتداله، فلا إسراف ولا تقتير^(٣)، ولا امتناع عن لذائذ الحياة المشروعة، ولا رغبة في الرهبانية^(٤)، أو الزهد المؤدي إلى الكبت^(٥) أو المبالغة في التضيق على النفس وتعذيبها، وإضعاف الجسد، وحرمانه من رزق الله الطيب، كما لا إغراق في الشهوات، وانتهاج اللذات فوق القدر المعتاد المتوسط.

الضابط الثاني: كل شيء أثنى الله عليه في القرآن الكريم فهو طيب:

الشرح: في القرآن الكريم ثناء ومدح لأقوال وأفعال؛ تأكيداً على حسنها وطيبها، وبياناً لمزلتها وشرفها، وأخرى حثاً على العمل بها، وتطبيقها.

إضافة إلى أن القرآن العظيم أشاد بأشخاص اصطفاهم ربه ﷺ، واختارهم، وأوضح بعض صفاتهم، وشيئاً من أعمالهم، بما يتبين به طيبهم، وحسن الاقتداء بهم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ١٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٧٢، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣/ ٧٤.

(٣) التقتير: التضيق والبخل. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٨/ ١٥، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٦١.

(٤) الرهبانية: من الرهبة وهو الخوف، والترهب: التبع، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك مآذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهّد مشاقها؛ فمنهم من يخصي نفسه، ومنهم من يضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك. ينظر: العين، مادة: (رَهَبَ) ٤/ ٤٧، وتهذيب اللغة ٦/ ١٥٦، والنكت في القرآن الكريم ص ٤٨٦.

(٥) الكبت: الإذلال. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١١٠، والصحاح، مادة: (كَبَتَ) ١/ ٢٦٢.

والغرفات العالية، التي ينالون بها العزة والكرامة، والراحة والسعادة^(١).

٣- الحياة الطيبة:

هي الحياة التي كمل طيبها من جميع وجوهها لمن عمل الصالحات من المؤمنين والمؤمنات^(٢)، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

إن هذه الآية الكريمة تلفت الانتباه إلى أن السعادة في هذه الحياة مقرونة بالإيمان والعمل الصالح، فمن أراد تحصيلها فقد استبان له طريقها الوحيد.

وليس ثم طرق غير الإيمان، والعمل الصالح، لا مال، ولا جاه ولا منصب، ولا شهوة محرمة، ولا معاورة للفواحش، والمسكرات، ولا غيرها مما خلا من الإيمان والعمل الصالح، فقد طلبها أقوام بغيرها فكانت حياتهم شقاءً ونكدًا، وكانت سببًا في أمراضهم، وضيق صدورهم، وربما هلاكهم أو انتحارهم.

٤- الكلمة الطيبة:

هي شهادة أن لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، فشبّه هذه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة؛ فكل عمل صالح مرضٍ لله، فهو ثمرة هذه الكلمة^(٣).

إن «شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علمًا واعتقادًا، وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائمًا يصعد إلى الله منه

(١) ينظر: صفة الجنة لابن أبي الدنيا ص ١٤١، وصفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني ٢/ ٢١٠، والجنة والنار ص ١٧١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٠١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩١، وإعلام الموقعين ١/ ١٧١، والأمثال في القرآن الكريم ١/ ٣٥.

من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره»^(١)؛ لأن الهداية إذا حلت قلب عبد وامتلاً نوراً وإسلاماً، فاض منه الخير على قلوب كثيرة، كالشجرة الطيبة المثمرة، التي يتمتع بثمرها الكثير من الناس.

وثمار هذه الشجرة تكون حاضرة في كل الأوقات، والمؤمن مثله كمثل هذه شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، ولا يزال يُرفع له عمل صالح آناء الليل، وأطراف النهار في كل وقت وحين^(٢).

ووصف الله ﷻ الشجرة بكونها ﴿طَيِّبَةً﴾، وذلك يشمل طيب الصورة، والشكل والمنظر، والطعم، والرائحة، والمنفعة^(٣).

ويكون أصلها راسخ آمن من الانقطاع والزوال، ويكون فرعها في السماء؛ لأن ارتفاع الأغصان يدل على ثبات الأصل، وأنها متى ارتفعت فقد بعدت المؤثرات الضارة بها، فكانت ثمارها نقية، طاهرة عن جميع الشوائب.

٥ - الموصوفون بالبركة:

الذين وصفهم الله ﷻ من خلقه بالبركة هم طييون كثر، أولهم نوح عليه السلام فقد قال الله له: ﴿أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ [هود: ٤٨]، وبارك على خليله إبراهيم، وابنه إسحاق عليه السلام قال تعالى: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارِكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مریم: ٣١].

واختار بيته: ﴿بِبَكَّةٍ مُّبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦]، وأسرى بعده محمد ﷺ من مكان طيب إلى أرض مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩٣.

(٣) ينظر: الباب في علوم الكتاب ١١/ ٣٨٠.

والزيتون شجرة مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

والسلام عند الدخول للبيوت عمل مشروع مبارك طيب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وشرف الله - تبارك وتعالى - ليلة القدر، وجعلها ليلة مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

وأنزله المطر من السماء، وجعله ﴿مَاءً مُّبَارَكًا﴾ [ق: ٩].

فهذه الأوصاف تدل على طيب هذه الأشياء، وعلى ما تحمله من خير للناس، في دينهم وديناهم، مما يجعل المسلم مقبلاً على الله ﷻ ومتقرباً إليه بما باركه وشرعه.

الضابط الرابع: كل شيء رتب الله عليه جزاءً حسناً فهو طيب:

الشرح: أي فعل أو قول جعل الله له جزاءً حسناً في الدنيا أو الآخرة، فهو محدود من الطيبات، وكثيراً ما يحدث على أعمال طيبة، ويرتب عليها الثواب العاجل أو الآجل؛ كنفى الخوف والحزن، أو الإخبار بدخول الجنة، أو محبة فاعله، أو رضاه عنه وإرضائه، أو ذكره وشكره له، أو مغفرة ذنبه، أو بشارته بخير، وغير ذلك من الجزاء، فهذا كله يدل على الطيب، ويرغب في عمله.

الأدلة والأمثلة:

١ - الجهاد في سبيل الله:

لتكون كلمة الله هي العليا، هو من أفضل العبادات، والثواب فيه على قدر الخوف في

ذلك الثَّغْرُ^(١)، وحاجة مَنْ فِيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وصاحبه على وعد بالفرح والسرور، ونفي الخوف عما أمامه، والحزن على ما خلفه^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، فما أطيّب عمله، الذي سبب له الفرح بجزاء الله، ونعيم ثوابه؟!.

٢- الإيمان والعمل الصالح:

أمران عظيمان رتب عليهما الكريم الوهاب دخول الجنة، والجزاء الأوفى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَقَابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].
وأولياء الله هم الطيبون الذين طابت أعمالهم بالتقوى والإيمان، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، ففي الدنيا الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، ولطف الله بهم، وتيسيرهم لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرْفهم عن مساوئها، وأما في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، وفي القبر برضا الله عنهم، والنعيم المقيم، وفي الآخرة بدخول الجنة، والنجاة من النار^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

٣- الإحسان:

فمن أخلص العمل لله وأتقنه، وأدى الفرائض، وظن بربه خيراً، وأحسن لعباده، فقد ظفر بمحبة خالقه، قال تعالى: ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

(١) الثَّغْرُ: الموضع الذي يُخاف منه هجوم العدو. ينظر: العين، مادة: (تَغْر) ٤/ ٤٠٠، والمصباح المنير ١/ ٨١.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢/ ١٣٤، والإنجاد في أبواب الجهاد ص ٩١.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٦٨.

والله ﷻ وصف المتقين الذين أعدت لهم الجنة، بأن لهم أعمالاً طيبة كانت سبباً لمحبتهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ٣٤]، فأول أخلاقهم السخاء، وهو من أشق الأشياء على النفس؛ والحاجة إليه أعظم في مجاهدة الأعداء، ومواساة فقراء المسلمين، ثم إنهم لا يظهرون الغيظ بقول أو فعل، بل يصيرون عليه؛ ويكفون عن الإمضاء، ويعفون ويصفحون عن من اعتدى أو أساء إليهم، ولا يتركون الإحسان إلى الناس، بإيصال النفع ودفع الضرر، ما أمكنهم ذلك، فهذه الخصال الطيبة نالوا المحبة الربانية، التي هي أعظم درجات الثواب^(١).

٤ - التوبة والنَّظَرُ:

والله ﷻ يحب من عباده التوبة والطهارة من الأرجاس والأنجاس، ويحث عليهما، ويُنَوِّه^(٢) بشأهما، مما يبعث في نفس المسلم هممة التوبة، والحرص على النظافة؛ لكونهما من القرب المحبوبة عند الله.

وقد جمع الله بينهما؛ إشعاراً بمسيس الحاجة إليهما، وكونهما من أطيب الصفات^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وخص المعتنين بالنظافة بالذكر، وأخبر أنه يحبهم، ومدحهم؛ لأنهم كانوا يستنجون بالماء من الغائط والبول^(٤)، قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ومدح المتطهرين من الذنوب بإنفاق الأموال في مرضاته، قال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى

(١) ينظر: معالم الترتيل ١/ ٢١٧، والنكت والعيون ١/ ٢٥٤، ولباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٤٢٠.

(٢) التَّنْوِيهُ: من نأه إذا ارتفع، ونوّهت به تنويهاً: رفعت ذكره وشهرته، وأشدت به وأظهرته. ينظر: جمهرة اللغة،

مادة: (ناه) ٢/ ٩٩٦، وتهذيب اللغة ٦/ ٢٣٣، والصحاح ٦/ ٢٢٥٤، وأساس البلاغة ٢/ ٣١١.

(٣) ينظر: التوبة لابن أبي الدنيا ص ١١٣، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١/ ٢٢٢.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٤/ ٣١٥٨.

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا وَسْوَفَ يَرْضَىٰ ﴿١٧﴾ [الليل: ١٧ - ٢١]؛ بما يشبهه الله في الآخرة؛ من أنواع الكرامات والثوبات^(١)، على أن «يكون قصده به تركية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصداً به وجه الله - تعالى - فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب»^(٢).

٥- العدلُ في الأحكام:

هو من أعظم الصفات والأعمال الطيبة؛ لما له من الأثر البالغ على حياة الناس وأمنهم، وجمع كلمتهم، وترغيبهم بالدين؛ ولذا أمر الله بها، وأخبر عن محبته لها^(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ حَكْمَتَ فَاحِكُمْ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وكما أن الحكم يكون بالعدل فكذا الإصلاح لا بد أن يكون بالعدل؛ لما له من أثر على المتنازعين، والتوصل إلى حلول منصفة مرضية، تكف الاعتداء، وتقطع الشقاق، وتسد باب التنازع، فهي صفة طيبة، يجبها الله، ويعلي درجات القائمين بها^(٤).

٦- الصدقُ:

خصلة يجبها الله من عباده، طيبة في حالها ومآلها، طيبة عند الله وعند خلقه، صدق في الأقوال والأفعال، وفي النيات، والأيمان والعهود، تحقق الفوز برضوان الله^(٥)، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٨٠/٢٤، وتفسير القرآن العظيم ٤٢٢/٨، ويسألونك عن الزكاة ص ١٨٩.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٢٦.

(٣) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن ص ٧٥٠.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢٣/٢٣، ووجوب العدل وتحريم الظلم على الناس كافة ص ٥.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١١٠/٤، وعلم الأخلاق الإسلامية ص ٣٠٠.

المبحث الثالث: الحكمة من تحريم الخبائث وإباحة الطيبات في القرآن الكريم:

بما أن هذا البحث يتعلق بالحكمة الشرعية^(١) فيحسن التنبيه على عدة أمور:

أولاً: لا حرج على المؤمن أن يبحث عن أسرار التشريع - من غير تكلف - استزادة من العلم؛ وإظهاراً لعظمة الإسلام، ومحاسن الشريعة الغراء، وبيئاتاً لإعجاز القرآن، أو لإزالة شبهة، أو مُعَالبة للخصوم بالحجج والبراهين، بل إن ذلك أمر محمود ومفيد؛ خاصة في هذا العصر؛ لانتشار الأفكار المفسدة، والتيارات المضللة.

ثانياً: لا يتوقف العمل بالنص على معرفة الحكمة، بل الواجب الإيمان بما ثبت في الوحي سواء أفهمت حكمته أم لم تفهم، مع التسليم بأن الله وَعَلَّمَ لَمْ يَشْرَعْ شَيْئاً عَبَثاً، وإنما لحكم عظيمة، تُحقق المصلحة والخير للناس، وتدفع عنهم الشرور والمفاسد، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ثالثاً: هناك حكم منصوص عليها، وأخرى ملتزمة؛ فما جاء النص عليه يجب التسليم به، أما غير المنصوص عليه مما استنبطه أهل العلم فلا يُجزم به؛ فقد يكون صواباً وقد يكون خطأ، وقد تخفى الحكمة على كثير من الناس، والمطلوب هو التسليم، والامتثال في جميع الأحوال^(٢).

وفي المطلبين التاليين بيان لأبرز الحكم المنصوصة، والمملتمة من تحريم الخبائث، وإباحة الطيبات في القرآن الكريم:

(١) الحكمة: فِعْلَةٌ من الحكم، وهي في اللغة المنع، وفي الاصطلاح: وضع الأمور في مواضعها، وهي أسرار علوم الشريعة وأحكامها. ينظر: التعريفات ص ٩١، والإكليل في استنباط التزيل ص ٦٢، وتاج العروس، مادة: (حكّم) ٥١٢/٣١، ومنهج التشريع الإسلامي وحكمته ص ١٦.

(٢) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ٢٠١ / ٣٤.

المطلب الأول: الحكمة من تحريم الخبائث في القرآن الكريم:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بالحفاظ على الضروريات^(١) الخمس؛ الدين، والنفس والعقل، والمال، والعرض^(٢).

وما من شيء منعه الإسلام إلا ويقابله شيء حلال أطيب منه وأكرم، ولا يلحقه شيء من الفساد أو الضرر.

وما نهي عن شيء إلا وفيه ضرر على الدين أو الدنيا، أو جميعهما، وتتوالى البحوث العلمية على مرّ القرون، وتأتي نتائجها بما يتوافق مع هذه الأوامر والنواهي، وفي هذا سر من أسرار كتاب الله العظيم، وتشريعات الرب الحكيم.

وفيما يلي استعراض لعدد من الخبائث، التي حرّمها الله لحكمة، وهو الحكيم الخبير ويحكم ما يريد:

١- تحريم أكل الميتة:

وفي ذلك وقاية من الأمراض، والمخاطر، والأضرار الصحية التي تنتج عن تناولها؛ لما فيها من الدم المحتبس، فحينما يأكل الإنسان لحمًا ذبح بطريقة تؤدي إلى احتباس الدم بشعيراته الدموية، فإن هذا الدم يتجمد، وينقل للإنسان أنواعًا من الأمراض والسموم الفتاكة، التي ربما تؤدي إلى حتفه، أو نشؤ أمراض خطيرة في جسمه، والعلم الحديث يكشف لنا ذلك، فيعتبر أن الدماء مرتعًا خصبًا لتكاثر الجراثيم، مما يجعل الإقدام على تناوله مجازفة كبرى وإلقاء بالنفس إلى التهلكة.

ومن هنا ندرك شيئًا من الحكمة، والمقصد الشرعي من التذكية؛ وذلك أن فيها إخراجًا

(١) نص الشاطبي على الضروريات، مبينًا معناها، وأنها هي التي «لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهاجر، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين» الموافقات ٢/ ١٧.

(٢) ينظر: الموافقات ٢/ ٢٠، ومحاسن الشريعة ومساوئ القوانين الوضعية ص ٢٣، والقواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ١/ ٢١٨.

لنلك الدماء الخبيثة الضارة، وإراقتها تجعل لحمه نقيًا مما يخشى منه الضرر^(١).

والله ﷻ أخبر عن رسوله محمد ﷺ بقوله: ﴿وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فحرّم الخبائث عمومًا، ووضع قاعدة في المحرم من الحيوانات والطيور، حيث ((نَهَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ))^(٢).

فإنها عادية باغية، فإذا أكلها الناس صار في أخلاقهم شوب^(٣) من أخلاقها، وهو البغي والعدوان، والافتراس؛ لأن الغاذي شبيه بالمعتدي^(٤).

وفي تناول الدماء تشبه بالوحوش، والحيوانات المفترسة، وهذا عامل نفسي يجب أن يدركه الإنسان العاقل جيدًا، ويعي حكمة الإسلام في تحريمه للدماء.

وسبحان الحكيم العليم الذي أوحى لرسوله محمد ﷺ قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

ومن تمعن في الآية الكريمة، أدرك حكمة عظيمة في ذكر الدم بعد ذكر الميتة مباشرة لما بينهما من اتصال وثيق واشتراك في الخطورة والضرر.

إضافة إلى أن تناول الدماء وشربها، والتلطف بها عمل شيطاني مشترك بينهم، وبين السحرة والمشعوذين، ومن شاهدتهم، ووقع على حالهم في ثياهم، وأجسامهم، وبيوتهم وجددها ملطخة بالدماء والنجاسات، ومن سير أحوالهم عرف سرًا آخر من أسرار الآية السابقة؛ فبعد ذكر المحرمات جاء هذا الوصف ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، فبين أكل الحرام، وتناول النجاسات، وصرف العبادة لغير الله، علاقة وثيقة.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢/ ١١٧، ومجلة البحوث الإسلامية ٦٢/ ١٥، ودفاع عن العقوبات الإسلامية ص ٧٧.
(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير ١٥٣٤/٣ رقم ١٩٣٤، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) الشوب: الخلط. ينظر: العين، مادة: (شوب) ٦/ ٢٩١، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٥.
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ١٧٩، والسراج المنير ١/ ٢٨١.

وكثير من الدول المصدرة للحوم غير إسلامية، فلا تهم بهذا بل ربما تعمدوا حبس الدماء في الذبائح؛ ليثقل وزنها فيتحقق لهم أكبر عائد من الأرباح، دون اعتبار للأضرار التي ستلحق بالناس، فالمهم لديهم هو المكاسب المالية؛ لذا يجب الحذر والتنبه.

٢- تحريم أكل لحم الخنزير:

لأنه يولد الدود في الجوف، وله تأثير في إضعاف الغيرة والقضاء على العفة، وقد ثبت بالمشاهدة أن غذاءه القاذورات والنجاسات، وأنها أشهى طعام إليه، يتبعها ويغشى أماكنها، إضافة إلى عُسْر هضمه، ومنعه بعض الأجهزة من إفراز عصارتها التي تساعد على هضم الطعام^(١).

وفي أخلاق هذا الحيوان النجس الخبيث من الدناءة والخسة ما يُفِرُّ عن أكله، فهو مطبوع على حرص عظيم، ورغبة شديدة في المنهيات، فحرّم القرآن أكله؛ لئلا يتكيف الإنسان بتلك الكيفية، والواقع يشهد بحال من واطبوا على أكله لحمه، حيث أورثهم الحرص العظيم، والرغبة الشديدة في المنهيات، وعدم الغيرة على المحارم، فإنّ الخنزير يرى الذكر من الخنازير يتزو على الأنثى التي له، ولا يتعرّض له؛ لعدم الغيرة^(٢).

٣- تحريم شرب الخمر:

لأنه يسبب العداوة، والبغضاء، ومن ثم الشقاق والفرقة والتنافر، ويلهي عن ذكر الله، وعن الصلاة، وسائر الأعمال المقربة إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].

وإذا ضاع العقل فلا تسأل عن حال صاحبه، وما ينتج من تصرفاته من الزنا، والقتل والحوادث المرورية، التي أذهبت الأنفس، وأتلفت الكثير من الممتلكات الخاصة والعامة، إضافة إلى نشر الرعب، والقلق بين أسرة المتعاطي وتشتتها، وحالات الطلاق، ورسم

(١) ينظر: الحيوان ٤/ ٢٨٠، وحياة الحيوان ١/ ٤٢٤، ومع موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ص ١٦٩.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ٣١٨، والسراج المنير ١/ ٢٨١.

الصورة السيئة في حق متعاطيه، مما له أثر في تربية الأسرة، ونشأتها إلا من رحم الله^(١).

قال ابن القيم عن الخمر إنهما: «تغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها... وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت، وذوات المحارم، وتذهب الغيرة، وتورث الخزي، والندامة، والفضيحة، وتلحق شارها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسماوات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات وتُسهل قتل النفس، وإفشاء السرّ، الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له... وتمتلك الأستار... وتدلل على العورات، وتُهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتُخرج من القلب تعظيم المحارم... كم أهاجت من حرب، وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت من مودة، ونسجت من عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته، فذهبت بقلبه وراحت بلبّه^(٢)، وكم أورثت من حسرة، وأجرت من عبّرة، وكم أغلقت في وجه شارها باباً من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية، وعجلت من منية، وكم أورثت من خزينة، وجرت على شارها... من سفلة، فهي جماع الإثم ومفتاح الشر»^(٣).

وقد أجرى الأطباء بحوثاً دقيقة، وتجارب عديدة، دلّتهم على أن الكحول له تأثير سيئ في البنية، والدورة الدموية، والمسالك الهضمية، فيؤثر على المعدة تأثيراً عاماً، وفي غشائها المخاط تأثيراً خاصاً، ويشعر الشخص بحرارة شديدة، حسب كثرته وقلته، كما أنه يؤثر على نظام ضربات القلب، فتصبح حالته مندرة بالخطر، وزيادة على ما ذكر فإن عدداً من أولاد المدمنين يموتون غالباً وهم أطفال؛ بتشويه الخلقة، كاعوجاج الأطراف وتغيير فيها، وما شاكل ذلك^(٤).

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٥٧، ومنهج التشريع الإسلامي وحكمته ١٨.

(٢) اللبُّ: العقل الخالص من الشوائب. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (لَبَّ) ٥/ ٢٠٠، والمفردات ص ٧٣٣.

(٣) حادي الأرواح ١/ ١٢٢، وينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٢/ ٢٦٨، والمسكرات والمخدرات ص ٣٧.

(٤) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٢/ ٢٧٤، والأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات ص ٥١.

٤- تحريم القمار^(١):

لما يوقعه من لهو، وانشغال عن العبادات وتأخير للصلوات، ومن عداوة وبغضاء، ومساهمة في الإفقار والضعف الاقتصادي.

وهو عادة جاهلية، من دعا إليها أو مارسها، فكأنه حاكى الكفار في لعبهم، وقد جاء النهي عن ذلك عقب النهي عن الحلف باللآت، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: فِي حَلْفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامْرُكَ، فَلْيَتَّصِدْ»^(٢).

قال الطيبي^(٣): «الحكمة من ذكر القمار بعد الحلف باللآت أن من حلف باللآت وافق الكفار في حلفهم فأمر بالتوحيد، ومن دعا إلى المقامرة وافقهم في لعبهم، فأمر بكفارة ذلك بالتصدق»^(٤).

والمقامر يطلب الرزق من باب الخيال، لا من مباشرة الأعمال، وهو بين أمرين: إما الكسب فيطمع في المال، وإما الخسارة فيلازم القمار؛ ليسترد ما فقد، فتأتي العداوة، ويحل البغض، ويتمنى الضرر لمن يغلبه، وهذا أمر واقع، فكثيراً ما نقرأ - خاصة في أوروبا - أن فلاناً قتل فلاناً، أو تبارز مع فلان، وأصل هذا كله خسارة قمار.

إضافة إلى أن المقامر قد يكون ذا ثروة طائلة فيخسر أمواله، فينتقل من الغنى إلى الفقر ومن ثم يحاول التخلص من هموم العيش، ونكد الحياة، فيقع في الانتحار، أو يمتهن النصب

(١) القمار: والمقامرة: مخادعة ومغالبة، وهو: مغالبة بين طرفين للغالب منهما شيء معلوم من الغالب. ينظر: التعريفات ص ١٧٩، ومختار الصحاح، مادة: (قَمَر) ص ٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب ﴿أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ ٦ / ١٤١ رقم ٤٨٦٠، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب من حلف باللآت والعزى فليقل لا إله إلا الله ٣ / ١٢٦٧ رقم ١٦٤٧، واللفظ للبخاري.

(٣) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، من علماء الحديث، والتفسير، اشتهر بالتواضع، وملازمة التعليم، والإنفاق على ذوي الحاجة من الطلبة، ودقة الاستنباط، وشدة الرد على المتدعة، ومن مصنفاته: (التبيان في المعاني والبيان)، (فتوح الغيب في التفسير)، توفي سنة ٧٤٣، ينظر: الدرر الكامنة ٢ / ٦٨، والبدر الطالع ١ / ٢٢٩.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر ١١ / ٥٣٧، ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ١١ / ٥٥٨٤.

والاحتيال، والسرقه، وجمع الأموال بغير الطرق المشروعة، أو يكون عالة على أهله ومجتمعه، بسبب الأمراض والحالات النفسية؛ لذهاب أمواله وفقره، مع حاجيات نفسه وأهل بيته^(١).

٥- تحريم السرقة:

احترم الإسلام المال، وحق الأفراد في امتلاكه، وحرّم الاعتداء عليه بسرقة أو اختلاس، أو غش، أو خيانة، أو رشوة، وما فيه أكل للأموال بالباطل، وشرع العقوبات، والتعزيرات التي تقطع دابر المفسدين، والمعتدين على حقوق الآخرين.

فالسرقه جرم خبيث، والسارق عضو فاسد في المجتمع، فلو ترك لسرى شره، وعمّ خطره؛ لذا شرع الإسلام بتر^(٢) هذا العضو الخبيث؛ عقاباً لهذه اليد على ظلمها وعدوانها، وردعاً وزجرًا للعصاة، وتأديباً لهم عن اقتراف مثل هذه الجريمة، دفعاً للظلم، وصيانة لأموال الناس وحقوقهم، وللمجتمع من الفوضى والفساد^(٣).

فالسرقه تؤدي إلى إتلاف المال وضياعه، وإذا انتشرت في قوم سادهم الخوف، والقلق وعدم الاستقرار^(٤).

ومع هذه الحكم فهناك من ينادي بتعطيل هذه الأحكام من بعض دعاة الضلال ومنكري الأحكام الشرعية، أو المستهزئين بحدود الله؛ فيسخرّون من قطع يد السارق، ويرون أن في القطع جفوة وغلظة، وإتلافاً لعضو من أعضاء الإنسان، وأن ذلك لا يتناسب مع الجريمة؛ إذ به يصير عضواً أشل، وعالة على مجتمعه.

وهكذا تكون النظرة الخاطئة القاصرة الخبيثة، الناشئة عن الغفلة عن معنى الجريمة، وآثارها الكثيرة الضارة، والعمى عن حقوق أصحاب الأموال، وأمن المجتمع، بل عن عدم الإيمان الكامل بمن وضع الأحكام، وحدّ الحدود.

(١) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٢/ ١٤٢-١٤٣.

(٢) البتر: القَطْع. ينظر: العين، مادة: (بَتَرَ) ٨/ ١١٧، وجمهرة اللغة ١/ ٢٥٣، والمفردات ص ١٠٧.

(٣) ينظر: الفقه الميسر ١/ ٣٧٦، ومجلة البحوث الإسلامية ٢٥/ ٣٠٣، ومنهج التشريع الإسلامي وحكمته ص ١٦.

(٤) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ٢٥/ ٣٢٥، والمال في القرآن الكريم ص ٧٥.

٦- تحريم المكاسب الربوية:

لما يترتب عليها من أضرار ومفاسد، تعم الفرد والمجتمع، وتتسع دائرة هذا الفساد لتشمل النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية^(١).

وقد جعل الله ﷻ طريق تعامل الناس، واستفادة كل منهم من الآخر عن طريق العمل، والبيع والشراء، والطرق العادلة المباحة.

أما الربا فزيادة في المال من دون عمل، ويؤدي إلى تكدس المال في أيدي فئة قليلة من الناس، تجعل عملها مقصوراً على استغلال المال بالمال^(٢)، وما نشاهده في العصر الحاضر أكبر دليل على ذلك؛ فالمال مُكَدَّس^(٣) عند أصحاب البنوك، وشركات التأمين، وما شابهها، وهذا يؤدي إلى الضغينة والبغضاء بين أفراد المجتمع الواحد، كما أنه يفضي إلى امتناع الناس عن تحمل المشاق في الكسب والتجارة والصناعة؛ فتتعطل مصالح الخلق، وينقطع المعروف بينهم^(٤)، ومن ثمَّ يتجهون إلى التعاملات الربوية التي ظاهرها الكسب والربح بدون مشقة أو عمل، غافلين عما قد يحل بأموالهم في أي لحظة من انهيار وإفلاس، كما هو المعلن عنه بين الحين والآخر في عدد من المصارف القائمة على الربا^(٥).

٧- تحريم الفواحش:

تحريمًا قطعياً؛ حماية للعرض، وصيانة للأنساب من دنس الزنا واللواط وخبثهما، فشرع ربنا ﷻ الحد في الدنيا في حق من ثبت عليه، وهدد من لم يتب بالعذاب في القبر، وفي النار. وما حرّم هذا الفواحش الخبيثة إلا لحكم منها:

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ٦٦ / ٢١٢.

(٢) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٢ / ١٤٠.

(٣) الكُدْس: الجمع. ينظر: العين، مادة: (كُدْس) ٥ / ٣٠٤، وتهذيب اللغة ١٠ / ٢٨، وتاج العروس ١٦ / ٤٣٢.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ٧ / ٧٤، ولباب التأويل ١ / ٢٩٨، وتفسير آيات الأحكام للسياس ١ / ١٦٨.

(٥) ينظر: المال في القرآن الكريم ص ٣١، ويسألونك عن المعاملات المالية المعاصرة ص ٢٤٦.

أ- موافقة هذا التحريم للفترة التي فطر الله الناس عليها، من الغيرة على العرض، حتى إن بعض الحيوانات تغار على عرضها، فعن عمرو بن ميمون^(١)، قال: «رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قَرْدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا، فَرَجَمْتَهَا مَعَهُمْ»^(٢)، فإذا كان القرد يغار على عرضه، ويستقبح الزنا، فكيف لا يغار الإنسان المكرم على عرضه؟.

فأي رجل يقبل أن يجعل أمه أو زوجته، أو بنته أو أخته متاعاً للناس وسلعة للفساد فقد رضي لنفسه أن يتزل عن مرتبة بعض الحيوانات، كما هو موجود الآن في بعض البلاد الغربية بما يسمونه بـ(نوادي تبادل الزوجات)!^(٣).

ب- المنع من اختلاط الأنساب، فمن أباح الزنا فإنما يبيح إدخال من ليس من صلبه في أسرته وعائلته، فيشارك أفراد الأسرة في الميراث، وهو ليس منهم، ويعاملهم معاملة المحارم وهو ليس محرماً لهم^(٤).

ج- المحافظة على الأسرة، والحياة العائلية من الشتات، والتفرق، فإن الزنا يفسد البيوت ويدمرها، فإذا اتخذ الزوج عشيقاً، أو اتخذت الزوجة عشيقاً، فلا شك أن ذلك سيدمر الأسرة ويشتهاها، إذ كل مشغول بعشيقه.

د- الحماية من الأمراض الفتاكة؛ التي هي عقوبة ربانية لأصحاب الفواحش، ومنتهكي العفاف، مما لم يسبق له مثيل، ولا يوجد له علاج، كما تعاني منه كثير من الشعوب

(١) عمرو بن ميمون الأودي المدحجي اليماني، من المخضرمين؛ حيث أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم في زمان النبي ﷺ، وأدى صدقته إليه، وكان إسلامه على يد معاذ ﷺ وأحبه وصحبه، وقدم معه زمن الصديق ﷺ، ثم صحب ابن مسعود ﷺ، وكان إذا دخل المسجد فرئي ذكر الله، وهو معدود من كبار التابعين، والكوفيين، وثقه ابن معين، والعجلي، والنسائي، توفي سنة ٧٤ هـ وقيل بعدها. ينظر: التاريخ الكبير ٦/ ٣٦٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية ٥/ ٤٤ رقم ٣٨٤٩.

(٣) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ٣٣/ ٢٩٦.

(٤) ينظر: دليل مكتبة المرأة المسلمة ٤/ ٩٦.

ز- إشباع غريزي الأبوة والأمومة: فقد فطرا على حب الذرية، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ. قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] (١).

كما لا يخفى ما للأولاد من أهمية كبرى في استقرار الحياة الزوجية واستمرارها، حيث يتنازل الزوجان عن كثير من المشكلات، ويبدلان أقصى التضحيات من أجل الأولاد؛ وذلك لأن كلمات أبي وأمي، وولدي وبنتي من أسمى القيم التي حرص عليها الإسلام، وتهتم بها التربية الخلقية والأسرية.

ح- تنمية الروابط الأسرية، والاجتماعية: وتعزيزها، وتوسيع دائرتها؛ لأن المصاهرة تنشئ علاقات جديدة بين الزوجين وأهليهما، وهذه سنة الله ﷻ القائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

والناظر في التأريخ الإسلامي، يلحظ أن المصاهرة أسهمت في اتساع دائرة الروابط الاجتماعية، فقد تصاهر العرب والفرس، والترك والبربر، فكان ذلك سبباً في امتزاج العلاقات، وتداخل الشعوب الإسلامية، بل كانت المصاهرة من أسباب انتشار الإسلام في كثير من بلدان آسيا وأفريقيا، والبلاد الغربية (٢).

ط- تحقيق العبودية، وحصول الثواب: فالزواج من أبواب العبودية، وفيه امتثال لما طلبه الله ﷻ من عباده، في قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ٣].

وهو باب من أبواب الأجر؛ لأن فيه قضاء الوطر، ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة، وهو

(١) ينظر: فقه السنة ٢ / ١٤.

(٢) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ٣٣ / ٣٠٣.

الإباحية من أمراضٍ خطيرةٍ حيرت الأطباء؛ كالزُّهري^(١)، والسيّان^(٢)، والإيدز^(٣) الذي أفنى ملايين الناس، وما يزال ملايين آخرون مصابين به، فهو السبب الرئيس للوفاة في أفريقيا، والسبب الرابع للوفاة على مستوى العالم.

وقد وقع ما أخبر به الرسول ﷺ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا))^(٤).

هـ- المحافظة على كرامة المرأة؛ فإن إباحة الزنا يعني سلب المرأة كرامتها، التي أعزها بها الإسلام، بعد أن كانت في الجاهلية متاعاً يورث، ومحلاً للإهانة، والتحقير.

و- المنع من انتشار الجرائم، ومنها القتل، فالزنا من أسباب انتشار جرائم القتل وكثرتها، فقد يقتل الزوج زوجته وعشيقتها، وقد يقتل الزاني زوج معشوقته، أو من ينازعه عليها، كما هو مشاهد في الواقع.

٨- تحريمُ الأتكةِ الفاسدة:

وهذا التحريم امتداد لحماية الأعراس، والمحافظة على ترابط الأسر، وجاء الوصف

(١) الزُّهْرِيُّ: مرض تناسلي خبيث، مُعْد، ويسمى **syphilis**، يؤدي إلى إصابة الدماغ بالشلل التام، إضافة إلى أعراض أخرى تؤلم المصاب وتورق نومه. ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ٧١ / ٣٧٨، والمعجم الوسيط، مادة: (زهر) ١ / ٤٠٤، وموقع (زهري ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) السيّان: مكروب اسمه بالإفرنجية **Gonococcus**، يصيب الأعضاء التناسلية، والمجري البولية، حيث يشعر بحرقان في مجرى البول، ويزداد بتزول مادة: لزجة تتحول إلى صديد غزير، ثم يتورم العضو ويلتهب، ويحصل هبوط سريع في الصحة، وارتفاع في الحرارة، ثم ينتشر في الجسد بألم في البطن، ثم للمثانة والحالبين والكلى، ثم يتسمم الجسم، وقد تصل جراثيمه إلى القلب وتهاجمه فيموت، ينظر: مجلة المنار ١٩ / ٢٨٩، ومجلة البحوث الإسلامية ٢٣ / ١٥١، وموقع (سيّان ar.wikipedia.org/wiki).

(٣) المعروف بـ **HIV**، والترجمة العربية لكلمة **AIDS** الإيدز هي: فقد المناعة المكتسب. ينظر: مرض الإيدز الطاعون الجديد ص ٢٤٥، ومجلة البحوث الإسلامية ٢٣ / ١٥٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه، في كتاب الفتن، باب العقوبات ٢ / ١٣٣٢ رقم ٤٠١٩، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢ / ٣٧٠.

القرآني بما يفيد التنفير من هذا العمل الخبيث، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

ثم جاء التعقيب بتحريم نكاح القرابة القريبة كالأمهات، والأخوات وأمثالهن؛ محافظة على المروءة، وصوناً للعرض؛ لما للقرابة في الشرع من الوقار، والاحترام، الأمر الذي يجعلها مترهة عن شوائب اللهو، والرفث، والتلذذ الذي يحصل بين الزوجين، فوقار الولادة مانع من محاولة اللهو بالولادة أو المولودة، ولذلك اتفقت الشرائع على تحريمه.

ثم سرى ذلك على بنات الإخوة، وبنات الأخوات، ثم استمر وقار الآباء إلى أخوات الآباء وهن العمّات، ووقار الأمّهات إلى أخواتهنّ وهنّ الخالات، فمرجع تحريم هؤلاء المحرّمات إلى قاعدة المروءة التابعة لكلية حفظ العرض، وذلك من أوائل مظاهر الرقي البشري^(١).

وكذلك تحريم نظائرهن من الرضاة، وأمّهات النساء، وبنات الزوجات، حيث يراد أن تكون العلاقة بمن علاقة رعاية وعطف واحترام وتوقير، فلا تتعرض للخل؛ لما قد يجد في الحياة الزوجية من خلافات تؤدي إلى الطلاق، ومن ثم تظهر رواسب هذا الانفصال، فتخدش المشاعر التي يراد لها الدوام^(٢).

وفي تحريم الجمع بين الأختين وقاية لما يحصل بينهما من غيرّة، ومشاجرة تفضي إلى التنافر والتقاطع بينهما، بدلاً من دوام المحبة والألفة بينهما^(٣).

وبهذا ندرك شيئاً من حكم الإسلام في المنع من هذه المحرمات، وما غاب عنا أكثر، فسبحان الحكيم العليم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٤ / ٢٩٥.

(٢) ينظر: بدائع الصنائع ٢ / ٢٥٧، وفي ظلال القرآن ٢ / ٧٩.

(٣) ينظر: رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة ص ٢١٩.

طريق إلى تحصيل الأجر بالتربية، والإنفاق على الزوجة والأولاد^(١).

ي- الزواجُ بابٌ من أبوابِ الرزقِ: والغنى الخاص والعام في المجتمع، وسبب لنفي الفقر؛ فهو يساعد على النشاط الاقتصادي، وتعزيز فاعلية الإنتاج، وتدعيم القوة الشرائية وترتيب الحياة الاقتصادية، وزوال مظاهر الركود الاقتصادي^(٢).

ك- حفظُ الصحة: وقد لاحظ ابن القيم^(٣) أن الزواج يحفظ الصحة، ويقوي البدن، وأن كثيراً من الناس تتحسن صحتهم بالزواج، وذكر أن فضلاء الأطباء يرون أن الزواج أحد أسباب حفظ الصحة^(٤).

وهناك دراسات تقول: بأن في الزواج تقيلاً للأمراض، وأن عدد الذين يدخلون المستشفيات العقلية، نسبتهم أربعة من غير المتزوجين، إلى واحد من المتزوجين^(٥).

ففي النكاح خمس حكم الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن^(٦).

٣- إباحة تعدد الزوجات:

وهذه الإباحة محدودة بأربع زوجات، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَرَبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، ومن الحكم الملتزمة في ذلك:

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم ٢/ ٦٢، والزواج في ظل الإسلام ص ٩٥.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٠٨٠، والوسيط للواحد ٣/ ٣١٨.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرعي، الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية، من الأئمة الكبار في التفسير والحديث، والفقهاء أصولاً وفروعاً، له تصانيف عدة منها: (تفسير أسماء القرآن)، و(زاد المعاد)، و(أعلام الموقعين)، و(الرسالة الشافية في أسرار المعوذتين)، كان ذا عبادة وسنة، ودفاع عن التوحيد، امتحن وحبس، وأوذى فصر، كانت وفاته سنة ٧٥١ هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٥، وذيل طبقات الحنابلة ٥/ ١٧٠، والبدر الطالع ٢/ ١٤٣.

(٤) ينظر: زاد المعاد ٤/ ٢٢٨، وفقه النكاح والفرائض ص ٥٨، والزواج في ظل الإسلام ص ٢٧.

(٥) ينظر: مجلة البحوث ٣٣/ ٢٨٦، وموقع أسرار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.kaheel.com).

(٦) ينظر: موعظة المؤمنين ١/ ١٦٤.

المطلب الثاني: الحكمة من إباحة الطيبات في القرآن الكريم:

من نعم الله ﷻ على عباده، ورحمته بهم أن رزقهم من الطيبات، وامتن عليهم بها، وأباحها لهم، يأكلون ويشربون، ويلبسون ويسكنون ويتزوجون، ويبيعون ويتمتعون؛ رحمة بهم؛ ولتبقى حياتهم، وتسير بانتظام من غير تعب ولا مشقة؛ وليعبدوا ربهم، ويقوموا بواجب الشكر له^(١).

وعند التأمل في حكمة الشرع في إباحة الطيبات يتبين ما يلي:

١ - إباحة الطعام والشراب الطيب:

جاءت الشريعة الربانية بالإباحة لكل ما هو طيب نافع للعقول والأبدان والأخلاق^(٢)، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فأباحها للمؤمنين المتقين، يستعينون بها لما خلقوا له من عبادة ربهم، وأمرهم مع أكلها بشكره عليها^(٣).

إنه ينبغي للمؤمن أن يتمتع بما تيسر له من الطيبات، ويحضر قلبه أنه عامل بشرع الله مقيم للفطرة التي فطر الله الناس عليها، شاكر له بالاعتراف، والحمد والثناء عليه.

فإباحة الطيبات فيه سعادة للبشر في دنياهم وآخرتهم، وإعطاء للبدن والروح حقهما، وتحرير لإرادة الإنسان، وتصحيح لوجدانه، وإنارة لعقله.

لذا فهو مأمور أن يُغذي جسمه بالغذاء الطيب؛ ليحول بينه وبين أن يطعم الخبيث، فيسلم له كيانه كله، جسداً وعقلاً، وقلباً وروحاً.

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٢/ ٥٢٨.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ١٨٠.

(٣) ينظر: تفسير المراغي ٧/ ١١ - ١٢.

٢- إباحة النكاح:

فيه حِكْمٌ، ومقاصد نبيلة، وأسرار ربانية تبهر العقول، منها:

أ- المحافظة على النسل واستمراره: فالزواج ضرورة لحفظ النوع البشري، وبقاء الحياة على

الأرض وعمارتهما، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وتحقيق

الخلافة عليها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْفًا الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

والعمارة والاستخلاف إنما يتحققان بالكثرة، وهذا ما أجراه الله ﷻ سنة تشريعية في

آدم عليه السلام، وذريته^(١)، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وقد جعل الله طريقة التكاثر تتلاءم مع الشرف والتكريم على سائر مخلوقاته، فشرع

الزواج القائم على اختصاص الفروج والأرحام، والحِيطَة بالشرف والأخلاق، باعتباره

أفضل وسيلة للإنجاب، واتصال الذرية، وتكاثر النوع، وامتداد الحياة الإنسانية على هذه

الأرض، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا من مقاصد الزواج الأصلية^(٢).

ومع أن عملية تكثير النسل دافع إلى مزيد من التنمية، وتعزيز الإنتاج والاختراع،

واستكشاف خيرات الأرض وعمارتهما، إلا أنها تبدو مشكلة عند بعض الماديين، حيث

تؤدي إلى ضائقة سكانية، أو ندرة اقتصادية، مما يستوجب تحديد النسل، وهذا من

(الضرر المتوهم) كما يعبر عنه الفقهاء^(٣)، فلا يقوى على معارضة المصلحة المحققة في

الزواج، ولكنها أراء خبيثة، ملوثة بالمكيدة للمسلمين والتقليل من تكاثرهم، وبركتهم

في الأرض^(٤).

(١) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٦/٢، والزواج في ظل الإسلام ص ١٦.

(٢) ينظر: صيد الخاطر ص ٦٩، وزاد المعاد ٤/٢٤٩، وتحفة المودود ص ٨، والموافقات ٣/١٣٩.

(٣) ينظر: الشرح الكبير على متن المقنع ٣/١٩٢، وأحكام أهل الذمة ٢/٩٠٨.

(٤) ينظر: العلمانية ١٨١، ومجلة البحوث الإسلامية ٣٣/٢٨٧.

أ- كثرة عدد النساء، وقلة عدد الرجال: فالمواليد من الإناث أكثر من الذكور، وتعرض الرجال للمخاطر أكثر، نتيجة للحروب المدمرة، وحوادث القتل بسبب الانفجارات، وحوادث الطائرات والقطارات، والسفن والسيارات، فهل من الأفضل أن تبقى المرأة بلا زواج أو يسمح بتعدد الزوجات؟!^(١).

ب- الطاقة الجنسية للرجل أكثر وأقوى من طاقة المرأة الجنسية: ومعلوم بالواقع أن طلب الرجل للمرأة أكثر من طلبها له؛ لذا تكثر الخيانة الزوجية عند الرجال أكثر منها عند النساء في المجتمعات المنحلة^(٢).

ج- المرأة تمر بفترات الحيض والنفاس: وقد لا يستغني بعض الرجال عن الجنس في هذه الفترة، وقد يصل إليه الضرر، إذا اقتصر على واحدة، فهل من الأفضل أن يجعل شهوته في الحلال أم الحرام؟ أو يقرها حال عذرها، فيحصل الضرر لهما؟^(٣).

إذا لا بد من مجال شرعي يقضي فيه حاجته، ويدفع به الضرر عن نفسه؛ وحتى لا يقع في الفواحش، وقد أشارت الإحصاءات إلى أن الأمم التي لا تُعَدُّ يكثر فيها أولاد الزنا، كثرة لا تطاق^(٤).

د- الرجل مستعد للنسل، ولو كبر عمره غالباً: أما المرأة فتضعف عن الحمل، وتقف عند حد معين، كما هو معلوم، ومشاهد، والنسل مطلوب ومحبوب، والتكاثر مرغَّب فيه فجاء التشريع الرباني بما يلائم الطباع، ويحقق المصالح^(٥).

٤ - إباحة الزواج بالكتابات:

إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع، قال تعالى: ﴿أَيُّومَ أُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَطِيبُوا وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ٢٥ / ١٨٤، و٣٦ / ٢٤٩، والفكر الإسلامي والتطور ص ٢٣٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤ / ٢٨٨، والتصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية ص ٢٤٠.

(٣) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن ص ٧١٥، وحراسة الفضيلة ص ١٠٤.

(٤) ينظر: تعدد الزوجات بين حقائق التنزيل وافتراءات التضليل ص ١٠.

(٥) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤ / ٢٨٩.

ب- تلبية الغريزة الجنسية واعتدالها: والزواج أحسن وضع جبلي^(١) لاعتدال الشهوة، والمنظم الطبيعي لانطلاقها، وممارستها بالصورة المتوازنة^(٢).

وبالزواج يختص كل بزوجته، فلا يزاحمه فيها أحد، ويجد كل سبيله إلى إرواء غريزته بمودة ومحبة، وأشواق صادقة.

ج- تحقيق السكن النفسي: عندما يجد كل من الزوجين صديق عمره، وشريك حياته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فالزواج من طيبات هذه الحياة، وسيتحول - بإذن الله - مع مرور الأيام، واستمرار العشرة بين الزوجين من مجرد إرواء جنسي، وتمتع جسدي إلى حياة كريمة سعيدة نفيسة، مُفعمّة^(٣) بالحب والأشواق والوفاق، مما يجعل له قيمة كبرى في التمتع بالحلال^(٤)، فحياتهما ولقاؤهما، وإقبالهما على بعض فيه سكينه واطمئنان، من غير خوف أو حياء يُبين أن نفورهما من هذه الطباع بغير الزواج سر من أسرار الحكيم العليم ﷻ؛ في تأليف العواطف، وتقارب النفوس، بحصول المودة، والرحمة، والتوفيق بين الزوجين، وسكن بعضهما لبعض^(٥).

ويزداد في أسمى معانيه كلما امتدت الصحبة بين الزوجين، وتقدم بهما العمر، حتى يصلا في سن الشيخوخة إلى أرقى معان الوحدة العاطفية، والسكن النفسي، فيعرفان أن للحياة الزوجية معنى ومغزى، وهدفاً سامياً في الدنيا والآخرة.

(١) الجبلة: «الطبيعة والحلقة والغريزة». مختار الصحاح، مادة: (جبَل) ص ٥٣، وينظر: المفردات ص ١٨٥.

(٢) ينظر: الزواج ص ٣٢، والزواج في ظل الإسلام ص ١٦.

(٣) الفعمم: الممتلى. ينظر: العين، مادة: (فَعَم) ٢ / ١٦٤، وتهديب اللغة ٣ / ١٥، والصحاح ٥ / ٢٠٠٣.

(٤) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٢ / ٦.

(٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٥ / ٢٤٥، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٢٣٢.

د- العناية بتربية النشء: فالأسرة ضرورة بشرية لرعاية الأولاد وتربيتهم، وحفظهم من الضياع، وحميتهم والعناية بهم، منذ لحظة الميلاد الأولى^(١).

كما تقوم الأسرة بدور الحضانة للأولاد فيما بعد، وتوفير المأكل والمشرب، والملبس والمسكن لهم، وقد كفل الإسلام لهم هذا الحق، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَوْلَهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، وهذا كله حاصل بالزواج^(٢).

هـ- صيانة المجتمع من الانحلال الخُلقي: وحفظه من الشر، فلولا النكاح لانتشرت الخبائث بين الرجال والنساء، فبات من المعلوم أنه السبيل الوحيد والأمين لاستمرار الفضيلة والبعد عن الرذيلة، و«التحفظ من الوقوع في المحذور، من شهوة الفروج، ونظر العين»^(٣)، وبه يتخلص المجتمع كثيراً من المُتَسَكِّعِينَ^(٤)، والعاثين بالأخلاق؛ فينشغل كل بزوجه، ويصبح كل واحد أميناً على شرفه، ويسود الأمن الخُلقي أرجاء المجتمع.

و- الحفاظ على الأنساب: فهو الذي يعطيها صفتها الشرعية، ولا يخفى ما لحفظها من أهمية شرعية في ضبط عملية المصاهرة، وتحديد النفقة، وصلة الأرحام، وتوزيع التَرَكَات^(٥)، وغير ذلك من الأحكام الشرعية والخلقية.

ولمعرفة الأنساب وصورها قيمة كبرى في عملية المصاهرة، فالنسب المعروف يفتخر صاحبه بكرامته، وحق انتمائه الأسري والاجتماعي؛ ولهذا يشعر كثيراً من مجهولي النسب، وأولاد الزنا برفض أسري، وذل اجتماعي، واكتئاب نفسي، وفقد عاطفي^(٦).

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٣/ ٧٠، ومختصر منهاج القاصدين ص ١٥٩.

(٢) ينظر: من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي ص ١٦٧، والتربية الإسلامية ومراحل النمو ص ١١٨.

(٣) الموافقات ٣/ ١٣٩، وينظر: مختصر منهاج القاصدين ص ٧٦، والزواج ص ٣٢.

(٤) التَّسَكُّعُ: التماذي في الباطل، والتردد فيه. ينظر: الصحاح، مادة: (سَكَع) ٣/ ١٢٣٠، ومجمل اللغة ص ٤٦٨.

(٥) التَّرِكَةُ: ما خلفه الميت خالياً عن حق الغير. ينظر: المصباح المنير، مادة: (تَرَكَ) ١/ ٧٥، والتعريفات ص ٥٦،

والقاموس الفقهي ص ٤٩.

(٦) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٦/ ٢.

الْكِتَابَ حِلًّا لَكُمْ وَأَطْعَامَكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴿٥﴾ [المائدة: ٥].

والحكمة من ذلك أن أهل الكتاب أقرب إلى الهدى من عبدة الأصنام، والأوثان ويلتقون مع المسلمين في بعض أمور الدين، فإذا اقتربوا منهم، وكانت القوامة، واليد العليا للمسلمين صحح ذلك الكثير من الأخطاء، والمفاهيم التي عندهم عن الإسلام والمسلمين؛ فكان ذلك وسيلة لإسلامهم؛ وإسلام أقاربهم؛ ومن له صلة بهم، خاصة إذا كان زوج الكتابية صاحب خلق ودين.

والرجل أقوى - غالباً - من المرأة، وأقدر على التحكم في عواطفه، وتأثيره عليها أكثر من تأثيرها عليه، وحرص على دينه منها على دينها.

إضافة إلى أن المسلم يحترم نبي الكتابية، فلا يصدر منه ما يؤذيها في دينها، بخلاف الكتابي لو تزوج مسلمة؛ فإنه لا يحترم دينها، ولا يؤمن بنبيها، فيتوقع منه أن يجرح مشاعرها، ويؤذيها في دينها^(١).

وإذا كان الإسلام لا يريد أن يجبر زوجة المسلم على اعتناق الإسلام، بل يُقرها على البقاء على دينها، ويأمر بالعدل معها، والإحسان إليها بالمعروف، فإنه لا يحق لها إظهار الكفر، والمخالفات الشرعية في بيت زوجها المسلم، أو تربية أبنائه على دينها.

ولا يجوز للأب ترك أبنائه يتربون على غير الإسلام، ولا يجوز له أن يسمح لأهمهم بتوجيههم إلى دينها، بل ينشؤون عند أبيهم المسلم، وتحت توجيهه ورعايته.

وكون الأم ألصق بالطفل من الأب لا يجيز لها أن تربيهم على غير الإسلام، ولا يجوز للمسلم أن يتزوج كتابية ليست مأمونة على الأولاد، وعلى نفسها، ولا شك أن الابتعاد عن نكاح الكتابيات على العموم أفضل، وآمن، وأورع^(٢).

(١) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٢/ ٣٤.

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ١/ ٢٥١، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/ ٥٢٩.

٥- إباحة البيع:

فيه تلبية لاحتياجات كل فرد من الغذاء، والكساء وغيرها، مما لا غنى للإنسان عنه مادام حياً، وهو لا يستطيع وحده أن يوفرها لنفسه، فهو مضطر إلى جلبها من غيره، وليس ثمة طريق أكمل من المبادلة، فيعطي ما عنده مما يمكنه الاستغناء عنه بدل ما يأخذه من غيره، مما هو في حاجة إليه.

وقد يميل بمقتضى حاجته الملحة إلى أخذ ما في يد الغير عن طريق المغالبة، والقهر والنهب، والسرقة، والحيل، والمقاتلة، أو يلجأ إلى تكفيف الناس وسؤالهم، وفي ذلك من المفاسد، والذل ما لا يخفى؛ مما ينأى^(١) عنه صاحب الشهامة، والمروءة، والعفاف.

من هنا جاءت الحكمة في إباحة البيع والشراء، فالتوسعة على العباد أمر مراد للشارع ولا تقوم مصالحهم إلا بإباحته، فحاجة الإنسان تتعلق بما في يد صاحبه، وصاحبه لا يبذله بغير عوض، والنقود والسلع موزعة بين الناس؛ فأحل الله لتحقيق تلك المصالح، وإطفاء تلك الشرور، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

إلى غير ذلك من الحكم، والأسرار مما طيَّبه الرب لعباده، ورزقه لهم، مما فيه قوتهم، وحفظ صحتهم، وسرورهم، وتمتعهم، وسد حاجياتهم، ومكملات حياتهم^(٢).

(١) النَّأْيُ: البُعد. ينظر: العين، مادة: (نأى) ٨ / ٣٩٢، ومجاز القرآن ١ / ٣٨٩.

(٢) ينظر: حكمة التشريع وفلسفته ٢ / ١٣٤، والبيوع المحرمة والمنهي عنها ١ / ٢٢.

الفصل الثالث

أنواع الخبيث في القرآن الكريم

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: الخبيث من الناس في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: الخبيث من الأموال في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: الخبيث من المطعومات في القرآن الكريم.
- المبحث الرابع: الخبيث من الأماكن في القرآن الكريم.
- المبحث الخامس: الخبيث من الأقوال في القرآن الكريم.
- المبحث السادس: الخبيث من الأفعال في القرآن الكريم.
- المبحث السابع: الخبيث من عموم المخلوقات في القرآن الكريم.

مدخل:

تعرضت آيات القرآن الكريم لمجموعة من الخبائث، وكانت شاملة، ومتنوعة لكثير من الجوانب؛ فمنها ما هو متعلق بأفراد وأقوام وجماعات ضلت عن الصراط المستقيم، ومنها ما هو بيان لخبث أموال ومكتسبات ومطعومات، ومنها هو تحذير من أماكن سيئة، وأقوال وأفعال مشينة، ونحو ذلك مما بينه الله في كتابه، وهذا ما سيتضح من خلال المباحث السبعة التالية:

المبحث الأول: الخبيث من الناس في القرآن الكريم:

صرحت آيات القرآن الكريم بأسماء بعض الخبثاء، وأهمت آخرين عرفوا من أسباب التزول، والروايات المنقولة عن علماء الحديث والتفسير، والتأريخ والسير، وغيرهم؛ مما يجعل المسلم على بينة من أمرهم؛ ليعرضهم، ويجتنب طريقتهم، ويكون على حذر ممن يقتفي أثرهم، ويسلك سبيلهم، ويعتقد بمبادئهم الخبيثة.

هذا وسيكون الحديث عن هذا المبحث من خلال مطلبين:

المطلب الأول: الخبثاء المصرح بأسمائهم في القرآن الكريم:

أورد القرآن الكريم أسماء عديدة اتسمت بالخبث والأذى؛ لما هي عليه من كفر ونفاق، وفي هذا المطلب استعرض لأبرز تلك الشخصيات، وأعمالها الخبيثة؛ مما يجعل المسلم في وعي مستمر، ودراية من حالهم وأعمالهم، وأنه لا ينفع الإنسان إلا عمله الصالح، وليس حسبه أو نسبه أو ماله، ولا يضره إلا ما اكتسبت نفسه، ومن هؤلاء:

١ - آزر^(١):

وهو أبو إبراهيم عليه السلام، وقد ذكره الله في عدد من آي القرآن، مصرحاً باسمه في آية الأنعام، مشيراً إليه بالأبوة في غيرها، مبيناً شركه وضلاله، وأنه كان يعبد الأصنام من دون

(١) آزر: هو المعنى العربي لاسمه تَارَخ، وقيل: اسم صنم كان يعبده، والصحيح أن اسمه آزر كما هو صريح القرآن والسنة، ويقال: كان يصنع الأصنام ويبعها وبعدها، ومات كافراً. ينظر: البداية والنهاية ١/١٦٣، والبداء والتاريخ ٣/٥٠.

الله، وما كان بينه وبين ابنه إبراهيم عليه السلام من وعظ في عبادتها، وزجره عنها، ومجادله وأدلة تظهر بطلانها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَمَرَهُ أَنْ تَعْبُدَ إِلَهًا آخَرَ مِنَ اللَّهِ إِنَّ إِلَهًا لَعِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَافِلُونَ﴾ [التوبة: ١١٤].

ومع أنه لم ينته عن عبادتها إلا أن إبراهيم عليه السلام كان يستغفر له مدة حياته، فلما مات على الشرك، رجع عن الاستغفار له، وتبرأ منه^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْغَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْرِجَنِي يَوْمَ يُعْتَشُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِدِيخٍ^(٢) مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ))^(٣).

٢ - جَالُوتُ^(٤):

قائد خبيث، وصاحب بأس شديد، ذكر في القرآن الكريم مرة واحدة، مُصرِّحاً باسمه، وأن نبي الله داود عليه السلام قتله^(٥)، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢ / ١٩، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٩٠.

(٢) الدِيخُ: ذَكَرَ الضَّبَّاعُ، الكثير الشعر. ينظر: الصحاح، مادة: (دِيخ) ١ / ٤٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾،

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ٤ / ١٣٩ رقم ٣٣٥٠.

(٤) جَالُوتُ: ملك كافر، من ملوك الْعَمَالِقَةِ: وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام، وقيل: إن جالوت من بني

فلسطين بن كسلوحيم بن مصرام بن حام أحد شعوب حام بن نوح. ينظر: المختصر في أخبار البشر ١ / ٩٨،

وديان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ٧ / ٦.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤ / ٤٩٧، والكامل في التاريخ ١ / ١٩٠.

٣- فِرْعَوْنُ^(١):

طاغية خبيث، ذكره القرآن في أربعة وسبعين موضعاً، مقروناً بالدم، والأعمال السيئة، والمواقف الخبيثة الماكرة.

وقف ضد دعوة التوحيد، وادعى الألوهية، والربوبية، واستخف قومه، فصاروا مثله في الضلالة، واتهم موسى بالسحر، وحاول قتله، ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]، وأسرف في التعذيب والتقتيل، وكان من المفسدين، فأغرقه الله ﷻ في البحر، ونجاه ببدنه؛ ليقن بنو إسرائيل بهلاكه؛ وليتعظ من يخلفه، وأنه لا يقوم لغضب الله شيء^(٢)، فهو عزيز ذو انتقام، ويملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته، وفي ذلك عبرة لمن تكبر وتجبر، وأضل عن الحق.

٤- هَامَانَ^(٣):

ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم في ستة مواضع، مقروناً مع الطاغية الخبيث فرعون؛ مما يدل على قوة العلاقة بين هاتين الشخصيتين، وبما يظهر عمق الصلة الوثيقة والرابطة القوية بين الخبيثين، فقد ارتبط اسم هامان باسم فرعون في تلك الآيات، فقد اشتركا في التكذيب بنبوّة موسى ﷺ، والأذى، والتخطيط والإجرام، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨].

لقد كان سنداً متيناً، وعاوناً قوياً لفرعون، ومستشار سوء وضلالة، وبطانة شر وخبيث، فلا يقطع فرعون أمراً دونه، فكان يُزيّن له تكبره، وعناده، ويشير عليه بما أورده المهالك،

(١) فِرْعَوْنُ: لقب لكل من تولى أمر مصر، وقيل: اسم فرعون موسى: الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي نعيم بن الهلواش بن ليث بن هاران بن عمرو بن عملاق، وكان أشد الفراعنة وأخبثهم، وأغلظهم وأفساهم قلباً. ينظر: تاريخ الرسل والملوك ١ / ٣٨٦، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١ / ٢٥١، والمختصر في أخبار البشر ١ / ٥٧.
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٩٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ / ٢١٣.
(٣) هَامَانُ: من العمالقة، واسم كبير وزراء فرعون، ومدبر رعيته، ومشير دولته. ينظر: البداية والنهاية ١ / ٢٦٣.

والضلال عن الهدى، وصدق المصطفى ﷺ إذ يقول: ((مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ؛ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى))^(١).

٥ - قَارُونُ^(٢):

كافر خبيث، وغني متكبر، ذكره القرآن الكريم أربع مرات، في حالة الذم؛ فقد كان من قرابة موسى ﷺ فبغى وطغى، واغتر بكثرة ماله وكنوزه، وتكبر عن عبادة خالقه ورازقه، فرحاً بالدنيا، معرضاً عن الآخرة، فكان من المهلكين^(٣)، قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١].

وفي قصته عبرة لمن اغتر بماله وكثرته، وجحد فضل الله ونعمته، ومنع ما أوجب عليه في أمواله، ونسي أن ما عند الله خير وأبقى من متاع الحياة الدنيا، وزينتها.

ولعل في تخصيص هامان وقارون بالذكر تنبيهاً على مكانهما من الكفر؛ ولكونهما أشهر الخبيثاء من رجال فرعون^(٤).

٦ - السَّامِرِيُّ^(٥):

مناقم محتال خبيث، ذكره القرآن الكريم ثلاث مرات في سورة طه، مبيناً سوءه، وما سولت له نفسه من إضلال بني إسرائيل، وفتنتهم بعبادة العجل الذي صاغه من الحلي، ملبساً عليهم بأنه الإله المعبود، فلم يزالوا له عابدين، معرضين عن نصيحة نبي الله هارون ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته ٧٧ / ٩ رقم ٧١٩٨، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) قَارُونُ: بن يَصْهَرُ بن قَاهِث بن لَأَوِي، ابن عم موسى ﷺ، ذو كنوز وتكبر، وكان هلاكه بعد فرعون وقومه. ينظر: المحرر ص ٣٨٧، وتاريخ الرسل والملوك ١ / ٤٤٣، والبدء والتاريخ ٣ / ٨٧، وتاريخ دمشق ٦١ / ٩٥.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٣٢٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ٨ / ٥٥٧٦.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٤ / ٦٢١، والجواهر الحسان في تفسير القرآن ٤ / ٧١، والتحرير والتنوير ١٣ / ١٣٤.

(٥) قيل: إنه منسوب إلى قرية سامرة، وأنه من بني إسرائيل. ينظر: الكامل في التاريخ ١ / ١٦٥.

قائلين: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَدِيْفَيْنِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]، فلما جاء هاله الخطب، وظهر عليه الغضب، واشتد منه النكير، وصدر منه التوبيخ والتعنيف لهذا الأمر العظيم، الذي يناقض التوحيد، مواجهًا السامري بجرمته، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعِي﴾ (٩٥) ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (٩٦) [طه: ٩٥ - ٩٦]؛ ليظهر للناس بطلان كيد هذا الخبيث باعترافه، وليفعل به، وبما صنع من العقاب ما يكون نكالاً للمفتونين به، ولمن خلفهم من الأمم بعده^(١).

إن فعلته الخبيثة سببت له خسران الدنيا والآخرة؛ وأن تكون عقوبته ظاهرة شديدة، ﴿قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧].

فلا يمس أحدًا، ولا يمسه أحد؛ لما في ذلك من البلاء، والتعرض للعدوى والمرض، فمجالسته شر، ومخالطته والدنو منه ضرر، فنفيه وإبعاده، وعزله عن المجتمع خير ووقاية، فصَارَ يهيم في البرية مع الوحش والسباع؛ عقوبة دنوية له، مع ما ينتظره من عذاب أخروي لا مفر منه^(٢)، مع نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وبما أن قلوبهم قد أُشربت حب العجل فقد اتخذ موسى عليه السلام من هذا المعبود زورًا؛ موقفًا حازمًا ظاهرًا، فحرَّقه ثم ألقاه رمادًا في البحر، وهم ينظرون؛ ليتضح لهم بالدليل الحسي أنه ليس بإله، فهو لا يتكلم، ولا يرد جوابًا، ولا يملك ضرًا ولا نفعًا، ولا يهدي إلى رشد؛ ولو كان إلهًا حقًا لم يُخلص إليه، ولدافع عن نفسه، وحمى صانعه؛ وليزول ما في قلوبهم من الحُب، والتعلق به، كما زال شخصه، فبقاؤه فتنة، وإقرار للوثنية؛ لذا يجب استئصاله، ومحو آثاره؛ حفاظًا على التوحيد الخالص لله رب العالمين^(٣).

(١) ينظر: معالم التنزيل ٢٧٣/٣، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤١٥/٣.

(٢) ينظر: بحر العلوم ٤١٠/٢، والوسيط للواحد ٢٢٠/٣.

(٣) ينظر: الوسيط للواحد ٢٢٠/٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥١٢.

٧- أَبُو لَهَبٍ^(١):

خبيث من خبيثاء قُرَيْشٍ^(٢)، اشتهر بشدة العداوة والبغض، والتنقص والأذية لرسول الله ﷺ ودينه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهُ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١])^(٣).

فَعُوِّبَ بِالْخُسْرَانِ، وعدم الانتفاع بالمال والولد، وبالنار؛ لأنه مات على الكفر، فهذه أمور ثلاثة، كلها حصلت له بعد مجيء الخبر بحصولها، فكان معجزة لرسول ﷺ^(٤).

٨- يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ^(٥):

قوم خبيثاء مفسدون في الأرض، ذكرهم القرآن الكريم في موضعين. وقد سَدَّ عليهم ذو القرنين؛ لما شُكِيَ إليه إفسادهم فلا يستطيعون بعده أن يظهروا على الردم، ولا يقدرّون على نَقْبِهِ^(٦)، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

(١) عبد العزّي بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كنيته أبو عقبة، وإنما سمي أباً لَهَبٍ لجماله، عرف بشديد العداوة لله رسوله من بين عمومته، ويظهر له الحسد، مات على كفره، بعد غزوة بدر بسبعة أيام، ميتة شنيعة بداء يقال له: العَدَسَةُ. ينظر: معجم الصحابة للبلغوي ٢/ ٣٩٩، والبداية والنهاية ٣/ ٣٧٦.

(٢) قُرَيْشٌ: لقب لجد النبي ﷺ الثاني عشر، وإليه تنتسب القبيلة، واسمه (فهر). ينظر: السيرة النبوية للندوي ص ١٥٤، والرحيق المختوم ص ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ١٢٢/٦ رقم ٤٨٠١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨/ ٥١٤، والسراج المنير ٤/ ٤٤٥.

(٥) يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ: قبيلتان عظيمتان من بني آدم، صغار العيون، عراض الوجوه، عددهم كثير، وإفسادهم عظيم، ولا يُعرف مكانهم، وخروجهم من علامات الساعة الكبرى. ينظر: البداية والنهاية ١/ ١٣٠، وفتح الباري ١/ ١٤٩.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/ ١١٨.

وفي آخر الزمان يفتح السد عنهم، فيخرجون على الحالة والوصف الذي ذكره الله ﷻ، من كل مرتفع يسرعون، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

وهذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب خروجهم^(١). كثرهم باهرة، وإسراعهم في الأرض عجيب؛ إما بأجسامهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، ويقهرون الناس، ويعلمون عليهم في الدنيا، ولا يد لأحد بقتالهم.

المطلب الثاني: الخبيثاء الذين لم يُصرَّحَ بأسمائهم في القرآن الكريم:

هناك عدد من الخبيثاء الأشرار أشارت إليهم آيات القرآن الكريم، مبينة جانباً من أعمالهم الخبيثة، وشيئاً من أوصافهم، ومن هؤلاء:

١- ابن نوح^(٢) عليه السلام:

كافر خبيث معاند، دعاه أبوه للإيمان فأعرض وامتنع، وإلى الركوب معه في السفينة؛ لتلا يغرق مثل الكافرين فأبى، واعتقد بجهله أن الطوفان^(٣) لن يبلغ رعوس الجبال، وأنه لو تعلق برأس جبل لنجا، فأهلكه الله كما أهلك الكافرين الخبيثاء^(٤)؛ لأنه لا نجاة إلا للمؤمنين الطيبين.

وهذا الخبيث أحد أبناء نوح عليه السلام لصلبه، أما قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، فليس فيه دلالة على أنه ليس بابنه، فإن معناها ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم؛ لأنه كان لديك مخالفاً، وبالله كافراً؛ ولأن صريح القرآن أنه أحد أبنائه، فقد قال نوح: ﴿إِنَّ أَبْنِي

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٣١.

(٢) لم يصرح القرآن بذكر اسمه، مما يدل على أنه لا فائدة من البحث فيه، إلا أن بعض المؤرخين أشار إلى أنه (يام)،

وقيل: (كتعان). ينظر: تاريخ الرسل والملوك ١/ ١٨٣، والبدء والتاريخ ٣/ ١٧.

(٣) الطوفان: الماء الكثير. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧١، ومختار الصحاح، مادة: (طَوْفَ) ص ١٩٤.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٨٢.

مِنْ أَهْلِي ﴿ هود: ٤٥ ﴾، وقال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ [هود: ٤٢] ^(١).

وإنما سأل نوح عليه السلام نجاة ابنه؛ لأن الله قال له: ﴿وَأَهْلَكَ﴾، وابنه من أهله.

وعدم نجاة هذا الكافر مع قُربه من نوح عليه السلام، وعدم قبول الشفاعة فيه، عدل من الله تعالى بين خلقه، فلا نجاة لمن كان عمله غير صالح، بكفر أو شرك أو نفاق، وهذا درس عملي لكل مسلم؛ بأن لا ينساق وراء عاطفة القرابة، فيدافع عن قريب ضاد شرع الله، أو يشفع فيه، وقد تقرر عليه حدٌ شرعي، بشفاعة خبيثة، يجب الإنكار على من أقدم عليها، وقبلها.

٢- امرأة نوح عليه السلام:

خبيثة من الخبيثات، وصفها الله تعالى بالخيانة الدينية، وحكم عليها بالكفر، في سور نوح، ولم تذكر في غيرها.

وكانت تُطلع الخبيثاء على سر زوجها؛ فإذا آمن معه أحد أخبرت الجبابة من قومه، وكان من خبيثها أن تقول للناس: إنه مجنون ^(٢).

والذي يظهر أن نوحًا عليه السلام لم يعلم بخيانتها؛ لأن الله سمي عملها خيانة ^(٣).

٣- امرأة لوط عليه السلام:

الخائنة الخبيثة، المدمومة في عدد من آي القرآن الكريم، والمعذبة مع قومها، فقد قالت الملائكة الكرام لني الله لوط عليه السلام: ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَّ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: ٨١].

ومن شواهد خبيثها، أنها كانت تخبر أهل السوء من المدينة بأضياف زوجها ^(٤).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥ / ٣٤٦، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩ / ٢٩٤.

(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٢ / ١٩٥، والوجيز للواحد ص ١١١٤، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٢٧.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٤٩٧، والتحرير والتنوير ٢٨ / ٣٧٤.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ١٧١.

وقد جمع الله بين هاتين المرأتين الخبيثتين في سورة التحريم، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

فوصفهما بالخيانة لزوجيهما في الدين؛ بأن كانتا على غير دينهم، لا خيانة النسب والفراس، فإنه ما بعت امرأة نبي قط^(١)، وما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه بغياً. فلم ينفعهما صلاح زوجيهما، ولم يدفع عنهما من بأس الله شيئاً.

٤ - الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ آيَاتِهِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا^(٢):

حيث علّمه الكتاب، فصار من العلماء الكبار، فانسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، وترك كتاب الله وراء ظهره، وأعرض عن تعاليم ربه، ونبذ الأخلاق والأعمال التي يأمر بها، فتسلط عليه الشيطان، فأزه إلى المعاصي أزاً، فصار غاوياً ضالاً خبيثاً، بعد أن كان من الراشدين^(٣)، قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

وفي خبر هذا الرجل تنبيه لأهل العلم من الانزلاق وراء الدنيا وشهواتها، وتحذير لهم من اتباع الهوى.

فالعمل بالعلم رفعة لصاحبه، وعصمة من الشيطان الرجيم، وعدم العمل به نزول إلى أسفل سافلين، وسبب للخذلان، وتسليط للشيطان عليه.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ١٧١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٧٤.

(٢) على المشهور أنه رجل من بني إسرائيل يقال له: بُعَامُ بن بَاعُورَاء. ينظر: أسباب نزول القرآن للواحدي ١ / ٢٣٠،

والصحيح المسبور ٢ / ٣٦٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٥: رجاله رجال الصحيح.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٠٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٠٨.

٥- الرَّهْطُ^(١) النَّسْعَةُ:

عصابة خبيثة كان من شأنهم وكيدهم أن تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام ليلاً غيلةً^(٢)، فكادهم الله، وجعل الدائرة عليهم، فأهلكهم أجمعين^(٣)، قال تعالى: ﴿وَكَاثِبِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةَ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨].

وإذا كان عددهم تسعة من أهل مدينة، ومن صفاتهم الإفساد، ومحاربة الإصلاح، فكم في المدن اليوم؛ من رجال ونساء وقنوات من الذين يفسدون في الأرض، ولا يصلحون!؟.

٦- عَاقِرُ^(٤) النَّاقَةِ:

هو رجل من ثمود، شريف في قومه نسيب، ورئيس مطاع، يقال له: أُحِيمِرُ ثمود، واسمه: قُدَارُ بن سَالِفٍ، كما صرح به كثير من المفسرين^(٥).

أما الروايات الصحيحة فقد ذكرت وصفه دون اسمه، فعن عبد الله بن زَمْعَةَ^(٦) رضي الله عنه ((أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي عَقَرَهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقَّهَا﴾ أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ^(٧)))^(٨).

-
- (١) الرَّهْطُ: العصابة من ثلاثة إلى عشرة، وربما جاوز ذلك قليلاً. ينظر: جمهرة اللغة ٢ / ٧٦١، مادة: (رَهْطٌ).
 (٢) الْغِيلَةُ: من الاغتيال، يقال: قَتَلَهُ غِيلَةً، إِذَا خَتَلَهُ، وَخَدَعَهُ فَقَتَلَهُ. ينظر: الصخاح، مادة: (غَيْلٌ) ٥ / ١٧٨٧.
 (٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٠٠، وتفسير القرآن العظيم ٦ / ١٩٩.
 (٤) الْعَقْرُ: «ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف، وهو قائم». تاج العروس، مادة: (عَقَرَ) ١٣ / ١٠٢.
 (٥) ينظر: جامع البيان ٢٤ / ٤٥٩، وتفسير القرآن العظيم ٨ / ٤١٤، والصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٤ / ٦٣٩.
 (٦) عبد الله زَمْعَةُ بن الأَسُود بن المُطَّلِب القرشي الأَسَدِيّ، من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يأذن عليه، وقُتِلَ مع عثمان يوم الدار، ينظر: معجم الصحابة للبخاري ٣ / ٥٣٧، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٣ / ١٦٥١.
 (٧) هو: الأَسُود بن المُطَّلِب القرشي، قتل يوم بدر كافراً، وكان من المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. ينظر: تاريخ يعقوبي ١ / ١١٣، ومعجم الصحابة للبخاري ٣ / ٥٣٧.
 (٨) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب سورة: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ٦ / ١٦٩ رقم ٤٩٤٢، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء ٤ / ٢١٩١ رقم ٢٨٥٥.

وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿فَادَاوَأَصَاحِبُهُمْ فَنَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] ^(١).

٧- الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ^(٢):

طاغية خبيث، تمرد وتجبر بعد أن أتاه الله الملك، وادعى الربوبية، وجادل إبراهيم في ربه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

لقد فاجأه إبراهيم عليه السلام بما يخرسه ويفحمه، فليجب على هذا التحدي، ولينقض على إله إبراهيم عملاً من عمله، وتدبيراً من تدبيره! لكن هيهات، لقد أسقط في يده، وخرس لسانه، وشل تفكيره، وسقط من عليائه مبللاً في ثيابه بعرق الخزي، والخذلان، ومع انقطاع حجته فقد استمر على كفره، وخبثه حتى أهلكه الله بمرض طال عليه ^(٣).

ولم يذكر القرآن اسم هذا الخبيث المتمرد على ربه، فهو ساقط من حساب الإنسانية، إذ باعها للشيطان، وأسلمها للطاغوت، ثم إنه لا ضرورة لذكره، حتى لا يتعرف عليه أحد، فتصبيه عدواه ولو من بعيد، كما تصيب الرائحة الخبيثة بالأذى كل من يمر به حامل الجيف.

٨- الأَقْوَامُ الكُفْرَةُ، وَالمُشْرِكُونَ المُكذِّبُونَ لِلأنبياءِ، وَالمُرْسَلِينَ:

هؤلاء عرفوا الحق وتركوه، فحسروا الدنيا والآخرة، فصاروا أخبث الناس، وشر من يمشي على الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].
فعبّر بالدواب ليتأكد ذمهم، وعددهم من البهائم ثم جعلهم شرها؛ لإبطلهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله، وهو استعمال العقل فيما ينفعهم من التفكير، والاعتبار.

(١) ينظر: جامع البيان ٢٢ / ٥٩٢، والكشف والبيان ٩ / ١٦٨، والصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٤ / ٤١٦.

(٢) نُمرود بن كنعان، على ما ذكره المفسرون. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ٤٣٠، وتفسير ابن أبي

حاتم ٢ / ٤٩٨، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣ / ٢٠٤.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١ / ٦٨٦.

فهم شر من الخنازير والكلاب والحشرات؛ ذلك أن الخير منهم معدوم، والشر فيهم متوقع^(١)، كذبوا المرسلين، وتمادوا في العصيان.

وقد جاء القرآن الكريم بأخبارهم، وموافقهم الخبيثة مع أنبياء الله ورسله، وقص علينا قصصهم، مبسطة وموجزة، جماعات وفرادى، في أكثر من عشرين سورة.

ومن أجمع الآيات التي ذكرتهم، قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الحج: ٤٢ - ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنَمُودٌ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق: ١٢ - ١٤].
فهؤلاء أحد عشر قومًا، من الخبيثاء الذين بارزوا الله ﷻ بالشرك، واشتركوا في تكذيب المرسلين.

٩ - الكفرة من أصحاب الأخذود:

كانوا قومًا كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول في دينهم فامتنعوا، فشقوا حفراً في الأرض^(٢)، وأوقدوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استحباب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه فيها، وهذا في غاية الخبث، والمحاربة لله ولحزبه المؤمنين؛ ولهذا لعنهم الله، وأهلكهم وتوعدهم بالنار، قال تعالى: ﴿ قِيلَ اصْحَبُوا الْأَخْدُودَ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هَرَعْتُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِمَّا لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ٤ - ١٠].

وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب؛ لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله، ومعاندتها ومحاربة أهلها، وتعذيبهم بما تنفطر منه القلوب، مع حضورهم عند إلقاء المؤمنين فيها، وتلذذهم بالتتكيل بعباد الله الموحدين.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ٤٥٩، والجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢ / ٩٠.

(٢) ينظر: معالم التنزيل ٨ / ٣٨٣.

قال البَغَوِي^(١): «والصحيح أنها نزلت في كافر عاق لوالديه»^(٢).

وقال ابن كثير: «ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه»^(٣).

١٨ - عبد الله بن أبي بن سلول^(٤):

مناقق خبيث، تولى كبر الإفك حين أتم الطيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، وتولى معظم الخطيئة بنفسه^(٥)، وتوعده الله بالعذاب العظيم.

وجاء ذكره في القرآن الكريم غير مصرح به، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

وهو القائل: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨]، ((فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا تَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ))^(٦).

(١) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البَغَوِيّ، أبو محمد، الشافعي، يلقب بمحبي السنة، سلفي المعتقد، فقيه مفسر، بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول، وتنافس العلماء في تحصيلها، منها (شرح السنة) و(معالم التنزيل)، وكانت وفاته سنة ٥١٠هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ١٣٦، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٣٩.

(٢) معالم التنزيل ٧/ ٢٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٨٣، وينظر: تفسير الرازي ٢٨/ ٢٢٢.

(٤) عبد الله بن أبي بن سلول، نسبة إلى أمه (سلول) امرأة من خزاعة، كاد أن يتوَّج على أهل المدينة، فجاءهم رسوله ﷺ وهم على ذلك، فانصرف قومه عنه إلى الإسلام، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكه، فدخل في الإسلام كارهاً، مُصِراً على نفاق وُضْعِيَّة، فصار رأس المنافقين، يُعَادِي وَيُحَرِّضُ وَيُخَدِّلُ؛ حَقًّا وَبُغْضًا لِلرَّسُولِ ﷺ، وأصحابه، وتولى كبر الإفك، هلك سنة ٩هـ. ينظر: معجم الصحابة للبغوي ٤/ ٩٧، والاستيعاب ١/ ١١٢، والسيرة النبوية للندوي ٢/ ٤٤٦.

(٥) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٤٥، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٦٣.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما ينهى عن دعوة الجاهلية ٤/ ١٨٤ رقم ٣٥١٨، من حديث جابر رضي الله عنه.

وعلى شاكلة القوم ألك الكفار الخبيثاء الذين انعدمت عندهم مبادئ الأخلاق، ومعاني الرحمة حتى صار الحيوان الخبيث أعلى عندهم من دم المسلم، ففي كل يوم نسمع ونشاهد ونتجرع مرارة حقدهم على المسلمين، وإبادتهم بالجملة، وبأفتك الأسلحة، من غير مبالاة بالقوانين، والأعراف الدولية، مما يُحتم على المسلمين معرفة عدوهم، وتمسكهم بدينهم، والأخذ بأسباب القوة، إن أرادوا عزاً ونصراً من ربهم.

وقد قص الله علينا خبر هؤلاء؛ ليكون درساً وتذكيراً لمن بعدهم من المؤمنين بالصبر على ما يلاقونه من الأذى والآلام، والمشقات التي يتعرضون لها في كل زمان ومكان، فيتأسوا بصبرهم، وتمسكهم بالحق، وبذلهم أنفسهم إظهاراً لدعوة الله ﷻ.

١٠- كَفْرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ:

من اليهود والنصارى، الذين اختاروا لأنفسهم أن يكونوا شر البرية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وبالأخص اليهود، فهم من أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعيًا في إيصال الضرر إليهم؛ بغضًا، وبغياً وحسدًا، وعنادًا وكفرًا.

يأكلون الربا، ويسارعون في الإثم والعدوان، مما يدل على خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي، والظلم، فقد آذوا أنبياءهم، وقتلوا منهم عددًا، ونقضوا العهود. وضعوا السم للنبي الكريم محمد ﷺ مريدين قتله^(١)، فشرهم ظاهر، ومكرهم قديم متجدد، وصفوا الغني الكريم بالفقر، وقالوا يد الله مغلولة.

وبالنظر إلى الآية السابقة نلاحظ تقديم أهل الكتاب في الكفر على المشركين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ فهل من فائدة تلمس لذلك؟.

والجواب: أن الواو لا تفيد الترتيب، ومع هذا ففيه فوائد:

(١) كما في مسلم من حديث أنس ؓ ((أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ...)). كتاب السلام، باب السم ١٧٢١/٤ رقم ٢١٩٠.

أحدها: أن السورة مدنية فكأن أهل الكتاب هم المقصودون بالذكر.

وثانيها: أنهم كانوا علماء، فكانت قدرتهم على معرفة صدق محمد ﷺ أتم، وكان إصرارهم على الكفر أقبح وأخبث.

وثالثها: أنهم علماء يقتدى بهم فكفرهم أصل لكفر غيرهم^(١) والله أعلم.

١١- أصحاب القرية^(٢):

وهم المذكورون في سورة: ﴿يس﴾، وكانوا يعبدون الأوثان، وقد ضربهم الله مثلاً لكفار قريش، قال تعالى: ﴿وَأَصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس: ١٣ - ١٩].

فهذه قرية من القرى، جاءها رسل، مبعوثون من عند الله ﷻ، وقد دعوا أصحابها إلى الإيمان فلم يلقوا منهم إلا الصد اللئيم، والقول الخبيث.

١٢- قوم ثبع^(٣):

هم جماعة من تلك الجماعات الخبيثة التي أحرمت وكفرت بربها، وقد ذمهم الله في القرآن

(١) ينظر: تفسير الرازي ٢٣٩/٣٢.

(٢) أكثر المفسرين أهما (أَنْطَاكِيَّة)، ولكن لا دليل على ذلك، فالتعرض لهذا وشبهه فيه تكلف يؤدي إلى الخلط والاختلاف بما لا فائدة فيه، وفيه تشويش للذهن، واعتياد للأمر المشكوك فيها. ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥٧٤/٦، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٩٣.

(٣) ثُبُع: لقب ملوك اليمن، واسمه شَرَاحِيل الحميري، وكان من أعظم التابعية، وأفصح شعراء العرب، قيل: إنه أول من كسا البيت، وجعل له مفتاحاً من ذهب، وأنه كان يقصده فيمكث فيه مدة، وينحر البدن، وقد ذم الله قومه، ولم يذمه. ينظر: البداية والنهاية ٢/٢٠٢، والمفصل في تاريخ العرب ٤/١٦٥، والصحيح المسبور ٤/٣١٩.

١٩- امرأة أبي لهب^(١):

كانت عونًا لزوجها على كفره، وأذيته، ويوم القيامة تكون معه في نار جهنم، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١ - ٥].

قال ابن عاشور: «فلما حصل لأبي لهب وعيد مقتبس من كنيته، جعل لامرأته وعيد مقتبس لفظه من فعلها، وهو حمل الحطب في الدنيا، فأندرت بأنها تحمل الحطب في جهنم ليوقد به على زوجها، وذلك خزي لها ولزوجها، إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سبباً لعذاب أعز الناس عليها»^(٢).

٢٠- المنافقون:

الذين أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، وكادوا للإسلام وأهله وآذوا رسول الله ﷺ، وأهل بيته وأصحابه.

وقد بين الله ﷻ صفاتهم في كتابه، وأنزل من الآيات ما يُجَلِّي قبايحهم وخبائثهم في سورة تحمل اسمهم، وأخرى فاضحة لهم.

واختار لهم اسم النفاق في ستة وثلاثين موضعاً من كتابه، وأشار إليهم في آيات كثيرة بلفظ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، ولفظ: ﴿وَمِنْهُمْ﴾، وغير ذلك من الألفاظ.

فهم الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَالْآخِرُ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، أهل مكر، وخداع، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩]، وفي قلوبهم مرض الشك والريب،

(١) هي: أروى بنت حرب بن أمية الأموي، ويقال لها: أم جميل، زوجة أبي لهب، كانت على رأيه في عداوة رسول الله ﷺ وللمؤمنين بلسانها وغاية قدرتها، وتمشي بالنميمة، وتحمل الشوك وتطرحة بالليل في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه، فسامها الله ﷻ ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم ٦/ ٣١٩٨ وتاريخ دمشق ١٦٦/٦٧، والبداية والنهاية ٣/ ٥٤.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٠٥.

الكريم مرتين، وضرهم مثلاً للمعاندين الخبيثاء من قريش، فأهلكهم الله ^(١)، وأخذهم بعذابه الأليم، قال تعالى: ﴿أَهْمَ حَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِعَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ [ق: ١٢-١٤] ^(١).

١٣ - أهل سبأ ^(٢):

قوم جاء ذكرهم في القرآن الكريم مرتين، مخبراً أنهم عاشوا في راحة وطمأنينة، ورفاهة من العيش المثمرة، فبلادهم أخصب البلاد وأطيبها، وأكثرها ثماراً، فلما ضاع شكرهم، وأعرضوا وأجرموا أهلكتهم الله، وصار من عجائب الكون ذكرهم ^(٣)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

١٤ - أصحاب الفيل ^(٤):

الذين أرادوا كيد بيت الله الحرام، وعزموا على هدم الكعبة، وتخريبها، ومحو أثرها من

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢/٤٠، وتفسير القرآن العظيم ٧/٢٥٦-٢٥٨.

(٢) سبأ: قبيلة مشهورة بأرض اليمن، وتسمى الأرض بسبأ، وعاصمتها مأرب؛ وسميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعقوب بن قحطان، ولما جاء سيل العرم، مزقهم الله كل ممزق، ففرقوا في البلاد. ينظر: تفسير السمعاني ٤/٣٢٤، والجبال والأمكنة والمياه ص ١٨٤، ومعجم البلدان ٣/١٨١.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٧٧.

(٤) أصحاب الفيل: هم جيش أبرهة، الذي بنى كنيسة في (صنعاء) لم ير الناس مثلها في الحسن والزخرفة، وسمّاها (القليس)، وأمر بحجّها وترك الكعبة، فدخلها رجل من العرب ودنسها بالخبث، فغضب أبرهة، وعزم على هدم الكعبة، وسار بجيشه العظيم معه الفيل، مستبيحاً ما أمامه، فلما بلغ حدود الحرم حاول الدخول وتوجيه الفيل نحو الكعبة فلم يستطع، فأرسل الله عليهم الطير ترميهم بالحجارة وتهلكهم، فهرب ذليلاً، ووقعت فيه الأكلة فحمل إلى اليمن فهلك بها. ينظر: البدء والتاريخ ٣/١٨٥، والكامل في التاريخ ١/٤٠٦، والبدية والنهاية ٢/٢١٨.

الوجود، فلما انتهوا إلى قرب مكة، أرسل الله عليهم طيراً متفرقة، تحمل حجارة حماة من النار، فرمتهم بها، فأهلكهم الله، وكفى شرهم، ورد كيدهم في نحرهم، وأبادهم وأرغم أنوفهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم^(١)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَكَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ - ٥].

١٥ - أبو جهل^(٢):

فرعون هذه الأمة، وأحد خبثاء قريش، وكان شديد العداوة، والأذية لرسول الله ﷺ وأصحابه.

وقد قتل في معركة بدر كافراً، وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ يَرَهُ اسْتَخْفَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُ مَا سَجَدُوا وَقَرَّبُوا ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ٦ - ١٩].

وقد أنزل الله ﷻ في هذه الآيات^(٣)؛ لما قال: ((هَلْ يُعْفَرُ^(٤) مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَانَّ عَلَى رِقْبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لَيْطًا عَلَى رِقْبَتِهِ، قَالَ:

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/٦٠٥، وتفسير القرآن العظيم ٨/٤٨٣.

(٢) أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي، سوّده قريش ولم يطرّ شاربه، وأدخلته دار الندوة مع الكهول، وكان يقال له: أبا الحكم، فدعاه المسلمون: أبا جهل، أدرك الإسلام فكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم، والعمل على إيذائهم؛ حسداً وغلاً، حتى كانت وقعة بدر، فكان من قتلها ذليلاً مهاناً، ينظر: عيون الأخبار ١/٩٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٣٣٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن لعبد الرزاق ٨/١٥٩، وجامع البيان ٢٤/٥٢٤، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٥/٥٢٩.

(٤) العَفْرُ: التُّرَابِ، والتَّعْفِيرُ: التَّمْرِغُ، والمراد: سجوده على التراب. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (عَفْر) ٢/٢١١، والمخصص ٤/٢٢٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٢٦٢، ومختار الصحاح ص ٢١٢.

ولديهم دُعر وخوف، وتعليلات خبيثة مكشوفة، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَتَدْنُ لِي وَلَا نَفْتِي﴾ [التوبة: ٤٩]، نفاقهم غير مقبولة؛ لكفرهم بالله ورسوله، وتناقلهم عن أداء الصلاة وبخلهم بما أوجب الله عليهم من الصدقات، ومع هذا فهم يُعيرون المؤمنين، ويلمزونهم في صدقاتهم، فلم يسلم منهم غني أو فقير.

آذوا نبي الله وتنقصوه، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَهْتُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

عُرف عنهم نقض العهود والغدر والخيانة؛ لما لديهم من الإعراض والبخل، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

يعتذرون كذبًا عن تخلفهم عن الجهاد، ويصدون عن التحاكم إلى الشرع صدودًا، ويكثرون من الحلف، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر، مع الحرص على تفريق كلمتهم، ويتعاونون مع الأعداء على المسلمين، ويفشون أسرار الموحدين للمشركين، ولم يخل منهم زمن من الأزمان، فيجب على المسلمين أن يكونوا منهم على حذر، فهم أشد خطرًا عليهم من غيرهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مِّنْ مَّسْنَدٍ يَّحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّاهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٤﴾ [المنافقون: ٤].

فَمَا فَجَّاهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ^(١) عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ، قَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلَاءِ أَجْنِحَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا^(٢).

وهذا الآيات وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل إلا أنها عامة لكل ناه عن الخير^(٣).

١٦ - العاصُ بنُ وائلِ السَّهْمِيِّ^(٤):

مجرم خبيث من كفار قريش، ومن شديدي العداوة للرسول ﷺ، ولما جاء به، فقد جمع بين كفره بآيات الله، ودعواه الكبيرة أنه سيؤتى في الآخرة مالا وولداً، فعن خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥) قَالَ: ((كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا^(٦))، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لِي لَا أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: قُلْتُ: لَنْ أَكْفُرَ بِهِ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ، فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ فَتَزَلْتُ: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾^(٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا^(٧٨) كَلَّا سَتَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا^(٧٩) وَنَزَّيْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا^(٨٠)﴾ [مريم: ٧٧ - ٨٠] ^(٧).

(١) التَّكْوُصُ: الإحجام، والتأخر عن الشيء، والرجوع إلى الخلف. ينظر: العين، مادة: (تَكْص) ٣٠٣/٥، وتفسير

غريب ما في الصحيحين ص ٣٦٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١١٦.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب صفات المنافقين، باب قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ ٤/٢١٥٤ رقم ٢٧٩٧، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٣٠.

(٤) العاص بن وائل السهمي القرشي، كان من المستهزئين المعادين للمؤمنين للرسول ﷺ، ومن فجار تجار قريش حيث اشترى سلعة، ومطل في ثمنها، فكان ذلك سبباً في حلف الفضول، هلك في الأبواء في السنة الأولى من الهجرة. ينظر: الكامل في التاريخ ١/٥٩٣، وسير أعلام النبلاء ١/٣٠٢.

(٥) خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ بْنِ جَدَلَةَ بْنِ سَعْدِ التَّمِيمِيِّ، سادس ستة في الإسلام، ومن أول من أظهر إسلامه، فعذب، وصبر، قال الشَّعْبِيُّ: «أَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا إِلَّا خَبَّابًا، فَجَعَلُوا يَلْزُقُونَ ظَهْرَهُ بِالرَّضْفِ حَتَّى ذَهَبَ مَاءُ مَتْنِهِ» كانت وفاته بالكوفة سنة ٥٣٧هـ. ينظر: الاستيعاب ٢/٤٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٢٣، والإصابة ٣/٧٦.

(٦) القَيْنُ: الصانع والحداد. ينظر: الدلائل في غريب الحديث ٣/١١٨٣، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/٢٧٦.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَنَزَّيْنَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ٦/٩٤ رقم ٤٧٣٥.

وهذا الخبيث هو مبغض الرسول ﷺ، وذامه، ومنتقصه^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، أي: «الأقل، والأذل، المنقطع دابره، الذي لا عقب له»^(٢).

١٧- الَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفٌّ لَكُمْ:

وليس المراد به شخص معين، بل كل من كان موصوفاً بهذه الصفة، بأن دعاه أبواه إلى الدين الحق فأباه، وأنكره، وأعرض عنه، وهذا القول هو الصحيح، خلافاً لمن زعم - زوراً، وبُهتاً - أنه الصحابي الجليل: عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ^(٣).

فهذه فرية عظيمة في حق هذا الصحابي الجليل، وقد أكذبتها عائشة رضي الله عنها، وذلك لما خطب مروان بن الحكم الأموي^(٤) ((فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ^(٥)؛ لِكَيْ يُبَايِعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: شَيْئًا فَقَالَ: خَذُوهُ فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ، فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفٌّ لَكُمْ أَتَعْدَانِي﴾، فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَنْزَلَ عُذْرِي))^(٦).

(١) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٥/ ٦٩٤، والروض الأنف ٢/ ١٨٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/ ٦٥٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان القرشي، شقيق عائشة رضي الله عنها، وأسنُّ ولد أبي بكر، أسلم في هدنة الحديبية، وكان فيه دعابة، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، أو عبد العزى، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، عُرف بالشجاعة، وحُسن الرماية، شهد اليمامة، وقُتل سبعة من أكابر المشركين، وتوفي فجأة في نومة نامها، قريباً من مكة، فنقل إليها، ودفن فيها، سنة ٥٣هـ، وقيل بعدها. ينظر: التاريخ الكبير ٥/ ٢٤٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧١.

(٤) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، قيل: إنه رأى النبي ﷺ، كان ذا شجاعة، ومكر ودهاء، كان أميراً على المدينة، وهو قاتل طلحة رضي الله عنه، قيل: إنه هلك بالطاعون، وقيل: مخنوقاً، سنة ٦٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٧٦، والبداية والنهاية ٨/ ٢٣٩.

(٥) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي، كان قوياً شجاعاً، ذا رأي، وحزم وفطنة، فظاً غليظاً، يتناول المُسكر، ويفعل المُنكر، افتتح دولته بمقتل الحسين، واحتتمها بواقعة الحرة، قال ابن تيمية: «لا تُسبّه ولا تُحِبّه»، وله على هَنَاتِهِ حَسَنَةٌ، وهي غزو القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وكان أمير الجيش، ولم يبارك في عمره، مات سنة ٦٤هـ. ينظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٤٨٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥.

(٦) أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفٌّ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ ٦/ ١٣٣ رقم ٤٨٢٧.

المبحث الثاني: الخبيث من الأموال في القرآن الكريم:

لم يبيح الإسلام أخذ أي مال إلا بطريقة مشروعة، بل حذر مما سوى ذلك، وقد جاءت آيات عامة في النهي عن كل ما أخذ بغير وجه شرعي، كما جاءت آيات أخر خاصة تحرم وتشرع العقوبات على من يتعدى على أموال الآخرين وممتلكاتهم، واعتبار ما يُحصله، ويجمعه أموالاً غير محترمه، بل رديئة خبيثة، عبر عنها القرآن الكريم بأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، في موضعين، كما في هذه الآية، ومثلها آية النساء، حيث نمت الآيتان عن الأكل، لكنه ليس خاصاً به، فغيره مثله، لكنه المقصود الأعظم من المال^(١).

كما أنها أضافت الأموال إلى الأنفس، في قوله تعالى: ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ إشعاراً بأن أكل مال أخيه بالباطل، كالأكل مال نفسه بالباطل، فشمل النهي أكل مال نفسه بالباطل؛ لأنه إنفاق في معاصي الله، وأكل مال الغير بالباطل؛ لأنه ينبغي للمسلم أن يجب لأخيه ما يجب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأن أكله لمال غيره يُجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة عليه^(٢).

إن أخذ المال إما أن يكون بحق أو بباطل؛ ولذا جاء القيد في الآية ببيان المحرم، وهو أكلها بالباطل، ويدخل في ذلك أخذها على وجه الغصب، والسرقة والخيانة، أو أخذها بمعاوضة محرمة، كعقود الربا، والقمار، فكل ذلك من الباطل، ومن المكاسب الخبيثة^(٣).

ومن أكلها بالباطل ما مثل به ابن عباس رضي الله عنهما فقال: «هذا في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصم إلى الحكام، وهو يعرف أن الحق عليه، وهو يعلم أنه آثم أكل حرام»^(٤).

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٥٤٨، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٣٨، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٥٢١.

(٣) ينظر: جامع البيان ٨/ ٢١٦، وتفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٤٠٠، وتفسير الرازي ١٠/ ٥٦.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٢١، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢/ ٣٠٣.

ومن أخذها، وأكلها بالباطل: كونها عن طريق الغش في البيع والشراء والإجارة، وبيع المحرمات، والتغريب بالناس، والتحايل على أخذ أموالهم في كثير من المساهمات، واستعمال الأجراء ومنعهم أجرهم، أو أخذهم أجره على عمل لم يؤديه على الشروط المتفق عليها.

ومن الأكل بالباطل الأخذ من الزكوات والصدقات، والأوقاف والوصايا لمن ليس له حق منها، فكل هذا من المكاسب الرديئة الخبيثة^(١).

ومن الأموال الخبيثة التي جاء النص عليها بالتحريم والتغليظ، وبيان شناعتها، ورداءتها وخبثها ما يلي:

١ - الأموال الربويّة:

وهي أموال خبيثة حرمها الشرع، واتفقت جميع الأديان على تحريمها، وورد من الأدلة ما يبين عظمها وشناعتها، والتحذير منها.

فالقرآن الكريم يصور أكل الربا في صورة من أصابه مسّ من الشيطان، فاختبَل عقله واضطرب كيانه، وبدا للناس في أسوأ حال يبدو فيه إنسان^(٢).

وكذلك لما انسلبت عقول المرابين في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم، وضعفت آراؤهم، وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها، وانسلاخ العقل الأدبي عنهم، ويقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النكال، وعسر الوبال^(٣)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وهذه العقوبة لجميع الآخذين للربا، وإنما ذكر الأكل؛ لأنه أعظم منافع المال، ولأن الربا شائع في المطعومات^(٤).

وهذا الذي يصيب المرابين يوم القيامة من أجل أنهم كانوا في الدنيا يكذبون، ويفترون

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢/ ٨٣ و ٢٦٢، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٦٨.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ١١، وملاك التأويل ١/ ٧١.

(٣) ينظر: الوسيط للواحد ١/ ٣٩٤، وتفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٥٧٧، ومعالم التنزيل ١/ ٣٤١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ١٢، وإرشاد العقل السليم ١/ ٢٦٦، والبحر المديد ١/ ٣٥٩.

ويقولون: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، فجعلوا الربا أصلاً، والبيع فرعاً حتى شبهوه به، قال الزَّمَخْشَرِيُّ^(١): «فإن قلتَ هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع... قلتُ جيء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً، وقانوناً في الحل حتى شبهوا به البيع»^(٢)، وهو «باب في البلاغة مشهور، وهو أعلى رتب التشبيه»^(٣).

والقرآن الكريم يعلن الحرب من الله ورسول على المرابين إن لم يتوبوا، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

فهذه الآية فيها تغليظ لجريمة الربا، وتشنيع عليها، وأنه من المكاسب الخبيث؛ والحرب مع الله حرب لا تقاس بالحديد والنار، وإنما الحرب من الله تأتي بكوارث، وزلازل وأعاصير، وفيضانات، وأمراض فتاكة، وأزمات اقتصادية وإفقار، وغضب الجبار عز وجل وغير ذلك، مما لا يحيط به البشر، ولم يكن في حسابهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من كان مُقيماً على الربا لا يترع عنه فحق على إمام المسلمين أن يَسْتَتِيهَ فَإِنْ نَزَعَ وَإِلَّا ضَرَبَ عُنُقَهُ»^(٤).

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يلعن جميع الأطراف المشتركة في الربا، كما في حديث جابر رضي الله عنه، قال: ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤَكِّلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ، قَالَ: هُمْ سَوَاءٌ))^(٥).

ومع هذا الوعيد الشديد، فإننا في زمن كثر فيه الربا وانتشر، وتوعدت الحيل عليه بتغييره

(١) محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، أبو القاسم، كان علامة نسابة، رأساً في البلاغة والعريضة،

والاعتزال، له (أساس البلاغة)، و(الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، كانت وفاته

ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٥/ ١٦٨، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٢٦.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٣٤٨.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ٦٣٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٢٥، والدر المنثور ٣/ ٣٧٦، والصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ١/ ٣٨٧.

(٥) أخرجه مسلم، في كتاب المساقاة، باب: لعن آكل الربا ومؤكله ٣/ ١٢١٩ رقم ١٥٩٨.

إلى أرباح وفوائد، وباسم القروض وتسديد المديونات، بطريقة جذابة للناس، توهيماً عليهم وتغريراً بهم؛ بسبب الطمع وحب الدنيا، وضعف الإيمان، والعقلية المادية المفرطة التي يعيشها كثير من أصحاب الأموال.

إن الله ﷻ يحق الربا ويذهبه، ويترع بركته، وإن أنفق منه صاحبه لم يؤجر عليه، بل يكون زاداً له إلى النار، وقد يكون سبباً لوقوع الآفات، والكوارث المالية، وحوادث الانهيار والإفلاس، وحلول الخسائر الهائلة، والأمراض العضوية والنفسية والسكّات القلبية، وحالات الانتحار؛ وذلك بأن الله عزيز حكيم يُري هؤلاء المرابين ضعفهم، وشيئاً من آثار معاملتهم الخبيثة؛ لبعدهم عن منهجه، ومحاربتة بالربا، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٢- أخذ شيءٍ من صدقٍ^(١) الزوجة ظلمًا:

فالصدق حق لها فلا يؤخذ بغير طيبة من نفسها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فلا يحل للزوج الرجوع في شيء مما أعطى زوجته إلا على سبيل الخلع^(٢)، إذا خافا ألا يقيما حدود الله، فإذا عزم على طلاقها فلا يأخذ شيئاً مما أعطهاها مهما كان، ففي ذلك إثم وظلم عظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [النساء: ٢٠] وكيف تأخذونه، وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم ميثاقاً غليظاً [النساء: ٢٠ - ٢١].

(١) الصدق: اسم لما تستحقه المرأة بعقد النكاح، مشتق من الصدق، وهو الشديد الصلب؛ وذلك أنه لازم، فلا ينفك

عن النكاح، ولا يستباح بضع المنكوحه إلا به. ينظر: تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٧٤.

(٢) الخلع: الافتداء؛ من فدت المرأة نفسها من زوجها إذا أعطته مالا حتى تتخلص منه. ينظر: المصباح المنير في غريب

الشرح الكبير، مادة: (فدى) ٢/ ٤٦٥.

فقد أعظم الله النكير على الذين يأخذون ولو قليلاً من صداق زوجاتهم بغير حق، ونهى عن التضيق عليهن، ومضارتهن من أجل الافتداء؛ لأن السبب المانع من أخذ شيء منه هو أنه أفضى إليها بالجماع؛ ولما كان بينهما من صلة زوجية عظيمة، وميثاق، وعهد تم به التراضي، فأخذه بهتان، وإثم واضح، مهما تحيلوا عليه بأنواع الحيل^(١).

وكان من ظلم الزوجات أنه إذا أراد طلاقها استرد ما دفعه من مهر، وربما توسل إلى ذلك برميها بالفاحشة أو تهديدها به، فنهى الله عن ذلك، وجعله بهتاناً وإثماً مبيئاً، وأنكر عليهم، ووبّخهم على أخذه، بعد أن أفضوا إليهن، وأخذن منهم ميثاقاً غليظاً^(٢).

فما أخذ فهو مال محرّم، وكسب خبيث؛ لأنه ظلم وجور، ودليل على رداءة نفس وسوء خلق، ونسيان فضل.

٣- الأموال المسروقة^(٣):

جعل الله ﷻ أخذ الأموال المحترمة خفية بغير رضا أصحابها من كبائر الذنوب، ورتّب عليها العقوبة الشنيعة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

فقطع يد السارق والسارقة عقوبة على سرقتهم، وعلى فعلهما الخبيث، وكسبهما السيئ، وتكفيراً لهذا الذنب العظيم، وليس ذلك معفياً عن رد المال؛ لأنه حق لمخلوق.

وكل مال أخذ بغير حق فهو مال خبيث، وصاحبه يستحق عليه العقوبة في الدنيا والآخرة، كنهب أموال الناس بعد إخافتهم، وتهديدهم بالسلاح، وهو شأن قطاع الطرق، الذين يعرضون للناس في القرى والبادي فيغصبونهم أموالهم، وربما يقتلونهم أو يخيفونهم،

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ١٤١، وتفسير المراغي ٤/ ٢١٢، والتفسير الحديث ٨/ ٥٥.

(٢) ينظر: تفسير آيات الأحكام للسايس ١/ ٢٤٦، والصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ١/ ٣٤٤.

(٣) السرقة: أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية، وفي اصطلاح الفقهاء: أخذ مكلف مالاً محترماً يبلغ نصاباً، خفية من حرزه، بلا ملك، ولا شبهة. ينظر: الصحاح، مادة: (سرق) ٤/ ١٤٩٦، والكافي في فقه الإمام أحمد ٤/ ٧١، والمجموع شرح المهذب ٢٠/ ٧٥، والتعريفات ١/ ١١٨، والبحر الرائق شرح كثر الدقائق ٥/ ٥٥.

فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتنقطع بذلك^(١)، وقد سماهم القرآن الكريم محاربين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

وإن الذي خلق الخلق هو أعلم بما يصلحهم، ففي تطبيق حد السرقة، والحِرَابَةِ^(٢) حفظ الأموال وأمنها، والسعي في الكسب الحلال دون التعرض لحقوق الناس، وممتلكاتهم.

وساعة يسمع اللص^(٣) الخبيث بقطع يد سارق، فإنه سيفكر قبل الأخذ، وسيخاف وربما يتكف عنها، ويتوب وثم ينصرف إلى وسيلة الكسب الحلال.

كما أن التباطؤ في تنفيذ الحكم الشرعي، واعتباره وحشية سبب لانتشار الجريمة، وتمادي المجرمين، وإعانة لهم على فعلهم، ورحمة بفرد جان، على حساب مجتمع مجي عليه.

وما أخذه السارق مال خبيث، لن يهنأ فيه وقد حرمه الله، ولن يبارك له فيه وقد تعدى وظلم، وربما كان وبالاً عليه، وسبباً لشقاوته، وحلول المصائب عليه.

٤ - الغُلُول^(٤):

وهو محرم بإجماع أهل العلم، ومن عظام الذنوب وكبائرهما، وجاء عليه الوعيد في قوله

تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ [آل عمران: ١٦١].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ٩٤، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٢٩، والوسيط لطنطاوي ٤ / ١٤٥.

(٢) الحِرَابَةُ: البروز لأخذ مال أو لقتل أو لإرغاب على سبيل المجاهرة، اعتماداً على القوة، مع البعد عن العَوْتِ وتسمى قطع الطريق، والسرقة الكبرى. ينظر: بدائع الصنائع ٧ / ٩٠، والمغني ٩ / ١٤٤، والموسوعة الفقهية الكويتية ٢٤ / ٢٩٣.

(٣) اللص: الذي لا يدع شيئاً إلا أخذه. ينظر: المخصص، مادة: (لَصَص) ١ / ٢٨٨، ولسان العرب ٧ / ٤٨.

(٤) الغُلُول: من غلَّ يغلُّ: إذا خان، وهو: السرقة من المغنم. ينظر: معاني القرآن للنحاس ٤ / ٢٨، وتهذيب اللغة،

مادة: (سَرَق) ٨ / ٢٢، والمفردات في غريب القرآن ص ٦١٠.

فمن غلَّ شيئاً فإنه يأتي به حاملاً له على ظهره، حيواناً كان أو متاعاً، أو غير ذلك؛ ليعذب به يوم القيامة.

وحمل ما غل يتضمن تأكيد تحريم الغلول، والتنفير منه، وأنه ذنب يختص فاعله بعقوبة على رؤوس الأشهاد، يطلع عليها أهل المحشر، وهي مجيئه يوم القيامة بما غلّه حاملاً له قبل أن يحاسب، مما يدل على خبث هذا الكسب، وردائه^(١) دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ: لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا تُغَاءُ^(٢)، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ^(٣)، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَعْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ^(٤)، يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَعْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ^(٥)، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَعْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ^(٦) تَخْفِقُ^(٧)، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَعْتُكَ))^(٨).

ومن الغلول المنهي عنه: هدايا العمال أو الولاة، «والخيانة في كل مال يتولاه الإنسان»^(٩)، وحكمه في الفضيحة في الآخرة حكم الغال، كما في حديث أبي حميد

- (١) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١ / ٥٩٤.
- (٢) التُّغَاءُ: صياح الغنم. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (تغا) ١ / ٣٧٨، والنهاية في غريب الحديث ١ / ٢١٤.
- (٣) الحَمْحَمَةُ: صوت الفرس. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (حمم) ٢ / ٢٤، والنهاية في غريب الحديث ١ / ٤٣٦.
- (٤) الرُّغَاءُ: صوت الإبل أو صوت ذوات الخف. ينظر: الصحاح، مادة: (رغا) ٦ / ٢٣٥٩.
- (٥) الصَّامِتُ: الذهب والفضة. ينظر: المصباح المنير، مادة: (صمت) ١ / ١٧٨، والنهاية في غريب الحديث ٣ / ٥٢.
- (٦) الرِّقَاعُ: الخرق والثوب، وأراد بالرقاع: ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع، ينظر: النهاية ٢ / ٢٥١.
- (٧) الخَفِقُ: اضطراب الشيء العريض، وخُفِقَ الرِّقَاعُ حركتها، واضطرابها. ينظر: العين، مادة: (خَفِقَ) ٤ / ١٥٤، والدلائل في غريب الحديث ٣ / ٩٩٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٢٥١.
- (٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الغلول ٤ / ٧٤ رقم ٣٠٧١، ومسلم، في كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول ٣ / ١٤٦١ رقم ١٨٣١.
- (٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٥٥.

السَّاعِدِي^(١) قال: ((اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ اللَّتْبِيَّةِ^(٢)، فَلَمَّا جَاءَ حَاسِبُهُ، قَالَ: هَذَا مَالِكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيكَ هَدِيَّتُكَ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، ثُمَّ خَطَبْنَا فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَنْتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي اسْتَعْمَلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالِكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهُ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا مِنْكُمْ شَيْئًا بَعِيرٌ حَقَّهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا عَرَفْنَ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُورٌ^(٣)، أَوْ شَاةٌ تَعِيرُ^(٤)، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، بَصَرَ عَيْنِي، وَسَمِعَ أُذُنِي))^(٥).

٥- السُّحْتُ^(٦):

مال خبيث محقوق البركة، وسبب للعذاب، وكسب خبيث اتصف به اليهود، وذمهم الله به في ثلاث آيات من كتابه، قال تعالى: ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٢ - ٦٣].

(١) قيل: اسمه عبد الرحمن، وقيل: المنذر بن سعد بن عمرو بن سعد الخزرجي السَّاعِدِي، الأنصاري، من صالحى الأنصار وقرائهم، كانت وفاته سنة ٦٠ هـ. ينظر: التاريخ الكبير ٨٧/٩، وسير أعلام النبلاء ٤٨١/٢.
(٢) عبد الله بن اللَّتْبِيَّةِ، وقيل: ابن اللَّتْبِيَّةِ الْأَزْدِيُّ، أسلم، ونزل المدينة، فبعثه رسول الله ﷺ إلى بني ذبيان بن عامر يصدقهم. ينظر: معجم الصحابة للبغوي ٢٥٢/٤، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٣٠٦٥/٦، وعمدة القاري ١٣/١٥٥.
(٣) الخُورُ: صوت البقر. ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٠٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٨٧/٢.
(٤) الْيَعَارُ: صَوْتُ الشَّاةِ، وصياحها. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين ص ٣٣٢، والنهاية ٥/٢٩٧.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحَيْلِ، باب: احتيال العامل لهدى له ٢٨/٩ رقم ٦٩٧٩.
(٦) السُّحْتُ: الاستئصال، والهلاك، ويراد به الحرام، والرشوة في كل شيء؛ وسمي سحْتًا لأنه سبب لأن يسحت الله أهله بعذاب، أي: يستأصلهم، أو لأنه مسحوت البركة. ينظر: العين، مادة: (سَحَت) ٣/١٣٢، ومعاني القرآن للنحاس ٢/٣٠٩، ومعاني القراءات للأزهري ١/٣٢٩، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٠٠.

والسحت كله حرام، وصاحبه ملعون، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَّ^(١) وَالْمُرْتَشِيَّ^(٢)))^(٣).

والسُّحْتُ يحمل عليه شدة الشره، وهو يرجع إلى الحرام الخسيس، الذي لا تكون له بركة، ولا يأخذه مروءة، ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة.

قال الرازي^(٤): «السُّحْتُ: الرشوة في الحكم، ومهر البغي، وَعَسْبُ الفحل^(٥)، وكسب الحجاج، وثن الكلب، وثن الخمر، وثن الميتة، وحُلُوان الكاهن^(٦)، والاستئجار في المعصية»^(٧).

وإذا تعامل الناس بالرشوة، وانتشرت في المجتمع فإن ذلك ضياع للحقوق، وفساد في الأنظمة، وخيانة للمسؤولية.

٦- أَخْذُ مَالِ الْيَتَامَى^(٨)، ونحوهم:

جاء الإسلام بحفظ وصيانة وإصلاح، مال الصغار وغير العقلاء، بل إنه من أول ما أوصى به الرب ﷻ من حقوق الخلق في سورة النساء، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْنُمُ أَمْوَالَهُمْ وَلَا

-
- (١) الرَّاشِيَّ: المعطي للرشوة، ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٣٩٥، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٢٦.
- (٢) الْمُرْتَشِيَّ: أخذ الرشوة، ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٣٩٥، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٢٦.
- (٣) أخرجه ابن ماجه، في كتاب الأحكام، باب التغليب في الحيف والرشوة ٢/ ٧٧٥ رقم ٢٣١٣، وأبو داود، كتاب القضاء، باب في كراهية الرشوة ٣/ ٣٢٦ رقم ٣٥٨٠، والترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم ٣/ ٦٢٣ رقم ١٣٣٧، والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ٢٤٤ رقم ٢٦٢٠.
- (٤) أبو عبد الله: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الرازي، برع في علوم شتى، كالتفسير وعلم الكلام، والفلك والفلسفة، وعلم الأصول، ترك مؤلفات كثيرة، أبرزها تفسيره الكبير (تفسير الرازي)، قيل: إنه مات مسموماً سنة ٥٦٠ هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٨٠.
- (٥) عَسْبُ الفحل: أجرة ضرابة، ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (عَسَبَ) ٤/ ٣١٧، وتاج العروس ٣/ ٣٦٧.
- (٦) حُلُوان الكاهن: الأجرة التي يأخذها من يتعاطى الخير عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار. ينظر: العين، مادة: (حلو) ٣/ ٢٩٥، وغريب الحديث لابن سلام ١/ ٥٢، والنهاية في غريب الحديث ٤/ ٢١٤.
- (٧) تفسير الرازي ١١/ ٣٦١، وينظر: الرشوة ص ١٣٣.
- (٨) الْيَتِيمُ: من مات أبوه ولم يبلغ. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (يَتَمَ) ١٤/ ٢٤١، والمفردات ص ٨٨٩.

تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ [النساء: ٢].

ففيه على خبث أكل مالهم، في الحالة التي قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له من الرزق في ماله الحلال، فمن تجرأ على هذه الحالة فقد أتى إثماً عظيماً، ووزراً جسيماً، فمن الخبث أن يأخذ الولي من مال اليتيم النَّفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس^(١).

كما أمر بالإحسان إليهم، وعدم قربان أموالهم إلا بما فيه صلاحه وثماره، وأن يُؤتوا أموالهم إذا بلغوا ورشدوا كاملة موفرة، وأن الخبيث هو أكل مال اليتيم بغير حق^(٢).

وإذا تبين رشد اليتيم وصلاحه في ماله وبلغ دفعت إليه أمواله كاملة، من غير نقص ولا تعد عليها باستغلال فترة صغرهم، وضعفهم وقلة حيلتهم مما لا يمكنهم أخذ أموالهم، ولا المنع من التعدي عليها، وهذه حالة بعض الأولياء الذين قلَّ خوفهم من الله، وضعفت رحمتهم ومحبتهم لمن تحت أيديهم من الضعفة، فيرون هذه الحالة فرصة يتعجلون ما حرم الله عليهم، فيعتدون على أموالهم ببخسها، أو الاتجار فيها لمصلحتهم الشخصية، ولا يكون لليتيم إلا رأس المال بعد سنوات من المراجعة فيه^(٣)، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِإِسْرَافٍ وَإِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ [النساء: ٦].

إن الله ﷻ توعدهم بأشد العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ [النساء: ١٠].

٧- الأَمْوَالُ الَّتِي لَمْ تُخْرَجْ زَكَاتُهَا:

الزكاة طهارة للمال، وتركية للنفوس، فمن بخل بأدائها فهو متعد على مال ليس له، وإنما هو لثمانية أصناف سماهم رب العزة والجلال، ومن منعها فهو مستحق للوعيد الشديد،

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٢٥/٧، وتفسير ابن المنذر ٥٥٠/٢، وتفسير الراغب الأصفهاني ١٠٨٢/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/٢٢١، وتفسير السمعاني ٣/٢٣٩.

(٣) ينظر: الإفادة من مال اليتيم في عقود المعاوضات والتبرعات ص ٢٩٠.

وَمُعْرَضٌ نَفْسَهُ لِعَقُوبَةِ رَبِّهِ الْمَتَفَضِّلِ عَلَيْهِ بِهِ، وَسَيَكُونُ مَالَهُ عَذَابًا عَلَيْهِ جِزَاءً وَفَاقًا، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

وفي الآية بيان لانحراف الإنسان في ماله، إما بإنفاقه في الباطل من المعاصي، والصد عن سبيل الله، وإما أن يمسكه عن الزكوات والنفقات، والواجبات والمشروعات، فيعرض نفسه لعقوبة ربه في الدنيا والآخرة، ويساهم في استمرار الفقر في المجتمع المسلم^(١).

ومما سبق يظهر لنا حرمت أموال الناس وممتلكاتهم، وأنها محفوظة في الإسلام، فمن تعدى عليها فقد تعدى على مال لا يحل له، وجمع خبيثاً رديئاً، وكسباً سيئاً خسيئاً.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٣٥، وإجابة السؤال في زكاة الأموال ص ٢٦٢.

المبحث الثالث: الخبيث من المطعومات في القرآن الكريم:

الأصل في الأطعمة الإباحة والطيب إلا ما ورد الشرع بتحريمه وخبيثه^(١)؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله: ﴿قُلْ لَا أُحَدِّثُ مَّا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

ولأن الله ﷻ أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وأنكر على المشركين الذين ابتدعوا تحريم ما أحل، وتحليل ما حرم، فجعلوا منه حلالاً وحراماً، ونسبوه إلى الله وهم مفترون، فلم يأخذوا حظهم من تلك النعمة، ولم ينالوا نصيبهم من هذا الرزق الطيب الكريم، بل نظروا إليها نظراً زائغاً منحرفاً، وافتروا على الله ما لم يشرعه، واعتدوا على خصائص ربه، فحرموا أنفسهم خيرها وبركتها^(٢).

فألرب ﷻ لم يحرم علينا إلا الخبيث؛ صيانة لنا عن كل مستقذر، وأما اليهود فعاقبهم بتحريم طيبات أحلت لهم؛ بسبب ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايِكَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

ومن اضطر إلى تناول شيء من المحرمات، فلا إثم عليه بقدر ما يدفع ضرورته، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَضَّلْنَا لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

(١) ينظر: العدة شرح العمدة ٢/ ٨٣، ومعني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ٤/ ٢٩٧.

قال الشيخ محمد بن عثمان: «الأصل في الأطعمة الحل للمؤمنين، أما غيرهم فلا؛ فإن الكافر لن يرفع لقمة إلى فمه إلا عوقب عليها يوم القيامة، ولن يتلغ جرعة من ماء إلا عوقب عليها يوم القيامة، ولن يستتر، أو يدفع نفسه بسلك من قطن، إلا حوسب عليه يوم القيامة». الشرح المتع على زاد المستقنع ١٥/ ٧.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للحصاص ١/ ٣٣، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٩٥، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٠٨.

فكل من ألبأته الضرورة إلى شيء منه إلباء صحيقاً حقيقياً، فهو في سعة من تناولها، إذ لا خلاف بين أهل العلم في أن الضرورة لها أحوال خاصة، تستوجب أحكاماً غير أحكام الاختيار، حيث استثنى الله ﷻ حالة الاضطرار في خمس آيات من كتابه، ذكر فيها المحرمات الأربع التي هي من أعلظ المحرمات تحريماً، وهي: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، فإن الله ﷻ كلما ذكر تحريمها استثنى منها حالة الضرورة^(١).

ومع أن الأصل الإباحة إلا أن بعض هذه الطيبات تحرم لعارض من العوارض، كالصيد حال الإحرام، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]؛ لأن الحكمة في حرمة الصيد على المحرم هي حفظ حرمة الكعبة وحرمها، فحرم صيد البر على المحرم وأبقى صيد البحر على الإباحة؛ لأن صيد البحر ليس من حيوان الحرم، إذ ليس في شيء من أرض الحرم بحر^(٢).

وكذا يحرم من بهيمة الإنعام ما استثنى منها لعارض، كالميتة ونحوها، وكذا يحرم ما ثبت ضرره، ونجاسته وخبثه^(٣)، وفيما يلي عرض لعدد من هذه المطعومات الخبيثة:

١ - الميتة^(٤):

فكل ما لم تدرك ذكاته، من دواب البر وطيره، مما أباح الله أكله سواء أكان بفعل آدمي أم بدونه، فهو ميتة^(٥)، وطعام خبيث، وأكلها حرام، وهو ثابت في أربعة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾، في موضعين بهذا اللفظ؛ كما في البقرة [١٧٣]، والنحل [١١٥]، وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى:

(١) ينظر: مراتب الإجماع ص ١٥١، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٧/ ٥١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/ ٤٥٩.

(٤) الميتة: في اللغة: من الموت الذي هو مفارقة الروح للحسد، وشرعاً: ما فارقت الروح من غير ذكاة شرعية. ينظر: جامع

البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٥٤، والمصباح المنير، مادة: (موت) ٢/ ٥٨٣، وتهذيب الأسماء واللغات ٤/ ١٤٦.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/ ٤٩٢، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢/ ٤٤.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَيْزِرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

واستثنى الشرع ميتة الجراد، وسمك البحر، فإنهما من الحلال الطيب سواء أمتا بتذكية أم بغيرها، قال تعالى: ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعَالِكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦]، وصيد البحر ما كان من قبل آدمي، وطعامه ما لفظه، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين^(١).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَحْلَلْتُ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ))^(٢).

٢ - الْمُنْخَفِقَةُ:

وهي البهيمة التي تموت خنقًا، بقصد أو بغيره؛ كأن يُحبس نَفْسُهَا أو يُخنقها حبل الصائد، أو وثاقها، فتموت به، وبأي وجه اختنقت فهي حرام، ومن ذلك عمل بعض أهل الجاهلية، حيث كانوا يخنقون الشاة، فإذا ماتت أكلوها^(٣).

٣ - الْمَوْقُودَةُ:

وهي التي ضُربت إلى أن ماتت^(٤)، وكان بعض أهل الجاهلية يضربون الأنعام بالخشب لألتهم حتى يقتلوها، ثم يأكلونها^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٦١، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٣١٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٠ / ١٦، وابن ماجه، في كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال ٢ / ١١٠٢، رقم ٣٣١٤، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الصيد والذبائح، باب ما جاء في الكبد والطحال ١٠ / ١٢، رقم ١٩٦٩٧، وصححه موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما، قال ابن القيم: «حديث حسن، وهذا الموقوف في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: أحل لنا كذا، وحرم علينا ينصرف إلى إحلل النبي ﷺ وتحريمه» زاد المعاد ٣ / ٣٤٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣ / ١٩٢، رقم ١١١٨، وصحيح ابن ماجه ٢ / ٢١٦، رقم ٢٦٠٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٣٠١، ومعاني القرآن للنحاس ٢ / ٢٥٦، أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ٥٣٨.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٣٠١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٤٩٥، وأحكام القرآن للخصاص ٣ / ٢٩٧.

(٥) ينظر: تفسير الرازي ١١ / ٢٨٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٢ / ٥٣٨، والسراج المنير ١ / ٢٨١.

٤ - المُرْدِيَّةُ:

هي التي تسقط من علو، كأن تقع من جبل، أو تسقط في بئر^(١).

٥ - النُّطِيحَةُ:

هي المنطوحة إلى أن ماتت، وذلك مثل كبشين تناطحا إلى أن ماتا أو مات أحدهما^(٢).

ويجمع هذه المحرمات الأربع، قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا

أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾ [المائدة: ٣].

وهن من جنس الميتة، لعدم خروج الدم بالتذكية، إلا أن الميتة أعمُّ منهن^(٣).

٦ - الدَّمُ:

وثبت تحريمه أكلاً وشرباً^(٤)، وجاء النص عليه تحريمه في أربعة مواضع من كتاب الله

العظيم، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة: ٣].

وخصص التحريم بالدم الجاري الذي يخرج عند الذكاة، فهو محرم بنجس^(٥)، لقوله تعالى:

﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، أما الباقي في اللحم، والعروق، فحلال طاهر.

وكان أحدهم في الجاهلية إذا جاع، أخذ شيئاً محددًا من عظم ونحوه فجرح به بغيره أو

حيواناً غيره، فجمع ما يخرج من الدم، فشربه، وبعضهم يجعل الدم في المصارين ثم يشويه

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٠١، ومعاني القرآن للنحاس ٢/ ٢٥٧، والدر المصون ١/ ١٢٩٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٠١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/ ٤٩٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٢٧.

(٣) وإفرادهن بالذكر هنا تبعاً للقرآن الكريم؛ حيث خصهن بالذكر مع أمهن من جنس الميتة، وقد ظهرت كتابات وتقارير، تحذر من بعض الشركات الكافرة، المصدرة للحوم؛ لعدم الذبح الشرعي، واستبداله بالخنق، أو الصعق الكهربائي، أو المياه الحارة، ومن المعلوم أن مسؤولية التحقق من مطبوخة بالمستوردين، ومن له القدرة، أو وكل إليه أمر المسلمين في هذا المجال؛ حتى يطمئن المسلم لما يطعم، وتقطع الشكوك والشائعات.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للحصاص ٢/ ٣٥٢، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٢١.

(٥) ينظر: أحكام القرآن للحصاص ١/ ١٥١، والجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٢٢.

ثم جاء التصريح القطعي بالتحريم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ٩١-٩٠].

١٢- الخبائث:

مما كانت العرب تستقدره، ولا تأكله^(١)، مثل الحشرات، والأفاعي والعقارب، والفأر والخنافس، والجعلان، ونحوها.

فحرم عليهم النبي ﷺ، بأمر من الله ﷻ ما كانوا يستخبثونه، قال تعالى: ﴿وَمُحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتُ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فقد دلت الألف واللام اللتان دخلتا للتعريف في ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾، على أن المراد بهما أشياء معهودة عند المخاطبين بها^(٢).

١٣- طعام أهل النار:

أحبث الأطمعة، وأقبحها، ومن ذلك:

أ- الزَّقُومُ^(٣): ثم شجرة خبيثة، مرة الثمر، كريهة الطعم والمنظر، منتنة الريح، خشنة للمس، عسيرة البلع، مؤلمة الأكل، يُرغم أهل النار على تناوله على كره ومشقة شديدة^(٤).

وهذا الثمر الخبيث مرتبط بشجرته الخبيثة التي ارتبطت بالشر والكفر، والعذاب

(١) ومسألة الاستخبات فيها خلاف، وكلام طويل بين أهل العلم، ومنّ المعتبر قوله فيها، وضوابطها، ومن أجمع من

فصل فيها الماوردي في كتابه المسمى (الحاوي في فقه الشافعي) ١٥ / ١٣١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (خَبِثَ) ٧ / ١٤٧، ولسان العرب ٢ / ١٤٤.

(٣) الزَّقُومُ: من قولهم: تَزَقَّمَ الطعام، إذا تناوله على كره، ومشقة وجهه، وابتلع شيئاً كريهاً. ينظر: مقاييس اللغة،

ينظر: (زَقَمَ) ٣ / ١٦، والمفردات في غريب القرآن ١ / ٣٨٠.

(٤) ينظر: معالم التنزيل ٧ / ٤٢.

ويأكله، ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة^(١).

وعموم تحريم الدم في الآيات مخصوص بالسنة النبوية، التي أباحت من الدماء، الكبد والطحال^(٢).

٧- لحم الخنزير^(٣):

طعام خبيث ضار، من حيوان خبيث، وسبع من السباع، ذو ناب وأكل للحييف، وطلب للعدرة التنتة^(٤).

وهو محرم بالنص والإجماع؛ لكونه من الخبائث القدرية، والتحريم شامل لإنسيه ووحشيه، وجميع أجزائه؛ وإنما خص اللحم لأنه معظمه وقوامه وأعظم منافعه، ومُرَاعمة للكفار الذين يتدينون بأكله^(٥).

وقد نص القرآن العظيم على تحريم لحم الخنزير في أربعة مواضع، منها قول الله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فهذه الآية دلت على أن التحريم والتحليل، لا يكون إلا بوحى من الرب الحكيم، وأن المحرمات محصورة في الأربعة الأشياء المذكورة، ولهذا اختلف العلماء في هذا الحصر، مع أن ثمَّ محرمات لم تذكر في الآية، فذهب بعضهم إلى ظاهرها، وأنه لا يحرم شيء من الحيوان إلا

(١) ينظر: لباب التأويل ١ / ١٤٠، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٦، والسراج المنير ١ / ٢٨١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢ / ٤٤.

(٣) وأكل لحمه من أسباب الدودة القتالة، وهي دودة خبيثة ذات مخالب، واسمها (Trichine تريشين)، وتعيش في طور بلوغها في أمعاء الخنزير، وتنتقل إلى الإنسان، وتتحج إلى القلب، ثم تؤثر في العضلات، وخاصة عضلات الصدر، والجنب، والحنجرة، والعين، وكذا في الحجاب الحاجز، وتبقى أجنحتها محتفظة بجيويتها في الجسم سنين عديدة، وينشأ منها مرض خطير جداً يسمى بالفرنسية: (Trichinose تريشينوز). ينظر: ، مادة: Trichine، موسوعة لاروس الكبير.

(٤) ينظر: الحيوان ٤ / ٢٨٤، وحياة الحيوان الكبرى ١ / ٤٢٣.

(٥) ينظر: أحكام القرآن للحصاص ٢ / ٣٥٢، وأحكام القرآن للكيا ١ / ٤٠، وأحكام القرآن لابن العربي ١ / ٩٩.

ما ذكر فيها؛ لأنها مُحَكِّمة، وهي خير، والخير لا يدخله النسخ، واحتجوا بأن هذه الآية وإن كانت مكية إلا أنه يعضدها آية البقرة، وهي مدنية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ وَاللَّحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر، فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في الحكم.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن التحريم لا يختص بهذه الأشياء الأربعة، وأن كل ما حرمه رسول الله ﷺ أو جاء في الكتاب فهو مضموم إليها؛ وهو زيادة حكم من الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ، ومن ذلك المنخقة، والموقوذة، والمتردية والنطيحة، والخمر، وغير ذلك، وحرّم رسول الله ﷺ بالمدينة أشياء أخر منها: الحُمُرُ الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير^(١)، والمسألة فيها خلاف طويل بين أهل العلم^(٢).

وإنما جاء النص على الخنزير من بين سائر الخبائث من السباع؛ لأن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، ويعتبره نوعاً من الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى وأشباههم، فينمونها كما ينمون المواشي، ويستحلونها، ولا يفرقون بينها وبين بهيمة الأنعام؛ ولأن طائفة منهم يزعمون أن الله أحله لهم؛ فبين الله حكمه، حتى لا يحصل الاعتزاز بهم.

وقد ذكر القرآن الكريم الخنزير في خمسة مواضع، منها أربعة نصت على تحريم لحمه، كما تقدم، أما الخامسة فهي خير من الله ﷻ أنه عاقب طائفة من بني إسرائيل، تمادوا في

(١) ينظر: أحكام القرآن للحصاص ٤/ ١٨٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ١١٥، وأحكام القرآن للكيا ٣/ ١٢٧.

(٢) ويكون توجيه آية الأنعام على رأي الجمهور بأمور منها: أنها نازلة قبل تحريم ما زاد عليها؛ لأنه لم يجده فيما أوحى إليه في ذلك الوقت، أو أن الآية مشتملة على سائر المحرمات؛ بعضها صريحاً، وبعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾، فهذا وصف شامل لكل محرم، والمحرمات كلها رجس وخبث، فما زاد على الأربع فهو من الخبائث المستقدرة، التي حرّمها الله على عباده؛ صيانة وتكرمة لهم عن مباشرة الخبيث الرجس، ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السنة، فإنما تفسر القرآن، وتبين المقصود منه. ينظر: أحكام القرآن للحصاص ٤/ ١٨٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ١١٥، وأحكام القرآن للكيا ٣/ ١٢٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢١٩، و٢٧٧.

الشديد، وعرفت بأنها الشجرة الملعونة في القرآن^(١).

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: «هي شجرة الزقوم»^(٢).

وقد أجمع المفسرون على ذلك^(٣).

ومنبت هذه الشجرة قرار النار، في قلب جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٦٤]، فهذا مخرجها، ومعدنها أشر المعادن، وأسوؤها.

ولم يصدق أهل الشرك والضلال بوجودها في جهنم، وما ورد بشأنها في القرآن الكريم فسخروا، وقالوا: إن محمداً يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، فكيف ينبت الشجر في النار والنار تحرق الشجر؟ فقال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا قِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الصفات: ٦٣]، وقفوا مع الإلف والعادة، وما قدروا الله حق قدره، إذا قالوا ذلك!.

فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تسلط عليه جهنم، وأن الله قادر على جعلها تحيا باللهب، كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر.

وهكذا ظلوا في هذا اللغو من القول، غير ملتفتين إلى ما لله من قدرة لا يعجزها شيء، وغير متدبرين وواقفين لما لفتهم الله إليه، في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، فالذي جعل من الشجر الأخضر ناراً قادر على أن يمنع النار من أن تحرق هذه الشجرة؟ وقادر على أن يجعلها ثمرة، أليس هذا من ذاك؟ إنها والله مزدجر لهم لو عقلوا^(٤).

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ / ١٤، والتفسير الحديث ٤ / ٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَبْتَاكَ إِلَّا قِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ ٨ / ١٢٥ رقم ٦٦١٣.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٤٨٧، وأسماء في القرآن الكريم ١ / ٥١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٥٢، والكشاف ٢ / ٦٣١، ومدارك التنزيل ٢ / ٢٦٥.

الطغيان والعصيان، فحقت عليهم لعنته وغضبه، ومسحهم قرده وخنازير؛ غضباً منه عليهم وسخطاً، فعجّل لهم الخزي والنكال في الدنيا^(١)، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُنُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ [المائدة: ٦٠].

وقد نفرت السنة المطهرة من الخنزير، كما في قوله ﷺ: ((مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ^(٢) فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَدَمِهِ))^(٣)، «فإذا كان هذا التنفير لمجرد اللمس، فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله، والتغذي به»^(٤).

٨ - مَا أَهْلٌ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ^(٥):

مما ذبح للآلهة والأوثان والطواغيت، وسُمي عليه غير اسمه، أو قصد به غيره، وقد كان المشركون يفعلون ذلك، ويجهرون بأصواتهم^(٦).

وتحريم الأكل منه جاء صريحاً في كتاب الله العزيز، في أربعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمَ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣].

والذبح عبادة، وصرفه لغير الله شرك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٣٧ / ١٠.

(٢) النردشير: لعبة من الألعاب، تنسب لأردشير بن بابك، والنرد: فارسي معرب، وشير: حلو، ينظر: المحكم

المخصص، مادة: (نرد) ١٥ / ٤، والنهية في غريب الحديث والأثر ٣٩ / ٥، والقاموس المحيط ص ٣٢٢.

(٣) أخرجه مسلم، في كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير ١٧٧٠ / ٤ رقم ٢٢٦٠، من حديث سليمان بن

بريدة عن أبيه ﷺ.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٦ / ٣.

(٥) الإهلال: رفع الصوت. ينظر: نزهة القلوب ص ٨٩، ومقاييس اللغة، مادة: (هَل) ١١ / ٦.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣١٩ / ٣، وتفسير القرآن العزيز ١٥٠ / ١، وتفسير القرآن العظيم ٤٨١ / ١.

وأمر الله ﷻ بالأكل مما ذكر فيه اسمه، ليس غير، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨].

وجاء النهي الصريح عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، واعتباره فسقاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويدخل تحت هذا المنهي عنه، الذبح للأصنام، أو للأولياء والصالحين، وأصحاب المشاهد والأضرحة، وما يُتقرب به للجن والشياطين، فإن هذا مما أهل لغير الله به، ومن ذبح لغير الله فهو ملعون؛ لكونه أشرك به، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ بقوله: ((وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ))^(١).

٩- مَا أَكَلَ السَّبْعُ^(٢):

وهي التي تموت بسبب اعتداء حيوان مفترس عليها، بأكله بعضها، أو جرحه لها. وكان بعض أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً فقتله أو أكل بعضه، أكلوا ما بقي، فحرمه الله، حتى وإن سال الدم من موضع مذبحها^(٣)، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

وفي الآية محذوف تقديره: وما أكل السبع منه؛ لأن ما أكله السبع فقد ذهب وانتهى فلا حكم له، إنما الحكم للباقي منه^(٤).

وما أدرك من المذكورات - المنخقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما عدا عليه السبع - مما تُحقق أنه لم تخرج نفسه، فإنه يذكي الذكاة الشرعية ويؤكل، وما خرجت

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ٣/ ١٥٦٧ رقم ١٩٧٨، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) السَّبْعُ: كل ما له ناب يعدو به ويفترس. ينظر: المصباح المنير، مادة: (سَبَع) ١/ ٢٦٤.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للحصص ٣/ ٣٩٩، وأحكام القرآن للكميا الهراسي ٣/ ١٨، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢٣.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ١١/ ٢٨٤، والتفسير المنير ٦/ ٨٠.

ب- الضَّرِيعُ^(١): طعام خبيث لأهل النار، خبيث الأكل سيئ العاقبة، لا يسمن ولا يغني من جوع، ومع ذلك يَزِدُّرِدَهُ^(٢) آكله رغماً عنه^(٣)، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيْعٍ ۖ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦ - ٧].

ووصف بأنه ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، لتشويهه، وأنه تمحض للضر، إذ المقصود من الطعام أحد أمرين إما أن يسد الجوع، وإما أن يسمن البدن من الهزال، ويصلح بعض ما التَّفَحُّ^(٤) من أجسادهم، وهذا الضَّرِيعُ ليس فيه شيء من هذين الأمرين بل هو طعام في غاية المرارة، والتتن والخسنة^(٥).

ج- الغَسْلِينُ^(٦): صديد أهل النار وغسالة جروحهم وأجوافهم، وهو في غاية الحرارة، وتتن الريح وقبح الطعم ومرارته، ومن شر طعام أهل النار^(٧)، وقيل: هو شجر يأكله أهل النار^(٨)، قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينٍ﴾ [الأنعام: ٣٦ - ٣٧].

وما يطعمونه من أي طعام فإنه يلتصق ويعترض في حلوقهم، فلا هو خارج منها ولا هو نازل عنها؛ لبشاعته ومرارته^(٩)، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المائدة: ١٢ - ١٣].

- (١) الضَّرِيعُ: نبت ذو شوك، يقال له: الشَّرِيقُ، ويسميه أهل الحجاز الضَّرِيعَ إذا بيس، مشبه بالضَّرِيعِ في سوء طعمه ومغبته، وهو سُمُّ يأكله أهل النار عذاباً لهم. ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٧.
- (٢) الزَّرْدُ: الابتلاع. ينظر: العين، مادة: (زَرَدٌ) ٧/ ٣٥٦، والصحاح ٢/ ٤٨٠، ومقاييس اللغة ٣/ ٥٢.
- (٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٩٧، والوسيط لطنطاوي ١٥/ ٣٧٤.
- (٤) اللَّفْحُ: من قَوْلِهِمْ: لَفَحَتْهُ النَّارُ إِذَا أَصَابَهُ حَرُّهَا. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (لَفَحَ) ١/ ٥٥٥.
- (٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٢١، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٢٩٧.
- (٦) الغَسْلِينُ: فَعْلِيٌّ مِنَ الْغَسْلِ، وَكُلُّ شَيْءٍ غَسَلْتَهُ فَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ فَهُوَ غَسْلِيْنٌ، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٣، ومجاز القرآن ٢/ ٢٦٨، والمفردات في غريب القرآن ١/ ٢٨٨.
- (٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٥٩١، وتفسير القرآن العظيم ٨/ ٢١٧.
- (٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٥٩١، تفسير القرآن العزيز ٢/ ٢٧١، والكشف والبيان ١٠/ ٣٢.
- (٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٦٩١، والجواهر الحسان ٤/ ٣٥٤، والسراج المنير ٤/ ٣٠٤.

نفسه قبلها فهو الميتة^(١).

وكانت العرب تأكل هذه المذكورات، ولا تعتقد أنه ميتة، إلا ما مات بالوَجَع^(٢).

١٠- مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ^(٣):

كما كان يفعله المشركون عند الحجارة المنصوبة حول البيت الحرام، فقد كانوا في الجاهلية يذبحون لأصنامهم، وعلى تلك الأحجار؛ تقرباً وتعظيماً لها^(٤)، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْفِكُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ [المائدة: ٣]، فيحرم الأكل مما ذبح على النصب؛ لأنه تعظيم لغير الله، وتقرب بعبادة لا يستحقها إلا الله الواحد القهار.

وما ذبح على النصب، داخل في المَيْتَةِ في الاصطلاح الشرعي، وهي أعم منه.

١١- الْخَمْرُ^(٥):

من الأطعمة الخبيثة، ومفتاح لكل شر وبلية^(٦).

وتحريمه بالنص والإجماع، وشربه كبيرة من كبائر الذنوب، وعلى شربه الحد^(٧).

وقد حُرِّمَ ولم يكن يومئذٍ للعرب عيش أعجب منه، وما حرم عليهم شيء أشد عليهم

(١) ينظر: تفسير آيات الأحكام للسايس ص ٣٤٥، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام ص ٢٣٦.

(٢) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١/ ٤٤٠.

(٣) النَّصْبُ: كل ما عبد من دون الله، وقيل الأنصاب حجارة كانت تُنصب فيُذبح عليها لغير الله. ينظر: مجاز القرآن

١/ ١٥٢، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/ ٥٠٨، والمخصص، مادة: (نَصَب) ٤/ ٦٨، ومعترك الأقران ٢/ ٥٥٨.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/ ٥٠٨، وتفسير القرآن العزيز ١/ ١٥١، والتسهيل ١/ ٣٣٠.

(٥) الْخَمْرُ: التغطية، والمخالطة في ستر، وهو اسم كل ما خامر العقل وستره. ينظر: معاني القرآن للنحاس ١/ ١٧٣،

ومقاييس اللغة، مادة: (خَمَر) ٢/ ٢١٥، والمفردات في غريب القرآن ص ٢٩٨.

(٦) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٤/ ١٠٧، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ٨٨.

(٧) ينظر: الإجماع ص ٦٧، ومراتب الإجماع ص ٥٤.

منه، فلا جرم أن جاء الإسلام في تحريمه بطريقة التدرج^(١).

والقرآن العظيم ذكره في خمسة ألفاظ؛ فاثان منها بلفظ السُّكْر، وثلاثة بلفظ الخمر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧]، فكانوا يشربونها في أول الإسلام من غير نكير^(٢).

وعد بعض العلماء هذه الآية من مراحل تحريم الخمر^(٣)، والمعول عليه من أقوال العلماء أن النهي عن الخمر وقع مدرجاً ثلاث مرات، ويفسرون السُّكْر في آية النحل بأنه ما أحله الله مما لا يُسَكِر، وأنه الرزق الحسن، وأن العطف بينهما من باب عطف التفسير^(٤)، وأن أولى الآيات في شأن تحريم الخمر، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

فبينت الآية إثمها الغالب على منافعها؛ من الأذية والوزر الكبير، والمخاصمة والمشائمة وقول الفحش والزور، وزوال العقل، والمنع من الصلاة، واستحلال مال الغير بغير حق، وذلك يتضمّن نهيًا غير جازم عنها، فترك شرب الخمر ناس كانوا أشدّ تقوى؛ نظرًا لغلبة مضارها، واستمر عليه آخرون^(٥).

ثم أنزل الله قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، فحرم السكر في أوقات الصلاة، فتجنّب المسلمون شربها في الأوقات التي يظنّ بقاء السكر منها إلى وقت الصلاة، وشربوها في غير وقتها، وتركها قوم وقالوا: لا خير في شيء يحول بيننا، وبين الصلاة^(٦).

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢ / ٣٣٩.

(٢) ينظر: لباب التأويل ١ / ٢٠٨، والسراج المنير ٢ / ١٩١، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢ / ٤٠٦.

(٣) ينظر: معالم التنزيل ١ / ٢٤٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٧ / ٢١.

(٥) ينظر: الكشف والبيان ٢ / ١٥٢، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ١ / ١٢١.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٠٨، والتحرير والتنوير ٧ / ٢٢، والسراج المنير ١ / ١٢١.

ولعل الجوع من ضروب تعذيبهم، فمنهم: أكلة الزُّقُوم، ومنهم أكلة الغِسلين، ومنهم أكلة الضَّرِيع^(١)، والله أعلم.

أما شَرَابُ أَهْلِ النَّارِ: فشر الأَشْرِبَةِ وأخبثها؛ حرارة وبرودة، ونبثًا وألماً، وقد ذكر الله منها أنواعًا وأشكالاً:

أ- العَسَاقُ^(٢): شراب خبيث منتن؛ من قَيْحٍ، وصدید جلود أهل النار، ولحومهم وفروج الزناة؛ أو من زمهرير جهنم، توعد الله به الطغاة الخبيثاء من أهل النار في موضعين من القرآن الكريم، وأخبر أنه من الشراب الذي يذوقونه، قال تعالى: ﴿هَذَا قَلِيدُ قَوْمِ حَمِيمٍ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [ص: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبا: ٢٤ - ٢٥].

ب- الماء الذي كالمُهَلِّ^(٣): يُسْقَاهُ أَهْلُ النَّارِ عِنْدَمَا يَسْتَعِيثُونَ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْمَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهَلِّ يَشْوَى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٩] فيغلي في بطونهم كما يغلي الماء البالغ نهايته في الحرارة^(٤)، قال تعالى: ﴿كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيرِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٥ - ٤٦].

ج- الحَمِيمُ^(٥): من الأَشْرِبَةِ الخبيثة المعدة لأهل النار، قال تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ إِنْ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤].

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٤٨.

(٢) العَسَاقُ: فارسي معرب، يقال: غَسَقْتُ عَيْنَهُ؛ إِذَا سَالَ دَمْعُهَا، وَغَسَقَ الْجَرْحُ: إِذَا سَالَ صَدِيدُهُ، وَهُوَ: صَدِيدٌ

يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ. ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٠، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨١.

(٣) المُهَلُّ: ما أذيب من الفضة والنحاس، وقيل: كل ما أذيب من جواهر الأرض، أو هو ماء غليظ مثل دُرْدِي الزيت. ينظر:

العين، مادة: (مَهَل) ٤/ ٥٧، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٧، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥/ ٢٤٨.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٨/ ١٢، والتخويف من النار ١/ ١٥١، والوسيط لطنطاوي ١٣/ ١٣٣.

(٥) الحَمِيمُ: الماء الحار الذي بلغ الغاية في حرارته. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٩١، ومعاني القرآن للنحاس

٥/ ٩٠، والمفردات في غريب القرآن ص ٢٥٤.

وقد جاء الوعيد به في آيات كثيرة؛ فالذين كفروا يعذبون يوم القيامة في النار بشرب
الحميم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [يونس: ٤]، ويصب من فوق
رؤوسهم، قال تعالى: ﴿يُصَّبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

د- الماء الصّديد: ما يسيل من لحوم وجلود أهل النار، وقيل: القيح والدم^(١)، قال تعالى:
﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمَ وَسُقِيَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦].

والآيات المبينة لخبث طعام أهل النار، وشرابهم كثيرة، وأهمها أنواع وأشكال، وعبر
عنهما القرآن العظيم بعبارات مختلفة، تدل على بشاعتها، وخبثهما؛ لتنفّر منه النفوس،
فتبتعد عن العقائد الفاسدة، والأعمال الخبيثة الخاسرة.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٨٥.

المبحث الرابع: الخبيث من الأماكن في القرآن الكريم:

الأصل في الأراضي والأماكن الطهر والطيب، إلا ما أصابها نجاسة، لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: ((وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا))^(١)، وفي حديث حذيفة رضي الله عنه ((وَجُعِلَتْ تُرْبُهَا لَنَا طَهُورًا))^(٢).

ومع أن من الأراضي والأماكن ما هو خبيث في خلقته؛ لرداءة تربتها وكونها سبخة^(٣) مالحة، لا يخرج نباتها إلا قليلاً، وبعد عُسر وبطء، وتعب ومشقة^(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، إلا أنها قد توصف بالخبيث أو بالسوء؛ لانتشار المعاصي بين أهلها وتماديهم بالكفر والطغيان، كما في قول الرجل العالم للذي قتل مائة نفس: ((انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فاعبد الله معهم، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ))^(٥).

وديار المعذنين ديارٌ سوء، فقد عذب الله ﷻ أقواماً في ديارهم؛ عقوبة لهم على كفرهم، وتكذيب رسل ربهم، وجعل مساكنهم شاهدة على ما أصابهم، وعبرة لغيرهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦].

وفي هذا المبحث عرض لما ذكره القرآن العظيم، من هذه الأماكن، وغيرها مما وصف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: ((جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)) ٩٥ / ١ رقم ٤٣٨.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة ١ / ٣٧١ رقم ٥٢٢.

(٣) السبخة: أرض ذات ملح ونز. ينظر: المخصص، مادة: (سبخ) ٣ / ٩٣، ومختار الصحاح ص ١٤١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢ / ٤٩٥، والوسيط للواحد ٢ / ٣٧٩.

(٥) أخرجه مسلم، في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله ٤ / ٢١١٨ رقم ٢٧٦٦، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بالخبيث، والسوء؛ ليكون المسلم على دراية، وحذر من دخولها؛ ويعمل على استجلاب طاعة الله ورحمته، والوقاية من بطشه وعذابه، ومما ذكره القرآن المبين ما يلي:

١ - مَسَاكِنُ قَوْمٍ عَادٍ بِالْأَحْقَافِ^(١)

وهم قوم هود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١]. ذكر الله قصتهم في القرآن الكريم، في ثلاثة وعشرين موضعاً، في تسع عشرة سورة، وسماهم عاداً، وعاداً الأولى، وعاد إرم.

وكانوا يسكنون بيوت الشعرة، التي ترفع بالأعمدة الشداد، ولم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم، وجبروتهم في زمانهم^(٢)، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦ - ٨].

وقد أرسل الله ﷻ إليهم نبيه هوداً عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له وترك عبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴿٦٥﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

فبلغهم ما أرسل به من ربه، وذكرهم نعمته عليهم، وما أمدهم به من القوة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة خالقهم، فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف: ٦٩].

لكنهم أعرضوا وعصوا، وأعلنوا كفرهم، وشكهم في دعوته، فاستكبروا. عن الحق، وأعجبوا بقوتهم، فلعنهم الله، وأهلكهم وأرسل ﴿عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، التي لا

(١) الأحقاف: جمع حقف، وهو الرمل المستطيل الموعج، وتقع جنوب الجزيرة العربية؛ باليمن، شمال حضرموت، وبها كانت تسكن عاد. ينظر: معاني القرآن للنحاس ٦/ ٤٥٢، والبلدان لابن الفقيه ص ٨٦، والمسالك والممالك ٨٦/١، ومعجم البلدان ١/ ١١٥، وأطلس القرآن ص ١٩.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢/ ٥٥٢، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ١٥٤.

تلقح شجراً، ولا تنشئ سحاباً، ولا رحمة فيها ولا بركة، وجعلها عليهم صرصراً: شديدة البرد، عاتية: شديدة الهبوب، تقتلعهم من الأرض، فترفع الرجل منهم ثم تنكسه على رأسه فيبقى بدنًا بلا رأس^(١)، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

فكانوا أول أمة أهلكت بعد نوح عليه السلام، فصاروا عبرة لمن بعدهم، ومساكنهم معروفة عند العرب، يمرون عليها في أسفارهم، ويتناقلون أخبارهم وأحوالهم^(٢).

٢- مَسَاكِنُ أَصْحَابِ الْحِجْرِ^(٣):

ديار قوم نبي الله صالح عليه السلام، وتسمى الحِجْر، كما سماهم القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠].

ذكرهم القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً، في اثنتين وعشرين سورة، وسماهم ثود، وأصحاب الحِجْر، وهم عاد الثانية على قول طائفة من المفسرين^(٤).

وهم من العرب العاربة، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله فيهم نبيه صالحاً عليه السلام

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٩ / ١١٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٢٠، التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٤٨.

(٣) الحِجْر: المكان المحجور، أي الممنوع من الناس؛ لاختصاصهم به، أو مشتق من الحجارة؛ لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبل، ومساكنهم شمال غرب الجزيرة العربية، بين المدينة النبوية وتبوك، ويسمى المكان وادي القُرَى، ووادي العُلا، قال تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩].

وذكر بعض الباحثين أنه وقع الخلط بين الآثار الواقعة شمال مدينة العلا في وادي الحِجْر، وبين الآثار الواقعة جنوبها، والتي حدثت في صدر الإسلام، ويطلق على موضعها الآن اسم (المأبيات)، وهو اسم غريب حادث، إذ كان يعرف في القرن السابع الهجري، وما قرب منه باسم مدينة صالح، ثم مدائن صالح، وله قبل ذلك اسم آخر الراجح أنه (الرحبة)، وساعد على وقوع الخلط أن هذا الموضع كان يعرف بمدينة صالح، وهو رجل مسلم، من بني العباس ومدينته هذه كانت قائمة إلى القرن الرابع الهجري، وأن الحِجْر - الواقع شمال العُلا - عرف سكانه بقوم صالح، وعرفت إحدى آباره بئر ناقة صالح، ومن هنا أطلق على الحِجْر خطأ اسم (مدائن صالح). ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ١٢٦، ورحلة ابن بطوطة ١ / ٥١، ومعجم المعالم الجغرافية ١ / ٤٤٥،

وملتقى أهل التفسير www.tafsir.net

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٨٤، والوسيط لطنطاوي ٥ / ٣٠٢.

يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد، فاجتهد في دعوتهم ونصيحتهم، مع لطف العبارة ولين الجانب^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥]، فأمنت به طائفة، وأعلن جمهورهم الخبيث كفرهم، ونالوا من نبيهم بالمقال والفعال، وقالوا: ﴿إِنَّا بِالذِّئْبِ آمَنَّا بِكُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦].

إن الله ﷻ جعلهم بعد عاد؛ ليعتبروا بما كان من أمرهم، وقواهم ومكنهم فكانوا بينون في السهول قصوراً، وينحتون من الجبال بيوتاً، حاذقين في صنعتها وإتقانها وإحكامها آمنين من خرابها وانهدامها، آمنين من الموت والعذاب؛ لفرط غفلتهم، وظنهم أن الجبال تحميهم منه^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

فلم يقبلوا نصح نبيهم، واستحبوا العمى على الهدى، وكرروا خبث أسلافهم قوم نوح وعاد، بقولهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [إبراهيم: ٩].
واقمموه بالسحر، وأنه لا يدري ما يقول، وسألوه معجزة تدل على صدقه، فأخذ عهودهم على الإيمان والتصديق إن تحقق طلبهم، ثم دعا ربه ﷻ أن يجيبهم إلى ما طلبوا، فاستجاب الله دعوتهم، ولهذا قال لهم: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]، فكانت فتنة لهم، أيؤمنون بها أم يكفرون؟ وبقيت بين أظهرهم ترعى من أرضهم، وترد الماء يوماً بعد يوم، وإذا وردت الماء شربت ماء البئر، وهم يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ شَرِبَ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

فلما طال عليهم أمرها، اجتمع ملؤهم، واتفق رأيهم على قتلها، وكان الذي تولى قتلها

(١) ينظر: البداية والنهاية ١/ ١٥٠.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/ ١٢٧، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٥، والبحر المديد ٣/ ٥٧٢.

رئيسهم؛ قَدَارُ بن سَالِفٍ^(١)؛ ولما كان فعله باتفاقهم، نُسِبَ الفعل إليهم جميعاً^(٢).

كما عزموا على قتل نبي الله صالح وأهله، وإلحاقهم بالناقة، فحال الله عَلَيْكُمْ بينهم وبين ما يشتهون، فعاجلهم بالعقوبة، ودمرهم أجمعين، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، فانظروا ثلاثة أيام، ماذا يجلبهم من العذاب، والنكال والنقمة، فلما كان صباح اليوم الرابع، جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت أرواحهم، وزهقت نفوسهم وسكنت الحركات، وخشعت الأصوات، فأصبحوا في دارهم جاثمين، جثناً لا أرواح فيها ولا حراك بها^(٣)، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٤].

فأعمالهم الخبيثة التي اجترحوها كانت سبباً في عذابهم، وكل تحصن زائل أمام عذاب الله المسلط على أعدائه المجرمين^(٤)، فأمره إذا جاء لا يرده كثرة جنود، ولا قوة أنصار، ولا غزارة أموال، ولا تحصن بمساكن، أو اختباء بملاجئ، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ مِن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وآثارهم باقية يمر عليها الناس قديماً وحديثاً، تُذَكَّرُ بالدمار الرباني الذي أحلّه القوي العزيز ببلادهم نتيجة كفرهم وشركهم، وإعراضهم عن آيات ربهم.

وقد جاء التحذير من الدخول إلى أماكنهم التي عذبوا فيها؛ والأمر بالإسراع في السير حتى يتم تجاوزها؛ لئلا يصيب الداخل ما أصابهم، دل على ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ، قَالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ

(١) كما مر ذلك في مبحث الخبيث من الناس في القرآن الكريم. ينظر: ص ١٣٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥ / ٤٨٨.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ١٢٧، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٤٥.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ١٢٧، والبداية والنهاية ١ / ١٥٣ - ١٥٧.

مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ، حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَّ))^(١).

كما جاء النهي عن الاستفادة من تلك الأراضي بشيء؛ لا في سكن، أو مطعم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ((لَمَّا نَزَلَ الْحَجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بئرِهَا، وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجْنَا مِنْهَا، وَاسْتَقَيْنَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ، وَيُهْرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ))^(٢)، وفي رواية أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ((أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبئرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّافَةُ))^(٣).

ويلحق بديار ثمود غيرها من ديار المعذيين؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقد نبه على ذلك ابن حجر بقوله: «وهذا يتناول مساكن ثمود، وغيرهم ممن هو كصفتهم، وإن كان السبب ورد فيهم»^(٤).

٣- القرية التي كانت تعمل الخبائث^(٥):

وهي مساكن، وقرى قوم لوط عليهم السلام التي عذبوا فيها.

وقد ذكرهم القرآن الكريم خمس عشرة مرة، وسماهم: قوم لوط، وإخوان لوط، والقرية التي كانت تعمل الخبائث، والقرية التي أمطرت مطر السوء، والمؤتفكة، والمؤتفكات^(٦).

لقد أرسل الله إليهم نبيه لوطاً عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر ٧/٦ رقم ٤٤١٩، ومسلم، في كتاب

الزهد، باب النهي عن دخول الحجر إلا من يدخل باكياً ٤/٢٢٨٥ رقم ٢٩٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ ٤/١٤٨

رقم ٣٣٧٨، ومسلم، في كتاب الزهد، باب النهي عن دخول الحجر إلا من يدخل باكياً ٤/٢٢٨٦ رقم ٢٩٨١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ ٤/١٤٩

رقم ٣٣٧٩.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٦/٣٨٠.

(٥) أهل قرية سدوم، وما يتبعها، وموقعها بجوار البحر الميت، المسمى: بحيرة لوط، وبحر لوط، والأرض المقلوبة. ينظر:

جامع البيان ١٩/٢٧٢، والمسالك والممالك ص ٦٤، ومعجم البلدان ٣/٢٠٠، والتحرير والتنوير ٨/٢٣٠.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/٣٣٠، والبحر المحيط ٥/٢٤٩.

عن تعاطي الفواحش المنكرات، والأفاعيل المستخبثات.

وكانوا من أفجر الناس، حيث فشا فيهم الشذوذ الجنسي لأول مرة في تاريخ البشرية، فكان لديهم الميل المنحرف إلى الذكور بدلاً من الإناث اللاتي خلقهن الله للرجال^(١)، وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويأتون في مجتمعهم ومحل حديثهم وسمهم المنكر؛ من الأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَدْحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٢٩].

وتنادوا في ضلالهم وفجورهم، وهموا بإخراج رسولهم، وراودوه عن ضيفه، فدعا عليهم، فغار الله لغيرته واستجاب دعوته، فبعث إليه ملائكته الكرام مبشرين بملاك هؤلاء الخبثاء، وأمريين له بالخروج، قائلين له: ﴿إِنَّا مُزِلُّوكَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [العنكبوت: ٣٤].

فأحل الله بهم بأسه عند طلوع الشمس، وجاءهم ما لم يكن في حسابهم، فاقتلع جبريل عليه السلام ديارهم من قرارهن، وما يتبعهن من الأراضي والأماكن والحيوانات، ورفع الجميع حتى بلغ عنان السماء، حتى سمعت الملائكة أصوات ديكيتهم ونباح كلابهم، ثم قلبها عليهم^(٢)، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٤]، فأهلكهم الله أجمعين، ونجى نبيه والمؤمنين من هذه القرية الخبيثة، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا ءَأَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ءَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وجعل الله ديارهم عبرة، وعظة لمن بعدهم، وشاهدة لحالهم وما وقع فيهم، قال تعالى:

(١) ينظر: في ظلال القرآن ٥ / ٤٦١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٥ / ١٨٣، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٤١.

﴿وَزَكَّا فِيهَا ءَايَةٌ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: ٣٧]، و﴿ءَايَةٌ بَيْنَكُمْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٣٥]، فديارهم تقع في طريق مطروق بين الحجاز والشام، يمر عليها الناس وتمر عليها قريش في أسفارها للتجارة إلى الشام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَنْمُوتُنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْحِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصفوات: ١٣٧ - ١٣٨]، «وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة منتنة، قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلاً ونهاراً»^(١)، آية على قدرة الله وعظمته وعزته، وانتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله^(٢).

٤ - أرض مدين^(٣):

وهي من الديار الخبيثة المعذبة، وجاء ذكرهم في القرآن عشر مرات، في تسع سور كريمات، وسماهم: مدين، وأصحاب مدين، وأصحاب الأيكة^(٤). وكانوا أهل شرك، حيث كانوا يعبدون الأيكة، وهي الشجرة الملتفة^(٥)، ويقطعون السبيل، ويخيفون المارة ويأخذون من أموالهم، وكانوا من أسوأ الناس معاملة؛ يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما، ويأخذون بالزائد، ويدفعون بالناقص. فبعث الله إليهم نبيه شعيباً عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشرك، ونهاهم عن الأفاعيل الخبيثة، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٨.

(٢) بعض المؤرخين من غير المسلمين يرى أن هذه القصة خرافية، والبعض يرى أنها واقعية، كما تشهد بذلك آثار البلاد المجاورة للبحر الميت، وقد قام الدكتور (أولبرابط) بمباحث واسعة في وادي نهر الأردن، وسواحل البحر الميت، فتبين له أن القصة حقيقية بجميع تفاصيلها. ينظر: تفسير القرآن الحكيم ١٢ / ١١٠، وتفسير المراغي ١٩ / ٩٦.

(٣) تقع شمال غرب الجزيرة العربية، وتعرف اليوم باسم (البدع)، كما هو رأي بعض المؤرخين، وهي في واد بين الجبال، يسمى (عُفال)، وأهلها من العرب العاربة، وهي أرض نبي الله شعيب عليه السلام.

والبدع: بلدة بين تبوك والساحل، وتبعد عن تبوك غرباً قرابة (١٣٢) كيلاً، وشرق رأس الشيخ حميد - على البحر الأحمر - قرابة (٧٠) كيلاً، ينظر: البداية والنهاية ١ / ٢١٣، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٢٨٤.

(٤) ينظر: بحث (قصة شعيب) إعداد: يوسف بن عبد الله العليوي، ملتقى أهل التفسير www.tafsir.net.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ٣٩٠، وتفسير السراج المنير ٣ / ٤٨، ومدارك التنزيل ١ / ٢٥١.

مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ
ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ [الأعراف: ٨٥ - ٨٦].

فذكرهم نعمة الله عليهم، وأن رزق الله خير من أخذ أموال الناس، وما فضل لهم من
الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لهم من أخذه بالتطفيف^(١).

فأمن به بعضهم، وكفر أكثرهم وسخروا منه، وقالوا له استهزاءً وتنقصاً: ﴿أَصَلَوْتَك
تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ
﴿٨٧﴾ [هود: ٨٧].

فلتطف لهم بالعبرة، ونوع لهم أساليب الدعوة وجادلهم، وبين لهم أنه أول الممثلين لما
يدعو إليه، وأول التاركين لما ينهى عنه، وخوفهم بما حل بالأمم قبلهم، خاصة قوم لوط
الذين لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً، ولا في بعض صفتهم^(٢)، قال تعالى:
﴿وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ
لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٨﴾ [هود: ٨٩]، لكنهم لم يستجيبوا، بل توعده بالرجم^(٣)، وبلغ بهم
الكفر إلى أن قالوا: ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ [هود: ٩١].

أما المستكبرون الخبيثاء فقد هددوه ومن معه من المؤمنين بالإخراج من بلدهم، فدعا
عليهم، فأحلَّ الله بهم بأسه، وجمع عليهم أنواعاً من العقوبات؛ لما اتصفوا به من قبيح

(١) التطفيف: التنقيص في الكيل. ينظر: مختار الصحاح، مادة: (طفف) ص ١٩١.

(٢) ينظر: البداية والنهاية ١ / ٢١٤ - ٢١٧.

(٣) الرجم: أصله الرمي، وفي القرآن القتل. ينظر: العين، مادة (رجم) ٦ / ١١٩، وتهذيب اللغة ١١ / ٤٨.

الصفات، فسلط عليهم رجفة شديدة زلزلت أرضهم وأسكنت حركاتهم، وصيحة عظيمة أخذت أصواتهم، وظلّة ترميهم بشرر النار من سائر الأرجاء والجهات، ونجى الله نبيه شعباً والمؤمنين معه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [هود: ٩٤].

٥- خَسْفٌ^(١) بَابِل^(٢):

وكان يسكنها قوم إبراهيم عليه السلام، وهم تُمُرُذ وقومه، وقد أشار عدد من المفسرين، والمحدثين منهم: الطَّبْرِي، وابن كثير، والشَّنْقِيطِي، وابن حجر، إلى أن العذاب الدنيوي الذي أهلكتهم الله به هو المذكور في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: ٢٦]^(٣).

ولكن السَّعْدِي نفى أن الله عذبهم حيث قال: «ولما اعتزلهم وفارقهم وهم بحالهم، لم يذكر الله عنهم أنه أهلكتهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم... فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره، كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة؛ ولكن لعل من أسرار ذلك أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم، وأحلمهم وأجلهم فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن الله ليجري بسببه عذاباً عاماً، ومما يدل على ذلك أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط وجادلهم ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال»^(٤).

ولعله يجمع بين ما ذكره المفسرون، وبين قول السَّعْدِي، بأن العذاب لم يكن عاماً

(١) الخَسْفُ: سُوءُ الْأَرْضِ بما عليها من الأشياء، وإلحاق الأرض الأولى بالثانية، والغياب فيها. ينظر: العين، مادة: (خَسَفَ) ٢٠١/٤، ومعاني القراءات ٢/٢٥٥، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/٥٤٠.

(٢) بَابِل: أقدم مدينة في العراق، ذات تاريخ عريق، ذكرها القرآن الكريم مرة واحدة، وتقع آثارها بين النهرين، وهي إلى الفرات أقرب، وتبعد عن بغداد إلى الجنوب ٩٠ كيلاً، ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

٢١٩/١، ومعجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٣٩، وأسماء في القرآن الكريم ١/١٠.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/١٩٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ٦/٣٩٧٥، وتفسير القرآن العظيم

٥٦٦/٤، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١/٥٣٠، وأضواء البيان ٥/٢٦٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٢٩.

مستأصلاً، وإنما كان خاصاً بالنمرود ومن معه، دون بقية قوم إبراهيم عليه السلام، والله أعلم.

ويورد بعض المفسرين^(١) حديثاً ضعيفاً ((أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام مَرَّ بِبَابِلَ وَهُوَ يَسِيرُ، فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ يُؤَذِّنُ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَلَمَّا بَرَزَ مِنْهَا أَمَرَ الْمُؤَذِّنَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: إِنَّ حَبِيبِي عليه السلام نَهَانِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَقْبَرَةِ، وَنَهَانِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي أَرْضِ بَابِلَ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ))^(٢).

وقال البخاري: «باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، ويُذكر أن علياً عليه السلام كره الصلاة بخسف بابل»^(٣).

وأطال الشنقيطي الكلام على أثر علي عليه السلام، وتعرض لحكم الصلاة في ديار المعذنين، والتطهر بمائها، ثم قال: «الذي يظهر لنا رجحانه؛ أن من مر عليها ينبغي له أن يسرع في سيره حتى يخرج منه، كفعله عليه السلام، وفعل صهره^(٤) وابن عمه وأبي سبطيه^(٥) جميعاً، وأنه لا يدخل إلا باكياً للحديث الصحيح، فلو نزل فيها، وصلى فالظاهر صحة صلاته، إذ لم يقم دليل صحيح بدلالة واضحة على بطلانها، والحكم ببطلان العبادة يحتاج إلى نص قوي المتن، والدلالة»^(٦).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٦٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٤٦، وأضواء البيان ٢/ ٢٩٢.
 (٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة ١/ ١٨٢ رقم ٤٩٠، والأثر ضعفه ابن حجر في الفتح ١/ ٥٣٠، والألباني في ضعيف أبي داود ١/ ١٧٠.
 (٣) صحيح البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب ١/ ٩٤ رقم ٤٣١.
 (٤) الصَّهْرُ: القرابة بالزواج من بنت الرجل أو أخته أو قومه، ويقال لأهل بيت الرجل: أختان، ولأهل بيت المرأة: أصهار، ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (صَهْر) ٤/ ٢٠٦، ومقاييس اللغة ٣/ ٣١٥، والفائق في غريب الحديث ٢/ ٣٢٣، والمغرب في ترتيب المغرب ص ١٣٨.
 (٥) السَّبْطُ: ولد الولد، وأكثر ما يستعمل في ولد البنت. ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٤، والفروق اللغوية، مادة: (سَبْط) ص ٢٨٣.
 (٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٩٤.

٦- مَسْجِدُ الضَّرَارِ^(١):

الذي بناه أناس من المنافقين، من أهل قباء، مظهرين الإحسان إلى الضعيف والعاجز والضرير، والرأفة بهم في الليلة المطيرة والشاتية، فبين الله كذبهم، ونشر خزيهم، وأظهر سرهم، وكشف مقصدهم الخبيث، وأن الذي حملهم على بنائه الكفر، والمضارة والمشاقة للمؤمنين؛ وليتشعب المؤمنون عن مسجدهم الذي يجتمعون فيه ويتفرقوا ويختلفوا؛ وليكون هذا المسجد وكرًا^(٢) يتأمرون فيه على الإسلام والمسلمين، وحصنًا عند الاحتياج إليه، وإعانة للمحاربين لله ورسوله، فتزل الوحي بذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يُشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧]، فبعث إليه النبي ﷺ من يهدمه ويجرقه، فهدم وحرق، وصار بعدُ مزبلة^(٣) ومكانًا مبغضًا مهجورًا.

وقد شهد الله عليهم بالكذب، وشهادة الله أصدق من حلفهم، فنهى رسوله عن الصلاة فيه بقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وفي هذا دليل على أن المعصية تؤثر في البقاع؛ كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، «فإنه كان من أمكنة العذاب»^(٤)، كما في آية المفاضلة بينه وبين مسجد قباء، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيهٍ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

(١) مَسْجِدُ الضَّرَارِ: ويسمى مسجد الشَّقَاق في بعض المصنفات، ويقع في المدينة النبوية، قرب مسجد قباء، بناه المنافقون؛ تفريقاً للمؤمنين، وتأمراً على الإسلام وأهله، وقد هُدم بأمر من الرسول ﷺ، وقد ظل زمناً والناس يتطوعون بهدم ما تبقى من أثره، وقد مُحي اليوم، ولم يبق له أثر، ولا يعرف له مكان. ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٨٢، ومعجم البلدان ٤ / ٣٠٢، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٩٥.

(٢) الوكرُ: «موضع الطائر يبض فيه ويفرخ، في الحيطان والشجر». العين، مادة: (وَكَّر) ٥ / ٤٠٢.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤ / ٤٦٩، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٢١٢، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٥١.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١ / ٨١.

٧- النَّارُ:

التي خلقها الله ﷻ، وتوعد بها الخبيثاء، وحذر منها، ومن الأعمال الموصلة لها، وسمها بعدة أسماء فهي: النار وجهنم، ولظى والحطمة، والسعير وسقر، والجحيم والهاوية^(١).

وقد ذكرها في كتابه المبين اثنتين وعشرين وثلاثمائة مرة، في إحدى وسبعين سورة، ووصفها بصفات الدم والقبح، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسُ الْمُصِيبُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسِ الْمَهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ [ص: ٥٦]، وذمها وأهلها، قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٩]، فإنها مَثْوَى الحسرة والندامة، ومثل الشقاء والألم، ومحل الهموم والغموم، وموضع السخط من الحي القيوم^(٢)، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمُصِيبُ ﴿٥٧﴾﴾ [النور: ٥٧]، أي: بئس المال، مآل الكافرين، مآل الشر والعقوبة الأبدية^(٣).

وهي دار الخبث والخبِيثين، والله ﷻ يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه ثم يجعله في جهنم مع أهله، فلا يخلد فيها إلا خبيث^(٤).

وقد استعاذ منها عباد الرحمن، وقالوا: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦]، وهي الدار السيئة، التي تسوء نازليها^(٥)، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

و«فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها: سرعة الإيقاد، ورتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت»^(٦)، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) ينظر: صفة النار ١ / ١١، والتخويف من النار ١ / ٧٤.

(٢) ينظر: التذكرة في الوعظ لابن الجوزي ١ / ٤٧٦، ويقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار ١ / ١٥٥.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٧٣.

(٤) ينظر: الوابل الصيب ١ / ٢٤، والتفسير القيم ٢ / ١١١.

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٣٩.

(٦) ينظر: التخويف من النار ١ / ١٣٤.

فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِثَاءً، فَزَلَّتْ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ... (الآية)﴾^(١).

إن أهل النفاق ينشطون ويقوى شرهم وأذيتهم في حال ضعف المؤمنين، فيخرج الله ما في قلوبهم من الضغائن، فيقولون في المؤمنين قولاً عظيماً متبعين سنن من قبلهم، كما قال الله ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩].

وحتى لا يقع التشبه بهؤلاء الأراذل؛ ولتسود الحجة والألفة بين المؤمنين نهي القرآن الكريم عن جملة من الأخلاق السيئة، والأقوال الخبيثة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١١ - ١٢].

فالأيات نمت عن جملة من الخصال الخبيثة، التي تدل على ضعف في الديانة والأخلاق والعقل لمن اتصف بها؛ لما فيها من ضرر في الدين والدنيا.

كما نمت أهل الإيمان أن يتعرض بعضهم لبعض بسوء؛ من سخرية، ولمز^(٢) في نسب أو عاهة، أو تعييرهم فيما سلف من عمل قد تابوا منه^(٣).

كما أرشدت الآيات إلى الكف عن تتبع عيوب الناس وعثراتهم، ومحاولة استكشاف أمورهم الخاصة، والتكلم بهم حال غيبتهم بما يكرهون.

ومن المستفيد؟ وما هي المصلحة من شيء يُقسى القلوب، ويفرق بين المسلمين،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ٦٧ / ٦ رقم ٤٦٦٨.

(٢) اللَّمزُ: العيب، سواء كان بقول إشارة أو غير ذلك. ينظر: الصحاح، مادة: (لَمَزَ) ٣ / ٨٩٥.

(٣) ينظر: معالم التنزيل ٧ / ٣٤٤.

المبحث الخامس: الخبيث من الأقوال في القرآن الكريم:

الأقوال الخبيثة الصادرة من أهل الكفر، والضلال كثيرة، هدفها معارضة الحق، وصد الناس عنه، وتشويه سمعة أهله والقائمين به بشتى الوسائل؛ لذا حرص الكافرون والمشركون والمنافقون الخبيثاء، جماعات وفرادى على تنوع الأقوال الخبيثة؛ تعبيراً عن بغضهم وإبائهم واستكبارهم عن الهدى، ومن ذلك ما يلي:

١- القول على الله بغير علم:

وهو من أكبر المحرمات، وأشملها، وأوسع طرق الشيطان التي يدعو إليها، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

ومن ذلك الكذب على الله ﷻ^(١)، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨].

واليهود تقولوا على الله ﷻ أنه عهد إليهم في كتبهم ألا يصدقوا برسول حتى يكون من معجزاته أن تنزل نار من السماء تأكل الصدقة المتقبلة من أمته^(٢)، فأكذبهم بقوله:

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ [آل عمران: ١٨٣].

«ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه، أو كلام رسوله على معانٍ اصطلاح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها»^(٣).

وكذا من قال: إن الله أحل كذا، أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهي عن كذا، بغير

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ١٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢ / ١٧٧.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٠.

بصيرة، فقد قال على الله بلا علم، ومن ذلك تحليل المحرمات والخبائث، وتحريم الطيبات^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

فالقول على الله بلا علم خطر كبير؛ لذا كان السلف يتدافعون الفتوى، وينهون عن المسارعة فيها؛ لأن المفتي معبر عن شرع الله ﷻ أمام المستفتين، قال ابن عثيمين: «ولولا معرة^(٢) كتم العلم، وخوف عقاب الله - تعالى - ما أفتيت أحداً»^(٣).

٢ - مَقُولَاتُ الْإِبَاءِ^(٤)، وَالِاسْتِكْبَارِ^(٥):

فقد كان المعاندون للرسول يطلبون تعجيل العقوبة؛ إمعاناً في الضلالة، واستكباراً عن الحق^(٦)، وجزماً بصحة خبيثهم، وكفر، فقوم نوح ﴿قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِئْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، وقوم نبي الله هود عليه السلام ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأُنْبِئْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

أما ثمود فأعلنوا عن كفرهم، واستكبارهم، وقتلوا الناقة، وتحذوا نبيهم عليه السلام بطلب العذاب ﴿وَقَالُوا يَصْلِحُ أُنْتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

وجاء بعدهم أصحاب الفواحش، قوم لوط عليه السلام فلم يكن جوابهم لنصائحهم: ﴿لَا أَنْ قَالُوا أَتُنَبِّئُنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢ / ٤٠٤، وأنوار التنزيل ١ / ٤٤٦، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٠٩.
(٢) المعرة: الأذى، والغرم، والإثم. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (عَرَّ) ١ / ٧٥، ومقاييس اللغة ٤ / ٣٤، والنكست في القرآن الكريم ص ٤٥٠.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢٦ / ٤١٩.

(٤) الإباء: «شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء». المفردات في غريب القرآن ص ٥٨، ومختار الصحاح، مادة: (أَبَى) ص ١٢، والكلييات ص ٢٨.

(٥) الاستكبار: «التعظيم». مختار الصحاح، مادة: (كَبَر) ص ٢٦٥.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٥٤٦، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ / ٣٠٤.

ويجعلهم متنافرين متباعدين، وتحل في نفوسهم الشحنة والضغينة بسبب كلمة طائشة، أو تقول وبهتان كاذب، ونقل لكلام آخر مُفَرَّق؟.

ومن أجل أن يرتدع الناس، ويحفظوا ألسنتهم، ويدركوا مسؤولية الكلمة، وعظم حقوق الآخرين شرع حد القذف، لمن تناول على الأعراض بغير وجه حق، وخاض لسانه في مستنقع الخبيث من القول، وصفاً وتجرىماً، وأذية باطلة لعباد الله الغافلين، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعَثَ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانَنَا وَإِنَّمَا مِيسَا

﴿٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

٦- قول الزور^(١):

قول خبيث ، وكبيرة من الكبائر، ومقرون بالشرك بالله؛ لأن الشرك من الزور^(٢)، قال تعالى:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

و«كل ما في القرآن من الزور فهو الكذب مع الشرك، إلا ﴿مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]، فإنه كذب بلا شرك»^(٣).

وجميع الأقوال المحرمة، من قول الزور الذي هو الكذب، ومن ذلك شهادة الزور^(٤)، التي تجمع عدداً من المظالم، فتقلب الحقائق وتضلل الحاكم، وربما حلف صاحبها بالله كاذباً؛ لذا عدت من المعاصي العظام، وجاء فيها التحذير الشديد من رسول الله ﷺ، حين لفت نظر أصحابه الكرام ﷺ إلى خطورتها وشناعتها بتغيير هيئته وهو يُعدد الكبائر، قائلاً: ((أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرَ الْكِبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مَتَكَنًّا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ

(١) الزُّورُ: كما قال ابن فارس: «الزاء والواو والراء أصل واحد، يدل على الميل والعدول. من ذلك الزور: الكذب؛ لأنه مائل عن طريقة الحق». مقياس اللغة، مادة: (زور) ٣/ ٣٦، وينظر: المفردات ص ٣٨٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤١٩/٥، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/ ٢٥٦.

(٣) الكليات ص ٤٨٥.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٣٧.

ولم يكن أصحاب مدّين بِمَعزَلٍ عن سيرة إخوانهم من المستكبرين، فقالوا لنبي الله
شعيب عليه السلام: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ (١٧٧) [الشعراء: ١٨٧].

وسار على درب هؤلاء الخبيثاء كفار العرب، فقالوا: ﴿اللّٰهُمَّ إِن كَانَتْ هٰذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنِّ
عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ وَأَثْمِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وما يضيرهم لو تركوا هذه المقولة الخبيثة، التي هم على دراية بقبحها، وخوف من
وقوعها، وما الذي دعاهم إلى هذا اللجاج^(١) في العناد، وإلى هذا التحدي وطلب البلاء؟
إنهم لن يخسروا شيئاً لو قالوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه، لكن القوم استكبروا،
وعميت بصائرهم، فعتوا عتواً كبيراً، وضلواً ضلالاً بعيداً^(٢).

وبهذا يقولون وأعظم، وبملاء أفواههم، وهكذا يفعل الجهل، والاستكبار بأهله، ويلج
الضلال بأرباب الضلال!

أما أهل سبأ فقد ملؤا طيب العيش ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]،
فبطروا^(٣) النعمة وكفروها، وسئموا العافية، فطلبوا الكد والتعب - كما طلب بنو إسرائيل
البصل، والثوم بدل المن والسلوى - وأحبوا طلب الرزق في بعيد الديار، وقطع القفار،
وأماكن يحتاجون فيها الزاد والرواحل، والسير في الحرور، والمخاوف^(٤).

ولا بد للمؤمن أن يكون شاكراً لربه مقيماً على طاعته، وألا يتشبه هؤلاء في ضلالهم
واستكبارهم، وانشغالهم عما خلقوا له.

إن المؤمن لا يقيم علاقته مع ربه على طلب المزيد من الدنيا، دون أن يقيم وزناً للحياة
الآخرة، وما يعدّه لها من صالح الأعمال، وطيبها!

(١) اللّجّاج: «التّماذي والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه». المفردات في غريب القرآن ص ٧٣٦.

(٢) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢/ ٩٥، وأنوار التنزيل ١/ ١٠٤، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣٣.

(٣) البَطْر: «دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقّها، وصرّفها إلى غير وجهها». المفردات في
غريب القرآن ص ١٢٩، وينظر: العين، مادة: (بَطْر) ٧/ ٤٢٢.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٥٨٧، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٠٩.

فالذين لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً في دعائهم مذمومون، منفر من التشبه بهم^(١)
قال الله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ
﴿٢٠٠﴾ [البقرة: ٢٠٠].

٣- أقوال فيها أدبٌ لله ﷻ:

وقد اشتهر بذلك خبيثاء اليهود فقد ساء أدهم مع خالقهم، وقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾
[البقرة: ٩٣]، ووصفوا ربهم بالفقر، وهو الذي رزقهم، فقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَمَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾
[آل عمران: ٨١]، وبعثوه بالبخل، وأن يده ممسكة عن النفقة، فقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ﴾
[المائدة: ٦٤]، وتجرؤوا عليه جراءة كبيرة، فطلبوا من كليمة موسى عليه السلام معاينته^(٢) فقالوا:
﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

وساء أدب الكفرة الخبيثاء من أهل الكتاب مع خالقهم، فادعوا أن له ولداً، قال تعالى:
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يُوَفَّكَونَ
﴿٣٠﴾ [التوبة: ٣٠].

ورد الله على المشركين زعمهم، ومقولتهم الخبيثة أن الملائكة بناتُ الله، فجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن إناثاً، ثم ادَّعوا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم، فأخطؤوا في كل من
المقامات الثلاث خطأ عظيماً^(٣)، قال تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠].

إن السماوات والأرض والجبال فرعت وكادت أن تزول عند سماعهن هذه المقالة من

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٥٨.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٥/ ٦٦، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٥-١٤٦، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥/ ٧٧.

يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ^(١).

ومن قول الزور الذي حذر منه القرآن الكريم، واعتبره منكراً، قول الزوج لزوجته أنت علي كظهر أمي، فهذا قول لا حقيقة له، بل كذب وسوء أدب مع الأم، ولهذا عظم الله أمره وقبحه، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ إِنَّمَا هُمُ إِلَّا الَّذِينَ وُلِدْنَاهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢].

وبذلك ندرك عظم الكلمة، ومسؤوليتها، وأن القرآن الكريم، والسنة أرشداً إلى نزاهة الأقوال، والبعد عن سفسافها^(٢)؛ تهدياً للأخلاق، وبعداً عن طريق أهل الضلال، الذين امتهنوا خبيث القول وساقطه؛ وليكون المسلم محبوباً عند الله ﷻ وعند خلقه، وليسلم له دينه وعمله، حينما يكبُّ الناسُ في النار؛ بسبب حصائد ألسنتهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ٨ / ٤ رقم ٥٩٧٦، ومسلم، في

كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها ١ / ٩١ رقم ٨٧.

(٢) السفسافُ: الأمر الحقيق، والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وأصله ما يطير من غبار السدقيق إذا

نُحِل، والتراب إذا أُثير. ينظر: مختار الصحاح مادة: (سَفَفَ) ص ١٤٩، ولسان العرب ٩ / ١٥٥.

فَجَرَّةَ بَنِي آدَمَ، وَخَبِيثَاتِهَا؛ إِعْظَامًا لِلرَّبِّ وَإِجْلَالًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَنَجَّى الْجِبَالُ هَذَا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مریم: ٨٨ - ٩٢]؛ لِأَنَّ مَخْلُوقَاتٍ وَمُؤَسَّسَاتٍ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا كَفَاءَ لَهُ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ.

٤ - أَقْوَالٌ فِيهَا أُدْبِيَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَالرُّسُلِ ﷺ:

ألسنة الكافرين والمنافقين مبسوطة بالسوء، وساقط القول وخبيثة ضد رسل الله الذين يدعوهم للخير والفلاح، فقبل لنوح ﷺ: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٦٠﴾ [الأعراف: ٦٠].
والملا الذين كفروا من قوم عاد قالوا لهود ﷺ: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٦٦﴾ [الأعراف: ٦٦].

وبلغ الحد بأهل مدين أن قالوا لنيبي الله شعيب ﷺ: ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٩٠﴾ [هود: ٩٠].
وأوذى موسى ﷺ من قومه بأنواع الأذى، وكثير من التعنت، حتى إنهم لما رأوا شدة حياته وتستره عنهم قالوا: ((مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَعْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ أَدْرُ^(١)))^(٢)، واشتهر ذلك عندهم فأظهر الله كذبهم وبراءته^(٣)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَا ۝٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال الكافرون لنبية ومصطفاه محمد ﷺ: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝٤﴾ [ص: ٤].

(١) الأُدْرَةُ: «نفخة في الخُصِيَّةِ». الصحاح، مادة: (أَدْر) ٥٧٧ / ٢، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٣٧٥ / ٩.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب من اغتسل عُريانا وحده في خلوة ١ / ٦٤ رقم ٢٧٨، ومسلم، كتاب الحيض، باب جواز من اغتسل عُريانا في الخلوة ٤ / ١٨٤١ رقم ٣٣٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٨٤ / ٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٧٣.

وما فتى أهل النفاق يؤذونه ﷺ ويتقولون عليه، ويسخرون ويتهمون، ويقولون: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١] «من قال له شيئاً صدّقه، ومن حدثه فينا صدّقه، فإذا جئنا وحلفنا له صدّقنا»^(١)، وقد سلّاه^(٢) ربه بما حصل من الأذى لمن سبقه، فتلك سنة ماضية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠، والأنبياء: ٤١]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ [الذاريات: ٥٢].

٥- أقوال فيها أذية للمؤمنين:

من التَّنْقِصِ، والازدراء، والسخرية؛ مما هو دأب^(٣) الكافرين والمنافقين في حق المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٢]. وما من أحد يدعو إلى الله، ويلتزم بشرعه إلا ناله أهل الضلال بالمقولات الخبيثة التي ملؤها السب والتُّهَمُ والسخرية، ويكثر ذلك عند أهل النفاق، في اجتماعهم وكتبهم وإعلامهم؛ مقروءاً ومسموعاً ومرثياً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، ومن نزلت فيهم هذه الآية مثال لواقع أهل النفاق في المجتمع المسلم، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: ((لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ^(٤))، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ^(٥) بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرِ مِنْهُ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧٠.

(٢) التَّسْلِيَةُ: من سلّاني فلان من همي تَسْلِيَةً وَأَسْلَانِي، أي كشفه عني. ينظر: الصحاح، مادة: (سلا) ٦/ ٢٣٨١.

(٣) الدَّأْبُ: العادة والشأن، ينظر: الصحاح، مادة: (دأب) ١/ ١٢٣، والمفردات في غريب القرآن ص ٣٢١.

(٤) نَتَحَامَلُ: يحمل بعضنا لبعض بالأجرة. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٨/ ٣٣١.

(٥) أبو عقيل بفتح العين، مشهور بكنيته، واختلف في اسمه كثيراً فقليل: حَشْحَاثٌ، وَحَشْحَاثٌ، وَحَبَابٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ

بن عبد الله بن ثعلبة بن بيجان الأنصاري، ويقال: كان اسمه عبد العزى، فغيره النبي ﷺ، ذكره ابن إسحاق فيمن

شهد بدرًا، ويعرف بـ «صاحب الصاع» الذي لمزه المنافقون، واستشهد باليامة، بعد أن أبلى بلاء حسناً.

ينظر: معجم الصحابة للبخاري ٢/ ٨٤، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/ ١٨٣٢، والإصابة ٤/ ٣٢٥.

المبحث السادس: الخبيث من الأفعال في القرآن الكريم:

هناك أفعال سيئة عظيمة، حذر الله منها عباده في كتابه، وامتدح المجتنبين لها، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨].

فالشرك بالله العظيم، وقتل النفس المعصومة ظلماً وعدواناً أفعال خبيثة؛ لأن الشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض. وقد تحدث القرآن عن هذه القبائح الكبار، وغيرها، وعرض لها في آيات كثيرة، مُنفراً عنها، ومن أمثالها، وهذا ما سيتبين فيما يلي:

١ - الشُّرْكُ بِاللَّهِ ﷻ^(١):

وهو أعظم الذنوب، وأقبح المناهي وأكبرها خطراً، حذر الله ﷻ منه في كتابه، وأنزل من الآيات ما يبين شناعته وقبحه، ولا تكاد تخلو آيات القرآن الكريم فضلاً عن السور إلا وفيها التحذير منه، أو الأمر بضده، وهو التوحيد الذي هو غاية الخلق، أو الإنكار على المشركين، ومحاجتهم، ومجادلتهم، وإبطال مزاعمهم وحججهم^(٢).

وما أرسلت الرسل إلا لمقاومته ودحضه، فما من رسول إلا بدأ دعوته بتوحيد الله، والنهي الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فإنه وحده الذي يستحق العبادة لا غيره^(٣).

لكن الشياطين قد زينت لهم عبادة مخلوقات ناقصة، لا تدفع عن نفسها الآفات

(١) الشُّرْكُ: من المشاركة التي تعني المخالطة، والمراد: جعل شريك لله فيما يختص به، في ربوبيته، أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته. ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٠٣، والتوحيد ص ١٠، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ١/ ١٠٧.

(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول ٢/ ٤٥٧.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥/ ٣٦٨، وإرشاد العقل السليم ٣/ ٢٣٥، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٩٤.

والمصائب فكيف تدفعه عن غيرها، ولا تملك شيئاً من هذا الكون الفسيح، وليست شريكة فيه، ولا مساعدة، فأنى لها أن تستجيب لداعيها، قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢]، فلن يجيبوا دعوتكم، فدعائهم غير نافع؛ لأن أسباب العجز فيهم قد توفرت^(١)، ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾ [فاطر: ١٤].

الشرك علامة نقص في عقل صاحبه، واستهانة بحق المعبود الخالق، نفاه الله ﷻ عن خواص أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مِثْلًا لِمَا مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧].

وأمرهم بالبراءة منه ومن أهله، والإعراض عنهم، ونزّه نفسه عن شرك المشركين ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وأهل الشرك وإن تساعدوا في الدنيا واتحدوا عليه، وأجمعوا على معاداة التوحيد وأهله وأذيتهم، فإن كل واحد منهم يوم القيامة يتبرأ من صاحبه، ويحصل بينهم التضليل والتلاعن، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَتُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

إن الله ﷻ دعا المتلبسين بالشرك إلى التوبة والاستغفار منه قبل أن يموتوا فيكونوا من المخلدين في نار جهنم؛ لأنه الخطيئة والذنب الذي لا يُغفر، قال تعالى: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا يَعْزُرُونَ يَشْرِكُ بِهِمْ وَيَعْفُو مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٧٨.

إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]،
ومن ثمَّ فما يكون لنا أن نترحم، ولا أن نستغفر لهم، وهم الأعداء الألداء^(١) لرب العالمين،
فالجنة عليهم حرام، وعباد الله ورسله ما كان لهم أن يستغفروا لأهل الجحيم، قال تعالى:
﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ
وَمَا وَنُهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

الْمُتَلَطِّخُونَ بالشرك لا يرجون لقاء ربهم، مع أنه هو خالقهم ورازقهم، وكاشف ضرهم
وكرباتهم وهاديهم، ومنجيهم من ظلمات البر والبحر.

صاحب الشرك مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ، وضال مضل، ومتوعد بالعذاب، وسوء القرار، ولن تغني
عنه أمواله، ولا أولاده من الله شيئاً ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦].

٢ - السَّحْرُ^(٢):

عمل خبيث، وهو كما قال الشافعي: «اسم جامع لمعانٍ مختلفة»^(٣)، لذا تباين تعريفه
عند كثير من العلماء، حتى قال الشنقيطي: «اعلم أن السَّحْرَ في الاصطلاح لا يمكن حُدُّه^(٤)
بحد جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون
جامعاً لها، مانعاً لغيرها؛ ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حُدِّه اختلافاً متبايناً»^(٥).

(١) اللدِّد: شدَّة الخصومة. ينظر: مختار الصحاح، مادة: (لَدَد) ص ٢٨١.

(٢) السَّحْرُ: ما لطف مأخذه ودق، وأصل السَّحْر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسحره بمعنى خدعه، وسحره
بكلامه: استماله برفقه، وكلُّ ما كان من الشيطان فيه مَعُونَةٌ. ينظر: العين، مادة: (سَحَرَ) ٣ / ١٣٥، وتهذيب

اللغة ٤ / ١٧١، والصحاح ٢ / ٦٧٩، ومقاييس اللغة ٣ / ١٣٨، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٠٠.

(٣) الأم ١ / ٢٥٦.

(٤) أي تعريفه، والحدُّ: لفظ يستخدمه أهل المنطق، وتأثر به من درسه، فأصبح شائعاً في كثير من الكتب، ويقصدون
به التعريف: ما دل من الصفات أو المعاني على طبيعته متميزاً عما سواه، أو القول الدال على ماهية الشيء. ينظر:

التقريب لحد المنطق ص ١٧، ومعيان العلم في فن المنطق ص ٣٤٨.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤ / ٤١.

فعرفه أبو بكر الجصاص^(١) بقوله: «كل أمر خفي سببه، وتخيّل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه، والخداع»^(٢).

وقال ابن قدامة^(٣): «السّحر هو عُقد ورقى، وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه أو عقله»^(٤).

وسبب ذلك الاختلاف: كثرة أنواع السّحر، واختلاف صورته وأشكاله، حتى جعله الفخر الرازي ثمانية أقسام^(٥).

إضافة إلى توسع بعض العلماء في إطلاق السّحر على كثير من الأحوال؛ استناداً للمعنى اللغوي، فبعضهم يطلق السّحر على النّيمة، والكلام البليغ، وكذا الحركات القائمة على خفة اليد، ومهارة الأداء.

وأمر ثالث سبّب هذا الاختلاف، وهو تنوع السّحر من ناحية حقيقته أو تخييله، فبعض العلماء يقول: إنه حقيقة، ومنهم من يقول إنه تخييل.

والراجح: أن منه ما هو حقيقي مؤثر في المسحور في قلبه أو بدنه أو عقله أو ماله، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ولذا أمر الله ﷻ بالاستعاذة به من شر السواحر، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

(١) أبو بكر أحمد بن علي أبو بكر الرازي، الحنفي، الملقب بالجصاص، عالم عراقي، أصولي، فقيه، مجتهد، من تصانيفه: (أحكام القرآن)، و(أصول الجصاص)، و(شرح مختصر الطحاوي)، توفي في بغداد سنة ٣٧٠ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٤٠، وشذرات الذهب ٣ / ٧١.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١ / ٥١.

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسيّ الجماعيليّ الدمشقيّ الصالح الحنبلي، أبو محمد، من مجور العلم، وأذكياء العالم، كان تقياً ربانياً، مفتياً مصنفاً، زاهداً ورعاً متواضعاً، حسن الأخلاق، كثير العبادة، شديد التّشبث، حسن السمّت على طريقة السلف، على وجهه نور الصّلاح والطّاعة، والهيبة والوقار، وفيه حلم وتؤدّة، انتهت إليه معرفة مذهب أحمد، وصنف فيه التصانيف المليحة، ومنها: (العمدة)، و(المقنع)، و(الكافي)، و(المغني)، توفي بمزله، يوم عيد الفطر، سنة ٦٢٠ هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١٦٩، وذيل طبقات الحنابلة ١ / ٢٣٧.

(٤) المغني ١٠ / ١٠٤.

(٥) ينظر: تفسير الرازي ٣ / ٦١٩.

وبعض السّحر تخييل لعين المسحور مما لا حقيقة له، كما صنع سحرة فرعون، لما ألقوا حبالهم وعصيهم^(١)، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦].

وقد ذكر الله ﷻ السحر في كتابه أربعين مرة، وسماه سحرًا وجبتًا، وغالبها في قصة موسى وفرعون وسحرته، وأن الكفار اتخذوه أسلوبًا لمعرضة الرسل واتهامهم به.

وقد كان غالبًا وكثيرًا ظاهرًا في زمان فرعون، فأوهمهم أن ما جاء به موسى ﷺ من قبيل السحر؛ فلهذا جمع له السحرة؛ ليعارضوه بنظير ما أراهم من البيئات^(٢)، وقالوا: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

وبعد أن ظهرت غلبة عيسى ﷺ مما أجراه الله ﷻ على يديه من المعجزات وخوارق العادات في الشفاء بإذن الله ﷻ، من العمى والبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، قال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوم نبي الله صالح، وشعيب ﷺ جعلوهما من الذين كرر سحرهم مرّة بعد أخرى، فذهب عقلهما^(٣): ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣، ١٨٥].

ورد المشركون دعوة محمد ﷺ، وقالوا كما قال أسلافهم الخبيثاء، ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣]، تكذيبيًا بالحق، وترويجًا على السفهاء.

وما من رسول عورضت دعوته إلا اتهم بالسحر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

والسحر عمل من أعمال الشياطين، كانت تُعلّمه الناس ببابل، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ

(١) ينظر: الشرح الكبير ١٠ / ١١٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٥٦.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦ / ١٥٧.

الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾.

وقد استدل بهذه الآية طائفة من السلف على تكفير من تعلمه، وقيل: لا يكفر، ولكن يقتل^(١)، فمن تعلمه فقد خاطر في دينه، وصاحبه ليس له في الآخرة من خلاق.

وقد نبه الإمام القرافي^(٢) إلى ضرورة تحديد معنى السحر، وتمييزه عن غيره؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلا بد للناظر في هذه المسألة أن يفصل ويميز، ويفرق بين السحر الذي يعد كفرًا، وما ليس كذلك^(٣).

وللنووي^(٤) عبارة جامعة في حكم السحر حيث قال: «قد يكون السحر كفرًا، وقد لا يكون كفرًا، بل معصيته كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفرًا، وإلا فلا.

وأما تعلمه، وتعليمه فحرام؛ فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفرًا، وإلا فلا، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر واستتيب»^(٥).

وجاءت النصوص بالتحذير من تعلمه، أو الذهاب إلى السحرة، أو تصديقهم، وعده رسول الله ﷺ من الذنوب العظام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٥١ - ٣٦٣.

(٢) أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي، المعروف بالقرافي، أحد الأعلام المشهورين، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك، كان بارعًا في الفقه، والأصول والتفسير، والعلوم العقلية، ومصنفاته دالة على غزارة علمه، وحسن مقاصده، ومنها: (الذخيرة)، و(القواعد)، و(شرح التهذيب)، وكانت وفاته عام ٦٨٤ هـ. ينظر: الديباج المذهب ١/ ٣٧، ومعجم المؤلفين ١/ ١٥٨.

(٣) ينظر: الفروق ٤/ ٢٧١.

(٤) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي، الحوراني، الشافعي، المشهور بالنووي، كان رأسًا في معرفة المذهب الشافعي، لا يضيع له وقت في ليل أو نهار، فأخذ في نشر العلم، والعبادة والنصيحة، وقول الحق، والتصانيف النافعة، ومنها: (شرح صحيح مسلم)، و(رياض الصالحين)، و(الأذكار)، و(التيبان في آداب حملة القرآن)، وكانت وفاته سنة ٦٧٦ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٧٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٦٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٤.

(٥) شرح النووي على مسلم ١٤/ ١٧٦.

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِلَاتِ»^(١).

وهذا السحر داء قديم، أفسد القلوب، واجتمعات والأفراد والأسر، ولم يزل أهله يتوارثونه فساداً وإفساداً، حتى في هذا العصر؛ عصر التقدم المادي، تزداد ظاهرة السحر نفوذاً وانتشاراً، فأكثر شعوب العالم تقدماً مادياً تجري فيها طقوس السحر على نطاق واسع وبطرق متنوعة.

بل إن السحر قد واکب هذا التطور المادي، فصار للسحر وأهله تجمعات وجمعيات، ومعاهد ومؤسسات، ومنظمات ترعاه وتدرسه، وتشره بين الناس^(٢).

ولما غيَّب العلم الشرعي على الناس، انتشر الجهل، وضعفت العقيدة، وراج سوق السحرة - خاصة مع انتشار الأمراض، وظهور القنوات، وجهلهم بجبل هؤلاء السحرة - فزاد شرهم، وعظم خطرهم، وتلييسهم على الناس، فكم من أسر تفرقت، وأنفس هلكت، وممتلكات أخذت بسبيهم؛ لذا يجب الحذر والتحذير من شرهم وأساليبيهم، والتعاون مع السلطات للقبض عليهم، ثم تنفيذ حكم الشرع فيهم؛ حماية للعقيدة، وكفاً لأذاهم وقطعاً لدابرهم، فهم محاربون لله ورسوله، وممارستهم للسحر من أعظم ضروب الفساد في الأرض.

٣ - القتلُ بغيرِ حقٍّ^(٣):

جريمة كبرى، واعتداء شنيع على صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه، وهو ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

لقد جاء إنكاره والتشنيع على مرتكبيه في أكثر من ثمانين موضعاً من القرآن الكريم، منها خمسة مواضع تعيب وتشنع، وتتوعد قتلة الأنبياء، مبينة أنه بغير حق، ومؤكدة أن قتلهم

(١) سبق تخرجه في ص ٦٠، حاشية (١).

(٢) ينظر: نواقض الإيمان القولية والعملية ص ٥٠٢.

(٣) القتلُ: «إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتوَلَّى لذلك يقال: قُتِلَ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت». ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٥٥، والتوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٦٨، والكيليات ص ٧٢٩.

لا يكون بحق أبداً، فلم يرتكبوا جرماً، ولا خطيئة استحقوا القتل عليها؛ إلا أنهم حرصوا على دعوتهم إلى الهدى وصراط الله المستقيم^(١).

فهم معصومون من كل نقيصة، مبرؤون من كل ريبة^(٢)، ومع ذلك تجرؤوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلاً وضلالاً، بل تمرداً وعناداً، مع اعتقاد أنه لم يكن حقاً أبداً، فقتلُ أنبياء الله ﷺ كان بغير حق، وقتل غيرهم لا يجوز إلا بحق.

وليس للمؤمن أن يقتل أخاه بوجه من الوجوه، لكن الخطأ قد يقع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ [النساء: ٩٢]؛ وذلك أن الإيمان الصحيح يمنع صاحبه من قتل المسلم الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية، التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذى، وأي أذى أشد من القتل؟^(٣).

أما القتل عمداً وعدواناً فقد جاء في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله، وورد فيه الوعيد الشديد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وأول من سنه ظملاً ابن آدم قابيل؛ لما انقاد إلى رغبات النفس، وتشجيعها، وتزينها، كما قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

وبعد هذا الإغواء الشيطاني انكب على نفسه ورجع عليها بالائتمة، وندم على ظلمه وقتل أخيه، ولكن بقي عليه وزر من تبعه؛ لحديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ))^(٤).

(١) ينظر: جامع البيان ٩/ ٣٦٣، وتفسير السمعاني ١/ ٣٠٤، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٢١٢.
 (٢) الرِّيبَةُ: التُّهْمَةُ والشُّكُّ. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (رَيْب) ١/ ٣٣٢، والصحاح ١/ ١٤١.
 (٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٣٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٩٢.
 (٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ٤/ ١٣٣ رقم ٣٣٣٥، ومسلم في كتاب القسامة والمخربين، باب بيان إثم من سن القتل ٣/ ١٣٠٣ رقم ١٦٧٧.

ولهذا جاء التشريع الرباني بعصمة الدماء، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وفي هذا مبالغة وتعظيم لأمر القتل بغير حق، وترغيب في الاحتراز عنه، وأن قتل النفس بغير حق جرم عظيم، كعظم قتل الناس كلهم.

فالأصل في القتل هو الحرمة المغلظة، وحله إنما ثبت بسبب عارض، ذكره النبي ﷺ بقوله: ((لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ؛ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيْبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ^(١) مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ))^(٢).

وإذا كان للنفس هذه الحرمة، فإن هناك بعض النفوس تُرفع عنها هذه العصمة فتستحق القتل؛ وذلك حين يستخف صاحبها بنفس غيره، فهنا يكون قتل القاتل قصاصاً، حقاً مشروعاً، وهو العدل الذي إن لم يستقم ميزانه بين الناس على هذا الوجه اضطرب أمرهم، وشاع الفساد فيهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وتقتل النفس كذلك، في حال الكفر بعد الإيمان، والزنا مع الإحصان، فالكفر بعد الإيمان عدوان على الله، وإهدار لآدمية النفس التي لبست الإيمان، ثم خلعت هذا اللباس وارتدت الكفر، حيث كانت حية بالإيمان، فأماهما صاحبها بالكفر.

فهذه ثلاثة أمور يكون قتل النفس فيها بحق^(٣)، والقرآن دلّ على سبب رابع^(٤)، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ

(١) المُرُوقُ: سرعة الخروج من الشيء. ينظر: العين، مادة: (مَرَقَ) ٥ / ١٦٠، وتهذيب اللغة ٩ / ١٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ ٥ / ٩ رقم ٦٨٧٨، ومسلم، في كتاب القسامة والحارين، باب ما يباح به دم المسلم ٣ / ١٣٠٢ رقم ١٦٧٦، من

حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٤٣٩.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ١٣ / ١٧٩.

يُصَلِّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ
خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

ويدخل في عموم الآية كل من سعى لإفساد أديان الناس، أو أبدانهم أو أموالهم،
كالكفار المرتدين والمحاربين، ودعاة البدع الذين لا ينكفُّ شرهم إلا بالقتل، وكقطع
الطريق ونحوهم، ممن يصول على الناس فيقتلهم، ويأخذ أموالهم، ويعتدي على أعراضهم.

وقد كان بعض أهل الجاهلية يعتدون في القتل؛ فيتجاوزون إلى غير القاتل، ويقتلون
أولادهم خشية الفقر أو فراراً منه، فأبطله الإسلام، ونهى عنه، وجعله خطأ وظلماً وعدواناً،
وجعل من أخص صفات عباد الرحمن أنهم لا ﴿يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
[الفرقان: ٦٨]، فلا يسرف الولي في قتل القاتل، بأن يُمثَّلَ به، أو يقتص من غيره، ولا يُقتل
الأولاد خشية من فقر متوقع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ
فَنَاهُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، ولا فراراً منه بعد وقوعه، قال تعالى: ﴿وَلَا
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، فإن الله هو الرزاق
الكريم^(١)، فقتل الأولاد تزيين من الشركاء، وخسارة وسفه، ويوم القيامة يكون الحساب
﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

٤ - الزُّنَا^(٢):

فعل خبيث، وجريمة خُلُقِيَّة، وتعدُّ على الأعراض، حذر منه الرب ﷻ في كتابه المبين،
في مواضع عديدة، وسماه ووصفه بما يُنْفِرُ منه؛ كالزنا، والفاحشة، والسفاح، والبغاء،
والسوء، والسوء.

وهو من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب بعد الشرك وقتل النفس بغير حق؛ ولذا قرن بهما

(١) ينظر: تفسير الصنعاني ١/٣٧٧، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢/٢٣٦.

(٢) الزُّنَا: «كل وطء وقع على غير نكاح صحيح، ولا شبهة نكاح، ولا ملك يمين» بداية المجتهد ٤/٢١٥.

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^١ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨].

ولعل اقتراحه بهذين الذننين العظيمين تنبيه على أنه يقود ويوصل إليهما، والواقع شاهد بذلك، قال الإمام أحمد: «لا أعلم بعد القتل ذنباً أعظم من الزنا»^(١).

وكان بعض أهل الجاهلية يُكرهون بعض إمامهم على التكسب من خلاله، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَنِينَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا لِنَبْنِغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٣٣].

إن أصحاب المروءات، والأذواق الرفيعة يشتمزون منه، ويترفعون عن مقارفته، ويرونه هدماً للأخلاق والشرف، ويبرأ منه الخُلصُ من العباد، فقليل لمريم عليها السلام: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٨]، حيث «كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح، ولا يعرفون بالفساد، ومن الناس من يعرفون بالصلاح، ويتوالدون به، وآخرون يعرفون بالفساد، ويتوالدون به»^(٢).

وقالت النسوة في حق يوسف عليه السلام: ﴿مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: ٥١]، وهكذا يشهد الناس لمن تربي على العفاف والشرف الرفيع، ولا يخطر على بال أحد مواقفته له يوماً من الدهر.

إن الزنا رذيلة يندس عرض صاحبه، وعرض من قارنه ومازجه، فلا يطاوع الزاني على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك، وكذلك الزانية لا ينكحها إلا عاص بزناه أو مشرك لا يعتقد تحريمه، ولا يرضى بالزواج من الزانية إلا من كان على

(١) ينظر: المبدع في شرح المقنع ٧/ ٣٥٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ١٠/ ١٣٨، ومطالب أولي النهى

في شرح غاية المنتهى ٦/ ١٧٣، ومنار السبيل في شرح الدليل ٢/ ٣٦٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢٢٨.

شاكلتها، أو هو مقيم على الشرك، لا يؤمن ببعث ولا جزاء، ولا التزام بأمر الله^(١)، قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]، وكما جاء وصف الزناة في قوله تعالى: ﴿الْمَخِيثَاتُ لِلْمَخِيثِينَ وَالْمَخِيثُونَ لِلْمَخِيثَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

فالزواج مشرع من العفيفين والعفيفات، والطيبين والطيبات، لا من المعلنين بالزنا من المسافحين والمسافحات، والمخيشين والمخيشات، ولا من المسرئين به بالمخادنة والمصادقة، فللزانيات في الجاهلية رايات منصوبة، «وكانت العرب تعيب الإعلان بالزنا، ولا تعيب اتخاذ الأعدان، ثم رفع الإسلام جميع ذلك»^(٢)، سرًا كان أو جهراً، وسواء أكان احترافاً، أم مجرد نزوة من حرّة أو من أمة، من مسلمة أو غير مسلمة.

كما نهي الإسلام عن قربانه، وعن كل سبب يؤدي إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وإذا انحطت الأخلاق، وأبت النفس إلا التدنس بالخبيث، فلا بد لها من رادع وزاجر ومطهر عن هذه النجاسة الخلقية، ولذا شرع الله فيه عقوبة مقدره، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَةٌ عَدَايَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وأفحش أنواعه الزنا ما كان بجليلة الجار، أو بذات رحم، أو كان في نهار رمضان، أو في البلد الحرام، فكل ذلك فاحشة مشينة خبيثة «فإن المحرمات كلما تَعَلَّطَتْ، تَعَلَّطَتْ عقوباتها»^(٣). ومن رمى به عفيفاً فهو مستحق للعقوبة، وهو من الفاسقين، إلا أن يتوب، ويكذب مقولته^(٤).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٦١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٤٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ٥/ ٤١.

(٤) ينظر: الزواجر ٥٤١ - ٥٥٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٦١.

٥ - عَمَلُ قَوْمٍ لُوطٍ:

جرمة خلقية اشتهر بها الشُّذاذ الأخبث من قوم لوط عليه السلام حيث انتكست فطرهم، فكانوا يأتون الذُّكران في أدبارهم^(١).

وجريمتهم التي عرفوا بها هي من الخبائث المنكرة التي لا تليق بالجنس البشري، بل إن الحيوانات تعف - بفطرتها - عنها، قال تعالى: ﴿لَوْطًا أَيَّنَنَهُ حُكْمًا وَعَلِمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيْثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِيْنَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقد بسط الله ﷻ قصتهم، ومحاجة نبيهم لهم، وعييه على أفعالهم الخبيثة في عدد من السور، كالأعراف وهود، والحجر والنمل، والعنكبوت والأنبياء، والشعراء.

وهذا الشذوذ الأخلاقي فيهم لم يحدث في أمة قبلهم في أي زمان، بل هو من مبتدعائهم الخبيثة في الفساد؛ ولذا قال لهم نبيهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِيْنَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، وأنكر عليهم تمتعهم في محل تخرج منه الأنتان والأخبث، وإعلانهم خبائثهم الشنيعة، فقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٥].

واشتهر عند العلماء تسميتهم باللوطية، وتسمية الفعل باللواط، ورأى بعضهم كراهية ذلك تزيهاً للوط عليه السلام، والاكتفاء بما لهم في القرآن والسنة من الأسماء، والأوصاف^(٢)، فقد سماها الله ﷻ منكرًا، وفاحشة، وجعلها من الخبائث، ومن الفسوق، ووصف مرتكبيها بأهم

(١) ينظر: معالم الترتيل ٥ / ٣٣١.

(٢) لَوَطٌ: من لاط الشيء يلوطن ويليط، يقال: إني لأجد له في قلبي لوطًا وليطًا، يعني: الحب اللازق بالقلب، وقد اشتق الناس من اسم لوط عليه السلام فعلاً من فعل فعل قومه؛ ولما في الفعل من معنى الحب والإلصاق، وقد أطبق العلماء على إطلاق تسمية (اللواط، واللوطية) في مصنفاتهم، قال ابن فارس في المفردات ص ٧٥١: «وقولهم: لَوَطٌ فلان: إذا تعاطى فعل قوم لوط، فمن طريق الاشتقاق، فإنه اشتق من لفظ لوط الناهي عن ذلك لا من لفظ المتعاطين له»، ومع هذا فالإكتفاء بالتسمية القرآنية أولى، وتحاشي هذه التسمية أمر مطلوب، وتوقير النبي واحترامه مشروع، وفي تركها حسن أدب وحمية للنبي الكريم الطاهر لوط عليه السلام، ولو باعتبارها ناهياً، ولو لم يخطر ببال مسلم أدنى إساءة إليه. والله أعلم. ينظر: الصحاح، مادة: (لوط) ٣ / ١١٥٨، ومعجم المناهي اللفظية ص ٤٦١.

قوم سوء، ووصف قريتهم بعمل الخبائث، والتي أمطرت مطر السوء، وصرح لهم نبينهم بأعظم خطيئاتهم بعد الشرك، وهو إتيان الذكور، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴿٨١﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨٤].

وفي السنة المطهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَأَقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ))^(١).

إن نكاح الذكور عمل تشمئز منه النفوس، وتكره الفطر السليمة، ويأباه الذوق الرفيع، وفاعله ساقط الكرامة من أعين الغيورين، ويعظم خطره في مثل هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن، وتوعدت أساليب المفسدين في ترويح الفواحش، وإثارة الشهوات؛ لذي يجب الحذر، وتحذير الناشئة منه، وإشهار قبحه، وعظم عقوبته، وتجليه مخاطره ومفاسده الدينية والاجتماعية، والصحية على الفاعل والمفعول به.

لقد وسم الله ﷻ الشرك والزنا واللواطه بالنجاسة والخبث، دون سائر الذنوب، وإن كانت جميعاً تشتمل على ذلك؛ لكنه خص هذه الذنوب لغلظها، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال في حق اللواطه: ﴿وَلَوْ طَأَّ أَيْنِسُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجِسَتْهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَسِيقِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ [الأنبياء: ٧٤].

لقد فشّت فيهم الفاحشة واعتادوها، حتى نفوا عن أنفسهم الطهارة، وصار التتره عنها جرماً يستحق صاحبه الإخراج والطرده، حيث قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٨٢ والنمل: ٥٦].

وفي الزنا واللواط من النجاسة، والخبث أكثر، وأغلظ من سائر الذنوب ما دون الشرك؛

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط ٢ / ٨٥٦ رقم ٢٥٦١، وأبو داود، في الحدود باب فيمن عمل عمل قوم لوط ٤ / ٢٦٩ رقم ٤٤٦٤، والترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي ٤ / ٥٧ رقم ١٤٥٦، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨ / ٢١، وصحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٣١١ رقم ٢٤٢٢.

ويلقي اللوم كله على من أطاعة؛ ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم، وَغَبْنَا إِلَىٰ غَبْنِهِمْ^(١)، وحسرة إلى حسرتهم^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۗ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ولئن أخذ هذا الخبيث الميثاق على نفسه ليقعدن لابن آدم كل طريق، وهدد وتوعد، فإن كيدته ضعيف، ومكره يُور^(٣)، إذا تسلح العبد بسلاح العقيدة النقية، وحسن لله تعبه، وضح عليه توكله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٩٩ - ١٠٠]؛ فليس لإبليس حجة، ولا سلطان على الذين آمنوا بالله ورسوله، وفعلوا الأوامر واجتنبوا النواهي، إنما حجته على الذين يعبدونه^(٤).

ولئن انطلق عدو الله ينفذ وعيده، ويستذل عبيده، فليس له طريق إلى عباد الله وحزب الرحمن، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

وعلى الرغم من وضوح ذلك، وجلاته، فقد يزل المؤمن أو يخطئ، وقد يصيبه نزع من الشيطان، أو يمسه طائف منه، وقد يُرآن^(٥) على قلبه من وسواسه، لكنه سرعان ما يلوذ بربه، ويلجأ إلى ذكره، ويتوب إليه من قريب، فيهرب شيطانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١]؛ لأن

(١) الغَبْنُ: كلمة تدل على ضعف واحتضام، وانتقاص، في بيع أو رأي أو غيرهما. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (غَبْن) ٤/٤١١، والمفردات في غريب القرآن ص ٦٠٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٤٨٩.

(٣) البُورُ: الفاسد والهالك، وما ليس بشيء. ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/٦٦، والصحاح، مادة: (بُور) ٢/٥٩٧.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/٢٩٤.

(٥) الرِّئْنُ: الطبع والندس، والتغطية. ينظر: الصحاح، مادة: (رَيْن) ٥/٢١٢٩، المفردات ص ٣٧٣.

وذلك لأنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدًّا؛ ولهذا كان أحظى النَّاس بهذه النَّجاسة أكثرهم شركًا، فكَلِّمًا كان الشُّرك في العبد أغلب كانت هذه النَّجاسة، والخبائث فيه أكثر، وكلِّمًا كان العبد أعظم إخلاصًا كان منها أبعد، فليس في الذَّنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين، ولهما خاصية في إبعاد القلب من الله، فإذا انصبغ القلب بهما بُعد من الله الطَّيِّب الذي لا يصعد إليه إلَّا الطَّيِّب^(١).

(١) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص ٧٨ - ٨٢.

المبحث السابع: الخبيث من عموم المخلوقات في القرآن الكريم:

نبهنا الله ﷻ على عدد من الخبائث في مخلوقاته؛ في الحيوانات والحشرات والأشجار وغيرها، فمنها ما هو ابتلاء وامتحان للخلق، ومنها ما كان عذاباً لمجرمين، أو ذمّاً وعقوبة لأقوام تشبهوا بها، ومنها ما هو لفت للأنظار إلى إعجاز الله في خلقه لها، ومنها ما جعله الحكيم الخبير ميداناً للتحدي وإقامة الحجة، ومنها ما هو تقريب للأذهان لتفهم، وتعي أمر الله ونهيه، ومن ذلك:

١ - إبليس^(١):

أخبت الخبثاء، ورأس أئمة الضلالة، وقائد الفجرة والعصاة، المعترض العاصي للأوامر، والمستكبر المعاند، الملعون المطرود من ربه، اليائس من رحمته، المعمر في الدنيا للابتلاء والاختبار، والمخلد في الآخرة في النار.

جاء ذكره في القرآن الكريم باسم الشيطان في عشرات الآيات، وتسميته إبليس إحدى عشرة مرة، وأكثرها في قصته مع أبينا آدم ﷺ؛ وامتناعه عن السجود له عصيانياً واستكباراً لأمر ربه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال معترضاً: ﴿ءَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

وإبليس هو أبو الجن، خلقه الله من نار السموم^(٢)، وجعل له جنوداً وأعواناً وذرية، يسعون في إغواء بني آدم، فحذرنا منه ومن مكائده ومصايد، وأمرنا بالتعود منه، ومن ذريته^(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَتَّخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

(١) إبليس: مشتق من الإبلاس؛ لأنه إبلس من الخير أي: أوبس، وهو أبلس أي: بئس من رحمة الله. ينظر: العين ٢٦٢/٧، والصحاح، مادة: (بلس) ٩٠٩/٣، ومقاييس اللغة ١/٣٠٠، والمفردات في غريب القرآن ص ١٤٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٧٧/٦، وتفسير القرآن العزيز ٢٠٣/١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤٠٢/٣، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٩٠/١.

قوة صلّتهم بالله تعصمهم من أن ينساقوا مع عدو الله وعدوهم، فيتخلص المؤمن بذكر الله لجوءاً إلى ربه، واستعاذة به من نَزَعَاتِ^(١) الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

٢ - الكلب^(٢):

ورد ذكره في القرآن خمس مرات، منها أربع في قصة أهل الكهف لما صحب أهل الخير، نال من بركتهم، وذكر معهم^(٣).

والخامسة هي أشد آية في حق العلماء^(٤)، فقد ضربه الله مثلاً للعالم الذي ركن إلى الدنيا، واتبع الهوى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فضرب له مثلاً بأخس حيوان في أخس حال، حيث صار مثله في ضلاله، واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان، كالكلب في لهث^(٥) في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان، ولا عدمه^(٦).

وللشريعة المطهرة أحكام وبيان واضح في شأن الكلاب، فقد جاء النهي الصريح في

(١) النَّزْعُ: الفساد، والدخول في أمرٍ لإفساده. ينظر: العين، مادة: (نَزَع) ٤ / ٣٨٤، والمفردات ص ٧٩٨.
 (٢) الكلب: حيوان أهليّ، تباح، يأكل العذرة، ويرجع في قيئه، والجيفة أحب إليه من اللحم الطري. ينظر: الحيوان ١ / ١٤٩، والمفردات في غريب القرآن ص ٧٢٠، وحياة الحيوان الكبرى ٢ / ٣٧٨.
 (٣) ينظر: المحرر الوجيز ٣ / ٥٢٦، والجواهر الحسان ٢ / ٣٧٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٧١.
 (٤) ينظر: تفسير السمعاني ٢ / ٢٣٣.
 (٥) اللَّهْثُ: تنفس سريع، وتحريك لأعضاء الفم، وخروج للسان، وأكثر ما يعتري الحيوانات مع الحر والتعب، وهو حالة دائمة للكلب. ينظر: العين، مادة: (لَهَث) ٤ / ٤٢، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ٣ / ٣٧٨.
 (٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥١٢.

وقد أخبرنا ربنا بعداوته، وأنه أخذ على نفسه العهد، والميثاق لبيد لن جهده في إغواء العباد، ما دامت أرواحهم في أجسادهم.

فكان سبباً في إخراج أبينا آدم وزوجه من الجنة، بعد أن زين لهما ووسوس، وأقسم لهما، مغرراً بهما ولم يزل بهما حتى عصياً أمر الله، وأكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها، ثم تابا وندما، فتاب الله عليهما.

ولقد طلب عدو الله من ربه أن يؤجله، ويطيل بقاءه ليظفر بعمر طويل يستطيع فيه أن يضل ويفسد، ويصرف الناس عن الهدى، وما أن أذن الله له بطول الأجل حتى قام يسرد على ربه ﷻ، خطته لإضلال البشرية، بكل وقاحة وخبث، ودون حياء أو خوف، ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

إن هذا الخبيث يعلنها حرباً شاملة، يقوم بتنفيذها جنوده في كل مكان، بقيادته التي يمارس فيها كيدته وفتنته، فيشامم النفس وينظر رغباتها وميلها ومحابها، فيفتح لها أبواباً من الشرور، فيدعوها إلى الكفر والشرك ويفرح بالبدعة في الدين؛ لأن صاحبها لا يتوب منها غالباً؛ لأنه يراها ديناً، ويحرص على كباتر الذنوب، والإصرار على صغائرها، والاشتغال بما لا يعني من الأقوال والأفعال، ويتصيد من أطاعه بالشبه والأهواء، وفتنة المال والنساء، والجاه والمنصب، بحسب ميولهم ومشتهياتهم^(١) عن سبرة بن أبي فاكه^(٢) قال: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لَابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتَسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءِ أَبِيكَ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطُّولِ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، قَالَ: ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتَقَاتَلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنَكِّحُ

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/ ٢٢٣.

(٢) سبرة بن الفاكه، ويقال: ابن أبي الفاكه، والمخزومي، وقيل الأسدي، صحابي، نزل الكوفة. وليس له

سوى هذا الحديث، ينظر: تهذيب الكمال ١٠/ ٢٠٢، رقم ٢١٨٠، والإصابة ٣/ ٣١ رقم ٣٠٨٨.

الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ، قَالَ: فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ^(١).

وهكذا يقعد في كل طريق يسلكه ابن آدم، مستخدماً وسائل التغرير والخداع، بالأمانى والوعود الكاذبة، التي نهايتها الهروب والتخلي، ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

وكل مبطل له نصيب من هذه الآيات، فوعده: ما يصل إلى قلب الإنسان نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دُول ستكون لك كما كانت لغيرك، ويُطوّل أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه، ويمنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها، فيمنى بالظفر بالحق وإدراكه، ويعد بالوصول إليه من غير طريقه، والنفس الخبيثة تتغذي بوعوده الكاذبة، وتلتذ بالأمانى الباطلة، وتفرح بها، وهكذا يعد الباطل، ويمني المحال.

إن هذا العدو الخبيث يقود الإنسان حتى يورده المهالك، فقد حسن للأمم السالفة ما كانوا عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وأنواعاً من الذنوب والمعاصي، فأروها حسنة فكذبوا رسلهم، وردّوا ما جاءوهم به من عند ربهم، قال تعالى: ﴿تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣]، فالشيطان ناصرهم في الدنيا، وبتس الناصر، وأما في الآخرة عند ورودهم على ربهم فلا تنفعهم ولاية الشيطان، كما لم تنفعهم في الدنيا، بل أضرت بهم؛ حيث نزل بهم بأس الله فلم

(١) أخرجه أحمد ٣١٥/٢٥ رقم ١٥٩٥٨، والنسائي في سننه، في كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ٢١/٦، رقم ٣١٣٤، وابن حبان في صحيحه، في كتاب السير، باب فضل الجهاد ٤٥٣/١٠، رقم ٤٥٩٣، وحسنه ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٢٦/٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٥٠/٢، رقم ١٢٩٩، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده قوي ٣١٦/٢٥.

السنة المطهرة عن ثمنه، واعتباره كَسْبًا خبيثًا رديئًا^(١)، حيث جاءت الأحاديث بتحريم اقتنائه لغير ما استثنى، وأن في ذلك نقصانًا للأجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ، إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ))^(٢).

أما إدخال الكلاب للبيوت، ووجودها فيها فهو مانع من دخول الملائكة فيها^(٣)، ولا يصحبون رفقة معهم كلب^(٤)، والأسود منه شيطان يقطع صلاة الرجل^(٥)، والمصلي منهى أن يبسط ذراعيه في السجود انبساط الكلب^(٦)، والإناء بعد شربه منه يغسل سبعاً^(٧)، إضافة إلى استخدام التراب؛ مبالغة في تطهير نجاسته المغلظة، وحماية من ضرره^(٨)، والعقور^(٩) من الكلاب يُقتل في الحل والحرم^(١٠).

(١) أخرجه مسلم، في كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب، وحلوان الكاهن، ومهر البغي، والنهي عن بيع السنور ٣ / ١١٩٩، رقم ١٥٦٨، من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحرث والمزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث ٣ / ١٠٣، رقم ٢٣٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: أمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٤ / ١١٤، رقم ٣٢٢٥، ومسلم، في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتحنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عليهم السلام لا يدخلون بيتاً فيه صورة أو كلب ٣ / ١٦٦٥، رقم ٢١٠٦، من حديث أبي طلحة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم، في كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الكلب والجرس في السفر ٣ / ١٦٧٢، رقم ٢١١٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم، في كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي ١ / ٣٦٥، رقم ٥١٠، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب لا يفترش ذراعيه في السجود ١ / ١٦٤، رقم ٨٢٢، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الوضوء، باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً ١ / ٤٥، رقم ١٧٢، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) اكتشف العلم الحديث أن فيروس الكلب دقيق صغير، وأن لعابه المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هنا هو امتصاص الميكروب، والقضاء عليه، وتنظيف الإناء، وتعقيمه. ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.quran-m.com).

(٩) العَقُورُ: من العَقْر، وهو الجرح، والقَتْل. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٥٢٩.

(١٠) أخرجه مسلم، في كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ٢ / ٨٥٨، رقم ١١٩٩، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ينفعهم الندم، ولم يُعْن عنهم شيئاً^(١)، بل نَكَصَ^(٢) على عقبه وتخلّى عنهم، قال تعالى:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١٦ - ١٧].

ولن يترك وسيلة يضل بها بني آدم إلا أخذ بها؛ فيأتي من بعد الكفر مسالك أخرى في

خطوات من البدع، والأهواء والشبهات، حتى يُلقَى من أطاعه في مهاوي الردى ومسالك

الضلال، منتقلاً بهم إلى حالة يقولون فيها على الله ما لا يعلمون، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ

بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩].

فالقول على الله بلا علم خطوة من خطوات الشيطان، «وأصل الشرك والكفر هو

القول على الله بلا علم»^(٣).

وتأتي خطوات من بعد ذلك في أهواء النفوس وطبائعها؛ فالبخل وخوف الفقر من

أسلحته الخبيثة، فإذا وقع هذا الخوف في قلب الإنسان منع الحق، وتكلم بالهوى، وظن بربه

ظناً خبيثاً، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ

وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٦٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فما يفتقر هذا العدو الخبيث سالكاً طرق

الغواية، والإفساد فيخوف الأغنياء بالفقر، إذا هم تصدقوا وأحسنوا، كما يزين لهم الغنى

وألوان الثراء بالأسباب المحرمة والوسائل القدرية، وينقضي عمر ابن آدم وهو في بحر الأمان

يسبح، وفي سبيل الغواية يخوض^(٤).

وقد يترقى هذا الخبيث بمن أطاعه من الصغائر إلى الكبائر، فيبدأ بالعبد بما يُحَقَّر من

المعاصي، وما يَسْتَهين به من الذنوب.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٢٣٥.

(٢) التُّكُوصُ: «الإحجام عن الشيء». الصحاح، مادة (نَكَصَ) ٣ / ١٠٦٠، والمفردات ص ٨٢٤.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١ / ٣٧٩.

(٤) إغائة اللهفان من مصايد الشيطان ١ / ١٠٧.

وحبائله تُحبك وتحاك للخروج عن الصراط المستقيم و«ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين: ما يبالي بأيهما ظفر إما غلوه فيه، وإما تقصير عنه، فإما إلى إفراط، إما إلى تفريط»^(١)، ويقع العبد في ذلك حين يُسلم قياده لعدوه، ويُفلس الزمام لشهواته، فيتبع كل شيطان مرید، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

ويستفز هذا الخبيث القلوب والعقول والمشاعر، في معركة صاحبة تُزْمَجِر^(٢) فيها الأصوات، ويكون فيها الإسراع بكل وسيلة للمحرمات، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤]، وأصوات الشياطين كثيرة لا حصر لها، وهي في كل مكان لها نَعِيق^(٣) مزعج، تنادي للباطل وتدعو إليه؛ من تشكيك في القرآن، ومُسلِّمات الشريعة، وأفكار ضالة، وآراء شاذة، ودعوات للإباحية، وأغان سافلة.

وكل متكلم بغير طاعة الله، ومصوت بمزمار حرام فذلك صوت الشيطان، وكل ساع في معصية الله على قدميه فهو من رَجَلِه، وكل راكب في معصية الله فهو من خَيْالَتِه^(٤)، وحيوله مختلفة الأشكال والألوان؛ من كتب ومجلات، وصحف وأفلام، وخمور وميسر، ورجال باعوا أنفسهم للباطل، والدعوة إليه.

وأما في الآخرة فإن إبليس يقف خطيباً في أتباعه في النار يوم القيامة ويتبرأ مما فعل،

(١) تلبس إبليس ٣١ / ١، وينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١ / ١١٦.

(٢) الزَمْجَرَةُ: الصوت، يقال هذا لمن أكثر الصَّخَبَ والصياح، وخصه بعضهم بالصوت من الجوف. ينظر: الصحاح، مادة: (زَمْجَر) ٢ / ٦٧١، ولسان العرب ٤ / ٣٢٩.

(٣) النَّعِيقُ: كلمة تدل على الصوت، يقال: نَعَقَ الراعي بغنمه إذا صوت لها. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (نَعَق) ٢ / ٩٤٣، مقاييس اللغة ٥ / ٤٤٥، والمفردات في غريب القرآن ص ٨١٤.

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ١ / ٢٥٦.

فكل هذه الأحكام، يفهم منها موقف الإسلام من الكلاب، وبيان حالها، وأثرها على العبادات والمعاملات، والأطعمة والبيوت، وفي الإقامة والسفر.

إضافة إلى ما اكتشفه العلم الحديث من أضرار الكلاب على الصحة، وما تحمله من أوبئة، وأمراض للبشرية^(١).

والحمد لله الذي هدانا وميَّزنا عن حال أهل الكفر والضلال، الذين يُقَدِّمون الكلب على الإنسان، ويفضلونه عليهم، باقتنائهم وصحبته، وتخصيصه بالوصية، والأموال والأوقاف.

ولا يستغرب ذلك من الكافرين الذين هم شرُّ الدواب عند الله، وإنما يستغرب ذلك على مسلم تربي في ديار الإسلام، ونشأ في بيئة أجمعت على عدم اقتناء الكلاب وتفضيلها، إلا أن الإعجاب بالمحبوب قد يصرف عن الحق، ويسبب تجاهل الأخذ بتعاليم الدين، فينبري إلى تقليد الكافرين ومشابهم، خاصة إذا انبهر بما لديهم من تقدم، وحضارة دنيوية، فظن أن الرقي والتقدم شامل لاقتناء الكلاب وصحبته، مع وضوح تعاليم ديننا فيها.

وهكذا يتأثر الفرد والمجتمع نتيجة للاختلاط بأهل الكفر والضلال، والسفر لبلادهم من غير تحصين ديني وعقلي.

(١) حذر الأطباء من لمس الكلاب، ومداعبتها، والتعرض لفضلاتها؛ لأن ذلك يسبب نقل ديدان طفيلية تعرف باسم «توكسوكارا كانيس» التي تسبب فقدان البصر للإنسان، ودلت الإحصاءات على ظهور عشرة آلاف إصابة بتلك الديدان في الولايات المتحدة سنوياً، معظمها بين الأطفال.

كما ثبت علمياً أن الكلب ناقل لبعض الأمراض الخطرة، إذ تعيش في أمعائه دودة تدعى (الأكينوكوكيَّة Echinococcus) تخرج بيضها مع برازه، وعندما يلحس دبره بلسانه ينقل هذه البيض إليه، ثم تنتقل منه إلى الأواني والأيدي، ومنها تدخل إلى معدتهم، فأمعائهم، وتنتقل إلى جميع أنحاء الجسم، ثم تنمو في العضو الذي تدخل إليه، وتشكل كيساً مملوءاً بالأجنة، وبسائل صاف، وقد يكبر الكيس حتى يصبح بحجم رأس الجنين، ويتطور المرض بشكل بطيء، وتحتفظ الدودة بالنمو داخل الكيس لعدة سنوات، ويسمى المرض: داء الكيس المائية، وقد أكد الأطباء على خطورة هذه الدودة، وسمِّ اللعاب الذي تسبح فيه. ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www.quran-m.com).

٣ - البَعُوضَةُ^(١):

حشرة صغيرة ضربها الله مثلاً لشدة الضعف، والحقارة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦].

ففي كل ذرة من ذرات هذا الكون العظيم آية تُحَدِّثُ عن عظمة الله وجلاله، ولله ﷻ أن يضرب المثل بأي من مخلوقاته، وأن يقيم منه شاهداً لما يريد.

فالمؤمنون يجدون فيه هدى ونوراً، وأما الكافرون والذين في قلوبهم مرض فلا تزيدهم الأمثال الواضحة إلا ضلالاً وعمى^(٢)، فلا يساوون شيئاً عند الله ﷻ، فعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾))^(٣).

٤ - الدُّبَابُ^(٤):

ذكره القرآن العظيم مرتين، في مثل من أبلغ ما أنزل الله ﷻ؛ تجهيلاً للمشركين، ودليلاً على سخافة عقولهم، وأن الشيطان خدعهم وأضلهم في عبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

(١) البَعُوضَةُ: حشرة طائرة صغيرة، مضرّة، تشبه الفيل في الخلق، وتنقل الأمراض، وتمص الدم بشراهة، فإما أن تنشق وتموت، أو تعجز عن الطيران فتهلك. ينظر: جواهر القرآن ص ٦٦، وحياة الحيوان ١/ ١٨٤.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ٤٠٥، وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٢٠٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعْتُمْ رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِمْ يَخِطُّونَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٦/ ٩٣ رقم ٤٧٢٩، ومسلم، في كتاب صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار ٤/ ٢١٤٧ رقم ٢٧٨٥.

(٤) الدُّبَابُ: اسم يطلق على كثير من الحشرات المنحثة، وهو حشرة معروفة، متولد من العفونة، والزبل، ويظهر فيها وعليها كثيراً؛ وسمي ذباباً لكثرة حركته واضطرابه؛ أو لأنه كلما ذُبَّ آب. ينظر: الحيوان ٣/ ١٦٥، وحياة الحيوان ١/ ٤٨٨، وموسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ص ١٩٥.

النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

فالذباب من أضعف المخلوقات وأحقرها، ولو اجتمعت هذه المعبودات كلها على خلق مثله لعجزت، وأبلغ من ذلك عجزها عن مقاومته، ودفع أذيته، والانتصار منه لو سلبها شيئاً مما عليها^(١).
وخص الذباب؛ لأربعة أمور؛ لضعفه، واستقذاره، وكثرته، ومهانتة، فهو من أحرر المخلوقات المشاهدة^(٢).

فمن هذه صفاتهم وحالهم كيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين، وأرباباً مطاعين؟!.

٥- الشجرة الخبيثة:

وهي كل شجرة لا يطيب ثمرها، كالحنظل^(٣)، والكشوث^(٤)، ونحو ذلك^(٥)، قال تعالى:
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

فهذه الشجرة لا تستحق البقاء، فلا ثمرة صالحة تنتجها وتخرجها، بل إن وجد فيها ثمرة فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول وعمل خبيث يضر صاحبه، ولا ينتفع به، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح، ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره^(٦).

وأرباب الشهوات، والنفوس الضعيفة هم أصحاب الكلمة الخبيثة؛ التي هي كالحنظل طعمًا، وأثرًا.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٨٦/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٩٧/١٢، وتفسير القرآن العظيم ٤٥٤/٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٧/١٢، والتحرير والتنوير ٣٤١/١٧.

(٣) الحنظل: نبات عشبي زاحف معمر يتبع الفصيلة القرعية، وشديدة المرارة، ويسمى: الشري. ينظر: الصحاح،

مادة: (حنظل) ٢٣٩١/٦، والمصباح المنير ١/١٤١، وموسوعة النباتات الطبيعية، ومستحضراتها

(adelbarhoum.com).

(٤) الكشوث: بضم الكاف، وفتحها، نبت يتعلق بأغصان الشجر، ولا عرق له في الأرض. ينظر: العين، مادة:

(كشث) ٢٩٠/٥، والصحاح ١/٢٩٠.

(٥) ينظر: الكشاف ٢/٥٢٠.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٨٣/١٦، وتفسير المراغي ٣٤٥/١، والتفسير المنير ٢٤٤/١٣.

الفصل الرابع

أنواع الطيب في القرآن الكريم

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: الطيب من الناس في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: الطيب من الأموال في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: الطيب من المطعومات في القرآن الكريم.
- المبحث الرابع: الطيب من الأماكن في القرآن الكريم.
- المبحث الخامس: الطيب من الأقوال في القرآن الكريم.
- المبحث السادس: الطيب من الأفعال في القرآن الكريم.
- المبحث السابع: الطيب من عموم المخلوقات في القرآن الكريم.

مدخل:

تحدث القرآن الكريم عن أنواع كثيرة من الطيبات، مبيناً منة الله على عباده بما رزقهم وأمدهم به من الخيرات والبركات، وما خلق لهم من الطيبات التي بها حياة قلوبهم وأرواحهم وأبدانهم، وبها تكمن سعادتهم في دنياهم وأخراتهم، مبيناً أوصافها وثمارها، وما لها من آثار ونتائج على الفرد المجتمع.

وقد شملت هذه الطيبات أنواعاً كثيرة من الناس، وعلى رأسهم أنبياء الله ورسله ﷺ وغيرهم؛ ممن كان لهم إخلاص وعبادة متميزة لربهم، ونفع وإحسان لعباده المؤمنين.

كما وضع القرآن الكريم الطيب من الأموال، اكتساباً وإنفاقاً، مبيناً جملة من الطيبات التي رزقهم إياها وأحلها لهم، وأمرهم بتناولها أكلاً وشرباً، مسمياً بعضها، لافتاً نظرهم إليها، ولما أعده لعباده الصالحين في جنته مما هو خير منها.

وبما أن حياة القلوب والأبدان لا تستقل بالمطعمات التي يتلذذون بها، فقد تفضل الله ﷻ على خلقه بأماكن مباركة طيبة ينالون من خيراتها وفضلها وبركات ما يعيشون به في راحة وكرامة؛ لكونهم عرفوا الله وعملوا بما شرعه لهم من أقوال طيبة، وأفعال زاكية ترفع درجاتهم، وتريح صدورهم وتعلقهم برهم الذي بث بين خلقه ما لا يحصون من نعمه وبديع صنعه، فنوع لهم الطيبات، وأوجد لها لهم، وجعلهم ينهلون من بركتها ولذتها، فيأكلون من الطيبات فيشكرونه، ويسكنون في الطيبات فيحمدونه، ويزدادون من الأقوال الطيبة والأفعال الحميدة تعظيماً له ورغبة في مرضاته ونيل هباته، وإيماناً بقدرته وفضله، وصدق وعده، وهذا ما سيتبين من خلال مباحث هذا الفصل التالية:

المبحث الأول: الطيب من الناس في القرآن الكريم:

عرض القرآن الكريم مجموعة من الطيبين، ممن اختارهم ربه من بين الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، والأعمال والأخلاق، والصفات الحسنة، فذكرهم بأحسن الذكر، وأثنى عليهم أحسن الثناء، وجعلهم من الطيبين الأخيار.

وبذكرهم وبيان أحوالهم الطيبة في القرآن ذي الذكر، يتذكر المتذكرون، ويشتاق إلى

الافتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون؛ وهذا يجعل المسلم على اطلاع بحالهم الزكية، وما منَّ الله به عليهم من أوصاف طيبة، وما نَشَر لهم من ثناء بين البرية؛ فيتخذهم أئمة هدى، ويحبهم، ويسلك سبيلهم بإحسان، ومن هؤلاء:

١ - الأنبياء، والرسل ﷺ:

الذين اصطفاهم الله واختارهم، من بين العباد وخصهم بخصائص لم تكن لغيرهم من البشر، وجعل لهم من المكانة الشريفة، والمقام الأسنى^(١) ما صاروا به أفضل البشر وأطيبهم وأزكاهم.

وقد أشاد بهم القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، وصرح بأسماء خمسة وعشرين منهم^(٢)، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ رَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وهذه أكثر آية جمعت عدداً منهم، فذكر الله فيها ثمانية عشر نبياً، من غير ترتيب بزمان، ولا فضل، وقد التمس بعض العلماء لطيفة في هذا؛ حيث خص الله ﷺ كل طائفة من الأنبياء بنوع من الكرامة والفضل، فذكر أولاً الخليل إبراهيم^(٣) ﷺ؛ لأن الآيات كانت

(١) السَّاءُ: الرَّفْعَةُ. ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٤٢٩، ومختار الصحاح، مادة: (سنا) ص ١٥٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/ ٥٨٠، وتفسير القرآن الحكيم ٧/ ٥٠١، والرسول والرسالات ص ١٨.

(٣) إِبْرَاهِيمُ ﷺ: صرح القرآن الكريم باسمه تسعاً وستين مرة، اجتنابه الله وهداه وجعله من المرسلين، وآتاه الصحف، وتحذره خليلاً، وناداه وكلمه، وابتلاه بالكلمات، وأتم عليه النعمة، وجعله إمام هدى وصلاح، وقدوة حسنة، وصديقاً موحداً، عُرف بالكرم، والتأوه والحلم، والإنابة والقنوت، آتاه الله رشده منذ نشأته، وآله الكتاب والحكمة والملك العظيم، وأنقذه وأهل بيته من الشرك، مَنْ الله عليه بقوة الحجة، وغلبة خصوم التوحيد، فكانت أول دعوته لأبيه، وناظر قومه في عبادة الكواكب والأوثان، بحكمة وهدوء، وتوزيع في الأدلة ووسائل الإقناع، ولم

عن دعوته، ومحاجته لقومه.

وبما أن السياق فيه امتنان عليه، فقد ناسب أن يذكر ما وهب له من الولد- خاصة أن أشرف الناس الأنبياء والرسل، وهم من نسله وذريته- فذكر نبيه إِسْحَاقَ ^(١) عليه السلام، الذي كانت ولادته له في حالة من الكِبَر؛ حيث لا يولد لمثله، ولا لمثل زوجته، وهو به أشد سروراً وفرحاً، ثم ذكر نبيه يَعْقُوبَ ^(٢) عليه السلام ابن ابنه، وهو إسرائيل؛ الذي أكثر الأنبياء من نسله. وبما أن الحديث كان لتحقيق التوحيد وإنكار الأوثان فقد جاء ذكر نُوحٍ ^(٣) عليه السلام، أول

يلقى منهم إلا الصدود والتهديد، فأعلى الله كلمته، وجعل نارهم عليه برداً وسلاماً، فكره حالتهم وتبرأ منهم ومن معبوداتهم، وهاجر إلى الأرض المباركة، وهياً الله له مكان البيت ورفع قواعده، وعهد إليه بتطهيره، واستجاب دعوته لأهله، وخلد ذكره بالمقام ومناسك الحج، ولا يرغب عن ملته إلا السفهاء، وجمع له من خير الدنيا ما يحتاجه المؤمن في إكمال حياته الطيبة، أما في الآخرة فهو من الصالحين، وحقاً هو إمام الحنفاء، والمجتبى المختار، بل هو الحنيف المسلم الذي دعا للتوحيد وربى بنيه على العقيدة، وأوصاهم بلزومها. ينظر: معالم التنزيل ١٦٤/٣، وتزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ص ٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٦١١/٤، وكتاب التوحيد وقررة عيون الموحدون في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ص ٢٤.

(١) إِسْحَاقُ عليه السلام: نبي كريم ابن النبي الكريم إبراهيم عليه السلام، ذكره الله في كتابه سبع عشرة مرة، أنزل عليه الوحي، وأثنى عليه في غير ما موضع، وعده الله من الصالحين، والمطيعين المباركين، وأتم عليه النعمة، ووصفه بالعبودية، وهو بشرى إبراهيم وزوجه على الكِبَر، وبأن سيكون له نسل وعقب، مما يدل على أنه ليس هو الذبيح، وكانت ولادته بعد أخيه إسماعيل؛ جازى الله به الخليل لما اعتزل قومه، وما يعبدون من دون الله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ٤٩]، فعوضه عنهم أولاداً صالحين تقر بهم عينه. ينظر: البداية والنهاية ١/ ٢٢٢، ومحاسن التأويل ٤/ ٤١٧، ودعوة الرسل عليه السلام ص ١٨١.

(٢) يَعْقُوبُ عليه السلام: ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ذكره القرآن الكريم ست عشرة مرة، بُشِرت به جدته من بعد إسحاق نافلة، وذريته أنبياء، اصطفاها الله وأخلصه، ونبأه وعلمه، وهداه ووقفه، وأتم عليه نعمته، وجعله من الأخيار العُباد، صبر على فقد ابنه صبراً لا شكوى معه ولا جزع، ربى بنيه على عقيدة صافية نشأ عليها، مؤكداً ذلك مطمئناً على تمسكهم بها عند موته. ينظر: المحرر الوجيز ٣/ ١٩٠، وبنو إسرائيل في ضوء الإسلام ص ٧٢.

(٣) نُوحٌ عليه السلام: ذكره القرآن ثلاثاً وأربعين مرة، أوحى الله إليه ليكون أول رسول، واستجاب نداءه، ونجاه وأهله من الكرب العظيم، وجعله من أولى العزم، وسلم عليه، وعده من المحسنين، دعا قومه سراً وجهراً، وليلاً ونهاراً، مبيناً نصحه وشفقته، ولم يتبعه إلا القلة مع طول المدة، أما الأكثر فضايقوه ومن اتبعه، ولقي منهم الإعراض والصد، والتضليل والسخرية والاستهزاء، والاتهام بالجنون، والتهديد بالرجم، فأغرقهم الله أجمعين، ونجى وسلم المؤمنين. ينظر: البدء والتاريخ ٣/ ١٦، ومعالم التنزيل ٨/ ٢٣٤، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم ١/ ٢٣٩.

رسول بعث، وأول من نهى عن عبادتها، وهو أجل آباء الخليل، وهؤلاء جميعاً يجمعهم أنهم أصول الأنبياء، وإليهم يرجع حسبهم جميعاً.

ثم من بعدهم من الأنبياء على أقسام، ويجمع كل قسم معنى مشترك: فداوُد^(١)، وسُلَيْمَان^(٢)، آتاهما الله ﷻ مع النبوة الملك والحكم، فكانا خليفين غنيين منعمين، ثم تلاهما بمن شاههما في الملك أو الحكم على الملوك فذكر أَيُّوبُ^(٣) ﷻ؛ وبدأ به لمناسبة ما بينه وبين سليمان في أن كلاً منهما ابتلى بأخذ كل ما في يده ثم رده الله إليه، وأيوب ﷻ وإن لم يكن ملكاً فقد كانت ثروته غير مقصرة عن ثروة الملوك، ثم جاء الذكر للصديق يُوسُفُ^(٤) بعد أَيُّوبُ ﷻ والذي يجمع بينهما أن كلاً منهما ابتلى بفراق أهله ثم رُدُّوا

(١) دَاوُدُ ﷻ: ذكره القرآن الكريم ست عشرة مرة، وهو من ذرية إبراهيم، وأنه قتل الخبيث الكافر جالوت، اصطفاه الله ليكون نبياً موحى إليه، وأنزل عليه الزُّبُور، وآتاه علماً وحكمة وملكاً قوياً، وجعله خليفة يحكم بالحق، وينشر العدل، وآتاه فضلاً، وألان له الحديد، وجعل الطير والجبال تسبح معه إذا سبح، ووقفه للحمد والشكر، موصوف بالعبودية، وطول القيام، وكثرة الصيام، والأوبة إلى الله، والقوة والصبر على الطاعة، وله عند الله يوم القيامة قربة وكرامة، وحسن مرجع؛ لتوبته وعدله التام في ملكه. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦٦/٢١، وتفسير القرآن العزيز ٨٥/٤، وتفسير القرآن العظيم ٦٢/٧، والبداية والنهاية ١٢/٢.

(٢) سُلَيْمَانُ ﷻ: ذكره القرآن الكريم سبع عشرة مرة، أوتي العلم والحكمة، وأورثه الله النبوة والملك بعد أبيه، وعلمه منطق الطير، وسخر له الجنود من الجن والإنس والطير، وكان كثير الحمد والشكر، عرف بقوته في الحق وإرهاب أعداء التوحيد؛ كما في قصته مع عبّاد الشمس، اختبره الله وابتلاه، ووهب له ملكاً لا يحصل لأحد بعده؛ فكانت الريح تجري حسب طلبه، والشياطين يأتمرون بأمره ويعملون له ما يشاء من الأنبياء واستخراج الأشياء النفيسة من البحار، مدحه ربه وأثنى عليه في عبوديته وقوته. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠١/٢١، والبداية والنهاية ٢٢/٢، وتفسير القرآن العظيم ٦٦/٧ و٧٦.

(٣) أَيُّوبُ ﷻ: ذكره القرآن أربع مرات، مشيراً إلى أنه من ذرية إبراهيم ﷻ، وأنه من الأنبياء الحسنين، ذهب ماله، ومسه الضر وأصابه المرض، وابتلى في جسده بأنواع البلاء، وهو صابر محتسب، عابد ذاكراً، لم يمنعه ما أصيب به عن الجد في العبادة، مقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه حتى رحمه ورفع عنه البلاء، وكشف ضره ورزقه، ورد عليه أهله وماله ومثلهم معهم. ينظر: تاريخ الرسل والملوك ٣٢٤/١، والبداية والنهاية ٢٥٤/١.

(٤) يُوسُفُ ﷻ: ابن يعقوب، ذكره القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً، وتحدثت عنه سورة كاملة، تحمل اسمه، كان محبوباً عند والده، قريباً من قلبه، كاد له أخوته، وضع في البئر، وبيع بثمن بخص، وذاق مرارة الغربة وفراق الأحبة، وظلم القرابة، وذُلُّ الرِّقِّ، وتعرض للقتل في صغره، وفتنة النساء وكيدهن في شبابه، وسجن لعفاهه ونزاهته، لكنه وفق لأخذ دروس الصبر وقوة العزيمة، وعظم التوكل، والثقة بوعده الله ونصره، نشر التوحيد، ونفع

عليه، وأن كلاً منهما ابتلي بالضراء، وطول المصيبة فصبر، وبالسراء والمال والنعم فشكر، وكل من هؤلاء الأربعة السابقين ابتلى فصبر واعتنى فشكر.

ولما كان يوسف عليه السلام ممن كان له في مصر أمر ونهي، وتديير زكي، وأعلى الله كلمته على كلمة ملكها، وأعز ملكها وأهلها وأحياءهم به، أتبعه بمن كان لهما فيها صولة وجولة، وعن أعلى الله كلمتهما على كلمة ملكها وأهلها وأهلك المخالفين لهما، فذكر موسى عليه السلام (١) وهارون عليه السلام (٢) فهما نبيان وأخوان متساعدان، ولهما من المعجزات وقوة البراهين

الناس بما تربى عليه من علم وإخلاص، وحسن خلق، وبذل لما وهبه الله من علم بالرؤى، ثم فرج الله له بعد الشدة، وقواه بعد الضعف، وأغناه بعد الفقر، ونصره على من ناوأه، وجمع أحبته بعد العناء والفرقة، ضارباً المثل الأعلى في العفو الصفح، مع وضوح الظلم وقدرته وقوته، تولى فعدل، ونجح في إدارة شؤون الاقتصاد، مع ضعف الموارد وقوة الاستهلاك، ولم يغيره المنصب عن منهجه الحق، بل عرف فضل الله وشكره، قائلاً: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْإِنْسَانِ فِي الْأَخْيَرِ تَوْفِيقِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّلَاحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. ينظر: معالم التنزيل ٤/ ٢٨١، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٢٠.

(١) موسى عليه السلام: ابن عمران، جاء الحديث عنه في القرآن الكريم كثيراً، مصرحاً به ستاً وثلاثين ومائة مرة، أخلصه الله واصطفاه، وناداه وكلمه، وشد عضده بأخيه، وبعثه وأرسله إلى الخبيث المستكبر فرعون وملته القوم العالين، فدعاهم وجادلهم، ونهاه عن الظلم والتعذيب، وأقام الحجة عليهم، أيده الله بالبراهين والمعجزات، وتسع آيات بينات، وأبطل سحرهم على يديه، وآتاه الكتاب والفرقان، والصحف، وأنزل عليه التوراة، مفصلاً وجعلها نوراً وضياءً، وهدى للناس وإماماً ورحمة، وآتاه سلطاناً مبيناً، صحب الخضر وتزود منه علماً، ونهى قومه عن الشرك، واتخاذ العجل، والتعلق بالأوثان، وأقنعهم بضعفها وفساد عبوديتها، وأمرهم بالتوبة، وذكرهم نعم الله عليهم، وبالنجاة من طاغيتهم، وجعلهم ملوكاً، واستسقى لقومه فسقوا، ودعا بكشف القليل فأجيب، وأوذي فصبر، وأمر قومه بالاستعانة بالله والصبر، وكان قدوة خيرة، وبيته معلّم هدى، في الصلاة والعبادة، ونفع الناس، ومع كثرة معجزاته وتنوعها إلا أن طائفة عاندوه وآذوه ومن معه من المؤمنين، دعا بجلول العذاب على فرعون وملته فأجيبت دعوته، وأهلك الله عدوة، وجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين، وحديث القرآن عنه واسع، ففي ولادته وتربيته ونشأته عجب، وفي حال شبابه وسيرته عبر، وفي خروجه من مصر ودخول مدين ورجوعه دروس، وفي قصصه مع فرعون وملته آيات، وفي دعوته لقومه ونصحه لهم بإخلاص وشفقة، وفي ذلك كله مواعظ وهداية، تلاها علينا ربنا بالحق؛ لنستنبط الفوائد، ونستلهم القواعد الجملة في التربية والسلوك والمنهج، والعلم الدعوة، وهي جديرة بالجمع والنشر. ينظر: تاريخ الرسل والملوك ١/ ٣٨٥، والبحر المحيط ٧/ ٣٣٩.

(٢) هارون عليه السلام: ابن عمران، ذكره القرآن تسع عشرة مرة، شد الله به عضد أخيه موسى عليه السلام رحمة منه، وجعله له وزيراً، ورداء يصدقه، ويبين خطابه، وأوحى إليه وبعثه معه إلى فرعون وملته، واستخلفه موسى في قومه، فنهاهم

والحجج الحظ الوافر؛ ولما كانا مسلطين على الملوك أتبعهما من سُلط الملوك عليهما فقتلوهما بغير حق ظلماً وعدواناً وهما زَكْرِيَّا^(١) وَيَحْيَى^(٢) عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ثم أتبعهما بمن عاندهما الملوك، ولم يسلطوا عليهما؛ حمايةً من الله وفضلاً، فذكر نبييه عيسى^(٣) وإلياس^(٤) عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ثم أتبعهم بمن لم يكن بينهما وبين الملوك أمر، وهدى بهما من كان بين ظهرائيهما فذكر أبا

عن عبادة العجل، وآتاه الله مع موسى الفرقان ضياءً وذكرًا، وَمَنْ عَلَيْهِ بالنجاة من فرعون وقومه، ومن الكرب العظيم، وسلم عليه، وجعله من المحسنين. ينظر: تاريخ الرسل والملوك ١/ ٤٢٢، والحرر الوجيز ٤/ ٢٢٦.

(١) زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذكره القرآن الكريم في سبعة مواضع، مبيِّناً كفالته لمرثم الصديقة، وأن الله رحمه واستجاب دعائه ونداءه الخفي؛ بأن يرزقه ذرية طيبة، وأن لا يتركه فردًا، فوهبه الله ولدًا على الكبر؛ وبشره بيحيى نبيًا بعد أن وهن عظمه، وعلا رأسه الشيب، وكانت زوجته عاقراً فأصلحها له، فصارت ولودًا، شهد له القرآن بأنه من الصالحين، ومدحه الله وأثنى عليه وعلى أهل بيته في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَعْرَبُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٣٤٩، والبداية والنهاية ٢/ ٥٥.

(٢) يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ابن زكريا، ذكره الله في القرآن الكريم أربع مرات، وميزه باسم لم يتسم به أحد قبله، تربي في بيت عبادة وصلاح، ورغبة ورهبة وخشوع لله، وصفه القرآن بالتقى والصلاح، ورزقه الله الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير وهو صغير، وسلم عليه في أوقات ثلاثة شديدة على الإنسان، عُرف بالتقى والبر بالوالدين، وأوحى الله إليه بالنبوة، قال تعالى: ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَرُكُونًا ﴿١٥﴾ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَسِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٢ - ١٥]. ينظر: البداية والنهاية ٢/ ٦٠، تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٦، وأضواء البيان ٣/ ٣٧٨.

(٣) عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذكره الله في كتابه خمسًا وعشرين مرة، مبيِّناً معجزته في خلقه من أم بلا أب، بشر الله به مريم الصديقة وسماه ﴿الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وأنه نبي مرسل، من الصالحين المصلحين، ونهى عن الغلو فيه، آتاه البيئات والمعجزات الباهرات، وأيده بروح القدس، وأنزل عليه الإنجيل، ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]، أودى فصير، وهَمَّ أعداؤه بقتله فرفعه الله إليه، وطهره من الذين كفروا، وبشر بمحمد ﷺ. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٤١٦، والوسيط للواحدى ٢/ ٢١٣، ومعالم التنزيل ٣/ ١٢٢، والبداية والنهاية ٢/ ٨٧.

(٤) إِيَّاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ابن ياسين، ذكر في القرآن ثلاث مرات، وأنه نبي موحى إليه، ورسول من عند الله، دعا إلى تقوى الله وتوحيده، وأنكر على قومه دعوة الأصنام وعبادتها، وتركهم الواحد الديان، إلا أن قومه كذبوه، وأعرضوا عن دعوته، أثنى الله عليه وسلم، وشهد له بالإحسان والصلاح. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٢٩٤، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١/ ٣٨٢، ولباب التأويل ٤/ ٢٧، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٧.

فذكر أبا العرب إسماعيل^(١) الطيب الذي اشتهر بصبره، وبرّه، وتسليمه ورضاه لأمر ربه بالذبح، ثم عطف عليه اليسع^(٢) الطيب، الذي كان مقامه في بني إسرائيل كمقام إسماعيل في بني إبراهيم؛ وفي إعانته لإلياس كما كان إسماعيل لإبراهيم عليه السلام، ولما كانا ممن هدى الله بهما قومهما من غير عذاب، أتبعهما من هدى قومه بالعذاب، وأنجاهم منه بعد إتيان علاماته فذكر يونس^(٣) الطيب.

ولما انقضت ذرية إبراهيم الطيب ختم بابن أخيه لوط^(٤) الطيب، فبدأت الآية بإبراهيم،

(١) إسماعيل^(١) الطيب: ابن إبراهيم من هاجر، وهو أكبر ولده، وجاء ذكره في القرآن الكريم اثنا عشرة مرة، وأن الله عهد إليه مع أبيه إبراهيم بتطهير البيت، وشارك في رفع قواعده، وهو نبي موحى إليه، وموصوف بصدق الوعد، والحلم، مدحه الله وأثنى عليه بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٥﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مریم: ٥٤ - ٥٥]، معدود في القرآن من الصابرين والصالحين والأخيار، ولقد ضرب أعلى المثل في البر، والاستجابة والتسليم لأمر الله، قال تعالى: ﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آيَةً أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصفافات: ١٠٢]. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٢١١، والبحر المحيط ٤ / ٥٧٥، والبداية والنهاية ١ / ٢٢٢.

(٢) اليسع^(٢) الطيب: ذكره القرآن الكريم في موضعين، وأنه نبي موحى إليه، وقام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل، وأثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٨]. ينظر: تاريخ الرسل والملوك ١ / ٤٦٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٥١٠، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١ / ٣٨٤.

(٣) يونس^(٣) الطيب: ابن متى، من أهل نينوى، جاء ذكره في القرآن الكريم أربع مرات مبيناً أنه نبي موحى إليه، ورسول من رب العالمين، وما حصل له من معجزات، وأنه دعا قومه للتوحيد، وخرج مغاضباً، وركب السفينة، ووقعت عليه القرعة فألقي في البحر، فالتقمه الحوت من غير أن يؤثر على جسده، وكان يذكر الله ويناديه في الظلمات: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغُورِ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]، وأظله الله بشجر اليقطين، وقومه هم الوحيدون الذين نجاهم الله من العذاب بعد أن انعدت أسبابه وتبينت علاماته. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٥١٢، والمحرم الوجيز ٤ / ٩٦.

(٤) لوط^(٤) الطيب: ابن هاران، وهو ابن أخي إبراهيم الطيب، نبي من الأنبياء، ورسول من رب العالمين، نهي قومه عن الشرك، وأنكر عليهم فعل الفواحش، والموبقات، كذبوه وهددوه بالإخراج، وأسأوا الأدب معه، وابتلي بزوجة كافرة خبيثة خائنة، فعذبهم الله بما لم يعذبه أحداً من العالمين، وأنجى نبيه إلى الأرض المباركة من القوم المفسدين، ومما حل بهم من عذاب أليم، قال تعالى: ﴿وَلَوْطًا أَبَيْنْتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَيَّنْتَهُ مِنَ الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَسَيَقِينِ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤]. ينظر: جامع البيان ١٢ / ٥٥١، والبدء والتاريخ ٣ / ٥٦.

وختمت بابن أخيه لوط عليه السلام والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه^(١).

وبقية من ذكروا في القرآن سبعة، على خلاف في نبوة بعضهم وهم: آدم^(٢) أبو البشر، وإدريس^(٣)، وذو الكفل^(٤)، وآخرهم الأنبياء والرسل من العرب، وعددهم أربعة وهم:

(١) قال أبو حيان: «فهذه مراتب ست: مرتبة الملك والقدرة ذكر فيها داود وسليمان، ومرتبة البلاء الشديد ذكر فيها أيوب، ومرتبة الجمع بين البلاء والوصول إلى الملك ذكر فيها يوسف، ومرتبة قوة البراهين والمعجزات والقتال والصلوة ذكر فيها موسى وهارون، ومرتبة الزهد الشديد والانتقاع عن الناس للعبادة ذكر فيها زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، ومرتبة عدم الأتباع ذكر فيها إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً». البحر المحيط ٥٧٦/٤.

(٢) آدم عليه السلام: ذكره الكتاب العزيز خمساً وعشرين مرة، شرفه ربه بأربع تشريفات، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وكان خلقه من تراب بعد خلق الجن، قال عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ تَخَلَّقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضَتِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ)) أخرجه أحمد ٣٥٣/٣٢ رقم ١٩٥٨٢، وأبو داود في كتاب السنة، باب القدر ٣٥٨/٤ رقم ٤٦٩٥، والترمذي، في كتاب تفسير القرآن، باب سورة البقرة ٢٠٤ / ٥ رقم ٢٩٥٥، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٧٤/٢ رقم ١٦٣٠.

خلق منه زوجه، فأنس بها وحدته، وأسكنهما جنته، ونهاهما عن قربان شجرة معينة لهما، مبهمة في القرآن الكريم، إلا أن الشيطان غرر بهما حتى وقعا في الأكل منها، فكانت سبباً لإخراجهما من دار النعيم، وإهباطهما إلى الأرض، وبداية للعداوة مع الشيطان الرجيم، فبادرا إلى التوبة والاستغفار، فقبل الله منهما، ثم اجتباه ربه، وتاب عليه، واصطفاه وهده. ينظر: الكامل في التاريخ ١ / ٣١، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٢٣٥.

(٣) إدريس عليه السلام: جده آدم عليه السلام، جاء ذكره في القرآن الكريم مرتين، وجمع الله له بين الصِدِّيقِيَّةِ، والنبوة والمكانة العلية، معدود من الصابرين، والصالحين، والمفضلين على العالمين، والذي عليه جل المفسرين، والمؤرخين أنه قبل نوح عليه السلام، وأنه أول نبي بعثه الله من بني آدم. ينظر: تاريخ الرسل والملوك ١ / ١٠٧، ومعالم التنزيل ٣ / ١٦٥، والهداية إلى بلوغ النهاية ٣ / ٢٠٩١، والمحرر الوجيز ٤ / ١١٥، والبداية والنهاية ١ / ١١١.

(٤) ذو الكفل عليه السلام: ذكره الله تعالى في كتابه مرتين، مقروناً بالأنبياء، قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥]، والجمع بين هؤلاء الثلاثة لاشتراكهم في خاصية الصبر، واختلف في نبوته، والذي يظهر من سياق الآية أنه ما قرن مع الأنبياء إلا لنبوته، والسورة مُلقبة بسورة الأنبياء، وقيل: كان رجلاً صالحاً، وملكاً عادلاً، وتوقف ابن جرير في ذلك، والأول أولى، وعليه الأكثرون. ينظر: جامع البيان ١٨ / ٥٠٩، وقصص الأنبياء ٢ / ٢٥٢، والتحرير والتنوير ١٧ / ١٢٩، والقرآن ونقض مطاعن الرهبان ١ / ١٦٤.

هُود^(١)، ثم صالح^(٢)، ثم شعيب^(٣)، ثم خاتمهم وأفضلهم مُحَمَّدٌ ﷺ^(٤).

(١) هُودٌ ﷺ: أحد أنبياء العرب، وجاء ذكره في القرآن العظيم سبع مرات، وقومه عاد، أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكانوا جفاة خبيثاء، دعاهم إلى الله ﷻ، وإفراده بالعبادة، لا يبتغي منهم أجراً ولا مالا، مع نصح وتذكير بنعمة الأموال والبنين، والقصور والقوة، وتحذر من عاقبة الاستكبار والإعراض، فلم يزالوا في تكذيب وصدود حتى كانوا من المهلكين. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٥٠٩.

(٢) صالحٌ ﷺ: جاء ذكره في القرآن الكريم ثمان مرات، أرسله الله ﷻ إلى ثمود، وكانوا بعد عاد، ولم يعتبروا بما كان من أمرهم، ولم ينقادوا لدعوة التوحيد، ونبد عبادة الأصنام، ولم يستجب له إلا القليل، وأما الأكثرون فقد آذوه، وأسأؤوا معاملته، وهوما يقتله، وقتلوا ناقة الله، فأخذهم عذابه، ودمرهم أجمعين. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢ / ٥٢٥، والوسيط للواحيدي ٢ / ٥٧٩، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٤٠.

(٣) شعيبٌ ﷺ: أكرمه الله ﷻ بالذكر في القرآن الكريم عشر مرات، وكان بعض السلف يسميه خطيب الأنبياء؛ لفصاحته وعلو عبارته، وبلاغته في دعوة قومه، وحسن مراجعته لهم، مبتدئاً دعوته بالتوحيد، مُتبعاً ذلك بمعالجة الجرائم التي كانت متفشية فيهم، مستعملاً في وعظه التذكير بنعم الله تارة، وبنقمته من المكذبين تارة أخرى، لكن المستكبرين عموا وطمعوا عن الحق، فلم يزالوا في شرك وعناد حتى عمهم عذابُ الله واستأصلهم أجمعين.

وهل نبي الله شعيب ﷺ هو صاحب مدين؟ المذكور في قصة موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّجَاءُ وَأُبْرَأَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣]. الراجح أنه غيره، وفي المسألة خلاف، والأكثر على أنه النبي شعيب ﷺ، وقيل: رجل صالح من مدين؛ لأن شعيباً كان قبل زمان موسى ﷺ بمدة طويلة، وقد قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُّوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، وكان هلاكهم في زمن الخليل ﷺ، فبينه وبين موسى أكثر من أربعمئة سنة؛ ولو كان هو النبي لأوشك أن يُنصَّ على اسمه في القرآن هاهنا، ثم إن شعيباً ﷺ قد شهد مهلك قومه، ولم يبق معه إلا المؤمنون، وعليه فلن يسقوا قبل بنتي نبيهم الشيخ الكبير، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين، ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول جيل! مع أن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن تعليمه لصهره موسى، ولو كان هو النبي، لسمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات، والله أعلم. ينظر: معالم التنزيل ٦ / ٢٠٠، والبداية والنهاية ١ / ٢١٤، والكامل في التاريخ ١ / ١٥٥، وفي ظلال القرآن ٥ / ٢٦٨٧.

(٤) مُحَمَّدٌ ﷺ: خاتم النبيين، وإمام المرسلين، شرفه ربه بذكر اسمه في كتابه أربع مرات، ونعته بالخلق العظيم، ووصفه بالعبودية في أكمل أحواله في آيات كثيرة، في الإسراء، والإحساء، وفي الدعوة، والتحدي: ﴿وَلَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَكَّيْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، ووصفه بالعبودية لربه غالب على اسمه الصريح في جميع آي القرآن، واختصه ربه باسمين من أسمائه في آخر سورة التوبة، وأعطاه الكوثر، وأيده بمعجزات عظيمة، أهدت العقول ووقع بها التحدي؛ كالقرآن، وانشقاق القمر، وجعل رسالته عامة، ورحمة

وعلى هذا ترتيبهم في القصص القرآني، والتأريخي^(١).

وقد صرح القرآن الكريم بقصصهم وحالهم مع أقوامهم، وكرر ذلك في غير ما موضع تفصيلاً وإجمالاً؛ لقرهم من موضع الرسالة الحمديّة؛ وليكون فيهم عبرة لمن نهج نهجهم، واقتفى آثارهم.

والرسل الأنبياء المذكورون في القرآن جمعوا في قول الناظم^(٢):

في ﴿تِلْكَ حُجَّتَنَا﴾ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ
إِدْرِيسُ هُوْدُ شُعَيْبُ صَالِحٌ وَكَذَا ذُو الْكُفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا^(٣)

نوّه الله بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، وكفاهم شرفاً وفضلاً محبة الله لهم، وثناؤه عليهم في كتابه العظيم، فقد ذكر ميزهم وأحوالهم، وقصصهم مع أقوامهم، وجعل لهم من الصفات، والمواقف العظام ما يطول المقام بذكر بعضها فضلاً عن استقصائها.

فنؤمن بهم جملة وتفصيلاً، ونشهد بإخلاصهم، وصدقهم وبلاغهم، ونهتدي بهديهم ونستفيد من سيرهم، وأسلوب دعوتهم، ونعتقد أنهم أطيب الناس وأفضلهم.

لذا يجب أن يصابوا عن كل نقيصة، أو تعريض بسب، أو انتحال لشخصياتهم في مسلسلات أو تمثيلات، أو رسومات أو حكايات هم منها براء، وعلى أيدي أشخاص عرفوا

للمؤمنين، وألف به القلوب وجمع به الكلمة، وجعل شريعته سمحة ميسرة. ينظر: العبودية ٤٧/١، والبحر المحيط

١٧/٧، والصادق الأمين ص ٧٧٤، ومحمد (الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة) ص ٢٠.

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٤/٧٧، والتفسير القرآني للقرآن ٩/٩٤٣، وإعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح

المعين ٤/١٥٢، والوجيز في عقيدة السلف الصالح ١/٧٧، وأركان الإيمان ص ١٠٠.

(٢) إبراهيم بن محمد البيجوري، أشعري المعتقد، له كتب وحواشي كثيرة في علم التوحيد والعقيدة والكلام، منها

(تحفة المرید علی جوهره التوحید)، و(التحفة الخيرية)، ت ١٢٧٧هـ، ينظر: شرح الجوهره ص ٩١.

(٣) ينظر: تحفة الحبيب على شرح الخطيب ١/٤٠، وإعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ٤/١٥٢، وفتح البيان

في مقاصد القرآن ٤/١٨٤، وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٦٣، والعقائد الإسلامية من الآيات القرآنية

والأحاديث النبوية ص ١٠٨، ودعوة الرسل ﷺ ص ٣٨.

بالفسق، والمُحَادَّةُ^(١) لله ورسوله، فهم رسل الله وأنبيأؤه، والمبلغون عنه، فلا يُستهان بشخصياتهم، أو ينسب لهم ما لم يقولوه أو يفعلوه، ويجب على من بيده قرار أن يمنع ذلك؛ تقريباً إلى الله بحفظ أقدار المصطفين من عباده، وعلى ذلك فتاوى ورثتهم^(٢).

٢ - لُقْمَانُ الْحَكِيمُ^(٣):

عبد فاضل من عباد الله، ذكره القرآن الكريم مرتين في السورة التي سميت باسمه، وقد تميز بالحكمة، وارتبط اسمه بها، فقد منَّ الله عليه بالعقل والعلم، والعمل به، والإصابة في الأمور، ففهمه العلم بالحق على وجهه، ورزقه الإصابة في القول والعلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار^(٤)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

وهل كان نبياً، أو عبداً صالحاً؟ في ذلك خلاف مشهور، والأقرب عدم نبوته لعدم النص عليها، ولأن الله ﷻ لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل عليها في وعظه لابنه، فذكر أصول الحكمة، وقواعدها الكبار التي تجمع أممات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وضية يقترن بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نهيًا^(٥)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وعظ ابنه بما ينفعه ويرقق قلبه، ويهذب نفسه، ويوجب له الخشية والعدل، في أصل

(١) المُحَادَّةُ: الممانعة والمخالفة، والمعادة والمنازعة ينظر: لسان العرب، مادة: (حَدَد) ٣ / ١٤٠.

(٢) ينظر: تزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ص ٢٤، وحكم التمثيل ص ٤٣، ومجلة البحوث ١ / ٢٣٩.

(٣) لُقْمَانُ: اسم أعجمي، واختلف في نسبه فقيل: لُقْمَانُ بن باعوراء، وقيل: ابن عنقاء بن سرون، نوبى من أهل إيلة، عاش ألف سنة، وأدرك داود النَّبِيُّ، وأخذ منه العلم، عُرف بالحكمة، والعقل الراجح، وإصابة الحق. ينظر: البداية والنهاية ٢ / ١٤٦، ومعالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان ص ٤٣٠.

(٤) ينظر: جامع البيان ٢٠ / ١٣٤، ومعالم التنزيل ٦ / ٢٨٦، ومن قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي ص ٣٢.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٠ / ١٣٤، والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٥٨، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ١ / ٩٣.

لدينه، ومحبة لرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، فأتى عليهم وشهدت أعمالهم الصالحة بصدقهم، بخلاف من ادعى الإيمان ولم يُصدقَه بالعمل.

ثم الأنصار: الذين آمنوا بالله ورسوله، طوعًا ومحبة واختيارًا، وآووا رسوله ﷺ، ومنعوه من أعدائه، حتى أصبحت المدينة النبوية مركزًا للحق، فیتبوا المسلمون دار الهجرة والإيمان، حيث البلدان كلها بلدان حرب وشرك، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار حتى انتشر الإسلام، وقوي المسلمون وكثروا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

فهذه الأوصاف الطيبة، تُثبت صدقهم وثباتهم ووفاعهم، فقد ضربوا أروع الأمثلة في محبة المهاجرين وإكرامهم؛ محبة لله ورسوله ومن ناصر دينه، فسلمت صدورهم من الغل والحسد، فلم يحسدوا المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله، وما خصهم به من الفضائل، والمناقب التي هم أهلها، بل تميزوا على من سواهم بالإيتار؛ أكمل أنواع الجود، فقدموا إخوانهم في الدين على محاب النفس وشهواتها، وبذلوا لهم مع الحاجة إليها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، فعن أبي هريرة ؓ قال: ((أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: أألا رجل يُضيقُه هذه الليلة يرحمه الله، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ، لا تدخريه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن، وتعالني السراج وتطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: لقد عجب الله ﷻ - أو ضحك - من فلان وفلانة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١).

فاترا ضيفهما بطعامهما، وطعام أولادهما، وباتوا جوعًا، وهذا لا يكون إلا من خلق

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

الدين وتوحيد رب العالمين، والإحسان للوالدين ما لم يأمر بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يصاحبهما بلين القول ولطف الكلام وجميل الفعال، مع تواضع وإكرام، وهذا من أعدل المواقف، فيحتفظ بحق الله، ولا يجحد ما لأبويه من حقوق.

ثم غرس في نفس ابنه استشعار المراقبة لله العليم الخبير، حتى وإن كان الشيء صغيراً وحقيراً، أو خفياً عن الأنظار، فهو المطلع على البواطن والأسرار، مما يؤصل لدى الابن التربية الأصيلة، والرعاية الذاتية، التي لا تنفك، ولا تزول بغياب الأب أو سفره، أو موته أو تغيُّره؛ لكونه تربي على مراقبة الله، والعمل بطاعته، والترهيب من عمل الخبيث، قل أو كثر، ثم أرشده إلى مزاولة الصالحات، بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر؛ ليعمق التزامه بالدين، ويقوي جذوره، فلا يكون من السهل اختراقه، واهتزاز منهجه^(١).

فتربية الناشئة على الصلاة حماية لهم مما يحيط بهم من خطر الفواحش والمنكرات، ومساوئ الأخلاق والكبر، ومظاهر المتكبرين فإن الله لا يحب كل مختال في نفسه وهيبته، متعظم فخور بقوله، بل المطلوب هو سلوك منهج الاعتدال في كل شيء.

إنها مواظب تربوية لا يوفق لها إلا أهل العزائم، فالاهتمام بها واجب، وتحقيق بمن أوصى بها، أن يكون مخصوصاً بالحكمة مشهوراً بها، وهي منة من الله عليه، وعلى عباده أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة^(٢).

٣- مؤمن آل فرعون^(٣):

ذكره القرآن مرتين دون التصريح باسمه، بل بوصف الرجولة، وكلاهما دفاعاً عن نبي الله موسى عليه السلام، فقال كلمة الحق بشجاعة؛ تحقيقاً للإيمان، واستشعاراً لعظم المسؤولية،

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥/ ١٧٣، وأهداف التربية الإسلامية ص ٢٧١، والتربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص ٢١٥.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٤٨، ولقمان الحكيم وحكمه ص ١٧٢.

(٣) اختلف في اسمه، وهل كان من قوم موسى أو من قرابة فرعون، والذي يفيد أنه مؤمن يكتف إيمانه، وأنه عرف دوره، فقال كلمة الحق في وقتها المناسب، وقد أشبهه أبو بكر رضي الله عنه في دفاعه عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وزاد عليه فضلاً؛ فذاك رجل يكتف إيمانه، وأبو بكر رجل أعلن إيمانه. ينظر: البداية والنهاية ٣/ ٣٣٢، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣.

على رغم ما يحيط به من المخاطر، وغضبهم على موسى عليه السلام حتى قرروا قتله، فاستغل مكانته لديهم؛ حيث إنه منسوب لآل فرعون، فهو من أهله وأقاربه، فلا بد أن يكون له كلمة مسموعة، خصوصاً إذا كان يظهر موافقتهم، ويكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، كما منع الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب من قريش، حيث كان كبيراً عندهم، موافقاً لهم على دينهم، ومن حكمة الله أن يقيض لعباده الصالحين حُماة عند الشدائد^(١).

لقد جاء مسرعاً من مكان بعيد؛ ليخبر موسى عليه السلام بخطورة ما يُكاد له، ثم ناصحاً مشيراً عليه بكيفية التخلص من الظالمين، وأن خروجه سبب لنجاته، وإفشال ما دبوا، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص: ٢٠]، فلم يكن مكتفياً بصلاح نفسه، سلبياً عن نصرته الحق، ودفع الظلم، بل تعدى ذلك إلى الإصلاح، ونصرة الحق بطريقة سرية.

ولم يصرح القرآن باسمه، كما هو لم يصرح بإيمانه، وجاء إلى موسى منفرداً ناصحاً مما يشعر بسرية الخبر، وعدم التصريح باسم الناصح؛ ليستندم النصح، ولا يلحقه ضرر.

ولعله هو الذي قَبَّحَ فعل قومه، وشَنَّعَ ما عزموا عليه، بأسلوب مقنع قائلاً: ﴿أَنْقَتُونَا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، فهل هذا مسوغ لقتله واستباحة دمه؟ ولم يكن قوله مجرداً عن البيّنات، فشهرة بيّناته ووضوحها لم تعد خافية، فقد علم بها الصغير والكبير.

لقد كان مُلهمًا حين حاجهم بمقالة عقلية، قائلاً: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى عليه السلام، حيث أتى بما لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تينك الحاليتين وعلى كل تقدير فقتله إذا سفه، وجهل وظلم ظاهر.

وواصل تحذير قومه ونصحهم، ونهيمهم عن الاغترار بهذه الدنيا، والانخداع بالملك

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٠٦، والسراج المنير ٣ / ٣٨٣، وأهداف التربية الإسلامية ص ١٩٠.

زكي، ومحبة لله ﷻ مقدمة على شهوات النفس ولذاتها.

فهذان الصنفان الطيبان الزكيان هم الأئمة الأعلام، والصحابة الكرام، الذين حازوا من السوابق والفضائل ما سبقوا به من بعدهم، اختارهم الله لصحبة نبيه، فنالوا شرفها، وقاموا بها حق القيام، فكتب الله لهم الرضوان، وأعالى الجنان، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفِرُوا لِمَن سَلَفَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وحسب من بعدهم من الفضل أن يأتهم بهم، ويعتقد فضلهم وسبقهم، ويفرح بذكرهم ويأنس بقراءة سيرتهم، مما يقوي لديه الرابطة الإيمانية بخير القرون، وأزكاها وأطيبها، و«حبهم دين، وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق، وطغيان»^(١).
فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٌّ على خيار أولياء الله بعد النبيين؟!.

٨- أبو بكر الصديق^(٢) ﷺ:

خليفة رسول ﷺ، وصديقه وصاحبه في الغار، ورفيقه في الهجرة؛ لما أجه الكفار للخروج من مكة، وهما بقتله، قال تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرِبُ فِجْرَهُ فَعَدِّ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَبْحُرًّا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ جُنُودٌ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا نَجْاسًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [التوبة: ٤٠].

(١) العقيدة الطحاوية ص ٤٧٥، والانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ص ٢٤٧، وعقيدة أهل السنة في الصحابة ١/ ١١٧.

(٢) اشتهر بكنته، واسمه عبد الله بن أبي قحافة، واسمه: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن لؤي، القرشي التيمي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في مرة، ويُلقب بالعتيق، أول من آمن من الرجال، وأول الخلفاء، وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق، أعلم قريش بأنسابها، كثير العتق، رقيق القلب، قوي في الحق، حارب المرتدين، وجمع القرآن، وتوفي سنة ١٣هـ. ينظر: تاريخ الإسلام ٣/ ٣، وتاريخ الخلفاء ص ٢٦، أبو بكر الصديق أول الخلفاء ص ١٣.

الظاهر عن الدار الباقية، والتخويف من عذاب الله، وما حصل للأمم المكذبين، الذين تحزبوا على عداوة أنبيائهم واجتمعوا على معارضتهم، قائلاً: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٩] (١).

ألا رضي الله عن هذه النفس الطيبة الطاهرة الزكية، التي قامت غضبة الله، وعرفت كيف تستغل مكائنها في الدفاع عن الحق، وتدفع الظلم دون كتمان أو ضعف، ودون تشويش أو إثارة أو مفسدة، فرضي الله عنها وأرضاها، وغفر لها ورحمها.

٤ - آسية (٢):

امرأة فرعون، المؤمنة الفاضلة، الطيبة الكاملة، التي أعلى الله ذكرها في كتابه، وجعلها سبباً في نجاة موسى عليه السلام من بطش الخبيث المفسد فرعون، حيث حنَّها عليه، فقالت: ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِىَ وَلِكِّ لَأَنْقُتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩].

فقدّر الحكيم العليم أن تتحقق لها أمنيته، فقرت به عينها، وأحبته حباً شديداً، ولم يزل لها بمتزلة الولد الشفيق حتى كبر، ونبأه الله وأرسله، فنفعها الله به، فبادرت إلى الإيمان به، مقدمة سلوك طريق الحق، مع ما يتوقع من التعذيب والأذى، وفقدان ما هي فيه من القصور والخبور، ولذا دعت ربها قائلة: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْتِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]، فرضي الله عنها وأرضاها (٣).

٥ - مريم ابنة عمران:

شرفها ربها بالذكر في كتابه الكريم أربعاً وثلاثين مرة، واصطفها الحق تعالى وطهرها، وفرغها لعبادته، وكفأها أمر رزقها، وأن روح القدس كلمها، ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها،

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٧٨ / ٢١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٣٦.
 (٢) آسية: قيل: إنها بنت مراحم بن عبید بن الریان، مؤمنة صادقة صابرة كاملة. ينظر: الكامل في التاريخ ١ / ١٥٠.
 (٣) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٨ / ٢٧٠، وتوفيق الرحمن في دروس القرآن ٤ / ٣٢٢، وطوق النجاة ص ٦.

وطهرها عن الكفر والمعصية ومسيس الرجال، وعن الأفعال الخبيثة، وخصها بما لم يؤته أحداً من نساء العالمين.

فأعلى ذكرها في كتابه بأحسن الذكر، جزاء عملها الفاضل، وسعيها الكامل، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦) [مريم: ١٦].

فاعترلت في مكان خاص؛ لتخلو بعبادة ربها، وتفتت^(١) بإخلاص، وخضوع، امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿يَمْرِيئِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكِعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وكانت مثلاً للمرأة المسلمة في عفافها، فحينما تمثل لها جبريل ﷺ في صورة رجل، حسن الهيئة - وهي معتزلة عن أهلها، منفردة عن الناس - خافت أن يكون رجل سوء، ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

فجمعت بين الاعتصام بربها، وتخويفه وأمره بالتقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، وسن الشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية السوية، مع أنه لم ينطق أو يتعرض لها بسوء، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه.

وهذه العفة مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع من أفضل الأعمال؛ ولذا أثنى الله عليها مبيناً قدرها، شاهراً لشرفها، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ (١٢) [التحريم: ١٢].

فحفظت فرجها من الحرام وقربانه، فجازاها ربها، ورزقها ولداً من غير أب، وعوضها بعفتها ولداً زكياً، مطهراً من الخصال الذميمة، صار آية من آياته، ورسولاً من رسله، ودليلاً على كمال قدرته، وعلى أن الأسباب لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية؛ لثلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها، ومسببها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، حيث

(١) القنوت: الطاعة. ينظر: العين، مادة: (قنن) ٥/ ١٢٩، والصحاح ١/ ٢٦١، والمفردات ص ٦٨٤.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة وخصيصة لأبي بكر الصديق لم تكن لغيره، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية؛ ولذا كفروا من أنكر صحبته للنبي ﷺ؛ لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها^(١).

شهد له القرآن الكريم بالتقى والطهر والزكاة والإنفاق السخي في سبيل الله، ووعده بالرضا والنجاة من النار^(٢).

وله من الفضل والمترلة ما لا خلاف فيه بين المسلمين، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأجمع المفسرون على أنه هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وما عند الله له خير وأبقى^(٣).

٩- عائشة بنت أبي بكر^(٤):

الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها، الطيبة المطيبة، غار الله عليها لها، فبرءها من فرية المنافقين، وصان عرض رسوله ﷺ من الطعن والإفك المبين، وأخبر أن ما قيل فيها كان خيراً لها، ورفعة وعلو قدر، وعظم شأن عند العلي العظيم، فجعل لها ذكراً بالطيب والبراءة

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٣٧.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٤٥٥، وأبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ص ١٤.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٣٣/ ٣٤٩.

(٤) عقد عليها النبي ﷺ، وهي بنت ست سنين، وبنى بها أول مقدمه المدينة، ولها تسع سنوات، ومات عنها وعمرها ثمان عشرة، وكانت أحب أزواجه إليه، ولم يتزوج بكراً غيرها، ونزل عليه الوحي وهو في لحافها، دون غيرها، وتوفي في بيتها، وأراه الملك صورتهما في خرقة حرير في المنام، قبل أن يتزوجها، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتحرون هداياهم يومها؛ حباً رسول ﷺ، وكان الأكبر من الصحابة رضي الله عنهم يستفتونها فيما يشكل عليهم من المسائل، وتكنى أم عبد الله، وروي أنها أسقطت سقطاً، ولا يثبت ذلك، توفيت بالمدينة، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، بوصية منها، ودفنت بالبقيع، سنة ٥٨هـ. ينظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة، وقدمها المدينة وبنائه بها ٥/ ٥٦ رقم ٣٨٩٥، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، أم المؤمنين رضي الله عنها ٤/ ١٨٨٩، رقم ٢٤٣٨، وفضل أم المؤمنين عائشة، لابن عساكر ص ٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٤٠/٢، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٥٠، وإجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة ص ٢١.

حملت به ووضعت من دون مَسِيَسٍ أحد، وتكلم في المهدي، وبرأها من ظن السوء، وأجرى الله ﷻ على يديه من الأمور المخالفة للعادة، والمعجزات ما كان آية للعالمين^(١).

وكفاها فضلاً وشرفاً وطيباً أن شهد لها الكريم المتعال بأنها من الصِّدِّيقين^(٢) الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

فإذا كان عيسى ﷺ من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة وليست نبيّة فلا شيء اتخذهما النصراري إلهين؟.

فإنه ﷻ جعل النبوة في الرجال، دون النساء وهم أكمل الصنفين^(٣)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [النحل: ٤٣].

٦- الخضر^(٤):

صاحب موسى بن عمران ﷺ في تلك الرحلة العجيبة التي قصها الله علينا في سورة الكهف، والتي تبين شيئاً مما أعطاه الله ﷻ من العلم الغزير، وحسن التربية، والمقاصد الحسنة، والقواعد النافعة التي يحتاج إليها العلماء، في حكمهم على الأشياء، والنظر فيها إلى المصالح والمفاسد، وارتكاب أخف الأضرار، وكل هذا من الرحمة الخاصة التي زاد بها علمه، وحسن عمله^(٥).

واختلف في نبوته، فقيل: إنه نبي، لقوله تعالى: ﴿ءَأَيْنِئْتُهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦٦/٨، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٩٨/٤، وملاك التأويل

القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل ٣٥٢/٢، والمعجزة الكبرى القرآن ص ٢٩٣، ومعالم على طريق العفة ص ٥٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨٣/٤، واللباب في علوم الكتاب ٥/٢١٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦١/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٢/٦، والرسل والرسالات ص ٨٤.

(٤) سمي بالخضر؛ لأنه جلس على أرض بيضاء، فتحولت خضراء. ينظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب

حديث الخضر مع موسى ﷺ ١٥٦/٤ رقم ٣٤٠٢.

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٨٥، والأصحاب في القرآن الكريم ص ١٠٣.

﴿عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وقول نبي الله موسى له: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، وقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، إلى غير ذلك من الأدلة.

وقيل: إنه وليٌ وعبد صالح، وليس نبياً؛ لعدم النص الصريح على نبوته^(١).

والأظهر أنه نبي، والقول به يسد الباب على أهل التصوف^(٢)، قال ابن حجر: «وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقدة تُحل من الرندقة اعتقاد كون الخضر نبياً؛ لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي، إلى أن الولي أفضل من النبي، كما قال ابن عربي^(٣)»:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرَزَخٍ فَوْيَقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ^(٤)

وأعطي من العلم ما لم يُعط موسى عليه السلام، وإن كان موسى أعلم منه بأكثر الأشياء؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم والعمل.

٧- السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ:

الذين سبقوا بالإيمان، والهجرة والجهاد، وإقامة دين الله؛ من المهاجرين الذين هجروا المحبوبات والمألوفات؛ من الأوطان والأحباب والخلائن والأموال؛ رغبة في عبادة الله، ونصرة

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١/١٦، وتفسير القرآن العظيم ٥/١٨٧، والجواهر الحسان ٢/٣٩٢.
 (٢) اختلفت كلمة العلماء حول تعريف الصوفية اختلافاً كثيراً، ووقع كثير من الجدل في تعريفها؛ حيث إنها مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة، وهل هي من الصوف، أو الصُّوفة، أو الصُّفة، أو الصِّفاء أو الصُّفوة، أو الصِّف الأول، ومهما ذُكر فإنه يصدق عليه عموماً أنه بدعة محدثة في الدين، وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢١، ومجموع الفتاوى ١١/٦، ومصراع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغيبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد ١/١٠، وفضائح الصوفية ص ٥.
 (٣) محمد بن علي بن محمد، أبو بكر الخاتمي الطائفي، المعروف بابن عربي، اتحادي حبيث، صنف التصانيف في تصوف الفلاسفة، وأهل وحدة الوجود، فقال أشياء منكراً، عدها طائفة من العلماء مروفاً وزندقة، هلك سنة ٦٣٨ هـ ينظر: ميزان الاعتدال ٣/٦٥٩، وشذرات الذهب ٥/١٩٠.
 (٤) الزهر النَّضْرِي فِي حَالِ الْخَضِرِ ص ٢٩. وينظر: الرد على القائلين بوحدة الوجود ص ٥٩، والتصوف - المنشأ والمصادر ص ١٨٨، وشرح العقيدة السفارينية ١/٥٧٠، وهذه مفاهيمنا ص ٩٥.

بين أهل الأرض والسماء، وأنزل في عذرها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

وقد قررت الآية سنة إلهية، نشاهدها في واقعنا، أن شبيه الشيء منجذب إليه، كما قال النبي ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾، دليل على حال القرينين في الخير فكل طيب من الرجال والنساء مناسب للطيب وموافق له، ومقترن به ومشاكل له، فهذه كلمة عامة، وحصر لا يخرج منه شيء، ومن أعظم مفرداتها أن الأنبياء - خصوصاً سيدهم محمد ﷺ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق - لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، وأن الطيبين والطيبات - وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وأهل بيته، وعلى رأس أهل بيته عائشة، ثم صفوان^(٢) - مبرؤون مما يقوله الخبيثون والخبيثات، ولهم جزاء وافر في جنة عرضها السموات والأرض؛ لإيمانهم وعملهم الصالح، وصبرهم على الأذى^(٣).

ومعلوم أن آية الإفك نزلت في عائشة، وصفوان^(٤) فكيف ذكرهما ﷺ بلفظ الجمع؟

والجواب: لأن الشين وعار الزنا، والمعرة بسببه تتعدى إلى رسول ﷺ؛ لأنه زوجها، وإلى أبي بكر الصديق؛ لأنه أبوها، وإلى عامة المسلمين؛ لأنها أمهم^(٤).

ولقد فاقت نساء رسول الله ﷺ جميع النساء، فقد كملن التقوى بجميع وسائلها، فهن الصالحات القانتات، المطيعات لله ورسوله، وهن القدوات العفيفات البعيدات عن كل سوء،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة ٤ / ١٣٤ رقم ٣٣٣٦، من حيث عائشة رضي الله عنها، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة ٤ / ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٨، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صفوان بن المفضل بن ربيعة السلمية، يُكنى: أبا عمرو، رميت عائشة به، فبرأهما الله، مشهود له بالخير والصلاح، قتل غازياً سنة ١٩ هـ. ينظر: الثقات لابن حبان ٣ / ١٩٢، وحديث الإفك ص ١٩، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٥٥٠.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦ / ٣٤، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٣.

(٤) ينظر: روح البيان ٦ / ٩٦.

أذهب الله عنهن الأذى والخبث، وجعلهن من الطيبات، الطاهرات الزكيات، قال تعالى: ﴿تَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

١٠- زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه (١):

هو الصحابي الوحيد الذي أكرمه الله تعالى بالتصريح باسمه في القرآن الكريم؛ لما أراد أن يشرع شرعاً عاماً للمؤمنين، بأن الأدعياء (٢) ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، كما كانت العرب تعتقد، وأنه لا جناح على من تبناهم أن ينكح زوجاتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] (٣)، وفي هذه الآية الكريمة ثناء على زيد رضي الله عنه من وجهين:

أحدهما: أن الله سماه في القرآن الكريم، ولم يسم صحابياً غيره، وكفى بذلك شرفاً.

(١) أبو أسامة زيد بن حارثة شُرْحِبِيل الكَلْبِيُّ، أغارت عليه خيل من تامة، واشتراه حكيم بن حزام من سوق عكاظ لعتمته خديجة بأربعمائة درهم، فوهبته للرسول صلى الله عليه وسلم، فأحبه وأعتقه، من السابقين للإسلام، جاهد، وأمر، واستشهد يوم مؤتة سنة ٥٨هـ. ينظر: الوافي بالوفيات ١٥ / ١٨، والإصابة ٢ / ٤٩٥.

(٢) الأدعياء: جمع دعي، وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده، وهو التَّبَنِّي. ينظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٣٥، والصحاح، مادة: (دعا) ٦ / ٢٣٣٧، ومعتك الأقران في إعجاز القرآن ٢ / ١٧.

(٣) ساق كثير من المفسرين حول هذه الآية روايات عديدة، وفيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أتى زيدا ذات يوم لحاجة، فأبصر زينب قائمة في درع وخمار، وكانت بيضاء جميلة، ذات خلق، من أتم نساء قريش، فوقع في نفسه، وأعجبه حسنهما، فقال: سبحان الله مقلب القلوب وانصرف، فلما جاء زيد ذكرت ذلك له، ففطن زيد، وألقى في نفس زيد كراهيتها... الخ، ومثل هذه الرواية مردودة عند المحققين من أهل العلم، لأمر منها: ضعف إسنادها، ومنافاتها لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم، ومكانته، ولو كان الذي أخفاه محبته لها لأظهره الله تعالى، ولكن الله أظهر أنه سيتزوجها، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي خطبها لزيد رضي الله عنه، إضافة إلى أنها ابنة عمته، وهو يراها منذ صغرها، ويعرف حسنهما وجمالها، وما يُروى يشعر بعدم معرفته بجمالها، وهذا ينفيه الواقع. ينظر: الشفا ٢ / ٨٧٨، والبحر المحيط ٧ / ٢٣٤ وفتح الباري لابن حجر ٨ / ٥٢٤، والمنتخب من كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ص ٤٨، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٢٣، ومع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش، للدكتور زاهر الألمعي.

والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه، ومن أجل النعم وأعظمها نعمة الإسلام والإيمان ومتابعة الرسول ﷺ، وهذه شهادة من الله ﷻ له أنه مسلم مؤمن ظاهراً وباطناً، وإلا فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها النعمة الخاصة، لهذا الصحابي الذي كان كبير الشأن جليل القدر، حبيباً إلى النبي ﷺ^(١).

ولما نزلت الآية صار يدعى لأبيه بدلاً من زيد بن محمد، لكنَّ الرب الحكيم جبر وحشته، وطيب خاطره، وشرّفه بذكر اسمه في الذكر الحكيم، حتى صار قرآناً يتعبد المؤمنون بتلاوته، وفي هذا تنويه وتأنيس له، وعوض عما فاته من الفخر بأبوة محمد ﷺ^(٢).

من هنا نعلم أن جبر الخاطر، والتعويض عما فقد الإنسان من محبوب فُج رباني، وسنة نبوية متبعة، فعلى الموفق أن يدرك هذا، ويتقرب إلى الله بتطبيقه والحث عليه.

١١ - ذُو الْقَرْنَيْنِ^(٣):

جاء ذكره في القرآن الكريم ثلاث مرات، في قصة عجيبة في سور الكهف بعد قصة موسى والخضر ﷺ؛ لأن كلتا القصتين تشابهتا في سفرهما لغرض شريف؛ فذو القرنين خرج لِيَسْطُ سلطانه على الأرض، والاطلاع على أحوال رعيته، وموسى ﷺ خرج في طلب العلم^(٤).

وقصة ذي القرنين فيها جواب عن السؤال المطروح على رسول الله ﷺ في شأنه، فأمره الله أن يقول: ﴿سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، فتلا عليهم من خبره ما فيه

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٢٤، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٦٥، والتفسير القرآني للقرآن ١١/ ٧٢١.

(٢) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣/ ٢١٨، والتحرير والتنوير ٢٢/ ٣٨.

(٣) ينظر: اختلف المفسرون في اسمه على أقوال عديدة، وكلها خالية من الدليل المفيد للعلم القاطع، ومبنية على الظن، إضافة إلى مخالفتها لظاهر القرآن؛ فإن ذا القرنين مؤمن موحد، ثم إن الذي يعيننا ليس اسمه، وإنما حياته، وجهاده، وأمجاده، ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/ ١٠٥، والكشف والبيان ٢/ ٣٩٣، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٢٤٥.

تذكير وعبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله فلم يَتْلُه^(١).

فهو الرجل المؤمن، الذي أعطاه الله ﷻ العلم والحكمة، وألبسه ثياب العز وتاج^(٢) الوقار^(٣)، فهو الملك العادل، المُمَكَّن من النفوذ في أقطار الأرض، بما هُيئ له من الأسباب التي يثبت بها ملكه، ويسهل وصوله إلى أقاصي العمران، وتمكنه من تحقيق أهدافه، وطموحاته الدعوية والإصلاحية، ونشر العدالة في أرجاء الأرض، فرحل ثلاث رحلات عجيبة، اطلع من خلالها على أحوال رعيته، وقهر أعداءه، موافقاً مرضاة الله في معاملة كل أحد بما يليق بحاله، مؤصلاً لهم بشائر الخير، وناشراً مشاعل النور، ومتبعاً للأسباب التي أعطاه الله ﷻ، حتى وصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلاً عن وصولهم إليه بأبدانهم، وهذا بتقدير الله وعلمه الواسع، فلا يخفى عليه شيء من تدبيره ومسيرته، وسياسته ومواهبه، وإمكاناته^(٤)، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾^(٥) [الكهف: ٩١].

لقد كانت رحلاته مساهمة في نهوض الشعوب الفقيرة، ومزيلة لما وقع عليهم من اضطهاد، مستمعا لشكاويهم، رافعا للضرر عنهم، دون إرهاب^(٦)، واستغلال لحاجتهم، وتجريدهم من ممتلكاتهم وثرواتهم، كما تفعله الأمم الغالبة المتحضرة مع الشعوب المقهورة النامية؛ من نهب ثرواتهم وحصد خيراتهم، والتأمر على بقاعهم تحت وطأة الجهل ونيران الاستبداد^(٦).

-
- (١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٢٩١، ولباب التأويل ٣/ ١٧٦، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٥.
 (٢) التَّاجُ: جمع تاج، وهو ما يُصاغ للملوك من الذهب والجوهر، وهو الْإِكْلِيلُ. ينظر: مختار الصحاح، مادة: (تَوَجَّ) ص ٤٧، ولسان العرب ٢/ ٢١٩.
 (٣) الْوَقَارُ: بمعنى التوقير والكرامة، والحلم والرزانة والهدوء. ينظر: الفروق اللغوية، مادة: (وَقَرَّ) ص ٢٠٢، ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن ٢/ ١٢٣.
 (٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٨.
 (٥) الْإِرْهَاقُ: تحميل الإنسان ما لا يطيق. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (رَهَقَ) ٥/ ٢٥٩، وبصائر ذوي التمييز ٣/ ١٠١.
 (٦) ينظر: الأخبار الطوال ص ٣٧، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٥، والتفسير الموضوعي لسور القرآن ٥/ ٣٨٣.

المبحث الثاني: الطيب من الأموال في القرآن الكريم:

طلب المال الحلال الطيب أمرٌ مشروع، والمؤمن الحق الذي يريد السلامة والنجاة يعلم أن المال عارية عما قليل سيرحل ويتركه لمن بعده، فمطلوب منه أن يلازم تقوى الله فيه، فعندما يريد الحصول على المال فإنه يزن أمورَه كلها بميزان الشرع، فهو مسؤول عنه من أين أتى؟ وفيم أنفق؟ فيحرص على المكاسب الطيبة الخالية من الحرام؛ لأنها سببٌ لقوة الإيمان، وصلاح القلب، وإجابة الدعاء، وقبول الصدقة، وحصول الأجر؛ لذا حرص سلف هذه الأمة على تحري الأموال الطيبة؛ لعظيم تأثيرها على أجسامهم، وعبادتهم، وصلاح أهلهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ^(١) وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنتُ لِلنَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسَنُ الْكَهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ))^(٢).

فهذا الصديق رضي الله عنه حريص على النقاء، متورع عن الشبهات، يكره أن يدخل بطنه إلا طيباً^(٣)، ولذا هو «أول من قاء من الشبهات تخرجاً»^(٤)، وأحد خيار الأمة الذين كانوا يتحرون الحلال الطيب في أموالهم ومكاسبهم، ويتحرجون مما فيه أدنى شبهة؛ تقوى الله وورعاً عن المشتبهات، وخشية من أن يتسلل إلى ماكلهم ومشاربهم ما يؤثر على طاعتهم، فعوّدوا أنفسهم على الحلال الطيب، والاحتياط المتزن في كسبهم، والوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها.

إن حبَّ المال وجمعه غريزة متأصلة في النفوس، جُبل البشر عليها، قال تعالى:

(١) الخَرَاجُ: ما يقرره السيد على عبده من مال يحضره له من كسبه. ينظر: فتح الباري لابن حجر ٧/ ١٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب في أيام الجاهلية ٥/ ٤٣ رقم ٣٨٤٢.

(٣) ينظر: الورع لابن أبي الدنيا ص ٨٥.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/ ٤٤.

﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر: ٢٠]، وهذا الحب والحرص ربما كَوَّن لديه البخل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨].

وهاتان الآيتان مشعرتان بالتأنيب لمن يشتد فيهم الشره إلى المال، فيحبونه حبًّا كثيرًا، مع حرص يملك مشاعرهم، ويجعلهم يستبيحون جمعه وأكله، دونما تفريق أو تخرج بين طيبه وخبثه، وربما حسبوا أن ذلك يحسن أحوالهم، ويصلح بالهم، فصار قصارى أمرهم النظر الدنيوي، وغفلوا عن الإقبال على الله^(١)، الذي أخرجنا أن هذا المال من زينة الدنيا، ومتاعها، وأنه من الشهوات المحببة للناس، مما يؤكد الحذر الشديد من الانحرف وراءه، والانخداع به؛ حتى لا يحصل الغرور والطغيان، فإن الله تعالى ذم من هذه حاله، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ۝٦﴾ [العلق: ٦ - ٧].

وإذا كان الله جَلَّ جَلَلُهُ قد جعل المال قوامًا للحياة، فقد أُرشدنا إلى السعي في طلب الرزق والاكتساب، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝١٥﴾ [المالك: ١٥]، فجعل «الرزق فوق الكفاية بقوله: ﴿مِن رِّزْقِهِ﴾»^(٢).
ومما أباحه الله لعباده وطيبه لهم من الأموال ما يلي:

١- الأموال الطيبة المكتسبة من البيع:

إذ الأصل فيه الحل والإباحة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، إلا ما ثبت شرعًا النهي عنه، أو قام الإجماع على فساده^(٣).

كما أن الأصل في أموال الغير التحريم والمنع^(٤)؛ لقول النبي الكريم ﷺ ((لَا يَحِلُّ مَالُ

(١) ينظر: معالم التنزيل ٨ / ٤٢٢، والمال في القرآن الكريم ص ٨.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٠ / ٢٤٦.

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٤ / ٦٣، والسراج المنير ١ / ١٥٣.

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه ٤ / ٣٢٥.

أمرئِ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ»^(١)، وخطب يوم التَّحَرِّ، فقال: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»^(٢).

وقد أنعم الله ﷻ على عباده بالأموال، وأباح لهم التكسب بها عن طريق الحلال، وشرع لهم تصريفها فيما يرضيه، وأثنى على طالبي الاكتساب، قال تعالى: ﴿وَأَخْرُؤْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُؤْنَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، فجعل المسافرين للتجارة على خير، وقرنهم بالمجاهدين في سبيله، فذا مجاهد لإعلاء دين الله، وذا مجاهد لصيانة وجهه ومن ينفق عليه، وكل على خير مع النية الصادقة الصالحة، وقد كان بعض الصحابة ﷺ يتأول من هذه الآية فضيلة التجارة والسفر لأجلها، وطلب المال الحلال الطيب؛ للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال^(٣).

إن الله ﷻ ندب المؤمنين وأمرهم بالنفقة من الطيب الجيد؛ مما يسر لهم من المكاسب، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وطيب المكسب يكون عن طريق التجارة بالبيع والشراء، والعمل البدني، وغير ذلك.

وظاهر قوله ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾، عام لكل ما استقر عليه الملك من قديم أو جديد، من موروث وغيره، وتخصيص المكتسب دون الموروث؛ لأن الإنسان بما يكتسبه أبخل به مما يرثه، والموروث مفهوم من المعنى^(٤).

وفي الآية «دلالة على إباحة الكسب، وأنه ينقسم إلى طيب وخبث»^(٥)، وفيها دلالة

(١) أخرجه أحمد ٣٤ / ٢٩٩ رقم ٢٠٦٩٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٥ / ٢٧٩ رقم ١٤٥٩، وساق طرقه عن مجموعة من الصحابة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ٢ / ١٧٦ رقم ١٧٣٩، ومسلم، في كتاب القسامة والمخاريب، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣ / ١٣٠٥ رقم ١٦٧٩، من حديث ابن عباس، وأبي بكرة ﷺ.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٥٥، والتحرير والتنوير ٢٩ / ٢٨٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢ / ٣٣٠.

(٥) معالم التنزيل ١ / ٣٢٩.

على أنه يجوز للوالد أن يأكل من كسب ولده، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ))^(١).

٢- الأَمْوَالُ الطَّيِّبَةُ الْمُكْتَسَبَةُ مِنَ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ:

ما تخرجه الأرض من المكاسب الطيبة هو فضل من الله ومِنَّةٌ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

الآية فيها حث للمؤمنين إلى الإنفاق من جياذ المكاسب وطيباتها، وندب إلى الإنفاق مما تنتجه الأرض من الثمار والزررع، وما يستخرج من المعادن والركاز^(٢)، وغير ذلك^(٣) فهو الذي من عليهم بتحصيله، فلينفقوا منه شكراً لله ﷻ، وأداء لبعض حقوق إخوانهم عليهم، وتطهيراً لأموالهم.

إنها دعوة إلى الإنفاق مما تحبه النفس وتحرص عليه، وفي ذلك تغلب على نوازع النفس، واستعلاء على حرصها وتمسكها بهذا الطيب وتعلقها به، الأمر الذي لا يكون إلا عن مجاهدة وإيثار وتضحية؛ فإنه على قدر المشقة يكون الثواب.

وكما هي دعوة للإنفاق من جياذ الأموال وطيباتها؛ تقرباً إلى الله ﷻ، فهي دعوة إلى الكف عن قصد الإنفاق من الرديء الدون، الذي لا يرغبونه، ولا يأخذونه إلا على وجه المسامحة، ولو بذله لهم من لهم حق عليه لم يرتضوه، إلا أن يتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه عنه فلم ير العيب فيه، ولن يقبل ذلك أحد لنفسه إلا وهو يرى أنه مغبون، مغموص

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب ٢/ ٧٢٣ رقم ٢١٣٧، وأبو داود، في كتاب البيوع، باب الرجل يأكل من مال ولده ٣/ ٣١٢ رقم ٣٥٣٠، والنسائي، في كتاب البيوع، باب الحث على الكسب ٧/ ٢٤١ رقم ٤٤٥٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/ ٥ رقم ٢١٢٨.

(٢) الرِّكَازُ: المال المدفون في الجاهلية. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (رَكَزَ) ١٠/ ٥٧، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٣٣.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٥٥٨، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٣٥٨، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٢١، والمكاسب والورع والشبهة ص ٢٩، والمال في القرآن الكريم ص ٥٦.

الحق، فعليهم أن يلتزموا في نفقتهم المال الطيب في كل وجه من وجوهه؛ بأن يكون جيداً نفيساً في صنفه، وحلالاً مشروعاً في أصله.

وكما يقدمون إلى الوالي أفضل ما يملكون، وأشرف ما عندهم، فكذا هاهنا، فالله غني عنهم، فنفع صدقاتهم، وأعمالهم عائدة إليهم^(١).

وكما نهينا عن تعمد تخصيص الصدقة بالحبيث فقد نهينا عن تكليف المتصدق بدفع الجيد من ماله فحسب، فقد قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: ((فَأَيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ))^(٢).

وخص الخارج من الأرض وكسب التجارة بالذكر دون غيرها كالمواشي: إما بحسب الواقع؛ فإنهما كانا أغلب أموال القوم؛ فالمهاجرون كانوا أصحاب تجارة وكسب، والأنصار كانوا أصحاب حرث وزرع، فيحتاجون إلى بيان حكمهما، وإما لأنهما أصول الأموال، وما عداهما فعنهما يكون ومنهما ينشأ؛ فإن الكسب يدخل فيه التجارات كلها على اختلاف أصنافها، وقد أسند إليه ﷺ ما يخرج من الأرض، فقال: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا﴾ مع أن للإنسان فيه كسباً؛ لأن العمدة فيه فضله، لا مجرد حرث، وفي تقديم الكسب على ما يخرج الله ﷻ من الأرض في الآية دلالة على تفضيله^(٣)، وبعضه حديث المِقْدَامِ^(٤) عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))^(٥).

ثم خُتِمت الآيتان باسمين كريمين، وهما الغني والحميد، فغناه وحمده يباين قبول الرديء،

(١) ينظر: البحر المحيط ٢ / ٣٣٠، والمحرم الوجيز ١ / ٣٥٨، وتفسير الرازي ٧ / ٥٥، وتفسير المراغي ٣ / ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٥ / ١٦٢

رقم ٤٣٤٧، ومسلم، في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١ / ٥٠ رقم ١٩.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٣ / ٦١.

(٤) المِقْدَامُ بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد، من كندة، يكنى: أبا كريمة، وأبا صالح، وأبا يحيى، من أصحاب النبي

ﷺ، ويعد في أهل الشام، وبه مات سنة ٨٧، وقيل: ٨٣، عن إحدى وتسعين سنة، ينظر: الاستيعاب في معرفة

الأصحاب ٤ / ١٤٨٢، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٤٢٧، والإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ١٦١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ٣ / ٥٧ رقم ٢٠٧٢.

فإن قابلَ الرديء الخبيث إما أن يكون لحاجته إليه، وإما أن نفسه لا تأباه؛ لعدم كمالها وشرفها، وأما الغني الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه لا يقبله^(١)، فالله ﷻ ((طَيْبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))^(٢).

٣- الأموالُ الطيبَةُ المُكْتَسَبَةُ عَنْ طَرِيقِ الجِهَادِ^(٣):

لما حصلت غزوة بدر تخرج المسلمون مما أخذوه من الفداء جاءهم التطمين الإلهي في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩]، فبعد أن عاتبهم على أخذ الفداء، جاء الأمر بالأكل منه، المشعر بعظيم المنّة، حاملاً الصفح الجميل، وجعله من جملة الغنائم المباحة لهم في مطلع السورة، ووصفه بالحلال الذي لا حرمة فيه، والطيب الذي لا خبيث معه، فهو طيب في نفسه لا حرمة فيه لذاته، كحرمة الدم ولحم الخنزير، ولا شبهة فيه أيضاً، وهذا فيه تأكيد وترغيب، وتسكين لقلوبهم، وزيادة في حليتها؛ وإزاحة لما وقع في نفوسهم بسبب تلك المعاتبة، أو حرمة الغنائم على الأولين^(٤).

ثم إن النبي ﷺ امتدح المال الحلال الطيب، ووصفه بالصلاح، فهذا عمرو بن العاص

(١) ينظر: طريق المهجرتين ٥٥٢/١، وإرشاد العقل السليم ٢٦١/١.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٧٠٣/٢ رقم ١٠١٥.

(٣) «قال أبو عبيد: وقد كان سفيان بن عيينة مع هذا - فيما حكى عنه - يقول: إن الله - تبارك وتعالى - إنما استفتح الكلام في الفيء والخمس بذكر نفسه، لأنهما أشرف الكسب، وإنما ينسب إليه كل شيء يشرف ويعظم، قال: ولم ينسب الصدقة إلى نفسه لأنها أوساخ الناس» الأموال لابن زنجويه ٧٢٤/٢.

(٤) وقد كانت الغنائم حراماً على الأنبياء والأمم السابقين، وإذا أصابوا مغنماً جعلوه للقربان، وتزل نار من السماء فتأكله، أما نحن المسلمون أمة محمد ﷺ فإن الله قد أحلها لنا، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ يُحَلِّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ ٧٤/١ رقم ٣٣٥، ومسلم، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٠/١ رقم ٥٢١، وينظر: المحرر الوجيز ٦٣٤/٢، وتفسير القرآن العظيم ٩١/٤، والإنجاد في أبواب الجهاد ص ٣٤١.

يقول: ((بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسَلَاْحَكَ ثُمَّ اتَّئِنِّي، فَآتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِي النَّظَرِ ثُمَّ طَاطَأَهُ^(١)) فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَيَّ جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُعْنِمَكَ، وَأُرْغَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَسَلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسَلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو، نِعَمَ الْمَالِ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ))^(٢).

والمال الصالح ما يكسب من الحلال الطيب، وينفق في وجوه الخيرات، ويراع فيه حق الله ﷻ، وحق عباده^(٣).

٤ - صَدَاقُ الْمَرْأَةِ^(٤):

هو من الأموال الطيبة الواجبة لها، وقد أمر الله ﷻ بإعطاء النساء مهورهن، عطية واجبة، وحرمة التعدي عليه، ما لم تتنازل بشيء منه باختيار وسماحة نفس، قال تعالى:

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْكًا مَّرِيًّا﴾ [النساء: ٤].

وهذه الآية الكريمة امتداد لما سبقها من توجيهات ربانية، لكنه توجيه يستهدف حفظ حق خاص وقع عليه ظلم قديم؛ حيث كان أناس يظلمون النساء، ويهضمون حقوقهن، خصوصاً الصداق الذي يشق دفعه للزوجة جميعاً دفعة واحدة، فأمرهم الله وحثهم على إيتاء النساء مهورهن، عن طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا مظل^(٥) ولا نجس.

فإن سمحت نفسها بشيء من الصداق، فلا حرج في أخذه ولا تبعة في ذلك، بشرط أن لا يكون ذلك بضغوط أو تهديد أو حيل، بل عن رضا واختيار، فهنا لا حرج بالانتفاع بما

(١) أي خفضه ونكسه. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ص ٢٠٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٨/٢٩، رقم ١٧٧٧٦٣، والبخاري في الأدب المفرد، باب المال الصالح للمراء الصالح ١١٢/١ رقم

٢٩٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص ١٢٧، وتخرجه أحاديث مشكلة الفقر ٢٢١٩/١، وغيرهما.

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١١ / ٣٩٢.

(٤) سمي بذلك لقوته، وأنه حق لازم لها، وصدق الرغبة فيها. ينظر: مقاييس اللغة، مادة (صدق) ٣ / ٣٣٩.

(٥) المَظْلُ: المَدُّ والتَّسْوِيفُ والمُدَافَعَةُ. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (مَظْل) ٥ / ٣٣١، ولسان العرب ١١ / ٦٢٤.

طابت به نفسها، لأنه صار حلالاً خالياً من شائبة الحرام والشبهات^(١).

والخطاب في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا﴾، للأزواج، أمرُوا بإيفاء مهور النساء، وقيل: للأولياء؛ لأن بعض العرب في الجاهلية لا يعطي النساء من مهورهن شيئاً، بل يأخذه كله، ويسمونه (حُلُوَانًا)، أو يجعلون حاجتهنّ للتزوّج ذريعة لإسقاط مهورهن؛ فيتفق اثنان من الأولياء؛ على أن كلاً منهما يعطي الآخر موليته، وليس للنساء صداق؛ وهو: الشِّعَار، فأبطل الله ذلك في الإسلام فجعل المهر للمرأة، وهو علامة معروفة للترقية بين النكاح وبين المُخَادَّة^(٢).

ومن المفسرين من يرى أن المخاطب بالأمر في أمثال هذا كلٌّ من له علاقة بالنساء من الأزواج أو الأولياء، وغيرهم من الحكام الذين إليهم المرجع في رد الحقوق إلى ذويها، والضرب على أيدي المعتدين والطامعين في حقوق النساء، وذلك لأن الخطاب من أول السورة موجه إلى الأولياء والأزواج؛ فناسب أن يكون الخطاب هنا شاملاً لكليهما، فإن أعطوهن عن رضا كان حسناً، وإلا أجبرهم الحكام على ذلك^(٣).

وقد عبر القرآن الكريم عن إيتاء المهور بقوله: ﴿نِحْلَةً﴾، مع كونها واجبة الأداء، لإفادة معنى الإيتاء عن كمال الرضا وطيب خاطر، دون أن يكون لهذه النحلة مقابل.

وجاء لفظ: ﴿طِبْنٌ﴾ إلى ضمير جماعة النساء؛ لأن التمييز: ﴿نَفْسًا﴾، اسم جنس نكرة، يستوي فيه المفرد والجمع، وأسند الطيب إلى ذوات النساء ابتداءً، ثم جيء بالتمييز للدلالة على قوة هذا الطيب^(٤).

وجيء بلفظ: ﴿فَإِنْ طِبْنٌ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾، ولم يقل فإن طبن لكم عنها؛ بعثاً لمن على تقليل الموهوب^(٥)، وحثاً للمُعطى على القناعة، وعدم تقالُّه، ومن ثم طلب الأكثر.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٥٥/٧، وتفسير القرآن العظيم ٢١٣/٢، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٦٣.

(٢) المُخَادَّةُ: المصاحبة، ينظر: تاج العروس، مادة (خدن) ٤٨٣/٣٤.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم ١٤٣/٢، والتحرير والتنوير ٢٢٩/٤، والوسيط لطنطاوي ٣٧/٣.

(٤) ينظر: الورع لأحمد رواية المروزي ص ١١٦، والتحرير والتنوير ٢٣٢/٤.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٥٠٢/١، والتحرير والتنوير ٢٣٠/٤.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ طَبَّنَ﴾، ولم يقل: وهبن لكم، أو سمحن لكم؛ إعلامًا بأن المراعى هو: تجافى نفسها عن الموهوب عن طيب خاطر، وليس عن حياء أو إكراه، ومن غير ضرار ولا خديعة، ولا اضطرارهن إلى البذل بالقوة، أو بسوء معاشرة؛ مما يضطرهن إلى البذل^(١).

وبهذا يتقرر عظم شأن المال في الإسلام، وأنه من ضروريات الحياة، وأن ما خلا من الحرام والمشتبهات فهو من الأموال الطيبة، التي إن ملكها المسلم فلا يحل شيء منها إلا بوجه شرعي أو طيب نفس منه، وله أن يتمتع بها في حدود شرع الله ﷻ، وله أن يتصرف فيها بتجارة، أو هبة أو صدقة، أو صلة أو نفقة، أو استعانة على أداء عبادته، وغير ذلك من وجوه النفع الخاص والعام، وهو بذلك مأجور ممدوح عليها، وحري بحصوله على البركة فيها، وزكائها وغمائها، وعظيم أثرها في الدنيا والآخرة.

(١) ينظر: تفسير الرازي ٩/٤٩٣، واللباب ٦/١٧٥، والتحرير والتنوير ٤/٢٣٠، والوسيط لطنطاوي ٣/٣٨.

المبحث الثالث: الطيب من المطعومات في القرآن الكريم:

أباح الله ﷻ لعباده الطيبات وأحلها لهم، وجعلها أكثر من المحرم، بل أمر بالأكل منها والتمتع بها، فما أوجدها إلا لهم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]؛ لذا فقد تقرر عند أهل العلم أن الأصل في المطعومات الحل والإباحة؛ فللعباد أن يأكلوا ويشربوا، ويختاروا من المطاعم ما لذ وطاب، من غير إسراف، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيًّا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩] وخصوصاً إذا كان الإنسان لا يناسبه إلا ذلك، كمن بسط الله عليهم في الرزق والجاه والمنصب^(١).

ولكن كثيراً من السلف الصالح يؤثرون الزهد في الدنيا؛ رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكمل^(٢)، ويذكرون آثاراً في ذلك، وأحوالاً لأهل الصُفَّة^(٣)، وما لاقوه من شدة العيش؛ وأن عمر ﷺ كان يفعل ذلك خوفاً من الدخول في عموم من يقال لهم يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وهذه الآية فيها تذكير بحال الكافرين يوم القيامة، حين يعرضون على النار، فينظرونها ويقربون منها، ويعذبون فيها، ويقال لهم تقريباً وتوبيخاً، وزجراً وتأنيباً: استوفيتم وأخذتم لذائذكم في الدنيا وتمتعتم بها؛ بالشهوات واللذات في المعاصي دون مبالاة بالذنب، وكذبتم ما جاءت به الرسل من الوعد والعقاب، فلم يبق لكم شيء منها، حيث استمتعتم بها استمتعاً دنيوياً، دون أن تدّخروا للآخرة منها شيئاً، فيجازون من جنس عملهم؛ فكما متعوا أنفسهم، واستكبروا عن اتباع الحق، وتعاطوا الفسق والمعاصي جازاهم بالعذاب الذي

(١) ينظر: البحر المحيط ١/ ٦٥٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٧٢.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٢٨/ ٢٢، وتفسير المراغي ٢٦/ ٢٩.

(٣) الصُفَّة: الظُّلَّة، موضع مُظَلَّل من المسجد النبوي، يجتمع فيه فقراء المسلمين، وكانوا أحلاطاً من قبائل شتى، عد منهم الزبيدي ثلاثة وتسعين رجلاً في رسالة لطيفة. ينظر: غريب الحديث لابن الحوزي ١/ ٥٩٤، والنهية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٧، وتاج العروس، مادة (وَفَضَّ) ١٣/ ٣٣٦.

النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف، وربما كانا خيار ثمار الدنيا، وسمى الأول باسم شجرته؛ لكثرة ما فيها من المنافع المقصودة، بخلاف الثاني فإنه المقصود من شجرته، ومنهما كان يتخذ الخمر، وقد ذكّرهم الله بمتته عليهم بما قبل التحريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] ^(١).

قال ابن القيم: «خص هذين النوعين من الثمار بالذكر؛ لأنهما أشرف أنواع الثمار، وأكثرها نفعاً، فإن منهما القوت والغذاء، والدواء والشراب، والفاكهة والحلو والحامض، ويؤكلان رطباً ويابساً، ومنافعهما كثيرة جداً» ^(٢)، ويحملان من البلاد إلى الأماكن البعيدة، ولا كذلك غيرهما ^(٣).

ج- الزَيْتُونُ: شُرْفٌ بالذكر في الكتاب العزيز ست مرات، وبالقسَم المبارك، وهو من شجرة مباركة، كما قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وخصها بالذكر؛ بعد أن عم جميع الأشجار؛ لكثرة منافعها التي ذكر بعضها في قوله: ﴿وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِللَّاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، أي تنبت وفيها الدهن، وقيل: تنبت بثمر الدهن، وهو الزيت، فجعل في هذه الشجرة المباركة الطيبة أدمًا للآكلين وهو الزيتون، ودهنًا وهو الزيت يستصبح به ^(٤).

وجاءت شجرة الزيتون في القرآن الكريم منكرة؛ ولعل ذلك للتنبؤ بهما، فهي في تنكيرها أبعد من أن تجهل، وخصّ جبل الطور بهما - مع أنها تخرج من مواطن كثيرة من الأرض - لنشأتها هناك، وانتشاره حوله، ومنه تشعبت في البلاد، وقد قيل: إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان، والله أعلم ^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ٢١، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٠٦.

(٢) طريق المهجرتين وباب السعادتين ص ٣٧١.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٢٦ / ٢٧٣، والبحر المحيط ٤ / ١٩٥.

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٥ / ٣٥، والتعبير القرآني ص ٣٤٧.

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٥ / ٣٥، والسراج المنير ٢ / ٤٥٣، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٦٧.

فيه ذلهم وخزيهم وإهانتهم^(١).

وللمفسرين كلام كثير حول هذه الآية، والتحقيق أنهما في الكفار؛ فقد قال الله في أولها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم؛ لأنه ﷺ ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم، بل امتن بها عليهم، وأمرهم بالأكل منها في الدنيا، وأجاز لهم التمتع بها، وأنكر على من حرمها، ومع ذلك جعلها خاصة بهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فدل هذا النص على أن تمتع المؤمنين بالزينة، والطيبات من الرزق في الدنيا لا يمنع من اختصاصهم بالتنعم بها يوم القيامة، وهو صريح في أنهم لم يذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، ولا ينافي هذا أن من كان يعاني شدة الفقر في الدنيا كأصحاب الصفة، لهم أجر زائد على ذلك؛ لأن المؤمنين يؤجرون بما يصيبهم في الدنيا من المصائب والشدائد، أما الكفار فيجازون على ما صدر منهم من خير في الدنيا، ولا يستحقون شيئاً في الآخرة^(٢).

وبهذا يتقرر أنه ليس في الآية ما يقتضي منع المسلم من تناول الطيبات في الدنيا إذا تَوَخَّى^(٣) حلالها، وعمل بواجبه الديني فيما عدا ذلك، ومع هذا فإن الاحتراز عن التنعم أولى وأرفع درجة، لأن النفس إذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز، وحينئذ ربما يحملها الميل إلى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي، وذلك مما يجرب بعضه إلى بعض، ويوقع في البعد عن الله ﷻ، والناس في ذلك متفاوتون؛ ولعل فعل السلف كان من هذا القبيل؛ تورعاً وحماية للنفس عن المزالق، فيتركون مالا بأس به حذراً مما به بأس.

ومما ذكره الله من المطعومات الطيبة في القرآن الكريم ما يلي:

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢٠/٢٢، ومعالم التنزيل ٢٦٠/٧، والكشاف ٣٠٩/٤، والتسهيل ٢٠٥٧/١.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٢٢/٢٨، وأضواء البيان ٢٢٧/٧، والتحرير والتنوير ٤٣/٢٦.

(٣) التَوَخَّى: القصد والتحري، وطلب الأفضل في الخير. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (وَخَى) ٢٥١/٧.

١- المَن، والسَّلْوَى:

وهما طعامان طيبان لذيدان، جاء التصريح بهما في القرآن الكريم ثلاث مرات، في ثلاث سور كريمات، في البقرة والأعراف وطه، كلهن في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وما امتن به الله ﷻ عليهم من النعم.

وعبارات المفسرين متقاربة في معنى المَن؛ فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب اللذيذ، الذي يشبه العسل، إن أكل وحده كان طعاماً حلواً، وإن مُزج مع الماء صار شراباً طيباً، وإن رُكّب مع غيره صار نوعاً آخر، ويرى البعض أنه اسم لكل ما امتن الله به عليهم؛ من طعام وشراب، ورزق حسن يحصل لهم بلا عمل أو تعب، ومنه الزنجبيل، والكمأة^(١)، والخبز، وغير ذلك^(٢)، وليس المراد من الآية شيئاً واحداً؛ لحديث سعيد بن زيد^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ))^(٤).

وأما السَّلْوَى فهو: طائر السَّمَانِي أو شبيهه، طيب اللحم، يأكلون منه ما يكفيهم ويأخذون ما يقيتهم، قال تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].
وقيل: إن السَّلْوَى؛ مشتقة من السلوة، فطيبها يسلي عن غيرها^(٥).

فقد ذكّرهم الله في الآيات قبلها بما دفع عنهم من النقم، وهنا ذكرهم بما أسبغ عليهم من النعم؛ لما كانوا في التّيه والبرية الخالية من الظلال وسعة الأرزاق، فجعل السحاب

(١) الكمأة: نبات ينقض الأرض، فيخرج كما يخرج الفطر. ينظر: العين، مادة: (كمأ) ٥ / ٤٢٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١ / ٣٦٤، ومدارك التترييل وحقائق التأويل ٢ / ٧٣، وتيسر الكريم الرحمن ص ٥٢.

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، أبو الأعور، من المهاجرين الأوّلين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، توفي بالمدينة، سنة خمسين، أو إحدى وخمسين، عن بضع وسبعين سنة. ينظر: الكنى والأسماء ٣١ / ١٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ١٧٨، والإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٤٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ ٦ / ١٨ رقم ٤٤٧٨، ومسلم، في كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها ٣ / ١٦١٩ رقم ٢٠٤٩.

(٥) ينظر: روح المعاني ١ / ٢٦٤، والتفسير الوسيط ٩ / ١٣٤.

د- الرُّمَّانُ: ثمر عجيب طيب، ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاث مرات، مرتان بعد الزيتون، ومرة بعد النخل، وقد أدرك العرب بعض منافعه، وشيئاً من فوائده، فاهتموا بزراعته، وقد ذكّرهم الله ﷻ بمنته عليهم به حيث كان في الطائف، وهو قريب منهم، وقد استخدموا شيئاً من أجزائه علاجاً لبعض الأمراض قديماً وحديثاً، وأشاروا في مصنفاتهم إلى فوائده، وأنه فاكهة ودواء^(١)، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ [الأنعام: ٩٩].

وكثيراً ما يمتن الله ﷻ على عباده بهذه الطيبات، فذكر في هذه الآية أربعة أنواع من الأشجار، النخل والعنب، والزيتون والرمّان؛ وقدم الزرع على الشجر لأنه غذاء، وثمار الأشجار فواكه، والغذاء مقدم على الفاكهة؛ وقدم التمر لأن يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب؛ وإنما ذكر العنب عقب النخل لأنه أشرف أنواع الفواكه، فهو من أول ما يظهر يصير منتفعاً به إلى آخر الحال، وهو من ألد الفواكه المدخرة، ويبقى منه أربعة أنواع من المتناولات وهي الزبيب والدبس، والخمر والخل، ومنافعه لا تحصر حتى قيل إنه سلطان الفواكه.

وأما الزيتون فهو أيضاً كثير النفع؛ لأنه يمكن تناوله كما هو، ويفصل أيضاً عنه دهن كثير، عظيم النفع في الأكل، وفي سائر وجوه الاستعمال، وأما الرُّمَّان فحاله عجيب جداً؛ وذلك لأنه جسم مركب من أربعة أقسام: قشره وشحمه، وعجمه وماؤه.

وهاتان الشجرتان الزيتون والرُّمَّان، وإن لم تكونا مثل النخل في الأهمية عند العرب إلا أنّهما لعزّة وجودهما في بلاد العرب؛ ولتنافس العرب في التفكّه بثمرهما، والإعجاب باقتنائهما ذكراً في مقام التذكير بعجيب صنع الله ﷻ ومنّته.

(١) ينظر: أنوار التنزيل ١ / ٢٨١، والتفسير القرآني للقرآن ٩ / ١١٢٦.

الأبيض يواريهم ويسترهم، ويقيهم حر الشمس، وكان المُنُّ يتزل على الأشجار، فيغدون إليه، ويطعمون منه ما شاؤوا.

وقد أمرهم بالأكل مما رزقهم، إباحة وإرشاداً وامتناً على هذا الرزق الذي لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفين، فلم يشكروا هذه النعمة، بل استمروا على مخالفتهم وعصيانهم، وقساوة القلوب، وكثرة الذنوب، مع ما شاهدوه من الآيات البينات، والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات، ولكن مخالفتهم عائدة عليهم بالضرر، فالله ﷻ لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين^(١).

ومن هنا تتبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ على سائر أصحاب الأنبياء، في صبرهم وثباتهم، وعدم تَعْتُهُمْ، فكانوا معه في أسفاره وغزواته، ومنها ما هو في الحر الشديد والجهد، ولم يسألوه معجزات، ولا إيجاد أمر خارق للعادات، مع أن ذلك كان سهلاً على الرسول ﷺ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه أن يدعو الله بالبركة في طعامهم فجمعوا فضل أزوادهم، ودعا ربه، فحصلت البركة فيه، فملؤوا كل وعاء معهم^(٢)، عن جابر رضي الله عنه قال: ((عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ^(٣)، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ^(٤)) فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ، إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ، قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعَيْونِ، قَالَ: فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِحَابِرٍ: كَمْ كُنتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَّانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً^(٥)، فهذا هو الأكمل في الإتيان: المشي مع قدر الله، مع متابعة الرسول ﷺ^(٦).

- (١) ينظر: معالم التنزيل ١/ ٩٧، وتيسر الكريم الرحمن ص ٥٢، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ٧٥.
- (٢) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١/ ٥٦ رقم ٢٧.
- (٣) الحُدَيْبِيَّةُ: بتشديد الياء وتخفيفها، قرية قريبة من مكة سميت ببئر فيها، أو على شجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، على (٢٢) كيلاً، غرب مكة على طريق جدة القديم. ينظر: ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ص ٧١٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٤٩، ومعجم البلدان ٢/ ٢٢٩، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٩٤.
- (٤) الرِّكْوَةُ: «إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء». النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٦١.
- (٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥/ ١٢٢ رقم ٤١٥٢.
- (٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٧٣.

٢- صَيْدُ الْجَوَارِحِ ^(١) الْمُعَلَّمَةُ:

وهذا من لطف الله ورحمته ، أن أباح لعباده ما لم يذكره مما صادته الجوارح المعلمة .
وقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ عما يحل لهم من الأطعمة، فأتاه الأمر من الله أن يجيبهم بأن الله أحل لكم الذبائح التي ذكر اسم الله عليها، وكل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر؛ بالبدن أو العقل، وأحل لكم ما اصطدموه بالجوارح؛ من الكلاب والفهود، والصقور، وأشباه ذلك مما يصيد بناه، أو بمخلبه ^(٢)، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ الْطَيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

وحيثما تأتي الآية الكريمة بإحلال الطيبات، فإن الواقع يحدث بأنها كثيرة لا حصر لها وأن الخبائث قليلة يمكن حصرها، ولهذا أطلق الله الطيبات وجعلها شاملة عامة، وقيد الخبائث وحصرها في دائرة ضيقة، وأباح كل ما وراءها ^(٣).

ولفظ ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾، يلتبس منه معنى رفيع، في تهذيب نفس المسلم وذوقه، وتزويجهما عن كل مستكره؛ في المأكول والمشرب، وسائر شؤون الحياة، وهو صفة لمحدوف معلوم من السياق، أي الأطعمة الطيبة ^(٤).

وخصت الجوارح بالبيان من بين الطيبات؛ لأن طيبها قد يخفي من جهة خفاء معنى الذكاة في جرح الصيد، ولا سيما صيد الجوارح، وهو محل التنبيه هنا، الخاص بصيد الجوارح ^(٥).

(١) الاجْتِرَاحُ: الاكتساب، والمراد: ما يصيد من السباع والطيور، وهي تجرح وتكسب. ينظر: العين، مادة: (جَرَاح).

(٢) ٧٨/٣، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ١٤١.

(٣) ينظر: جامع البيان ٩/٥٤٣، والمحرر الوجيز ٢/١٨٢، وتوجيهه وتنبيهه إلى هواة الصيد ومحبيه ص ٣٦.

(٤) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٣/١٠٣٦.

(٥) ينظر: التفسير الحديث ٩/٤١.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٦/١١٠-١١٦.

وذكر الله ﷻ هذه الأقسام الأربعة التي هي أشرف أنواع النبات؛ واكتفي بذكرها تنبيهاً على البواقي، ولما ذكرها قال تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ فهذه الفواكه قد تكون متشابهة في اللون والشكل، مع أنها مختلفة في الطعم واللذة، وقد تكون مختلفة في اللون والشكل، مع أنها تكون متشابهة في الطعم واللذة، ثم إنها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة، وبالعكس، وكذلك أوراق الأشجار تكون قريبة من التشابه، أما ثمارها فتكون مختلفة^(١).

هـ- التَّيْنُ: كرمه الله ﷻ، وشرفه بالقسم الرباني، ولم يرد له ذكر في القرآن الكريم قط إلا في موضع واحد، ولعل في هذا القسم عناية به، وتنبيهاً على منافعه الكثيرة، وفوائده الجمة، وأنه مطعوم طيب، وذو قيمة عظيمة بين أصناف الأشجار المثمرة.

ولم يأت له ذكر في السنة لعدم وجوده بمكة والمدينة، ولم يكن من منابتهما لمنافاة جوه لجوهما، وهو وإن وجد فيهما أخيراً إلا أنه ليس بجودته في غيرهما^(٢).

وقد تعددت الآراء في تفسير التَّيْنِ في كتاب الله العزيز، فهناك من لم يفكره باعتباره ذلك المطعوم الطيب المعروف، بل هو اسم مكان بعث الله ﷻ فيه نبياً من أنبيائه، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١ - ٣]، فأول هذه الأماكن محلة هو بيت المقدس الذي بعث الله فيها النبي عيسى عليه السلام، والثاني هو طور سيناء الذي كلم الله ﷻ عنده موسى عليه السلام، والثالث هو البلد الأمين مكة الذي أرسل فيه محمداً ﷺ، ولعل في هذا القسم الرباني الإبانة عن شرف هذه البقاع الطيبة المباركة، التي شع منها نور الهداية للبشرية، وبُعث منها الرسل، يحملون الخير والبركة والهداية للعالمين^(٣).

وكون الآية تشير إلى مواضع وأماكن عدد من الرسائل ربما يستأنس به، إلا أن

(١) ينظر: تفسير الرازي ١٣/٨٦، والبحر المحيط ٤/١٩٥، والتحرير والتنوير ٧/٤٠٢.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٩/٤.

(٣) ينظر: أسماء في القرآن الكريم ١/٦٦، والتعبير القرآني ص ٣٤٥.

ثم ختمت الآية بالأمر بالتقوى، وفي ذلك تنبيه إلى أن تقوى الله ملاك الأمر في الرقابة على تنفيذ أحكام الحلال والحرام، ووضع الحدود الفاصلة بين الخبيث والطيب^(١).

٣- مَا ذَبَحَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ:

إن ما ذبحوه مما كان على الطريقة الشرعية حلال لنا، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

فبعد أن تمت إجابة السائلين عما أبيض لهم في الآية قبلها، جاء التأكيد بحل الطيبات مباشرة، فأحل الله للمؤمنين الطيبات من الرزق، وذبائح اليهود والنصارى دون غيرهم؛ لأنهم أهل دين رباني، وقد اتفقت الرسالات كلها على تحريم الذبح لغير الله؛ لأنه شرك، أما اليهود والنصارى فهم يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فأبيحت ذبائحهم دون غيرهم، وأحل للمسلمين أن يطعموهم من ذبائحهم^(٢).

وإعادة ذكر إحلال الطيبات في هذه الآية وعدم الاكتفاء بذكرها فيما سبق تأكيد وتوطئة وتنبيه على إتمام النعمة فيما يتعلق بالدنيا، ومنها إحلال الطيبات؛ وليعلم بقاء هذا الحكم، عند إكمال الدين واستقراره، فإن المقصود بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ﴾ هو الزمان وليس صورة اليوم^(٣).

٤- الْمَطْعُومَاتُ الطَّيِّبَةُ فِي الدُّنْيَا:

التي امتن الرب الجليل بها على عباده، ونص القرآن الكريم على مجموعة منها، فعمم وخصص، تذكيراً لهم بما يعرفون من نعمه، مأكولة ومشروبة، وسماها بالفواكه، وهي كل ما يُتَفَكَّهُ به من الثمار ويستمتع به، وتطيب به النفس، وقيل: إنها تطلق على الثمرات التي ليست بقوت^(٤).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٢١.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٢١، والوسيط لطنطاوي ٤/٥٣.

(٣) ينظر: روح المعاني ٦/٦٤، وأحكام القرآن للكبيا الهراسي ٢/١٨٢، والتحرير والتنوير ٦/١١٩.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/١٥٠، وإرشاد العقل السليم ٦/١٢٨، فتح القدير ٣/٦٨٤.

ومما صرح به القرآن الكريم من هذه الطيبات:

أ- ثَمَرَاتُ النَّخِيلِ: المخصوص بالذكر في القرآن عشرين مرة، وجعله مقدماً على غيره في أكثرها؛ لكونه نفعاً كله؛ سَعْفَهُ^(١) وَلَيْفُهُ، وَخَوْصُهُ^(٢)، وَعَرَاجِينُهُ^(٣)، وَثَمَرُهُ طَلْعًا^(٤)، وبسراً ورطباً وتمرّاً، وفيه زينة دائمة؛ لكونه لا يسقط ورقه.

وهذا الثمر الطيب جعل منه الخلاق العليم مصالح ومنافع للعباد، وأنواعاً من الرزق الحسن الذي يأكلونه طرياً ونضيجاً، وحاضراً ومدخراً، ومن السكر الذي كان، ثم أعاضهم عنه بالطيبات من الأشربة.

وقد امتن الجليل الكريم بِرُطْبِهِ على الصديقة مريم عليها السلام، فقال تعالى: ﴿وَهَرَيَٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]، «وإنما أعطيت رطباً دون التمر لأن الرطب أشهى للنفس، إذ هو كالفاكهة، وأما التمر فغذاء»^(٥)، و«ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب»^(٦).

ب- الأَعْنَابُ: التي شُرُفَتْ بالذكر في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة؛ مَنَّةً من الكريم الوهاب، وإشادة بها، وبيانا لطيبها، ولفتنا لأنظار العباد إليها ومنافعها.

وكثيراً ما يقترن ذكر النخيل والأعناب في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَكَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩]، فيأتي التصريح بهذين الصنفين؛ لما لهما من المنفعة، والعلو على جميع الأشجار والثمار، فهما غذاء وقوت، وفاكهة وحلوى؛ ولأنهما أكثر انتشاراً عند العرب في الجزيرة العربية، فكانت

(١) السَّعْفُ: أغصان النخلة إذا يبس. ينظر: العين، مادة: (سَعْف) ١ / ٣٤٠، ومقاييس اللغة ٣ / ٧٣.

(٢) الخَوْصُ: ورق النخل. العين، مادة: (خَوْص) ٤ / ٢٨٥، ومختار الصحاح ص ٩٨.

(٣) العُرْجُونُ: ما فوق الشَّماريح إلى النَّخْلَةِ، وهو أصل العِدْق، أصفر عريض. ينظر: العين، مادة: (عرجن) ٤ / ٩٤، وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص ٤٢٢، والصحاح ٦ / ٢١٦٤.

(٤) الطَّلْعُ: ما يظهر من ثمرة النخل أول ظهورها. ينظر: تاج العروس، مادة: (طَلْع) ٢١ / ٤٤٩.

(٥) التحرير والتنوير ١٦ / ٨٧.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ١٧٩.

حمله على ما هو معروف هو الأقرب؛ لظاهر النص، وهو قول عدد من المفسرين^(١)، كما أنه لا دليل لصرف النص عن ظاهره^(٢).

وهذا النبات الطيب له خواص كثيرة تجعله محلاً للقسم به، والوقوف والتأمل عند فوائده؛ لذا أفاض الأطباء وعلماء النبات، قديماً وحديثاً حول منافعه، وأنه علاج يوصف لحالات كثيرة من الأمراض، وأنه فاكهة طيبة لا فضل له، وغذاء لطيف سريع الهضم^(٣)، مما يجعل لهذه الشجرة مزيداً من الخصوصية في أثرها، وخلقها العجيب، فهي شجرة تخرج الثمرة قبل أن تلبس الورد، إضافة إلى أن سائر الأشجار إذا أسقطت الثمرة من موضعها لم تعد في تلك السنة، إلا التين فإنه ربما عاد مرة أخرى^(٤).

و- الماء: خلقه الله ﷻ وامتن به، وجعله قوام حياة العباد والحيوان والنبات، ونوع مصادره وأماكنه وطعمه؛ لتقوم به مصالحهم، وليظهر لهم عظيم فضله وإحسانه.

فماء المطر طيب مبارك، أنزله الخلاق العليم، من السماء بقدر وحساب، وجعله طهوراً فرائداً؛ عذباً زلالاً، وأسكنه في الأرض؛ لينتفع الناس به، مع قدرته على إفنائه، لكنه أخرج به أنواع الثمرات والأرزاق للعباد، فضلاً عن حياة الإنسان به، وإرواء ظمئه قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

وجعله من دلائل قدرته، وحججه على توحيده، وعلامة على البعث حينما يتزل على الأرض فتقلب خضراء بأنواع الثمار الكثيرة، بعد أن كانت ميتة ليس فيها نبات، فتنتفع به الأنعام والأناسي، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٥٠٢، وتفسير القرآن العظيم ٨ / ٤٣٤.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٥٠٧.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩ / ١٧٤، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٩ / ٣.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ٣٢ / ٢١١.

كما جعله الحق عَلَيْكَ جنداً من جنوده، ووسيلة نصر لعباده المؤمنين، وعذاباً على الكافرين، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].
وأبقى بعضه في الأرض؛ لتحفظه للناس وقت حاجتهم إليه، فسلكه ينابيع في الأرض فسبحان اللطيف الخبير.

أما مياه الأنهار والبحار فيكفيها أن تتدبر شيئاً من طيبها وعظمة الخالق فيها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لِيَتَبَنَّوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢]، وعند تأمل هذه الآية الكريمة تتجلى لنا حكمة إلهية في هذا الخير الرباني، الذي يُظهر لنا شيئاً من قدرته وحكمته ورحمته، حيث جعل البحرين لمصالح ساكني العالم الأرضي كلهم، فلم يسوَّ بينهما؛ لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة فراتاً سائغاً شرابها؛ لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن تكون البحار مالحة أجاجاً؛ حتى لا يفسد الهواء بروائح ما يموت فيها من الحيوانات، كما أن ملوحتها تجعلها متحملة للسفن فيساعدتها على عدم السقوط في أعماقه، كما جعل البحر ساكناً لا يجري؛ لأن ملوحته تمنع من تغيره، وحتى تكون حيواناته أحسن وألذ وأطيب^(١).

ولكن كيف قابل كثيرون هذه النعم، حول هذه البحار والأنهار في غالب البلدان؟
إن الحالة مخجلة؛ تبرج وسُفور وعري، واختلاط بين الجنسين حول المياه وداخلها، علاقات وصدقات محرمة، ومعازف صاحبة، ومناظر مخزية، يمتقتها أصحاب المروعات، والأذواق الرفيعة، فضلاً عن أصحاب الديانة، والفطر السليمة، مما يُعظم المسؤولية على أهل العلم والدعوة، أن يقوموا بواجبهم، ويبلغوا رسالة ربهم بحكمة وأناة، وخطط دعوية عميقة

(١) ينظر: تفسير الرازي ٤/ ١٦٩، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٤٠، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٨٦.

مع أصحاب القرار، ومع من يرتاد تلك الأماكن؛ ليحصل الشكر والمتعة بإذن الله ﷻ.

ز- العسل: طعام طيب لذيذ، يخرج من بطون النحل، وهو ألوان متنوعة، وأشكال متعددة حسب مرعى نخله، واختلاف الثمرات والغذاء الذي يتناوله^(١).

وفي بيان أنواعه وبعض منافعه، لنا أن تأمل القرآن الكريم، فقد ذكره مرتين موصوفاً، ومصرحاً به، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩].

كما ورد مصرحاً به كرامة لأهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَنهَرْنَ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

إنه باب مفتوح أمام النحل لتأكل من كل الثمرات، ليكون العسل جامعاً لكل الفوائد فهو شراب وحلوى، وغذاء ودواء، وشفاء لكثير من أمراض الناس وعللهم^(٢).

والمراد بقوله ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، العسل، لحديث أبي سعيد رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا، ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلًا ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا فَسَقَاهُ فَبَرَأَ))^(٣)، فقوله: ((صَدَقَ اللَّهُ)) كالصريح بأن المراد به العسل^(٤).

ح- اللبن: شراب طيب لذيذ، وخلق عجيب، ذكر في القرآن مرتين، يكرم الله به المتقين في الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَنهَرْنَ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥].

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٤ / ٣٢، والعلاج والرقى ص ٣٩، والتفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ص ١٣٧، وفتاوى الطب والمرضى ص ٣٩٥.

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣ / ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل ٧ / ١٢٣، رقم ٥٦٨٤، ومسلم في السلام، باب التداوي بسقي العسل ٤ / ١٧٣٦ رقم ٢٢١٧.

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٤ / ٣٤.

وامتن به على عباده بأنه جعله شراباً سائغاً، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۗ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦]، فأعجب ما في هذه الأنعام خلق الله العزيز الحكيم لهذا اللبن، الذي يخرج من بطونها وسطاً من بين فَرْثٍ^(١) ودم، لا يبغى عليه أحدهما بلون أو رائحة أو طعم، فلا يأخذ من لون الدم أو ريح الفَرْث شيئاً، على حين أنه يجرى بينهما، ويأخذ مسلكه الدقيق معهما، خالصاً صافياً من الكَدْر، فيكون شراباً طيباً لذيذاً جاهزاً، هنيئاً يجرى في الحلق، ولا يغص شارب، فيسقي ويغذي، وذلك شاهد على قدرة الله وحكمته، وتفردته بِحَقِّهِ بالخلق والتدبير^(٢).

وهل هذا إلا قدرة إلهية، لا أمور طبيعية؟ وأي شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة والشراب الذي تشربه لبناً خالصاً، سائغاً للشاربين؟^(٣).

ط- اليَقْطِينُ^(٤): شجرة طيبة أنبتها الله على نبيه يونس الطَّيْلَانِيَّ، لما أخرجه من بطن الحوت،

قال تعالى: ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ ﴾ [الصافات: ١٤٦].

وخصها بالذكر؛ لأن فيها برد الظل ولين اللمس وكبر الورق، وأن الذباب لا يقربها، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب^(٥)؛ فلو وقع عليه لآلمه، فمنعه عنه بهذه الشجرة الطيبة، وحتى تظله وتقيه حر الشمس، فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه^(٦).

-
- (١) الفَرْثُ: ما في الكرش من القدر. ينظر: مجمل اللغة، مادة: (فرث) ص ٧١٩، ومعترك الأقران ٣/ ٥٦.
 (٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٦/ ٢٧، والتفسير القرآني للقرآن ٩/ ١١٢٧.
 (٣) ينظر: السراج المنير ٢/ ١٩٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٤٣.
 (٤) اليَقْطِينُ: مشتق من قطن بالمكان إذا أقام به فهو يَفْعِيلُ، وقيل: اسم أعجمي، وهي الدُّبَاءُ، والقَرَعُ؛ الذي هو حَمَلُ اليَقْطِينِ على قول الأكثرين، وقيل: كل شجرة لا ساق لها فهي من اليَقْطِينِ، وقيل: كل شجرة تهلك من عامها فهي من اليَقْطِينِ. ينظر: الدر المصون ٩/ ٣٣١، وتاج العروس مادة: (قطن) ٢١/ ٥٣٧.
 (٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٥٥٧، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٧٥٣.
 (٦) حياة الحيوان الكبرى ١/ ٣٥٧.

ونقل الرّازي عن الواحدي^(١) قوله: «والآية تقتضي شيئين لم يذكرهما المفسرون أحدهما: أن هذا اليقطين لم يكن قبل، فأنبته الله لأجله، والآخر: أن اليقطين كان معروشا؛ ليحصل له ظل؛ لأنه لو كان منبسطا على الأرض لم يمكن أن يستظل به»^(٢).

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ((أَنَّ حَيَّاطًا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ لَطَعَامٍ صَنَعَهُ، فَذَهَبَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَرَّبَ حُبْزَ شَعِيرٍ، وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءُ، وَقَدِيدٌ^(٣) رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَّبِعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الْقَصْعَةِ، فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ بَعْدَ يَوْمِئِذٍ))^(٤).

وقد دلّ هذا الحديث على أن رسول الله ﷺ كان يحب اليقطين، وما أحب شيئا إلا وجد فيه سر عظيم، فماذا فيه؟!.

ولعل سبب محبته له ما فيه من زيادة العقل والرطوبة، وما خصه الله به من إنباته على يونس حتى وقاه، وترى في ظله، فكان له كالأم الحاضنة لفرخها^(٥)، وهو من ألطف الأغذية، وأجودها غذاء، وأسرعها انفعالا^(٦)، فشجرة اليقطين سريعة النبات، والامتداد والارتفاع، والتظليل؛ لكبر ورقها ونعومتها، ولا يقربها الذباب^(٧). والله أعلم.

(١) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، أبو الحسن، كان طويل الباع في العربية واللغات، صنف التفاسير الثلاثة: (السيط)، و(الوسيط)، و(الوجيز) وله كتاب (أسباب النزول) توفي سنة ٤٦٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩.

(٢) تفسير الرازي ٢٦/ ٣٥٨، واللباب في علوم الكتاب ١٦/ ٣٤٧.

(٣) القديد: «اللحم المملوح المحفف في الشمس». النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب المرق ٧/ ٧٨ رقم ٥٤٣٦، ومسلم، في كتاب الأشربة، باب جواز أكل المرق، واستحباب أكل اليقطين ٣/ ١٦١٥ رقم ٢٠٤١.

(٥) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥/ ٢٩٢.

(٦) ينظر: جامع البيان ٢١/ ١١٢، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٠، وزاد المعاد في هدي خير العباد ٤/ ٤٠٥.

(٧) وهناك أدلة حديثة تشير إلى أن اليقطين يفيد في الوقاية من سرطان الرئة، كما في الدراسة التي أجريت في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، والمنشور في مجلة الأبحاث البيوكيميائية عام ١٩٨٥م، كما أثبتت الدراسات الطبية أن الدُّبَّاءَ غذاء جيد لمن أراد إنقاص وزنه، وهو فقير جدا بالصوديوم، فهو يناسب المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم، وغني بالبوتاسيوم، والكالسيوم، والمغنيزيوم، والفوسفور، والحديد، والكبريت، والكلور، والفيتامينات. ينظر: موسوعة مكنون الإسلامية www.maknoon.com.

٥- المَطْعُومَاتُ فِي الْجَنَّةِ:

يكرم الله عباده الطيبين، الذين طابت أعمالهم في الجنة بأنواع من المأكولات والمشروبات الطيبة، التي سَمَّى لنا بعضها في كتابه، وأخفى أكثرها، وخص بعض السور بمزيد من البسط في طيباتها وخيراتها، كما في سورة الواقعة والرحمن، والإنسان والنبأ، وجعل طيبات الدنيا أتمودجاً لنعيم الآخرة.

فطعام أهل الجنة أطيب الطعام، وألذ وأهنته، وثمارها وقطوفها دانية مذلة، يختارون ما يريدون، مما ﴿تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، ويتنعمون بالحدائق المليئة بالأشجار المثمرة، والفواكه الطيبة، الموصوفة بالكثرة؛ ولذا جاءت منكرة في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (٥٧) [يس: ٥٧]، كما جاء وصفها بالكثرة صريحاً في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٣]، ومنها: الأعناب والنخل، والرمان والسدر المحمل بالثمار الخالي من الشوك، كما قال تعالى في نعيم أصحاب اليمين: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨]، وفي ذكره تنبيه على أن كل ما لا نفع فيه، أو فيه نوع أذى، ليس له في الجنة وجود؛ لأن الجنة إنما خلقت للنعيم، وخص بالذكر؛ لأن ثمره أشهى الثمر إلى النفوس، وأطيبه طمغاً، وألذه ریحاً.

ولما ذكر ﷺ ما يطلع في الجبال والأماكن المعطشة والرمال أتبعه بما لا يطلع إلا على المياه؛ دلالة على أن أماكنهم في غاية السهولة والري، فقال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ (٢٩) [الواقعة: ٢٩]، وهو شجر الموز عند الأكثرين^(١).

فأهل الجنة يتقبلون في النعيم، ومن سائر الفواكه يتخيرون، ومن لحوم الطير ما يشتهون، فيطعمون من خيراتها وطيباتها، وألوان طعامها وشرابها، وبين أيديهم أربعة أنهار، هي في غاية الطيب والطعم، ﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، إضافة إلى نهر الكوثر، الذي «من ورده فشرب منه

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ١٠٩، والنكت والعيون ٥ / ٤٥٣.

لم يظماً بعدها أبداً»^(١)، و((مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ))^(٢).

وقد مَيَّز به النبي ﷺ عن غيره من الأنبياء، وَيَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ مَنْ ثَبِتَ عَلَى الْحَقِّ، وَمَاتَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَخُذْ لَهُ ارْتِدَادَ عَنْ مَنْهَجِهِ، أَوْ تَبْدِيلَ وَمُخَالَفَةَ لَهْدِيهِ، وَأَمَّا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُ وَبَدَلَ بَعْدَهُ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مِنَ الْوُرُودِ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا^(٣) دُونِي، فَأَقُولُ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ))^(٤).

أما العيون الجارية الطيبة لسقيا عباد الرحمن فهي كثيرة متنوعة، قد جعلها الرب الحكيم جارية وَنَضَّاحَةً^(٥)، ويشربون من خمر لذيذ، ذو رائحة طيبة عطرة، مخلوط بالكافور؛ ليبرده ويكسر حدته، سالم من كل مكدر، وَمُنْغِصٌ، ومن أي آفة توجد في الدنيا^(٦) قال تعالى:

﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥ - ٦]، وقد قيل: إن الكافور اسم لعين في الجنة.

وتدور كاسات الرِّحِيقِ والخمر عليهم، ويتعاطونها فيما بينهم، وتطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب^(٧)، وأباريق^(٨)، وكأس^(٩) من معين، وهي أثمار جارية كثيرة ظاهرة للعيون^(١٠)، وسماها الحكيم العليم معيناً في موضعين من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الصفات: ٤٥ - ٤٧]، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾

(١) أخرجه مسلم، في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤/١٧٩٨ رقم ٢٢٩٩، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم، في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤/١٧٩٨ رقم ٢٣٠٠، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أي اجتذبوا واقتطعوا وانتزعوا دوني. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ص ٦٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب في الحوض ٨/١٢٠ رقم ٦٥٨٢، ومسلم، في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٤/١٨٠٠ رقم ٢٣٠٤.

(٥) النَّضْحُ: الفوران، وهو أكثر من النَّضْح. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٣.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/٩٣، ومعالم التنزيل ٨/٢٩٣، وتيسير الكريم الرحمن ص ٩٠١.

(٧) هي دون الأباريق، وليس لها عرى، ينظر: جامع البيان ٢٣/١٠٢، ومقاييس اللغة، مادة: (كوب) ٥/١٤٥.

(٨) الأباريق: ذوات الخراطيم، ولها عرى، ينظر: جامع البيان ٢٣/١٠٢، ولسان العرب، مادة: (برق) ١٠/١٧.

(٩) هو: كل إناء فيه شراب، وإلا فهو إناء، وكل كأس في القرآن فهو خمر، ينظر: جامع البيان ٢١/٣٦.

(١٠) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/٢٣٠.

يَا كُؤَابَ وَأَبَارِيْقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ [الواقعة: ١٧ - ١٩].

أما العين الثانية التي يسقون منها فهي السلسيل، قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا

زَنْجِبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨].

والعين الثالثة التَّسْنِيم، وهي كرامة من الكريم المتعال للمقربين، قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنَ

تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ [المطففين: ٢٧ - ٢٨].

ولما وصف الله ﷻ الجنتين اللتين أعدهما للعاملين بطاعته الخائفين من مقامه أشار إلى

الفرق بينهما، فقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠]، وقال في الآخرين

اللتين دونهما: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ﴿٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦]، أي فوارتان بالماء، ولكنهما

ليستا كالجارتين؛ لأن النَّضْخَ دُونَ الْجَرِيِّ (١).

وقد خوطب المؤمنون ووعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا أتم وأكمل

وأطيب، وفي أي القرآن الكثير من أصناف النعيم من الأطعمة الأخروية، المعروفة أسماءها

في الدنيا من الأشربة والفواكه والثمار، مثل الماء واللبن، والخمر والعسل، والنخل والزنجبيل،

والكافور وثمار النخيل، والعنب والرمان، ولحم الطير.

ويبدو - والله أعلم - أن الحكمة في ذلك أن تكون أوصاف ومشاهد الحياة الأخروية

وبعض وسائل نعيمها وعذابها مستمدة من مألوفات الناس في الدنيا؛ لأن الفكر البشري لا

يستطيع أن يفهم إلا ما قد رآه ودخل في نطاق تصورهِ، واستمد من حواسه، مع وجوب

الإيمان بما أخبر الله به، وحقيقة الأوصاف والمشاهد الأخروية التي جاء بها النص، قال ابن

عباس رضي الله عنه: «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ يُشْبَهُ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ» (٢).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٨٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناده صحيح ١/٦٦، والصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ١/١٢٦، وينظر:

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٩١، والتفسير الحديث ٦/١٤٨.

المبحث الرابع: الطيب من الأماكن في القرآن الكريم:

ميز الله بعض الأماكن وفضلها على بعض، فخصها بخصائص تظهر طيبها، ومزلتها فهذه أرض طيبة تنبت الأشجار والزرورع الكثيرة بيسر وسهولة، وهذه أرض لا تمسك الماء، ولا تنبت الشجر، وهذه تنبت بعض الأشجار دون بعض، وهذه أرض خصها الخلاق العليم بالتقديس والتطهير، فصارت من الأماكن الطيبة، المخصوصة بالعبادة، والمميزة بالتشريف والبركة والاحترام، والخصوصية في الأحكام، والله في ذلك الحكمة البالغة، قال تعالى:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَأْتِي رِبِّهِ وَالَّذِي حَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وفي هذا المبحث عرض لما ذكره الله في كتابه الكريم من هذه الأراضي الطيبة المباركة:

١ - البلد الأمين^(١):

مكة المكرمة، وهي أم القرى، بلد عظمه ربه وفضله، وبعث منه أفضل أنبيائه، وأقسم به في سورتي البلد والتين؛ بيانا لشرفه وعظيم منزلته، حيث هو مكان للطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ (١)﴾ [البلد: ١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۝ (١) وَطُورِ سِينِينَ ۝ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ (٣)﴾ [التين: ١ - ٣].

وحقيق ببلد فيه أفضل بيوت الله، ويتجه إليه المسلمون في صلاتهم، ويأتونه من كل مكان - أداء لركن من أركان الإسلام - أن يقسم الله به مرتين، وأن يبين من عظمته وحرمة ما هو اللائق به، إذ هو أفضل البلدان على الإطلاق.

لقد ميزه الحكيم العليم بالأمن وشرّفه بحفظ من دخله، كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه، وجعله حرماً مصوناً محفوظاً بحفظه، يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، لا يُنْفَرُ صيده، ولا يُقَطَعُ شجره، ولا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهُ إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وذلك أن الأمن من أكبر شروط حُسن المكان؛

(١) من الأمن؛ لأنه آمنٌ، ولأن من دخله كان آمناً. ينظر: التسهيل ١/٢٦٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١٣.

فالسكان أول ما يتطلبه السلامة من المكاره والمخاوف؛ فإذا كان آمنًا في منزله عبد ربه مطمئن البال، شاعرًا بالنعيم الذي يناله؛ لذا حرس الله هذا البلد من كيد العابثين والمخربين، ومن أراده بسوء فضحه وانتقم منه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فمجرد إرادة الظلم والإلحاد فيه مؤذن بالعقوبة الربانية، وهذا من خصوصيته، إذ في غيره لا عاقب إلا بعمَل الظلم^(١).

والظلم في الآية يعم كل معصية على الراجح من أقوال المفسرين؛ فيشمل الشرك، والقتل بغير حق، وظلم للناس في أعراضهم وأموالهم؛ حيث لم يُخصص به ظلم دون ظلم في خير ولا عقل؛ ولذا كان لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه ^(٢) فُسْطَاطَانٌ^(٣): أحدهما في الحِلِّ، والآخر في الحَرَمِ فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحِلِّ، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: كنا نُحَدِّثُ أَنْ مِنَ الإِلْحَادِ فِيهِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: كَلَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ^(٤).

وبهذا ندرك عظم الخطيئة في البلد الحرام، كيف إذا كان ذلك في أوقات فاضلة، كالأشهر الحُرْمِ ورمضان، فإن الذنب يكون أعظم، حيث تجتمع حرمة المكان والزمان؛ ولذا ينبغي استحضر حُرْمَتَهُ مِنْ قَبْلِ سَاكِنِيهِ وَزُورَاهُ، وتربية الناشئة على ذلك؛ خشية أن يغرم الشيطان، فيحصل منهم ما يتنافى مع حرمة هذا البلد، من سرقة أو أذية أو تعرض للأعراض في الطرقات والأسواق، ونحوها؛ فإن الأمر خطير والذنب عظيم، والمغريات كثيرة، فهذا حرم الله وحماه، فلا يُستهان به، بل الواجب على من كان فيه أن يضبط تصرفاته، ويسلك طريق الحق والسداد والعدل في جميع ما يهَمُّ به ويقصده.

(١) ينظر: معالم التنزيل ٨/ ٤٦٨، وتفسير القرآن العظيم ٥/ ٤١١، والتحرير والتنوير ٢٥/ ٣١٧، والإلحاد والظلم في المسجد الحرام بين الإرادة والتنفيذ ص ١٧٣.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه، له مناقب، وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي ﷺ علماً جمًّا، وكتب الكثير بإذنه، واشتهر بسرد الصيام، وطول القيام، وكثرة قراءة القرآن، والبكاء من خشية الله تعالى، توفي سنة ٦٥ هـ. ينظر: مشاهير علماء الأمصار ١/ ٩٣، وتاريخ دمشق ٣١/ ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٨٠.

(٣) الفُسْطَاطُ: بيت من الشَّعْر. ينظر: الصحاح، مادة: (فَسَطَ) ٣/ ١١٥٧.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/ ٦٠٢.

لقد بين الله ﷻ عظيم منته بتأمين بلده الأمين؛ وذلك لما ساء ظنُّ الخبيثين وقالوا لرسول ﷻ: ﴿إِن نَّبَعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧]، بالقتل والأسر ونهب الأموال؛ لمعاداة الناس ومخالفتهم لك؛ فلو اتبعناك لتعرضنا لحرهم مع عدم طاقتنا بهم^(١)، فساء ظنهم برهم، بزعمهم أن الباطل سيعلو على الحق، وأن هذا الدين وأتباعه مخذولون، وسيتمكن منهم الناس فيسومونهم سوء العذاب، فألقمهم الله الحجر، وبين لهم حالة اختصهم بها دون غيرهم، فقال: ﴿أَوْلَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، بأن جعلهم آمنين مُمَكِّنِينَ في حرم يقصده الحجاج والزائرون من كل مكان، مع أن الخوف قد حَفَّ بأماكن من حولهم، وهم محترمون سالمون، وفي أمن ورزق لا مثيل له عند غيرهم، وهم كفرة عبدة أصنام! فكيف يستقيم أن يُعرضهم للخوف والتخطف، ويسلبهم الأمن إذا دخلوا في الإيمان وضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام؟! هذا لا يستقيم أبدًا.

وهذا الأمن الذي تحقق لهذا البلد الأمين قديمًا وحديثًا، وهذه الخيرات الكثيرة، من فضل الله ومنته، ثم استجابة لدعوة الخليل ﷺ حينما دعا ربه قائلاً: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، فمن دخله كان آمنًا شرعًا وقدرًا، حيث أمر إبراهيم، ثم محمد - عليهما الصلاة والسلام - باحترامه وتأمين من دخله ولو كان جانيًا، فلا يقام عليه الحد حتى يخرج منه، على رأي بعض العلماء^(٢).

كما وُضِعَ في النفوس احترامه، حتى في نفوس الخبيثاء المشركين، فالواحد منهم يجد قاتل أبيه في الحرم^(٣) فلا يُهَيِّجُهُ^(٤) ولا يناله بسوء، مع شدة حميتهم وعدم احتمالهم للضيم^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٠١/١٩، والوسيط للواحد ٤٠٤/٣، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٧/٦.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩٣/١١.

(٣) وحدود منطقة الحرم مُبَيَّنَةٌ بعلامات ظاهرة للمارة، فمن الجهة الغربية والشرقية تبعد عن البيت قرابة (٢٠) كيلاً أما الجنوبية فوادي عُرَّة، على قرابة (١٣) كيلاً، أما من جهة الشمال، فمسجد عائشة رضي الله عنها على رأس وادي التنعيم، ويبعد قرابة (٨) أكيال عن المسجد الحرام. ينظر: معجم العالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٥٢.

(٤) يُهَيِّجُهُ: يثيره، كل شيءٍ ثار فقد هاج. ينظر: الصحاح، مادة: (هَيَّجَ) ٣٥٢/١، وجمهرة اللغة ٤٩٩/١.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٠٠/٤، وتفسير ابن المنذر ٣٠٣/١، وتفسير القرآن العظيم ٧٩/٢.

ولقد يسر الله ﷻ من أسباب أمنه ما هو معلوم فكل من أراد به بسوء فلا بد أن يعاقب في الدنيا بعذاب من الله، أو بتسليط أوليائه، كما هو معروف في التأريخ والواقع، كما حصل لأصحاب الفيل^(١)، ومن بعدهم ممن أرادوا به وبججاجة سوءاً.

ومن آثار دعوة الخليل ﷺ صارت الأرزاق والثمار متوفرة، تتوالى إليه في كل وقت ومن كل جهة، مع كثرتها وجودتها، وقلة ثمنها عن غيره.

وجعل الله ﷻ فيه سرّاً عجيباً جاذباً للقلوب، فهي تَحُجُّهُ وتَعْتَمِرُهُ، ولا تَمَلُّ من زيارته؛ لأن حبه متأصل في النفوس، فكلما أكثر العبد زيارته ازداد شوقه إليه؛ تحقيقاً للدعوة المباركة من خليل الرحمن، ﴿فَأَجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ولقد ذكر القرآن الكريم عدداً من الشعائر، والأماكن الطيبة المخصوصة بالفضل والعبادة داخل هذا البلد الأمين، ومنها:

أ- الكعبة المشرفة^(٢): البيت العتيق، الحرام الذي عظمه الله وحماه، وهياه لخليله إبراهيم ﷻ، وأمره بتأسيسه على التوحيد، والعقيدة الصافية، وتطهيره من الشرك والمعاصي، والأنجاس والأدناس، وسائر الخبائث، حتى صار أول موضع للناس يتعبدون فيه لربهم، فيغفر ذنوبهم ويرفع درجاتهم، وينالون به الفوز بجنته، والنجاة من ناره؛ لذا وصفه بالبركة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧].

فذكر له سبع خصال أنه: أول بيت وضع للعبادة، وأنه مبارك، وهدى للعالمين،

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٠١/١٩، والكشاف ٤٢٧/٣، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤٢٦ و ٦٢٠.

(٢) سميت كعبة: لعلوها وارتفاعها، وكل شيء علا وارتفع فهو كعب، وقيل: لتكعبها أي: تربيعتها. ينظر: مقاييس

اللغة، مادة: (كعب) ١٨٦/٥، وتاج العروس ١٥١/٤.

وفيه آيات بيّنات، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والحج، والعمرة إليه^(١).

فصار هذا البيت مصدر خير وبركة، ومعلم الهدى والنور للناس أجمعين، ففيه من البركات وأنواع الهدايا، والمصالح وشهود المنافع للعالمين الشيء الكثير، والفضل الغزير من العلم بالله ﷻ وتوحيده، ورحمته وحكمته، وعظمته وكمال علمه، وسعة جوده، وما يحصل لهم من العمل بأنواع التبعيدات المختصة به، ما يقودهم إلى الهدى وسلوك الصراط المستقيم، وأي هداية للعالمين أظهر من تولية الوجوه شطره؟ فلا تمر دقيقة من ليل أو نهار، إلا وأناس متوجهون إليه بصلاة أو طواف، أو حج أو عمرة، مشاة وركباً من كل مكان^(٢).

لقد جعل الله ﷻ الكعبة المشرفة معلماً لدينه، ومصالحاً لأمر الناس في دينهم وديناهم، في أمر معاشهم ومعادهم، ويدفع بعضهم عن بعض بها، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

إن هذه الآية الكريمة جاءت بعد عدد من الآيات التي خصت البيت وما حوله بعدد من الأحكام، فمناسبتها لما قبلها ظاهرة، حيث عظم الله ﷻ الإحرام؛ فنهى عن قتل الصيد، وشرع الكفارة بقتله، متبعاً ذلك بتعظيم الكعبة بقوله: ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، ثم بخبر عجيب فيه الإعلان بمترلتها، وأن تعظيمها وإجلالها مركز في قلوب الناس، فلا يقع حولها أذى لأحد، فصارت مانعة لهم من التعدي، مع أنهم في جاهلية عمياء لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً، فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك؛ حيث لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم، هذا مع تنافسهم وتحاسدهم، ومعاداتهم وأخذهم بالنار^(٣).

إن هذه الكعبة عظيمة عند الله ﷻ؛ وهي بيته العتيق، الذي أضافه إليه؛ بياناً لشرفه

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٣٢١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧٧، وتفسير القرآن الحكيم ٤ / ٧.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٨٩، والبحر المحيط ٤ / ٢٨.

وفضله ومكانته؛ ولتَعْظُمَ محبته في النفوس، وتهوي إليه الأفتدة من كل جانب؛ وليكون أعظم لتطهيره؛ لكونه بيت الرب الجليل، ولعل هذا من أسرار إضافته ﷺ إليه فقد عهد للخليل وابنه بتطهيره، قال تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، الذين همهم طاعة مولاهم، والتقرب إليه عند بيته المبارك، فهؤلاء لهم حق الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت من كل خبيث حساً ومعنى، من النجاسات والروائح الكريهة وما يكدر على المتعبدين المتضرعين بين يدي ربه من الأصوات المرتفعة، والمزعجة والباطلة وغيرها.

وفي الآية السابقة أسرار بديعة حيث قرّن الطواف بالصلاة؛ لأتهما مختصان بالبيت، وتقدّم الطواف على الصلاة؛ لاختصاصه بهذا البيت، وهو أخص العبادات عنده، فلا يفعل بقعة من الأرض سواه، ثم تقدّم الاعتكاف؛ لاختصاصه بجنس المساجد^(١).

إن الله ﷻ أظهر لبيته مزية وعناية خاصة، فخصه بربوبيته مع أنه رب كل شيء، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٢) [قريش: ٣]، الذي جعله الله ﷻ قبلة للمسلمين أحياء وأمواتاً، وحيثما توجه المسلم، فصلاته قبل بيته وكعبته المشرفة.

ب- مقام إبراهيم عليه السلام: ذكره القرآن الكريم مرتين، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل؛ لبناء الكعبة حين ارتفع البنيان، وقيل: الآية التي فيه هي: أثر قدمي إبراهيم عليه السلام في الصخرة، وقد بقي ذلك الأثر إلى هذا الوقت، وهذا من خوارق العادات^(٢).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥/٤١٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٣٦.

(٢) كان ملصقاً في جدار الكعبة، ثم نقله عمر رضي الله عنه إلى مكانه الحالي؛ نظراً للضيقة والازدحام الحاصل في المطاف.

وللشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رسالتان مختصتان بالمقام: أولاهما (الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم) مطبوعة ضمن فتاواه ٥/١٧، وثانيهما: رد على الشيخ: سليمان بن حمدان في اعتراضه على رسالة الشيخ عبد الرحمن المعلمي في جواز نقل المقام سماها: (نصيحة الإخوان ببيان بعض ما في نقض المباني لابن حمدان من الخطب والجهل والبهتان) مطبوعة ضمن فتاواه ٥/٥٦، وصدر قرار بالإجماع من هيئة كبار العلماء في المملكة رقم ٣٥ في ١٤/٢/١٣٩٥هـ، بجواز نقله إلى موضع مسامت لمكانه من الناحية الشرقية. ينظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ٥/١٥، والبحوث العلمية لهيئة كبار العلماء بالمملكة ٣/٤٠٢.

وقد شرفه الله ﷻ باتخاذهِ مصلي، تؤدى خلفه ركعتا الطواف، قال تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقيل: إن المراد بمقام إبراهيم الحرم كله، ومقاماته في مواضع المناسك كلها، فهي آيات بينات، قال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّنَّتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، كالطواف والسعي، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي وسائر الشعائر، وما فيها من الأسرار والحكم، والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصائها، فقد جعل الله ﷻ في القلوب تعظيمها واحترامها، وبذل نفائس الأموال فيها، وتحمل المشقة في الوصول إليها^(١).

والرأي الأول أولى؛ لأن النبي ﷺ لما طاف في حجة الوداع ((نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ الْعَلِيِّ فَقَرَأَ ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ))^(٢).

إضافة إلى أن هذا هو ظاهر اللفظ، وهو المشهور المعروف لدى المسلمين، فلا يصار إلى غيره بغير دليل^(٣).

ومع هذه الخصوصية والتشريف لهذا المقام فإن ذلك ليس مسوغاً للغلو فيه، والاستشفاء بالتمسح بزجاجه وتقبيله، وتخصيصه بأدعية وأذكار، فهذا كله غير مشروع، بل من الأمور المبتدعة التي تخدش توحيد المسلم ومعتقدده، وتجعله متعلقاً بالأوهام والخرافات، مبتعداً عن خالقه ورازقه، إضافة إلى ما يحدثه ذلك من زحام ومضايقة للمصلين خلفه، وأذية وتعطيل لحركة الطائفين بالبيت.

ج- الصِّفَا وَالْمَرَوَّة^(٤): هما جبلان صغيران في شرقي المسجد الحرام، في طَرَفِي الْمَسْعَى، شرع فيهما عبادة السعي للحجاج المعتمر، وهما من شعائر الله، وأعلام مناسكه

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٧٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٣٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ٢/ ٨٨٧ رقم ١٢١٨، من حديث جابر ﷺ.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٣٦.

(٤) الصِّفَا: هي الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ الْمَلْسَاءُ، مأخوذ من صفا يصفو إذا خلص، ومنه بداية السعي، وهو أنف جبل أبي قُبَيْسٍ، وَالْمَرَوَّةُ هي: الْحَصَاةُ الصَّغِيرَةُ، وحجارة بيض براقه تقدح منها النار، وهو نهاية السعي، وهما علمان لجبلين معروفين

ج- الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى^(١): موضع مبارك مقدس، ويسمى بالقدس، وبيت المقدس.

وهو مخصوص ببركة ما حوله، وبكونه مَسْرَى رسول الله ﷺ، كما قال تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِزِينَةٍ مِّنْ أَيْنِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

والله ﷻ قادر على أن يعرج به إلى السماء من جوف مكة، ومن المسجد الحرام، ولكن ليكشف عن حكمة الإسراء، حيث قال: ﴿لِزِينَةٍ مِّنْ أَيْنِنَّا﴾؛ لتكون دليلاً له عند كفار قريش في إخباره بالإسراء والمعراج، وعلامات الطريق، واجتماع الأنبياء له، والصلاة بهم في المسجد الأقصى^(٢)، الذي هو أحد المساجد الثلاثة المقدسة التي تشد إليها الرحال، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى))^(٣).

والمسجد وما حوله يسمى الأرض الْمُقَدَّسَةَ^(٤): وهي أرض مباركة، مطهرة طيبة جاء وصفها بالبركة والتطهير في آيات عديدة^(٥)، فقد أخبر موسى عليه السلام قومه خبراً تطمئن به أنفسهم، أن الله كتب لهم دخولها، وانتصارهم على عدوهم، فقال: ﴿يَقْوَمُ

النبي ﷺ والمنبر والقر ٩ / ١٠٥ رقم ٧٣٣٥، ومسلم، في كتاب الحج، باب فضل ما بين قبره ومنبره، وفضل موضع منبره ٢ / ١٠١١ رقم ١٣٩١.

(١) سمي بالأقصى؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ولبعده من المسجد الحرام، وهو أبعد المساجد التي تزار، وتشد إليها الرحال، ولا يقتصر المسجد على البناء المعروف، بل هو اسم للمكان، وهو محاط بسور، فجميع ساحاته داخلة فيه، يسر الله للمسلمين عودتهم إلى دينهم، ومجدهم وقوتهم، واجتماع كلمتهم؛ لفكاهة من أسر العدو الغاشم. ينظر: معالم التنزيل ٥ / ٥٨، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢١٢، وإرشاد العقل السليم ٥ / ١٥٥.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٣٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢ / ٦٠ رقم ١١٨٩، ومسلم، في كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة ٢ / ١٠١٤، رقم ١٣٩٧.

(٤) من التَّقْدِيسِ، وهو التطهير؛ لأنه موضع يُتَقَدَّسُ فيه من الذنوب، أي يُطَهَّرُ، والأرض المقدسة قيل: إنها تشمل دمشق، وفلسطين، وبعض الأردن. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠ / ١٦٨، والمفردات ص ٦٦٠، مادة (قلس).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ٧٥.

ومتعبداته^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وكان عليهما صنمان هما: (إِسَاف) على الصفا، و(نَائِلَة) على المروة، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تخرج المسلمون أن يسعوا بينهما؛ خائفين أن يكون طوافهم بينهما من أمر الجاهلية، فزلت هذه الآية^(٢)، مبينة مشروعية السعي في الحج والعمرة، موضحاً ذلك النبي ﷺ بقوله وفعله، وقد قام الإجماع على مشروعيته، ولكن جرى الخلاف في وجوبه^(٣).

ونفي الجناح في الآية لا يعني التخيير بين الفعل والترك؛ لأن الآية جاءت لسبب، وهو الرد على تخرجهم من الطواف في مكان يطوف فيه المشركون، فقد خافوا أن يكون السعي بينهما تعظيماً للصنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك، فجعلهما علماً لعباده يعبدونه عندهما بالطواف بينهما، ويذكرونه عندهما بما هو له أهل، فلا تخوف؛ فإن أهل الشرك يطوفون بهما ككفرًا، والمسلمون يطوفون بهما إيمانًا وتصديقًا وطاعة لله ورسوله^(٤).

د- عَرَافَات^(٥): مَشَعَر من مشاعر الحج، ومكان عبادة من أهم العبادات التي لها أثرها في الحج، يجتمع الحجاج فيها قيامًا بركنه الأعظم، واقتداء برسول الله ﷺ، حين وقف بها

بمكة، وكانا خارج المسجد الحرام، ومع توسعته صارا بداخله، والألف واللام فيهما للتعريف لا للجنس. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/٢٢٤، والصحاح، مادة: (مرا) ٦/٢٤٩١، والجال والأمكنة والمياه ١/٢٦، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/١٨١، وتاج العروس، مادة: (صفا) ٣٩/٥٢١، والوسيط لطنطاوي ١/٣١٩.

(١) ينظر: فضائل مكة ص ٢٥.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/٢٣٠، ولباب النقول ص ٢٠، والصحیح المسند من أسباب النزول ص ٢٤.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٤٣٢.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/٢٣١، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/٧٧.

(٥) ويقال: عَرَفَةُ اسم لموضع في مكة، وتقع على حدود منطقة الحرم من الجهة الجنوبية، وهي من الحِل، وتبعد عن

البيت قرابة (١٣) كيلاً. ينظر: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السنة النبوية ص ٥١.

وقد كثر عند المفسرين البحث في سبب التسمية، ومن ذلك: أن آدم ﷺ عَرَفَ فيها حواء بعد أن أُهبطاً من

وصلى ودعا، وأعلن التوحيد والبلاغ، واحترام الدماء والأموال والأعراض، والوصية بالنساء، وبين الحقوق الزوجية، في خطبة اشتهرت بخطبة الوداع^(١)، ونزل عليه فيها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]^(٢).

وقد ذكرها الله ﷻ في كتابه مرة واحدة، فقال: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وفي الآية دلالة على أن الوقوف بعرفة، كان معروفاً أنه من أعمال الحج الأساسية؛ لأن الإفاضة من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف، وأنها من مشاعر الحج المقصود فعلها، وإظهارها^(٣)، وأنه لا يتم الحج إلا بالوقوف بها، وقد كانت قريش تقف بالمزدلفة، وسائر الناس في عرفة^(٤)، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

هـ- الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ^(٥): وهو الجبل الذي في الْمَزْدَلِفَةِ^(٦)؛ لأن النبي ﷺ لما صلى الفجر بالمزدلفة ركب ناقته ((حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فِدْعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أُسْفَرَ جِدًّا))^(٧)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ

الجنة، أو أن جبريل عرّف فيها الأنبياء مناسكهم، أو لأن الناس يتعارفون فيها، أو يعترفون بذنوبهم، أو لعلو الناس فيها، والعرب تسمى ما علا (عرفة)، و(عرفات) والعلم عند الله. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧٣/٤، والنكت والعيون ١/٢٦١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٤٨٣.

- (١) كما في رواية جابر ؓ عند مسلم، في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ٢/٨٨٧ رقم ١٢١٨.
- (٢) كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ١/١٨ رقم ٤٥، ومسلم، في كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرقة ٤/٢٣١٣ رقم ٣٠١٧.
- (٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٢.
- (٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤/١٨٤.
- (٥) سمي بالمشعر الحرام: لأنه معلّم للعبادة، وموضع لها. ينظر: تاج العروس، مادة: (شعر) ١٢/١٩٢.
- (٦) من الازدلاف، وهو الاقتراب، والحجاج يتقربون إلى الله فيها، وتسمى: جمعاً؛ لاجتماع الحجاج بها، والجبل يقال له: قَرْحُ. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (زلف) ٣/٢١، وتاج العروس ٢٣/٤٠٣.
- (٧) أخرجه مسلم، في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ٢/٨٨٦ رقم ١٢١٨.

أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٦١﴾
 [المائدة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْزَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
 وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ومن بركة هذه الأرض أن كثيراً من الأنبياء كانوا فيها، وأن الله اختارها لخليله
 إبراهيم عليه السلام لما هاجر من قومه في أرض بابل، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ
 الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]؛ وذلك أنه لم يؤمن به من قومه إلا ابن
 أخيه لوط عليه السلام، فنجاه الله، وهاجر إلى الأرض المباركة، أرض الخصب^(١)، ورخاء
 العيش^(٢).

وكانت هذه الأرض المباركة مقراً لمملكة سليمان عليه السلام، وما سخر له من الريح؛
 يذهب عليها حيث يشاء، ورجوعها ومستقرها الأرض المباركة، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ
 الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].
 فهي أرض طيبة تميزت بالبركة، فيجب شكر الله على هذه النعمة، والحفاظة عليها
 بطاعته، وصيانتها عما يندسها من الآثام والفواحش، وحكمها بشريعته، ونشر الخير،
 والدعوة الصحيحة، وجهاد المحتلين والغاصبين فيها، تحت راية إسلامية حقه، فهو السبيل
 للنصر على الأعداء، وكف شرهم عن الأمة، واسترداد الحقوق المسلوقة بعزة وكرامة.

د- مَسْجِدُ قُبَاءٍ^(٣): أول مسجد أسس على التقوى من أول أيام الهجرة، ومقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ذلك المكان، وقد جاءت الإشارة إليه في كتابه الله عز وجل مرة واحدة، مثنياً عليه بتأسيه

(١) الخصب: نقيض الجدب، وهو كثرة العشب، ورفاهة العيش. ينظر: لسان العرب، مادة: (خصب) ١ / ٣٥٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٧ / ١٠٨.

(٣) قُبَاء: بلدة عامرة متصلة الآن بالمدينة النبوية عمرانياً، ومسجدها يقع في الجنوب الغربي للمسجد النبوي بسنة
 أكيال، ونزل فيها رسول صلى الله عليه وسلم أول مقدمه المدينة، وفيها أول جمعة أقيمت في الإسلام، وكان المهاجرون يصلون
 فيها وأصل قباء اسم لثغر عرفت البلدة بها، وسكانها قديماً بنو عمرو بن عوف. ينظر: معجم البلدان ٤ / ٣٠١،
 ومعجم المعالم الجغرافية الواردة في السنة النبوية ص ٢٤٩.

فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿البقرة: ١٩٨﴾، ويطلق الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ على جميع الْمَزْدَلِفَةِ^(١).

ويدخل في ذكر الله ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ﴾، الفرائض والنوافل، وأنواع الذكر القولية والفعلية، فهو ﷺ المستحق للذكر والشكر، وهو الذي من بالهداية بعد الضلال، وبصر بعد العمى، ونور القلوب بالتوحيد الخالص لرب العالمين، وهذا من أكبر النعم، التي يجب شكرها، ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب واللسان والجوارح.

وفي الآية فوائد منها: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وأن له خاصية ومزية بالذكر عنده؛ لفعل النبي ﷺ، وفيها دلالة على أن المبيت بالمزدلفة كان معروفاً قبل الإسلام، وأن الوقوف بها متأخر عن الوقوف بعرفة، كما تدل عليه الفاء والترتيب، وأنه ليلة النحر، وأن الْمَزْدَلِفَةَ كلها موقف إلا وادي مُحَسَّر^(٢)، كما أن في الآية دليلاً على أن الْمَزْدَلِفَةَ من أرض الحرم، كما في صف المشعر بـ ﴿الْحَرَامِ﴾، وعليه تكون عرفة من الحل لعدم الوصف^(٣).

٢ - الْمَسَاجِدُ:

وهي بيوت الله ﷻ، المعمورة بطاعته، وخاصة الصلاة^(٤).

وهي أحب البقاع إليه، لحديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ، قال: ((أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَيَّ اللَّهُ مَسَاجِدُهَا))^(٥).

وقد شرع الله ﷻ بناءها لعبادته وحده، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٥٤.

(٢) وإد بين منى والمزدلفة، وهو من الأماكن التي أسرع رسول الله ﷺ حين المرور بها. ينظر: صحيح مسلم ٢ / ٩٣١ رقم ١٢٨٢، والمسالك والممالك ١ / ٧.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٢ و ٨٩٠، والوسيط لطنطاوي ١ / ٤٣٢.

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٣٢٠.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد ١ / ٤٦٤ رقم ٦٧١.

فِيهَا أَسْمُهُ ﴿ [النور: ٣٦]، فهذه البيوت العظيمة الفاضلة هي المساجد، التي أمر الله ﷻ، ووصى برفعها وذكر اسمه فيها بالصلاة فرضاً ونفلاً، وقراءة القرآن، والتسبيح والتهليل، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف وسائر العبادات التي تفعل في المساجد.

ويكون رفعها أيضاً ببنائها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وسائر الخبائث، وصونها من المجانين والصغار الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله، ولهذا كان رفعها وعمارها على قسمين: عمارة ببناء وصيانة، وعمارة بالطاعة، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجاء المدح لعمارها بطاعته، وانشغالهم بذكره، وبعدهم عما يلهيهم من الأمور الدنيوية^(١).

وقد ثبت في السنة أن الأرض كلها صالحة للصلاة والعبادة، كما في قوله ﷻ: ((وَجَعَلْتُ لَنَا الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدًا))^(٢)، واستثني منها أماكن خاصة؛ لأوصاف طارئة عليها، كالأماكن النجسة والمغصوبة، والمقبرة وقارعة الطريق، ومواقع الخسف، ومعاطن الإبل^(٣)، وغيرها^(٤).

إن هذه المساجد أعظم محالّ العبادة؛ بإخلاص لله وخضوع لعظمته وعزته، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وإضافتها إلى الله ﷻ من باب التشريف والتكريم، والإشعار باختصاصها بعبادة الله وذكره؛ ولهذا مُنعت من اتخاذها لأموال الدنيا من بيع وتجارة، وإنشاد الضالة.

وأل في ﴿الْمَسْجِدَ﴾: للاستغراق، فتعم جميع المساجد، كما تدل في عمومها على المساواة، ولكن جاءت آيات وأحاديث تخصص بعض المساجد بمزيد من فضل وخصوصية،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٦٩.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الصلاة باب المساجد ومواقع الصلاة ١/ ٣٧١ رقم ٥٢٢.

(٣) مواضعها، ومباركها حول الماء خاصة، وليس كل مناخ للإبل يسمى عَطْنًا. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (عَطْن) ٢/ ١٠٤.

(٤) عدّ الشنقيطي تسعة عشر موضعاً، لما تكلم على حكم أرض الحجر، ومواطن الخسف، عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠]، وساق كل موضع بدليله. ينظر: أضواء البيان ٢/ ٢٨٩.

على إخلاص الدين له، وإقامة ذكره وشعائر دينه، ومادحاً أهله الفضلاء الطيبين؛ لسبقهم في الإسلام وإقامة شرائعه، ولحرصهم وتميزهم بحب الطهارة والتزهد من الخبائث المعنوية كالذنوب، والشرك، والأخلاق الرذيلة، والخبائث الحسية، وذلك بالتطهر والتزهد من الأوساخ، والنجاسات والأحداث^(١)، قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٨ - ١٠٩].

وبهذه الشهادة الربانية من الحق ﷺ لهذا المسجد يتجلى فضله وطيب أساسه، فصار له من المكانة والقيمة الشرعية ما ليس لغيره، فقد كان النبي ﷺ يزوره كل أسبوع أو كل يوم سبت، ويصلي فيه، ويحث على ذلك، قال: ابن عمر رضي الله عنهما: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ مَاشِيًا وَرَاكِبًا))^(٢).

قال ابن حجر: «مجيئه ﷺ إلى قباء إنما كان لمواصلة الأنصار وتفقد حالهم، وحال من تأخر منهم عن حضور الجمعة معه، وهذا هو السر في تخصيص ذلك بالسبت»^(٣).

وإذا كانت الآية تبين فضيلة هذا المسجد وأهله، فهي تشير كذلك إلى أن العمل المبني على التوحيد، وتحقيق التقوى هو العمل الباقي المنتفع به، الموصل إلى جنات النعيم، بخلاف العمل المبني على سوء القصد، والبدع والضلالات، والخرافات فهو عمل فاسد يقود على الإهيار، والسقوط في النار.

وهل المقصود بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾، المسجد النبوي، أو مسجد قباء؟

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٥١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مَنْ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ

٦١/٢ رقم ١١٩٣، ومسلم، في الحج، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته ١٠١٧/٢ رقم ١٣٩٩.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣/ ٧٠.

وهي: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، ومسجد قباء، وقد اختصت بأمور تربط بينها، أهمها: تحديد مكانها حيث كان يوحى أو شبهه، وكذلك في البناء، فكلها بناء رسل الله، أو شاركوا فيها، كما أن لهذه المساجد من الفضل وتخصيص الزيارة ما ليس لغيرها^(١)، وبيان ذلك كما يلي:

أ- **الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**: هو أفضل المساجد الثلاثة التي يسافر إليه طلباً لفضل بقعتها؛ وذلك أن الصلاة فيه بأجر مائة ألف صلاة فيما سواه؛ لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَا سِوَاهُ))^(٢).

ومن هذا المسجد بدأت حادثة الإسراء والمعراج، حيث أسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقيل: أريد بالمسجد: الحرم كله، وذلك أن لفظ **الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** في القرآن الكريم ورد ثلاث عشرة مرة، وبحسب سياق الآيات والروايات، والأحداث يتبين المراد؛ فقد يراد به الكعبة، وقد يراد به المسجد نفسه، وقد يراد به الحرم كله، أو مكة^(٣).

وفي المسجد الحرام الكعبة المشرفة، ومقام إبراهيم عليه السلام، وكذا الصفا والمروة حينما داخلتا في محيطه، بعد توسعته، فأصبح يظم عددًا من المشاعر، ومعالم الدين.

ب- **الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ**: أسسه النبي ﷺ على التقوى من أول يوم قدم فيه المدينة، قادمًا من قباء؛ وذلك أن النبي ﷺ أسس مسجد قباء، ثم ركب راحلته متجهًا نحو المدينة، حتى بَرَكَتْ عند مسجده، وكان موضعًا يصلي فيه رجال من المسلمين، ومكانًا لتجفيف

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٣٢٤.

(٢) ينظر: أخرجه أحمد ٢٣ / ٤١٤ رقم ١٥٢٧١، وابن ماجه، في كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ ١ / ٤٥١ رقم ١٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١ / ٢٣٧.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٣ / ٣٧.

التمر لِعُلَّامَيْنِ^(١) يتيمين، فقال رسول الله ﷺ حين بَرَكْتَ به راحلته: ((هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعُلَّامَيْنِ، فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْبِدِ؛ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: لَا بَلْ نَهْبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً، حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا))^(٢).

وقد جاء في بعض الأحاديث أنه المقصود بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]؛ حيث سأل أبو سعيد الخدري^(٣) رسول الله ﷺ ((أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: هُوَ مَسْجِدِكُمْ هَذَا، لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ))^(٤).

وهو ثاني المساجد الثلاثة التي يسافر إليه طلبًا لفضل بُقْعَتِهَا، إذ هو في الفضل بعد المسجد الحرام؛ لحديث أبي هريرة^(٥) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ))^(٥).

وأفضله الروضة المبيّنة في حديث أبي هريرة^(٦) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ))^(٦).

(١) لسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ ابْنِي عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ النَّجَّارِيِّ، وَكَانَا فِي حَجْرٍ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ. ينظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٥ / ٥٨ رقم ٣٩٠٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ١ / ٤٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٥ / ٥٨ رقم ٣٩٠٥.

(٣) سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانَ بْنِ تَعَلْبَةَ الْخَزْرَجِيِّ، صَحَابِي جَلِيلٍ، مَشْهُورٌ بِكُنْيَتِهِ، مَعْرُوفٌ بِإِمَامَتِهِ، وَجِهَادِهِ، وَإِنْكَارِهِ لِلْمُنْكَرَاتِ، كَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَالْمُفْتِينَ فِي الْمَدِينَةِ، تَوَفِيَ سَنَةَ ٧٤ هـ. ينظر: معجم الصحابة للبغوي ٣ / ١٠، ومشاهير علماء الأمصار ١ / ٣٠، وسير أعلام النبلاء ٣ / ١٦٨.

(٤) أخرجه مسلم، في الحج، باب بيان المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي ﷺ بالمدينة ٢ / ١٠١٥ رقم ١٣٩٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢ / ٦٠ رقم ١١٩٠، ومسلم، في الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ٢ / ١٠١٢ رقم ١٣٩٤.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ، وحض على اتفاق أهل العلم، وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة، وما كان بهما من مشاهد النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، ومصلى

في المسألة خلاف بين أهل العلم، والصحيح أن الآية عامة في كل مسجد أساسه من أول يوم بنائه على التقوى، وعلى هذا فإن مسجد رسول الله ﷺ مما أسس على التقوى ومسجد قباء مما أسس على التقوى.

وأما استدلال بعض العلماء بحديث أبي سعيد من أن مسجده ﷺ هو المقصود بالآية وفيه أنه سأل رسول الله ﷺ ((أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: هُوَ مَسْجِدِكُمْ هَذَا، لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ))^(١).

فلعل سببه أنه: ((تَمَارَى رَجُلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُوَ مَسْجِدِي))^(٢)، ففيه توضيح، وبيان بأن الآية ليست خاصة في مسجد قباء، وإنما هي عامة في كل مسجد أسس على التقوى، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في علم الأصول^(٣).

ولأنه من الثابت في السنة والتاريخ أن مسجد قباء بُني قبل المسجد النبوي، كما في قصة الهجرة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه ((فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَا حِلَّتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ، حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))^(٤).

ويشهد لذلك سياق الآية بالنسبة إلى ما قبلها وما بعدها، فقد جاءت قبلها قصة مسجد الضرار، ومعلوم أنه كان في قباء، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي لهم فيه تبركاً

(١) سبق تخريجه في ص ٢٨٦، حاشية (٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٧/ ٩٩ رقم ١١٠٤٦، والترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ٥/ ٢٨٠ رقم ٣٠٩٩، والنسائي في الصغرى، كتاب المساجد، باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه ٢/ ٣٦ رقم ٦٩٧، قال

الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٢٢ رقم ١١٧٦.

(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٣٢٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٥/ ٦٠ رقم ٣٩٠٦.

في ظاهر الأمر؛ ليكون ذلك ذريعة لهم، وتقريراً لوجوده، ولكن الله كشف عن حقيقتهم فجاءت الآية بالمقارنة بين المسجدين.

وبهذا يكون السبب في نزول الآية هو المقارنة بين مبدئين متغايرين، وأن الأولية في الآية في قوله: من أول يوم أولية نسبية، أي: بالنسبة لكل مسجد في أول يوم بنائه، وإن كان الظاهر فيها أولية زمانية خاصة، وهو أول يوم وصل ﷺ المدينة، ونزل بقاء، وتظن هذه المقارنة في الآية موجودة إلى ما شاء الله في كل زمان ومكان^(١).

قال ابن حجر: «والحق أن كلا منهما أسس على التقوى، وقوله تعالى في بقية الآية:

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا مَسْجِدَ قَبَاءَ﴾^(٢).

٣- وادي طوى:

مكان طيب، مبارك، موصوف بالتقديس في القرآن الكريم مرتين.

إن أعظم بركة حلت فيه هي تكليم الله ﷻ لنبيه موسى بن عمران ﷺ، وندائه، وإرساله، وإخباره أنه ربه، أمراً له أن يتهيأ لمناجاته، وأن يلقي نعليه؛ لأنه في واد طوى، وهو واد له منزلته وقدسيتها، كما قال ﷻ تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]^(٣).

ولعل قدسيتها وطهارته مشعرة بأن يصابان عما لا ينبغي، فلا يوطأ بالنعلين؛ ولعل في الأمر بإلقائهما تعليماً وتواضعاً، وخضوعاً للرب الجليل، وتكريمه لموسى ﷺ بأن يياشر بقدميه تلك الأرض الطيبة، فيصل إليه شيء من بركتها^(٤)، والله أعلم.

ولو لم يكن من تقديس المكان، إلا أن الله اختاره لمناجاة كلمه موسى ﷺ لكفى،

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٣٢٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٧ / ٢٤٥.

(٣) ينظر: الوسيط لطنطاوي ١٥ / ٤٤٤.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٢٧٩.

قال تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢].

كما جاء التصريح بالنداء الرباني لموسى ﷺ مع وصف المكان بالقدسية، والبقعة

بالبركة، في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات: ١٦].

وما ذكره الله ﷻ هنا مجملاً عن نداءه لموسى ﷺ من جانب الطور^(١) الأيمن، قد جاء

مفصلاً في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ

لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: ٢٩ - ٣٠].

فالنداء كان من موضع معين، وهو الوادي المقدس طوى، من شاطئ الوادي الأيمن،

وهو جانب الطور الأيمن، وهو الغربي لا الشرقي من الشجرة^(٢).

إن هذا التحديد الجغرافي الدقيق لمكان النداء يشير إلى أن موسى ﷺ كان قادماً من

أرض مدين في طريقه إلى مصر، وأنه كان يخترق أرض الطور، فكان الجانب الغربي من

الطور على يمين موسى ﷺ، والجانب الشرقي على يساره، وهذا الوادي في سفح^(٣) جبل

الطور^(٤)، وهو الذي آنس موسى ﷺ منه ناراً، حيث نودي من ذلك المكان الطيب،

المشتمل على البقعة الموصوفة بالمباركة، من ناحية الشجرة؛ لأنه حصل فيها ابتداء الرسالة،

والتكليم الرباني لموسى ﷺ، وإظهار المعجزات على يديه؛ ولأن هذا الجبل من أرض الشام،

وهي الأرض المباركة المقدسة، فقد كانت قرار الأنبياء ﷺ، ومسكن المؤمنين^(٥).

(١) يقال له: جبل الطور، وطور سيناء، وطور سينين، وجبل سيناء، جبل معروف في مصر، والطور: الجبل، وسيناء

اسم أضيف إليه الطور ليعرف به. ينظر: معالم التنزيل ٥ / ٤١٤، ومعجم المعالم الجغرافية ص ١٨٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥ / ٤٦٣.

(٣) سفح الجبل: أسفله حيث يسفح فيه الماء، وهو عَرْضُ المُنْطَجِعِ. ينظر: الصحاح ١ / ٣٧٥، مادة (سَفَحَ).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠ / ١١٢.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٢١٠، والمحزر الوجيز ٤ / ٢٥، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٢٣٧.

ولعل في التنصيص على الشجرة إشارة إلى أنها كانت الوحيدة في ذلك المكان^(١).
ومع هذا التقديس والتعظيم والبركة، فليس للعبادة في وادي طوى فضل خاص كما هو للمساجد الثلاثة.

ولم يُعرف عن الصحابة رضي الله عنهم نزاع أن قوله ﷺ ((لَا تُشَدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةٍ))^(٢)، فهي متناول للسفر إلى البقاع المُعظَّمة غير المساجد، وأنه إذا نُهي عن السفر إلى مسجد غير الثلاثة فالنهي عن السفر إلى ما ليس بمسجد أولى.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا هذا الحديث بينوا عمومته لغير المساجد^(٣)؛ حيث لقي أبو بصرة الغفاري^(٤)، أبا هريرة رضي الله عنه، وهو جاء من الطور، فقال: من أين أقيمت؟ قال: من الطور، صليت فيه، قال: أما لو أدركتكَ قبل أن ترحل إليه ما رحلت، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((لَا تُشَدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى))^(٥).

فبين هذا الصحابي الجليل أن النهي في الحديث متناول للطور؛ مع علمه بشرف البقعة، وقدسيتها الوادي، وأن ذلك صريح نصوص آيات القرآن الكريم.

إن شرف الأمكنة، وبركة البقاع، وقدسيتها ليست مسوغةً للابتداع فيها.

وفيما شرع لنا من العبادات في البقاع الفاضلة غنية عما لم يشرع.

(١) ينظر: الوسيط لطنطاوي ١٠ / ٤٠٣.

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٨٧، حاشية (٣).

(٣) ينظر: قاعدة عظيمة في الفرق ص ١٠٢، وأضواء البيان ٨ / ٣٤٩، والرد على الأحنائي ١ / ١٤، والبدع الحولية

ص ٣٧٢، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد ص ١٩٦.

(٤) أبو بصرة حميل بن بصرة بن أبي بصرة وقاص بن حاجب الغفاري، له ولأبيه وجده صحبة، وشهد جدّه خبير مع

رسول الله ﷺ. ينظر: الإصابة ٢ / ١٣٠، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ٢ / ٨٨٨، وأسد الغابة ١ / ٢٨٧.

(٥) وقصة أبي بصرة مع أبي هريرة أخرجها أحمد ٣٩ / ٢٧٠ رقم ٢٣٨٥٠، قال الألباني في إرواء الغليل ٤ / ١٤٢:

إسناده حسن، وأما النهي عن شد الرحل إلا إلى المساجد الثلاثة، فهو في صحيح البخاري، ومسلم، كما سبق

تخريج ذلك في حاشية (٣)، ص ٢٨٧.

يقال هذا: تنبيهاً وتحذيراً عما يُلبَس به أهل البدع من ارتياد أماكن يزعمون فضلها وقدسيتها، والتقرب إلى الله بالعبادة فيها أو حولها، كتقديس بعض البيوت والقبور والمقابر، وبذل الأموال في عمارتها وإنارتها، وتسهيل طرق الوصول إليها، داعين الناس إلى تعظيمها، وفتح مجال السياحة والزيارة لها؛ بأقوالهم وكتابتهم، وصحبتهم لزيارتها.

٤ - الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ:

الذي فوق السماء السابعة، حِيَالِ الكعبة^(١)، المعمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام، يتعبدون فيه لربهم ﷻ.

وقد أقسم الله بهذا البيت لشرفه ومكانته، قال تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]، وقيل: إن البيت المعمور هو البيت الحرام، المعمور بالطائفين والمصلين، والذاكرين كل وقت، وبالوفود إليه بالحج والعمرة^(٢).

والرأي الأول أولى؛ لقوله ﷻ ((فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ))^(٣)، فكل يوم يدخله هذا العدد، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

٥ - مَسَاكِنُ الْجَنَّةِ:

وهي قصور عالية طيبة، جعلها الكريم الجواد في غاية الطيب، وميزها بالحسن والجمال، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، قد زخرت وحسنت، فطاب مرآها

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز ٢ / ١٩٨، وأصول الإيمان ص ٨٩، وعالم الملائكة الأبرار ص ٣٢ .

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨١٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم ٤ / ١١٠ رقم ٣٢٠٧،

ومسلم، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ١ / ١٤٥ رقم ١٦٢، من

حديث مالك بن صعصعة ﷺ.

وطاب مترها وسكنائها، حتى إن الله ﷻ أعد لأهلها عُرفاً في غاية الصفاء والحسن، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رِبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّيْبَةٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، «طَبَاقٌ فَوْقَ طَبَاقٍ، مَبْنِيَّاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ، مَزْخَرَفَاتٌ، عَالِيَاتٌ»^(١).

وقد أخبرنا القرآن الكريم أن في الجنة خياماً، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، وهذه الخيام عجبية، فهي من لؤلؤ، لقوله ﷻ: ((الْخَيْمَةُ ذُرَّةٌ^(٢) مُّجَوَّفَةٌ^(٣) طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِيلاً^(٤)) فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لَّا يَرَاهُمْ الْآخَرُونَ))^(٥).

وهذه المساكن الطيبة، والقصور التي في الجنة، وعدّها الله وأعدّها للمتقين، وخواص خلقه المصطفين، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠].

وخصّت المساكن بالذكر؛ لأن في الجهاد مفارقة مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة المؤقتة بمساكن أبدية^(٦) قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

(١) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٩١.

(٢) الذُّرَّةُ: اللُّؤْلُؤَةُ الْعَظِيمَةُ الْكَبِيرَةُ الْعَظِيمَةُ. ينظر: تاج العروس، مادة: (لألأ) ١١ / ٢٨٢.

(٣) الْمُجَوَّفَةُ: الْوَاسِعَةُ الْجَوْفُ، وَقِيلَ مُثَقَّبَةٌ. ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣ / ٥١٤.

(٤) الْمِيلُ: يَسَاوِي ١٦٠٩ مِترًا. ينظر: المعجم الوسيط، مادة: (ميل) ٢ / ٨٩٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٤ / ١١٧ رقم ٣٢٤٣،

من حديث عبد الله بن قيس عن أبيه ﷺ.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ١٩٥.

المبحث الخامس: الطيب من الأقوال في القرآن الكريم:

الكلمة الطيبة تقرب القلوب وتؤلف بينها، وتذهب الحزن وتمسح الغضب، تسر السامع وتُشعره بسعادة عند سماعها واشتياق إليها، وتحدث أثراً طيباً في نفسه؛ فتفتح أبواباً من الخير وتغلق أبواباً من الشر، لا تؤذي المشاعر ولا تحدش النفوس، جميلة في لفظها ومعناها، يأنس القلب بنتائجها المفيدة وغاياتها البناءة ومنافعها الواضحة، حث عليها القرآن الكريم الذي هو أصدق الأقوال، وأحسن الحديث وأطيب الكلام، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَذَكَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ أَلْدِينِ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

فالقرآن الكريم أحسن من سائر الأحاديث، اختصه بالعظمة، وسماه مجيداً وكرماً، فهو كريم على الله ﷻ، عزيز مكرم، يدل على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور وشريف الفعال، والكريم من شأنه أن يعطي الخير الكثير، وهكذا القرآن كثير الخير، جم المنافع، غزير العلم، اشتمل على ما فيه صلاح البشر في دنياهم وأخراهم^(١).

وكل القرآن خير وحسن، وفضل وأجر، ولبعض آياته وسوره خصيصة، وتميز بالخيرية والفضل، قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقال ﷺ عن الفاتحة ((مَا أُنزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا))^(٢)، وأخبر أن آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله^(٣)، وأن ((قُلْ هُوَ اللَّهُ

(١) ينظر: معالم التنزيل ٨/ ٢٢، والبحر المحيط ٨/ ٢١٣.

(٢) أخرجه أحمد ١٤/ ٣١٠ رقم ٨٦٨٢، والترمذي، في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ٥/ ١٥٥ رقم ٢٨٧٥، والنسائي بشرح السيوطي، وحاشية السندي، كتاب الصلاة، باب فضل فاتحة الكتاب ٢/ ٤٧٧ رقم ٩١٣، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح. ينظر: الجامع الصغير وزيادته ٥/ ١٣٠٤ رقم ٧٠٧٩.

(٣) كما في حديث أبي بن كعب ؓ عند مسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة سورة الكهف وآية الكرسي ١/ ٥٥٦ رقم ٨١٠.

أَحَدٌ ﴿١﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ﴿١﴾.

فبعض آياته أفضل من بعض، على خلاف في مسألة التفضيل، والراجح وقوعه^(٢).

وقد أرشدنا هذا القرآن المجيد، ولفت أنظارنا إلى مجموعة من الأقوال الطيبة الحسنة، السديدة؛ لتتربى عليها قولاً وعملاً وسلوكاً، ومن ذلك:

١- شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ:

شهادة أن لا إله إلا الله خير كلمة عرفتها الخلائق، وأفضل كلمة قالها الناس، هي الكلمة التي بعثت بها الرسل، والفيصل بين الكفر والإيمان، ودين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره، وهي الكلمة التي أخذها الله ﷻ عهداً على بني آدم وهم في أصلاب آبائهم، والكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام في عَقِبِهِ^(٣)، وهي: الكلمة الطيبة التي ضرب الله لها مثلاً بالشجرة الطيبة، قال تعالى: ﴿الْم تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

فشبهه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مُرضٍ لله فهو ثمرة هذه الكلمة^(٤).

إن شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن علماً واعتقاداً، فرعها - من الكلم الطيب

(١) لحديث أبي سعيد عند البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١٨٩ / ٦

رقم ٥٠١٣، وعند مسلم من حديث أبي الدرداء، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ

اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ / ٥٥٦ رقم ٨١١.

(٢) وللمزيد ينظر: الفتاوى لابن تيمية ١٧ / ١١، ٥٤، ١٦٩، ٢٠٩، والبرهان في علوم القرآن ٢ / ٦٧، والإنتقان في

علوم القرآن ٢ / ١١٣١، وخواص القرآن الكريم ص ١١٠.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٥٨٩، وتفسير القرآن العظيم ٧ / ٢٢٥.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٩١، وإعلام الموقعين ١ / ١٧١، والأمثال في القرآن الكريم ١ / ٣٥.

والعمل الصالح، والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة- في السماء دائماً يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان، ينتفع به المؤمن وينفع غيره، فإذا حلت الهداية قلبه، وامتلاً نوراً وإسلاماً فاض منه الخير والنور على قلوب كثيرة، كالشجرة الطيبة المثمرة التي يتمتع بثمرها الكثير من الناس^(١).

ووصف الله ﷻ الشجرة بأنها طيبة، وذلك يشمل طيب الصورة والشكل، والمنظر والطعم، والرائحة والمنفعة^(٢)، كما وصفها بثبات الأصل ورسوخه؛ لذا هو آمن من الانقطاع والزوال، وأن فرعها في السماء، وارتفاع الأغصان يدل على ثبات الأصل، وأنها متى ارتفعت فقد بعدت عن المؤثرات الضارة بها فكانت ثمارها نقية من الشوائب^(٣).

٢- القول الحسن:

وهو الكلام الطيب اللطيف، المرضي عند الله ﷻ، وهذا ما أرشد إليه بقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وهذا أمر رباني عام بإحسان القول لجميع الناس، جاء بعد أمر بإحسان خاص للوالدين والقراة والأيتام والمساكين^(٤).

والحسُن هو النافع في الدين والدنيا، وليس مجرد التلطف بالقول والمجاملة في الخطاب، بل لابد من كونه نافعاً مرضياً عند الله ﷻ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، والحلم والعفو والصفح، وبذل السلام والبشاشة، وكل كلام طيب^(٥)، وذلك أحب على قلوب الناس من أموال تدفع إليهم مصحوبة بأذية لمشاعرهم بمن أو غيره.

وبما أن الإنسان لن يسع الناس بماله، فقد جعل له الإسلام ما يتوصل به إلى معالي الأمور، فحضر على مكارم الأخلاق بما لا يكلف أحداً، وإحسان القول في تناول الجميع،

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢٥.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١١ / ٣٨٠.

(٣) للحديث بقية في الفصل السادس، المتعلق بالأساليب.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ١ / ٣٠٥.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١ / ٣١٧.

بل في هذا الأمر نهي عن ضده، وهو الكلام السيئ القبيح؛ لأن المطلوب من المسلم أن يكون نزيهاً في أقواله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق واسع الحلم، صبوراً على ما يناله من أذى حتى في محاوراة الكافرين^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فمحاورتهم تكون بالطريقة المثلى، ويكون إيراد الحجج عليهم بالأحسن، لا بذكر الحجة المخلوطة بالشتم والسب؛ فيحصل منهم المقابلة بالمثل، ويزداد الغضب، وتتكامل التفرقة، ثم لا يحصل المقصود^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وأولى من يقول الكلام الطيب، ويقال لهم حسن القول هم المؤمنون، الذين تهذبوا بأخلاق الإسلام، حيث جاءهم الأمر الإلهي بأن تكون المخاطبات والمحاورات مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، بالكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ والعبارة التي هي أرق وألطف، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]، فإذا دار الأمر بين أمرين حسنين، فإن المسلم مأمور بإيثار أحسنهما، إن لم يمكن الجمع بينهما، وإذ لم يفعلوا ذلك؛ بأن امتزج القول بشيء من البذاءة، فإن الفتنة تتور، وينزع الشيطان بينهم ويفسد، ويخرج الكلام إلى الفعال، ويقع الشر والمخاصمة وربما المقاتلة؛ لأن عداوة الشيطان لبني آدم قديمة بيّنة، فهو العدو الحقيقي الذي ينبغي أن يجارب، فهو الذي يعمل على إضلالهم، ويسعى بما يفسد عليهم دينهم وديانهم، وعباد الله يجرسون أنفسهم منه، ويردّون كيده إلى نحره، ويتأدّبون بأداب الإسلام في مراقبة اللسان، فيحفظونه ويختارون الأقوال البالغة في الحسن، التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن، التي تزيد المودة وتكسر حدة العداوة^(٣).

ومن المعلوم أن من ملك لسانه ملك جميع أمره، كيف إذا تذكّر المسلم نتائجها

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ١٥٤.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٢٠/ ١٨٢.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥/ ٨٦، والتحرير والتنوير ١٥/ ١٣١.

ومحاسنها، وأنها نوع من القُرْبَات التي أرشد إليها المصطفى ﷺ، فإنه سيحرص عليها، وسينتقيها، وسيكثر منها، مع دعوة الناس إلى سلوكها، ففي الحديث عن عدي^(١) بن حاتم رضي الله عنه قال: ((سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ))^(٢).

ومن عجز عن قول الكلام الطيب الحسن، فليتنق الله ولا يعجز عن ترك الكلام بالباطل، امتثالاً لقول رسول ﷺ ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))^(٣).

إن الكلمة الطيبة من هداية الله وفضله للعبد، قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ

وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

وهذه الآية جاءت في سياق تعداد ما من الله به على أهل الإيمان، فقد أرشدهم، وأهمهم الحسن من القول، الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة المقرّبة إلى الله؛ من ذكر وتقديس، وإحسان إلى العباد^(٤) فالله ﷻ هداهم الصراط الحمود فأنعّم عليهم بنعمة الإيمان، فصاروا بسببها يقولون الأقوال الطيبة، ويفعلون الأفعال الحميدة ووصلوا إلى أماكن طيبة في الجنة يسمعون فيها أقوالاً طيبة، وحواراً كريماً^(٥) مع بعد عن سماع اللغو والإثم.

إن القول الحسن والكلام الطيب يستخدم مع الناس، ويمارس في دعوتهم للمنهج الحق وما يقربهم من ربهم، وذلك حين: تعليمهم وأمرهم ونهيهم، ونصحهم وترغيبهم في الخير،

(١) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، كان سخياً كريماً، رقيقاً حليماً، يُضْرَبُ بِجُودِهِ وأبيه المثل، وقد على النبي ﷺ سنة تسع، فأكرمه واحترمه، أثنى عليه عمر ﷺ بشابته إذ كفر الناس، ووفاته إذ غدروا، وإقباله إذ أدبروا، شَوَّاق قلبه إلى الصلاة، وما أقيمت منذ أسلم إلا وهو على وضوء، توفي سنة ٦٧ هـ، وله ١٢٠ سنة. ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/ ٢١٩٠، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٤٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ١٩٧ رقم ٣٥٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان ٨/ ١٠٠ رقم ٦٤٧٥.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/ ٥٩٤، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢١، والتحرير والتنوير ١٧/ ٢٣٤.

(٥) ينظر: الكشاف ٣/ ١٥١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ١٣٩، وتفسير القرآن العظيم ٥/ ٤٠٨.

وترهيبهم من الشر، بالحكمة والموعظة الحسنة، برفق وشفقة ومودة، ودعوتهم بأحب الأسماء إليهم وأوقعها في أنفسهم، وبذل الشفاعة الحسنة لهم، والدعاء لهم، وشكرهم والثناء على عملهم، والاعتذار منهم، وكل أسلوب جذاب يحقق الخير ويزيل الشر، ويصل إلى قلوب المدعويين جماعات وفرادى، مما يجعلهم يسارعون في القبول، ويردون بخطاب طيب جميل، وينقادون برغبة وسماع وطاعة^(١).

وعند التأمل يتأكد القول بأن الكلام الطيب شعار لقائله، ودليل على طيبه، قال تعالى:

﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [النور: ٢٦].

فالطيبات من القول للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛ لأنهم أهلها وأحق بها^(٢)، فهو يجري على ألسنتهم من غير تكلف؛ لأنهم اعتادوه، وهذبوا أنفسهم عليه، فهم يشعرون براحة وطمأنينة وسعادة حين إلقائه، بل وتطمئن القلوب تجاههم، مما يجلبهم إلى الآخرين، فيتحول العدو إلى صديق، وتنقلب الضغائن إلى محبة ومودة، قال تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُوذٌ حَظِيظٌ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

إن القول الحسن ليثمر عملاً صالحاً في كل وقت بإذن الله، ويصعد إلى الرب الجليل، فتُفتح له أبواب السماء؛ لما له من المترلة والقبول عند الله، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠]، فمن كان يجب أن ينال العزة والشرف والمنعة في الدنيا والآخرة فليطلبها ممن هي بيده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة فهي مختصة به، ولا تنال إلا بعبادته وحده لا شريك له، ولزوم طاعته من قراءة وتسييح، وتحميد وتهليل، وكل كلام حسن طيب، دل على ذلك تقديم المجرور في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾؛

(١) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة ص ٣٧، وأساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم ص ١٣٠.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ١٤١.

حيث أفاد الحصر بأنه إليه وحده، فكل ما يقدم من الكلم الطيب إلى غيره فلا طائل تحته^(١). وكل عمل صالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح فإنه يرفع إلى الله، ويُعْرَضُ عليه، ويثني على صاحبه بين الملاء الأعلى.

وقيل: العملُ الصالح يرفعُ الكلمَ الطيب، فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله ﷻ، فالكلم لا يقبل إلا إذا اقترن به العمل الصالح الذي يحققه ويصدقه، فهناك يحصل للكلم الرفع والصعود^(٢).

والذين يكسبون السيئات فإنهم بعكس ذلك، فيريد أصحابها الرفعة بها، ويمكرون ويكيدون ويعود ذلك عليهم، ولا يزدادون إلا إهانة ونزولاً، فمكرهم يهلك ويزول، ولا يفيدهم شيئاً؛ لأنه مكر بالباطل^(٣).

٣- التَّحِيَّةُ الطَّيِّبَةُ:

وهي اسم جنس لما يُفَاتِحُ به عند اللقاء من أحد المتلاقيين، من كلمات التَّكْرِمَةِ، وما يقترن بذلك من البشاشة، ونحوها^(٤).

والتَّحِيَّةُ التي يتبادلها الناس فيما بينهم هي مفتاح لِمَعَالِيِقِ القلوب، ولهذا كانت عُرفاً ملتزماً في مختلف الأمم والشعوب على مدى الأزمان.

وأصل التحية من الحياة، فيقال: حيَّك الله، أي: جعل لك حياة، وكانت العرب تقولها، فلما جاء الإسلام أبدلها بالسلام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، فجعل السلام تحية.

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٢ / ١٧٤، والتحرير والتنوير ٢٢ / ٢٧٢.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠ / ٤٤٣، والكشاف ٣ / ٦١١، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٨٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦ / ٥٣٦، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٦ / ١٦٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٩.

وإنما اختير لفظ السلام على لفظ: حياك الله؛ لأنه أتم وأحسن وأكمل؛ فالسلام: مُشعرٍ بالسلامة من الآفات، ومبشر بالأمن من المخاوف، فإذا دعي للإنسان بطول الحياة بغير سلامة فقد تكون حياته مدمومة منغصة، وفي القديم كان الذي يضمّر شراً لملاقية لا يفتحه بالسلام^(١).

إضافة إلى أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، فالبداءة بذكره خير وبركة، وتفاؤل بالسلامة، فقول الإنسان لغيره: السلام عليك، بشارة له بالسلامة، وقوله: حياك الله لا يفيد ذلك^(٢)، والمبتدئ يقول: السلام عليكم، فيكون ابتداءه واقعاً بذكر الله، والمجيب يقول: وعليكم السلام، فيكون اختتامه واقعاً بذكر الله^(٣)، فهو السلام ومنه السلام^(٤).

إن الأمر الكريم في الآية السابقة، يحمل أدباً رفيعاً يجلب الخير والمحبة بين المسلمين، وذلك بإلقاء السلام على كل بيت يتم الدخول فيه، من غير فرق بين بيت وبيت؛ لأن مجيء النكرة ﴿بِوُتًا﴾، في سياق الشرط، دليل على أن إلقاء السلام عام وشامل لبيت الإنسان وبيت غيره، سواء أكان في البيت ساكن أم لا، ويُبدأ بالسلام على الأهل والعيال، ويسلم البعض على البعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم، ولذا جاء التعبير القرآني بقوله: ﴿عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾، على أنهم منكم بمنزلة أنفسكم، فكأنكم حين تسلمون عليهم تسلمون على أنفسكم^(٥).

وهذا التحية موصوفة بأنها ﴿مُبْرَكَةٌ﴾؛ لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يُرجى بها من الله طيب الرزق، وزيادة الخير ووفرته، وحصول الرحمة والبركة^(٦)، وموصوفة بأنها ﴿طَيِّبَةٌ﴾،

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١١/ ١٠٣.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ١٠/ ١٥٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٥٦٦.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ١٠/ ١٥٨.

(٤) كما في حديث عائشة رضي الله عنها، عند مسلم، في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته

٤١٤ / ١ رقم ٥٩٢.

(٥) ينظر: التفسير المنير ١٨/ ٣٠٦.

(٦) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٢٦٣، والبحر المحيط ٦/ ٤٣٥.

والطَّيِّبَةُ ذات الطَّيِّبِ، فهي دعاء بالسلامة، وإيدان بالمسالمة والمُصَافَاة، والسلامة من النقص، وحسن اللقاء، فهي من الكَلِمِ الطيب ؛ لما تشيعه في النفوس من أمان وسلام، ومودة وإخاء، وطَّيْبَ نَفْسٍ لِلْمُحِبِّينَ^(١).

وهذه الأوصاف فيها تنويه بشأن هذه الكلمة الطيبة، وإشاعة لها بين المسلمين فتكون شعاراً لهم عند ملاقاتهم؛ فينطقون بها عن وعي ويقظة؛ لما تحمله من المعاني الجامعة للخير والإكرام، فيقوى المجتمع ويترايط، ويقل فيه كدر القلوب، وينطوي فيه الحسد والشحناء، وتحل المحبة والود والصفاء.

فالتحيَّة في الإسلام، خير يتهداه الناس، وبرٌّ يُتَلَقُونَ به، فمن قبض يده عن بذله، أو الكف عن أخذه، فقد فاته حظه من هذا الخير، وحُرْمَ نصيبه من هذا البرِّ، والأدب الراقى، الذي جعله الإسلام شعيرة من شعائره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا^(٨٦)﴾ [النساء: ٨٦]، فإذا سلَّمَ بإحسان مما قال به؛ لأن أعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع من السلام ابتداءً وردًّا؛ حيث أمر الله ﷻ المؤمنين أنهم إذا حيُّوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها؛ لفظاً وبشاشة، أو مثلها؛ فالزيادة مندوبة، والمماثلة من الوفاء، وهي مفروضة^(٢)، أما ردها بالأقل أو عدم الرد فمفهوم الآية النهي عنه، كما أنه قد يشعر بشيء من الإهانة، وعدم ردِّ للإحسان.

والأحسن أنه إذا قال المُسَلِّمُ: السلام عليكم زيد في جوابه الرحمة، وإن ذكر السَّلَامَ والرحمة في الابتداء زيد في جوابه البركة، وإن ذكر الثلاثة في الابتداء أعادها في الجواب، فمتمهى الأمر في السلام أن يقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال الله تعالى مخبراً عن البيت الكريم: ﴿قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]^(٣).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٧٥، والتحرير والتنوير ١٨ / ٣٠٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨ / ٥٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٢ / ٣٦٨.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٢٩٩.

المبحث السادس: الطيب من الأفعال في القرآن الكريم:

أبرز القرآن الكريم مجموعة من الأفعال الطيبة، المحبوبة عند الله، والمرغوبة لدى عباد الرحمن، فكانت من أوضح صفاتهم، وعلامة على تميزهم، والإشادة بهم، وإعلاء شأنهم، وسبباً لفلاحهم وإكرامهم؛ لكونها تقرب إليه وتحسن إلى عباده، وتجعل المسلم سامي النفس، عظيم الهمة، متصفاً بمعالي الأمور، متحلياً بمكارم الأخلاق وخصال أهل الكمال وأصحاب الشيم، متطلعاً إلى كل فضيلة في الدنيا، مرتقياً لأعالي الدرجات في الآخرة، مما يشعر بفضلها على غيرها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها.

وهذه الأفعال الطيبة إما فروض وعبادات عملية، وإما مكارم أخلاق مع العباد، تؤلف بين قلوبهم، وتصفي ما في نفوسهم، وتوحد كلمتهم، وتقودهم إلى الاجتماع، وتربيهم على الإحسان، والصبر والتحمل، وتكون حياتهم قد جمعت بين الإيمان بالله ﷻ والعمل الصالح المقرب إليه، فيستحقون موعود الله تعالى في قوله: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فهذا الخبر الرباني الكريم، فيه وعد صادق بالحياة بالطيبة السعيدة في الدنيا، المشتملة على وجوه الراحة من أي جهة كانت، وبالجزاء الأوفر في الدار الآخرة.

وهذه الأفعال الطيبة، والصفات المجيدة، ظاهرة في عموم القرآن الكريم، إلا أنها في عدد من السور أظهر؛ كما في آل عمران، والأنفال، والرعد، والمؤمنون، والفرقان، والشورى والمعارج، ومن تلك الأفعال:

١ - إقامة الصلاة:

وذلك بأدائها كاملة كما شرع الله ﷻ، وكما صلاها رسوله ﷺ بالمحافظة على وقتها، وحدودها وخشوعها، وركوعها وسجودها، وإتمام أركانها وإتقان شروطها وآدابها^(١)؛ لأنها ميزان الإيمان وعنوانه، وعماد الدين، ونور المؤمنين، وعلامة على المتقين الذين يستعينون بها

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ١٩٣، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٥١٠.

قال ابن كثير: «لا زيادة في السلام على هذه الصفة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إذ لو شرع أكثر من ذلك، لزاده رسول الله ﷺ»^(١).

والسلام تحية بني آدم، فإن الله ﷻ لما خلق آدم ﷺ قال له: ((اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَيَّ أُولَئِكَ التَّغْرَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحْيُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحْيَتُكَ وَتَحْيَةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ))^(٢).

وعند التأمل في آي القرآن الكريم نجد أن السلام شائع ذكره فيه، فالله ﷻ سمي نفسه بالسلام، وعم به جميع المرسلين، وخص به عددًا من أنبيائه ورسله، كنوح وإبراهيم، وموسى وهارون، ويحيى وإل ياسين ﷺ وخص خاتمهم بالصلاة، والتسليم، وأمر المؤمنين بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وسلم على المصطفين من عباده، وأمر به عددًا من رسله، فأرسل موسى وهارون ﷺ إلى فرعون، وأمرهما أن يقولوا: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ [طه: ٤٧]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَايَتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والملائكة تسلم على عباد الله الطيبين عند الموت: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وخزنة الجنة يتلقون المؤمنين بالبشر والترحيب، والتهنئة والتسليم، ويقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وتحيتهم في الجنة وحين يلقون رب العزة والجلال ﴿سَلِّمْ﴾، وينالون شرف التسليم الرباني، كما قال تعالى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٦٩، وينظر: الإعلام ببعض أحكام السلام ص ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٨/ ٥٠ رقم ٦٢٢٧، ومسلم، في كتاب الجنة

ونعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفئدة الطير ٤/ ٢١٨٣ رقم ٢٨٤١.

وإن الدلائل القرآنية لتشعر بفضيلة السلام في أشد الأوقات حاجة إلى السلامة، والكرامة، وهي ثلاثة: وقت الولادة، ووقت الموت، ووقت البعث، والله ﷻ أكرم يحيى ﷺ فسلم عليه في هذه الأوقات الثلاثة، وكذا سلم نبي الله عيسى ﷺ على نفسه فيها.

وقد أمرنا النبي ﷺ بإفشاء السلام؛ لأنه وسيلة للتحاب، وانتشار الخير، وتآلف القلوب، واتحاد الصفوف، وإشعار بالأمان، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أُدْلِكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))^(١).

٤ - الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ:

التي يبقى ثوابهن ويدوم جزاؤهن، ويؤمل أجرهن وبرهن ونفعهن، وييقن لأهلهن في الجنة، ما دامت السموات والأرض، فهن خير من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية^(٢).

وقد جاء ذكرهن في القرآن الكريم مرتين، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(٤٦) [الكهف: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾^(٧٦) [مریم: ٧٦].

وقد اختلف أهل التفسير في المراد بهن:

فقال طائفة هن الصلوات الخمس.

وقال جمهور أهل التفسير هن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وقال آخرون: كل كلام طيب، ومنه الكلمات الأربع، وتلاوة القرآن، وبقية الأذكار.

وقالت طائفة: الأعمال الصالحة كلها من الأقوال والأفعال، فتشمل هذه الكلمات

الأربع، والاستغفار والصلاة على رسول الله، والصيام والصلاة، والحج والصدقة، والعتق

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن

إفشاء السلام سبب لحصولها ١ / ٧٤ رقم ٥٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥ / ١٦٤، والتحرير والتنوير ١٥ / ٣٣٢.

على كل أمورهم، ناهية لهم عن الفحشاء والمنكر، ويشعرون بقوة الصلة بينهم وبين ربهم وعظيم أثرها عليهم.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن إقامة الصلاة في خمسة وأربعين موضعاً، أمراً بها ومثنيًا على أهلها، والمتقربين لربهم بها، وأنها من أخص صفات المتقين وعلامات المؤمنين، وأنها باب من أبواب البر، وشرط للأخوة في الدين، وتخليّة سبيل الكافرين، وسبب لدخول جنات النعيم، وكسب الأجر الكريم، وغفران الذنب العظيم^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ [الأنعام: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ [التوبة: ١٨].

إن المؤمنين الذين وجدوا أنفسهم وراحتهم بما يداومون عليها في أوقاتها، بقلوب خاضعة مطمئنة، منكسرة بين يدي ربهم، في حالة من الذل والافتقار، إيماناً به وبلقائه؛ مستشعرة عظم الموقف ولذة المناجاة، مستحضراً صاحبها لما يقول ويفعل، فكانت المحافظة عليها والمداومة على فعلها والخشوع فيها من أخص صفاتهم، وسبباً لفلاحهم وسعادتهم^(٢)، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون: ١-٢]، فجعل أول وصف للمؤمنين الذين أفلحوا خشوعهم فيها، وخوفهم وسكونهم وإخباتهم؛ ذلاً وتواضعاً، وإعظاماً وإجلالاً لربهم بقلوبهم وجوارحهم^(٣)، وهذا من تمام الطاعة؛ لأن المرء قد يعمل الطاعة للخروج من عهدة التكليف غير مستحضر خشوعه لربه، الذي كلفه بالأعمال

(١) ينظر: الصلاة وأحكام تاركها ص ٥١، ومترلة الصلاة في الإسلام ص ٢٣، والجامع لأحكام الصلاة ص ٢٠٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥ / ٤٦١.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٢٣ / ٢٥٩.

والجهاد والصلة، وغيرهن من صالح القول والعمل، ورجح هذا ابن جرير، والشَّنْقِيطِي^(١)، حملاً للفظ على العموم، ووجهه ظاهر؛ وذلك بأنه متى ما أمكن حمل لفظ القرآن على العموم كان أكثر فائدة، فكان أولى، وأما ما ورد من تفسير النبي ﷺ، بأنهن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فنوع من الباقيات الصالحات، وليس حصراً لها، فإنه «لم يقل: هن جميع الباقيات الصالحات، ولا كل الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البرِّ أيضاً باقيات صالحات»^(٢)، فيكون ما ورد من باب التفسير بالمثال. والله أعلم.

قال الشَّنْقِيطِي: «وأقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله»^(٣).

ومع ترجيح هذا القول إلا أن قول الجمهور له قوته، ووجاهته، خاصة أن مستنده النص، ومن المعلوم أن الأخذ بعموم الآية أولى إذا لم يرد النص.

وعلى قولهم تظهر خصوصية هذه الكلمات الأربع بالخيرية والفضل العظيم، والميزات الجليلة التي تدل على عظم شأنهن ورفعة قدرهن، وعلو مكانتهن، وتميزهن على ما سواهن من الكلام، فالنصوص متضافرة على فضلهن، وعظم ما يترتب على القيام بهن من أجور عظيمة وأفضال كريمة، وخيرات متوالية في الدنيا والآخرة.

فهن أحب الكلام إلى الله، لحديث سمرة رضي الله عنه^(٤)، قال: قال: رسول الله ﷺ: ((أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ))^(٥)، وفي رواية

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٣١ - ٣٥، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ / ٢٨١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٣٦.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ / ٢٨١.

(٤) سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبِ بْنِ هَلَالِ الْفَزَارِيِّ، من علماء الصحابة رضي الله عنهم، كان عظيم الأمانة صدوقاً، نزل البصرة، وقيل في

سبب وفاته: أنه سقط في قدر مملوءة ماء حاراً، كان يتعالج به، سنة ٥٩ هـ. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٧٨

وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٢ / ٣٥٤، وسير أعلام النبلاء ٣ / ١٨٣.

(٥) أخرجه مسلم، في كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، وبنافع ونحوه ٣ / ١٦٨٥ رقم ٢١٣٧.

((أَرْبَعٌ مِنْ أَطْيَبِ الْكَلَامِ))^(١)، وهن أحب على رسول الله ﷺ، مما طلعت عليه الشمس^(٢)، ومنجيات لقائلهن يوم القيامة، ووقاية له من النار، ويبقين له أجراً، وغنيمة مدخرة؛ حيث قال فيهن رسول الله ﷺ: ((فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَاتٍ^(٣)، وَمُعَقَّبَاتٍ^(٤)، وَمُجَنَّبَاتٍ^(٥)، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ))^(٦).

وقد جعلهن النبي ﷺ بدلاً عن قراءة الفاتحة في الصلاة، في حق من لا يُحسنها^(٧)؛ فله ما أعظم هؤلاء الكلمات، وما أجل شأنهن، وما أكثر الخير المترتب عليهن!

٥- الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ:

وهي أحسن من كل ما سواها؛ من الأقوال والكلام؛ لما فيها من تبصير المكلفين إلى طريق الحق، وتعييد الناس لرب العالمين^(٨)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

(١) أخرجه أحمد ٣٣ / ٣١١ رقم ٢٠١٢٦، والنسائي في الكبرى، كتاب الزينة، باب ثواب من سبح الله مائة تسيحه وتحميدة وتكبيره ٩ / ٣١٢ رقم ١٠٦١٦، وأبو داود الطيالسي ٢ / ٢١٩ رقم ٩٤١، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١ / ٣٤٥ رقم ٣٤٦.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٤ / ٢٠٧٢ رقم ٢٦٩٥، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) مُقَدَّمَاتٌ: لقائلهن. ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣ / ٤٣٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير ١ / ٥١٣.

(٤) مُعَقَّبَاتٌ: أي: لا يجيب قائلهن، وسميت مُعَقَّبَاتٍ لأنها تعود مرةً بعد مرة. ينظر: شرح السنة للبخاري ٣ / ٢٣١.

(٥) جمع مَحْتَبَّةٍ: وهي التي تكون في الميمنة والميسرة. ينظر: تحفة الذاكرين ١ / ٣٦٥.

(٦) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب الزينة، باب ثواب من سبح الله مائة تسيحه وتحميدة وتكبيره ٩ / ٣١٢ رقم ١٠٦١٧، والطبراني في الأوسط ٤ / ٢٨٩ رقم ٣١٧٩، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ١ / ٣٦٣ رقم ٣٨٩٥، والألباني بشواهد كما في السلسلة الصحيحة ١٣ / ٦٧ رقم ٣٢٦٤.

(٧) أخرجه أحمد ٣١ / ٤٥٥ رقم ١٩١١٠، وأبو داود، في كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة ١ / ٣٠٨ رقم ٨٣٢، والدارقطني ١ / ٣١٤ رقم ٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٣٨١ رقم ٤١٤٨، من

حديث عبد الله بن أبي أوفى ؓ، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٣ / ٤٢١ رقم ٢٨٥.

(٨) ينظر: تفسير الرازي ٢٧ / ٥٦٨.

الصالحة، فإذا تخلق المؤمن بالخشوع اشتدت مراقبته لخالقه، فامتثل أمره واجتنب نهيهِ^(١).

فهؤلاء المؤمنون لم ينشغلوا بغيرها، ولذا جاء التعبير القرآني بأنهم ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ ولم يقل: مؤدون؛ لأن أداء الصلاة في حق المؤمنين مفروغ منه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]، وإنما العبرة بالهيئة والكيفية التي أدت بها، فمدحهم ربهم ﷻ بالخشوع، وبالمحافظة عليها على الدوام، فلا فتور لهم عنها، ولا انفكاك لهم منها؛ لأنه لا يتم أمرهم إلا بهما، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص؛ لأن خشية الله والخشوع له فيها ورجاء ما عنده يوجب فعلها بصدر منشرح يرقب ثوابه، ويخشى عقابه، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه^(٢).

ولعظم الصلاة ومكاتها، وكونها الركن الثاني من أركان الإسلام، وأطيب الأعمال وأفضلها، وأكبر العبادات البدنية، جاء الحث عليها وتخصيصها بالذكر في القرآن الكريم في أكثر من تسعين موضعاً، اشتملت على الأمر بها، وتهديد تاركها، وتربية الأهل عليها، وبيان أثرها على السلوك والأخلاق، وشدة اهتمام المتقين بها، محافظة ومداومة، وخشوعاً وتعلقاً للقلب بها، بخلاف أهل الكفر المستهزئين بها، وأهل النفاق المتناقلين المتكاسلين عن أدائها، المحرومين من لذتها.

٢ - الإِعْرَاضُ^(٣) عَنِ اللَّغْوِ^(٤):

من الأفعال الطيبة الحميدة التي هي من أخص صفات عباد الرحمن، وينال صاحبها

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٨ / ١٩.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ٢٢٦، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٤٨، والصلاة وأحكام تاركها ص ١٤٠، والخشوع في الصلاة ص ١٦.

(٣) الإِعْرَاضُ: الترك والامتناع، وأن تولي الشيء عرضك أي جانبك. ينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١١١.

(٤) اللَّغْوُ: الباطل والساقط، وما لا معنى له من قول وفعل. ينظر: معاني القرآن للنحاس ٤ / ٣٤٢.

وهذا استفهام بمعنى النفي المُتَقَرَّر، فلا أحد أحسن قولاً ممن أمر بعبادة الله ﷻ بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها ما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه.

ومن أخص ما يُدعى إليه توحيد الله، وتحبيب العباد إليه، وذكر نعمه وسعة جوده، وكمال رحمته، ومجادلة أعدائه المبطلين بالتي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين، ووعظ الناس وتنبه غافلهم، وتعليم جاهلهم وتذكير معرضهم، واختيار ما يناسب لإصلاحهم؛ من الكلمات والأوقات والأحوال بما يحقق المصلحة ويدفع المفسدة، ويجلب الخير ويبعد الشر.

فلا أحسن ممن قال: ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به، فهو في نفسه مهتد بما يقوله، مبادر بنفسه إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح الذي يُرضي ربه، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ومع ذلك لديه العزة بإسلامه مفتخر به، مع سرور وابتهاج به وانقياد لأمره، وسلوك طريقه، واتخاذ دينا ومذهباً^(١).

وقيل إن المقصود بقوله تعالى: ﴿مَمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ رسول الله ﷺ، وقيل: صحابته الكرام ﷺ، وقيل: المؤذنون الصُّلَحَاء^(٢)؛ حيث الآية نزلت فيهم، قالت عائشة رضي الله عنها: ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤذنين^(٣)، ويرى كثيرون أن ذلك نظراً؛ لأن الآية مكية والأذان مدني^(٤).

والتحقيق أنها عامة في كل من دعا إلى الله وطاعته، وأولى الناس بذلك الداعية الأول رسول الله ﷺ، الذي بلغ البلاغ المبين، ثم صحبه الكرام، الذين نشروا دين الله ﷻ في بقاع

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٤٦٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٤٩.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٤٦٩، وزاد المسير ٧ / ٢٥٧، وتفسير القرآن العظيم ٧ / ١٧٩.

(٣) ينظر: زاد المسير ٤ / ٥٢، تفسير القرآن العظيم ٧ / ١٨٠، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ٣٢٥.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧ / ١٧٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٤ / ١٢٢.

الأرض، حتى وصل لنا نقيًا من شوائب البدع والخرافات، ثم يأتي بعدهم من تبعهم بإحسان، من الذين قاموا بالدعوة إلى الإسلام في كل زمان ومكان، وأما المؤذنون فهم يدخلون في جملة الداعين إلى الله ﷻ^(١)؛ وذلك حينما ينادون لأعظم الفرائض بعد الشهادتين في كل يوم خمس مرات حي على الصلاة حي على الفلاح.

فالآية الكريمة تدل على أن أحسن الأقوال قولٌ من جمع بين خصال ثلاث:

أولها: الدعوة إلى توحيد الله وطاعته وعبادته، فذلك خير ما يقوله إنسان لإنسان.

وثانيها: العمل الصالح؛ لئلا تخالف حاله مقولته، وليكون قدوة لغيره، مما يجعل المتقادين يزدادون استجابة له.

وثالثها: أن يكون من المسلمين الذين جعلوا دين الله مذهبهم وعقيدتهم، فلا يكون من غير المسلمين، ولا يكون انتسابه للإسلام ادعاءً وكلامًا مجردًا عن الحقيقة، فهذا لا شيء أحسن منه قولاً، ولا أصح منه عقيدة، ولا أوضح منه طريقة، ولا أكثر من عمله ثواباً^(٢).

(١) ينظر: تفسير الرازي ٢٧ / ٥٦٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ١ / ١٩١٨، والكشاف ٤ / ٢٠٥.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٢٧ / ٥٦٨.

بسببها الفلاح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٣)، فإن الله ﷻ لما وصفهم بالخشوع في الصلاة، أتبعه بالإعراض عن اللغو؛ ليجمع لهم بين الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين، هما قاعدتا بناء التكليف^(١)، فوصفهم بأنهم عن الباطل معرضون، فلا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم؛ لأنه مما يكرهه الله ﷻ، فيتركونه تزيهاً لأنفسهم، ورغبة عنه وترفعاً، بل إنهم إذا سمعوا الشتم والأذى من الكفار لم يلتفتوا إليه، ولم يردوا عليهم بما يسيء، ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، وإنما بكلمة حلم على المشركين، وتحية بين المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَهْلِينَ﴾ (القصص: ٥٥)، فلا يريدون طريق الجاهلين ولا يجوبونها، ولا يكونون مثلهم في السوء والسفاهة والجهالة، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، فاستحقوا ثناء الله عليهم في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه، مروا معرضين مسرعين، مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم، والخوض معهم؛ لأنه من الجهالة، وبهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٢)، فإيمانهم يحجزهم عن ساقط الكلام وبذئ القول، وما يُخل بالمروءة والآداب، فيكفون ألسنتهم عن اللغو والمحرمات، إضافة إلى إعراضهم عن اللاغين ومجالس الجهالة، التي فيها معصية الله، وتعرض لمحارمه، وتنقص لعباده^(٣)، ويعرضون عن ذلك في كل أوقاتهم، مشتغلين بعظائم الأمور وجليلها، لا بحقيرها وخبثها.

إن اللغو يجني على الإنسان مصائب عظيمة وشروراً كثيرة؛ على النفس وعند الله وعند خلقه، فكم كان سبباً في العداوات والشقاق، وكم كان سبباً في البعد عن منهج الله والصد

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ١٧٥.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/ ١٠، ومعالم التنزيل ٦/ ٩٩، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ١٢٢.

(٣) ينظر: قوت القلوب ٢/ ١٦٦، والذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٠١، وإحياء علوم الدين ٣/ ٦٩، والكشاف

٣/ ١٧٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤١٦، ودستور الأخلاق في القرآن ص ٦٩٣.

عن سبيله، وكم كان سبباً في تعريض النفس للمخاطر.

إن اللغو من سوء الخلق المتعلق باللسان الذي يعسر إمساكه، فإذا تخلق المؤمن بالإعراض عن اللغو فقد سهل عليه ما هو دون ذلك^(١).

إن الإعراض عن اللغو فيه تربية للسمع على استماع المفيد النافع، وإذا كان لا ينبغي للعاقل أن يُشغل سمعه ولبه بما لا جدوى له فيه، فمن الأولى تزيه لسانه وسلامته من صدور الهفوات؛ فإنه إذا ملك لسانه كان مالكاً لأمره، وحامياً لنفسه مما قد يحل بها من أخطار بسببه، بخلاف ما لو أطلق لها الخيار؛ فإنه سيكون محكوماً لا حاكماً؛ لذا جاء الثناء على المؤمنين بحفظه، واشتملت عليه الوصايا التربوية من النبي ﷺ: لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال له: ((أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا))^(٢).

٣- فِعْلُ الزَّكَاةِ:

وقد اختص به أهل الإيمان، فهم يزكون نفوسهم من الشرك، ودنس الأخلاق ومساوئ الأعمال، فتطيب بتركها وتجنبها، ويؤدون ما فرضه الله عليهم من زكاة عن طيب نفس^(٤)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، مع محبتهم للأموال وحرصهم على جمعها، لكنهم يفعلون ذلك تقرباً لخالقهم، وإعزازاً لدينه، وتفريجاً لحوائج إخوانهم، قال

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٨ / ١٩.

(٢) مُعَاذُ بْنُ جَبَلِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ، الْخَزْرَجِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَسْلَمَ وَلَهُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَحَفِظَ الْقُرْآنَ، وَأَفْتَى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، هُوَ مِنْ أَعْلَمِ الْأُمَّةِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ مُعَلِّمًا، وَمُرْشِدًا، تَوَفَّى فِي الْأُرْدُنِّ، سَنَةَ ١٧ أَوْ ١٨ هـ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. ينظر: حلية الأولياء ١ / ٢٢٨ والإصابة في تمييز الصحابة ٩ / ٢١٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٥ / ١٩٤، وسير أعلام النبلاء ١ / ٤٤٣.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦ / ٣٤٤ رقم ٢٢٠١٦، وابن ماجه، في كتاب الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة ٢ / ١٣١٤ رقم ٣٩٧٣، وسنن الترمذي، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ٥ / ١١ رقم ٢٦١٦، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ ١٠ / ٢١٤ رقم ١١٣٣٠، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح لغيره. ينظر: صحيح الترغيب والترهيب ٣ / ٥٧ رقم ٢٨٦٦.

(٤) ينظر: جامع البيان ١٩ / ١٠، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٤٦٢، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥ / ٣٠٧.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤ - ٢٥].

ولا يتبعونها بما ينقصها، ويفسدها من المن والأذى، مراعين في ذلك الطرق الموصلة إلى الله؛ من الإنفاق في سبيله، وما يعين على إقامة دينه، وما يُعمِّق صلة الرَّحْم من الإنفاق على القَرابة، ومن لهم ظروف خاصة كاليَتامى والمساكين الذين أسكنتهم الحاجة وأذلهم الفقر، فكان هذا الفعل الطيب دليلاً على تقواهم وبرهاناً لإيمانهم، فيخرجون الصدقات والنفقات من نفائس أموالهم، في حال السراء والضراء، والصحة وخشية الفقر^(١)؛ لذا كان الإنفاق بسخاء من أول ما ذكره الله ﷻ من أخلاق هؤلاء المتقين وأخص أفعالهم الطيبة.

لقد جاء التعبير القرآني عن أدائهم للزكاة بأهم ﴿فَعَلُّونَ﴾، ولعل في ذلك إشارة إلى أن الزكاة ليست من نافلة الأعمال التي تصدر عن غير وعى أو شعور من الإنسان، بل لها شأن عظيم يحتاج إلى يقظة كاملة ممن يؤديها، ولذا صار منهم من لا يقتصر على أدائها، بل يبذل جهده في العمل ليكون لديه فائضٌ يؤدي منه الزكاة؛ فلا يعمل على قَدْر حاجته فقط، بل على قَدْر طاقته؛ ليحقق مالا يتصدق منه، ويعطيه من لا يقدر على العمل، ويعز به دين الله ﷻ؛ ولعل هذا من أسرار التعبير بقوله: ﴿فَعَلُّونَ﴾، دون كلمة يؤديون، مع أن التأدية فعل^(٢).

٤ - حِفْظُ^(٣) الْفُرُوجِ^(٤):

وهذا مما امتدح الله به المؤمنين المفلحين، وهو من أعظم أفعالهم الطيبة التي وصفوا بها، حيث حفظوا فروجهم من الدنس، ولزموا بها جانب العفة والطهارة، والبعد عن عما حرمه ربهم ﷻ، فلا يكون منهم عدوان على الأعراض وانتهاك لحرمت الآخريين؛ لأنهم وُفقوا لسلك الصراط المستقيم، فعرفوا أن بذل الفرج في غير وجهه نجاسة، وأن حفظه طهارة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٣، وموسوعة فقه القلوب ١/ ٧٤٤.

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١١٦٣، والتحرير والتنوير ١٨/ ١٢.

(٣) الحِفْظُ: الحراسة، والصيانة. ينظر: الصحاح، مادة: (حفظ) ٣/ ١١٧٢، ومختار الصحاح ص ٧٦.

(٤) الْفَرْجُ: يُطْلَقُ عَلَى الْقَبْلِ وَالذُّبْرِ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْفَرَجٌ مُنْفَتِحٌ. ينظر: تاج العروس، مادة: (فرج) ٦/ ١٤٢.

مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥-٧]، فهم أعفَاء يَكْفُونَ شهواتهم ويمسكونها عن الحرام، ويمنعونها أن توضع في غير ما أُذن فيه شرعاً؛ من الزوجات والإماء، وهم كذلك حافظون لها من الوقوع في الزنا واللواط وأشباههما، وصائون لها بسترها من التكشف، وحاجزون لها بلبس ما يسترها من أبصار الناظرين، فرؤية العورات تدعو إلى الشر وتزرع الفتنة^(١).

إن الفروج في الشريعة الإسلامية محاطة بحراسة قوية متينة، لا يؤذن بالدخول إليها إلا بحساب، وتحت مراقبة شرعية، فلا تبذل ولا تمتهن، ولا تسترخص ولا تستباح كفعل البهائم، فهي شرف الإنسان وعرضه وكرامته، فحتى المواقعة مع الزوجة وملك اليمين لا يطلع عليها أحد سواهما، ولا يَنشران ما حصل بينهما؛ ولعل هذا من أسرار قوله تعالى: ﴿هِنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فكلّ منهما يُجَمَلُ صاحبه بلباس ضاف من الستر والحياء، والحفظ والصيانة^(٢).

إن من شأن الأمة المؤمنة أن تصان فيها الأعراض، وأن يحافظ فيها على الأنساب، وأن توضع فيها الشهوات في مواضعها المشروعة، فمن التمس لفرجه مَنكحاً سوى ما أباحه الله ﷻ فهو متجاوز لحدوده، ملوم بتعديه وولوغه في الحرام المنهي عنه.

وما وُجدت أمة انتشرت فيها الفواحش إلا وكان أمرها فُرطاً، وعاقبتها خُسراً، حيث آثرت الرذيلة على الفضيلة، والنجاسة على الطهارة، والأفعال الخبيث على الأفعال الطيبة.

ولقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن حفظ الفروج وصيانتها؛ تربية للمؤمنين وصيانة لأعراضهم؛ تارة بمدح الحافظين لها أفراداً وجماعات، وتارة بمنع النظر الداعي إليها، وتارة بتحريم الزنا، ومشروعية الحد فيه، وذكر قصص الخبثاء المتجرئين على الأعراض والفضيلة، والمتهكين للحرمة الربانية.

فالإيمان يمنع من وقوع ما يُخل به؛ من النظر إلى العورات، والنساء الأجنبية، وما

(١) ينظر: جامع البيان ١٥٤/١٩، ومعالم التنزيل ٣٢/٦، وبحر الدموع ص ١١٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٣/١٢.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/٦١٧.

يخاف من الفتنة، بسبب النظر إليه^(١)، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٢) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: ٣٠ - ٣١].

فحفظ الأبصار والفروج عن المحرمات أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، وأرفع لمقامهم عند الله، وهو أنفع لهم وأسلم، وأدعى لراحة النفس؛ لما فيه من البعد عن الشر والريبة. إن الله ﷻ عوّض بالحلال وأغنى عن الحرام، فأمر بالزواج ونكاح ما وقع عليه الاختيار من ذوات الدين والمال، والجمال والحسب والنسب، وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن، قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^(٣) [النساء: ٣]، فلإنسان أن يختار قبل النكاح وأن ينظر؛ ليكون على بصيرة من أمره، ومن أحب أن يأخذ اثنتين فليفعل، أو ثلاثاً فليفعل، أو أربعاً فليفعل، إذا أمن على نفسه الجور وعدم الظلم، والقيام بحقوقهن، وإلا فلا ينبغي له أن يُعَدِّد، بل عليه أن يلزم العافية، فإن العافية خير ما أعطي العبد^(٤).

٥- رعاية^(٣) الأمانة^(٤)، والعهد^(٥):

هذه خصال من جلائل أفعال المؤمنين الطيبة التي وصفوا بها، وهما فضيلتان عظيمتان،

(١) ينظر: المنهيات ص ٢٥، وتبنيه الغافلين ص ٣٥٦، والتبصرة ١، ص ٣٦٣، ودستور الأخلاق في القرآن ص ٦٩٣.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٦٣.

(٣) الرِّعَايَةُ: مصدر رَعَى يَرَعَى، وتعني: مراقبة شيء بحفظه، وإصلاح، وحراسته. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (رعى)

٣ / ١٠٤، والمفردات في غريب القرآن ص ٣٥٧.

(٤) الأمانة: ضدّ الخيانة، وهي اسم لما يؤمن عليه الإنسان. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (أمن) ١ / ١٣٨، والمغرب في

ترتيب العرب ص ٢٩.

(٥) العَهْدُ: الميثاق، وكل ما طلب الوفاء به، والأمانة والعهد تشملمان كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً

وفِعْلاً، وهذا يعم معاشرته الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به، والأمانة أعم من العهد؛ لأنها

قد تكون بعهد وبغير عهد، وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد. ينظر: تهذيب اللغة، مادة:

(عهد) ١ / ٩٨، والمحرم الوجيز ٤ / ١٣٧، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٤٨، والجواهر الحسان ٤ / ١٤٢.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨)، وهما مظهر من مظاهر الإنصاف وإعطاء الحقوق، ومغالبة شهوة النفس لأمتعة الدنيا، وقد تَخَلَّقَ بهما أهل الإيمان، فيؤدون جميع الأمانات والعهود المستحقة لله أو لأحد من خلقة على أكمل وجه، وأحسن حال، بحفظ ورعاية، وإصلاح وحرص على القيام بهما، وتنفيذهما من غير إخلال بشيء من حقوقهما، فلا يخونون ولا ينكرون، ولا يُخْفُونَ ما علموه من حقوق الله أو لعباده، ولا ينتقضون شيئاً من العهود التي يعاهدون غيرهم عليها، وإنما يقومون بحفظ ما ائتمنوا عليه من أمانات، ويوفون بعهودهم، وما كلفوا بأدائه مما يتعلق بأمر الدين والدنيا قولاً وفعلاً؛ في العبادة وحقوق الآدميين؛ في الأموال والودائع، والأسرار والمواعيد، وغير ذلك مما تنبغي المحافظة عليه، من غير بخرس أو تطفيف أو تحريف، ومن غير تقصير أو تقاعس يتنافى مع ما يرضى رب العزة والجلال، فالمسلم الموفق يراعي الأمرين وأداء الأمانتين إلى مستحقيهما، امتثالاً للأمر الرباني القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمْتِنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقد أسند الأمر إليه مع تأكيده؛ اهتماماً بالمأمور به، وحرصاً للناس على أداء ما يؤتمنون عليه^(١).

وهذه حال المدوحين من المؤمنين المفلحين يحفظون ويؤدّون، ويتعاهدون ما ألزمهم الله به، وما أوجبه عليهم من حقوقه وحقوق خلقه، فإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أحداً أوفوا والتزموا، لا كحال المنافقين الخائنين للأمانات الغادرين بالعهود، الواقعين فيما نهى الله عنه في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْتِنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الأمانة حمل ثقيل اعتذر عن حملها عظام المخلوقات، وتصدى لحملها الإنسان الضعيف الظلوم الجهول، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، فأمانة التكليف، والاستجابة للأمر والنهي الرباني أعظم الأمانات، فلا مجال للتفريط والإهمال ما دام الإنسان قد قبلها وتحملها.

(١) ينظر: جامع البيان ١٩/ ١١، ومعالم التنزيل ٥/ ٤١٠، وقوت القلوب ١/ ١٩٤، والمحرم الوجيز ٤/ ١٦٨.

إن غالب الأمانات تكون من نفائس الأشياء التي تحتاج إلى حفظ وصيانة، ويخشى عليها صاحبها من الضياع والتلف، فيجعلها عند من يظن فيه أنه أهل لتحمُّلها وأدائها، وفي الغالب أنها تكون على حال انفراد بين المؤمن والأمين، وعارية من الشهود، وقد تُعْري نَفَاسَتَهَا^(١) بقبولها، ثم التمسك بها وجحدها، فكان حفظها وردّها من صفات المؤمنين، وأفضل أفعالهم الطيبة، التي حصل لهم الفلاح بسببها^(٢).

أما الوفاء بالعهد فهو استجابة لأمر الله ﷻ به، وهو مظهر لخلق العدل في المعاملة والإنصاف من النفس، بأن يذلل لأخيه ما يجب لنفسه من الوفاء، وهو من أعظم الأخلاق الكريمة، وأفعال المؤمنين الطيبة التي أثنى الله عليهم بها في قوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بَعْدَهُ اللَّهُ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد: ٢٠]، إضافة إلى أن الوفاء بالعهد يدل على شرف النفس، وقوة العزيمة، وذلك أن الإنسان قد يلتزم لآخر بعمل عظيم، فيتوجه إليه الالتزام والوفاء بعهده، وقد يصعب عليه أن يؤديه بدون نفع مقابل، فتسول له نفسه الشح وضعف العزيمة؛ فلذلك كان الوفاء بالعهد علامة على الإيمان، وعظم النفس وكرمها^(٣)، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

ومن أجل التأكيد على رعايته وحفظه جاء تخصيصه وذكره مع الأمانة في سورتي المؤمنون، والمعارج؛ تنبيهاً على عظمته ووجوب رعايته وأنه من أعظم الأمانات^(٤).

إنه من المعلوم أنه لا تستقيم حياة أمة من الأمم إلا إذا أدت فيها الأمانات، وحفظت فيها العهود والعقود، واطمأن كل صاحب حق إلى وصوله إليه، وقد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، فإكمالها وإتمامها والوفاء بها وعدم نقضها ونقصها من علامات الإيمان، وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، والتي بينه وبين الوالدين

(١) النَّفَاسَةُ: تعني الجيّد العظيم القدر، أو الثمين. ينظر: تاج العروس، مادة: (نفس) ١٦ / ٥٧٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٨ / ١٦، ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٣ / ٥٢٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٨ / ١٧.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٣ / ١٠٩.

والأقارب؛ برهم وصلتهم وعدم قطيعتهم، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين سائر الخلق، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها^(١)، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

٦- إقامة^(٢) الشهادة^(٣):

هذه صفة من صفات المؤمنين، وأفعالهم الطيبة الحميدة التي ذكرها الله ﷻ في تعداد محاسنهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]؛ لأنهم يؤدون الشهادة على أتم وجه وأعدله، بما يُحق الحق ويبطل الباطل مع الاهتمام بشأنها وحفظها وأدائها على الوجه الذي يحبه الله ﷻ، حيث جاءت هذه الآية في معرض مدحهم وإخراجهم من وصف: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]، ومفهوم الآية يدل على أن غير القائمين بشهاداتهم غير خارجين من ذلك الوصف الذميمة، وقد دلت آيات صريحة على هذا المفهوم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۗ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦]، وقال في معرض المدح في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]^(٤)، فهم محافظون عليها، قائمون بأدائها بالحق، لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها، بل يؤدونها حيث يلزمهم أدائها غير مُغَيَّرة ولا مبدلة، ولا يشهدون إلا بعد التحقق والتأكد، ويبادرون إلى أدائها عند طلبها من غير امتناع ولا كتمان^(٥).

(١) ينظر: رياضة النفس ص ٥٠، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢١٨، والتصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية ص ١٦٩.

(٢) الإقامة: الحفظ، والإظهار، والأداء، والعمل. ينظر: المفردات ص ٦٩٠، ومختار الصحاح، مادة: (أقام) ص ٢٦٣.

(٣) الشهادة: الخبر القاطع عن إدراك للشيء من جهة سمع أو رؤية. ينظر: الفروق اللغوية ص ٩٦، والصحاح، مادة:

(شَهِدَ) ٣/٤٩٤، وتاج العروس ٨/٢٥٢.

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/٢٩٦.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/٦١٨، وتفسير القرآن العظيم ٨/٢٢٧، والتحرير والتنوير ٢٩/١٧٤.

إن أداء الشهادة قد يشق على النفس؛ فقد يكون المشهود عليه قريباً أو صديقاً، وقد تثير على الشاهد بغضاً وعداوة، ولكنها أمانة يجب أداؤها وإن لم تطلب، خاصة إذا خيف ضياع الحق أو فواته، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، وهذا من نصرة المظلوم، واستخراج حقه من الظالم^(١)؛ ولذا جاء النص عليها، وإفرادها بالذكر مع كونها من جملة الأمانات؛ إبانة لفضلها وتبيينها لمكانتها؛ لأن في إقامتها إحياء للحقوق، وحفظاً لها^(٢).

ولقد أمر الله ﷻ أن يكون القيام بها خالصاً له، لا مراعاة لمشهود له، ولا مشهود عليه، فلا يلحظ فيها سوى إقامة الحق، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، وبذلك تكون صحيحة عادلة حقاً، خالية من التحريف والتبديل والكتمان؛ فالشاهد لا بد أن يقول الحق، ولو كان على النفس أو أحد من القرابة، والله ﷻ سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه، فإن الحق مقدم على كل أحد، وهو حاكم الجميع^(٣)، فلا يراعى قريب لقرابته، ولا صديق لصدافته، ولا غني لغناه، ولا يشفق على فقير لفقره، فالله يتولاهما، وهو أعلم بما فيه صلاحهما، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْإِقْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

الشهادة ليس فيها مجال للهوى والعصبية، وحب الشخص وبغضه، فكل هذه الأمور مُطْرَحَةٌ شرعاً، ويجب ألا تؤثر في أداء الشهادة، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]^(٤).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٩٩، وأخلاق الشباب المسلم ص ٢٧.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦١٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/ ٣٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٢٧٩، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٣٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٢٤٠٢.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٤٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤١، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٩١.

وهذه حال صفات عباد الرحمن، فإذا كانت عندهم شهادة، ورأوا حقاً يترك، أو حرمة لله تنتهك قاموا بشهادتهم، على من كانت عليه من غير تأخير أو مماطلة.

فالله سُبْحَانَهُ جعل الشهادة وسيلة لإحقاق الحق ورفع النزاع؛ لذا تحدث القرآن الكريم عن أنواع من الشهادات في مواطن كثيرة، منها الشهادة بتبليغ الرسالة، والشهادة على الأعمال، والشهادة في الحقوق المتعلقة بالأموال؛ كالبيع وكتابة الدين، ودفع مال اليتيم إليه إذا رشد، وفي الحقوق المتعلقة بالأعراض؛ كإقامة الحدود، والطلاق والرجعة، والوصية عند الموت، وكلها مواطن هامة تتعلق بحق الله وحق العباد من حفظ للمال، والعرض والنسب، وفي حق الحي والميت واليتيم، فهي في شتى مصالح الأمة؛ لذا استوجبت الحث على القيام بها بكل عدل وصدق، وأمانة وإخلاص لله سُبْحَانَهُ.

٧- كَظْمٌ^(١)، الْغَيْظُ^(٢)، وَالْعَفْوُ:

كلاهما من أفعال المتقين التي تميزوا بها، ومن أخص صفاتهم التي أثنى الله سُبْحَانَهُ عليهم بها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وفي آية أخرى جاء الثناء عليهم بالمغفرة عند الغضب، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

فإذا ثار بهم الغيظ لم يُظهروه، بل كتموه وردوه في أجوافهم، ولم يُعملوه مع القدرة على إمضائه، وعَفَوْا مع ذلك عن أساء إليهم؛ محتسبين ذلك عند الكريم الوهاب^(٣)، وهذا من جهادهم لأنفسهم، وتأديبها على الأخلاق الفاضلة والأفعال الطيبة.

(١) الكَظْمُ: الإمساك والتحمل، والصبر عليه، مع القدرة على إمضائه. ينظر: تهذيب اللغة ٩٣ / ١٠، ومقاييس اللغة،

مادة: (كظم) ١٨٤ / ٥، والصحاح ٢٠٢٢ / ٥.

(٢) الْغَيْظُ: أشد الغضب، وهو حرارة يجدها الإنسان من فوران دم قلبه. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (غَيْظَ) ٩٣٢ / ٢،

والمفردات في غريب القرآن ص ٦١٩.

(٣) ينظر: معالم التنزيل ١٠٥ / ٢، وأدب المجالسة وحمد اللسان ص ١١٥، والبحر المحيط ٤٠٠ / ٣، وتفسير القرآن

العظيم ١١٩ / ٢، والتصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ص ١٥٧.

ولعل الآية الأولى تشير إلى ثلاث مراحل: أولاها كظم الغيظ، ثم إخراجه وتطهير النفس منه، وإحلال العفو بدلاً منه كأن شيئاً لم يحدث، ثم الإحسان إلى المسيء، فبذلك يرتقي إلى مقام من يجبههم الله وهم المحسنون، فالكظم درجة، والعفو درجة أعلى منه؛ وذلك أن الذي تلقى الإساءة وهو قادر على مقابلتها بمثلها ثم أمسك عن الرد وكظم في نفسه ما أثارته الإساءة في مشاعره من غيظ ونقمة هو على درجة من التقوى والإحسان، أما إذا ذهب إلى أكثر من هذا، فمسح ما بصدرة من غيظ ونقمة، وأظهر العفو والمغفرة، فهو على حظ أكبر من الإحسان والتقوى، وأرفع من هذا درجة، وأعلى مقاماً ذلك الذي يدفع السيئة بالإحسان إليه، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَمْ يُعْطِ الدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الرعد: ٢٢]، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الفصص: ٥٤].

إن الإسلام لم يتجاهل المشاعر الإنسانية، ولم يصادم الطباع البشرية، عندما طلب من المؤمنين أن يحسنوا لمن أساء إليهم، فالذي يعن النظر ويدقق الفهم في آيات القرآن الكريم يعرف أن الإسلام قد أعطى المؤمن الحق في الطبع البشري حين قال: ﴿وَإِن عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، ولكنه أرشده إلى الرقي حين العقاب، فهو إما أن يعاقب بمثل ما عوقب به، وإما أن يرتقي أكثر ويستجيب للخير في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهٗوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، فيحاول كتمان الانفعال في النفس، فلا يجعله غالباً على حسن سلوكه، وتدبيره وتصرفاته.

ومن أراد عفو الله فليعف عن عبده، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

ومن لم يعف وأخذ بما تملي عليه نفسه حين الغضب فإنه يدخل في إملاءات الشيطان، وينفذ تصرفاته، فلربما تجاوز حده وبالغ في العقوبة، والطرف الآخر كذلك، حين امتلاء كل واحد منهما تجاه الآخر بالحدة والغضب، فعظمت المشاكل، وكان لكل منهما أنصار

وأعوان، وقد يظل الغيظ نامياً على مدى الأيام، متجدداً كلما رأى الإنسان خصمه أمامه، ولربما ورثه أجيال من أبناء وأحفاد، وبعد أن تهدأ العاصفة يحصل الندم والأسى على ما حصل، ويعلم الجميع أن ذلك كان في غياب من الحكمة، والأخذ بأسباب الوقاية الشرعية، وأن المعركة كانت بأز من الشيطان الرجيم، وقد كان يكفيهم أن يتعوذوا بالله منه.

إن أقوى القوى تأثيراً على النفس القوّة الغاضبة فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها - مع الامتلاء منها - دلّ ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وقهر لإرادتها، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة^(١).

فالمؤمنون حينما يطمسون آثار الإساءة بالحلم والتجاوز، مع قدرتهم على إنفاذ ما في قلوبهم فإنهم بذلك يسجلون أعلى مقامات الرقي الأخلاقي؛ لأن ذلك لا يصدر إلا من قلوب حية بنور التريل، وقلوب صافية تصدق بموعود الله؛ ولذلك جادت بهذه الأفعال الطيبة المجيدة، التي تُنبئ عن علو وحسن في صفتهم، وكرم أخلاقي متأصل في أنفسهم، فاعتلوا به أعالي القمم، فحصلوا على صفة من صفات المتقين أهل الجنة، ونالوا محبة الله بإحسانهم، ومن الذي لا يرغب في حب الله؟!.

ولهذا ينبغي للمسلم أن يُعوّد نفسه على العفو والإحسان ومعالي الأمور، والرقي بها لأعلى درجات المعاملة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، وليكون عفوهم وصفحه جميلاً حسناً، سالماً من الحقد والأذية القولية والفعلية، كائناً في محله، فيه مقابلة للإساءة بالإحسان، والذنب بالغفران، بخلاف الصفح الذي في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين، الذين لا تنفع فيهم إلا العقوبة، قال تعالى: ﴿فَأَصْفِحْ أَلصَّفْحَ الْجَمِيلِ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وهذا من مكارم الأخلاق، التي أمر الله رسوله بها، فلا تقابل إساءة الأعداء بمثلها، ولكن تدفع إساءتهم بالإحسان؛ لما في ذلك من تخفيف الإساءة عن النفس، ولكون ذلك ادعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٩١ / ٤.

ندمه وأسفه، ورجوعه عما فعل، فيحصل للعافي الاتصاف بصفة الإحسان، وقهر الشيطان، والثواب من الرحمن، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] (١).

٨- التَّوْبَةُ:

فإنَّه ﷻ يجب عباده الذين يكثرون الرجوع إليه، ويسارعون إليه إذا ما ظلموا أنفسهم بسيئة من السيئات، ويجب الذين يصونون أنفسهم، ويتزهدون من إتيان المنكر؛ من الذنوب والآثام، والأخلاق الرذيلة والأفعال الخبيثة، وسائر الأنجاس والأحداث (٢).

وهو ﷻ يجب المغفرة وإن كره معاصي عباده، ويجب السُّرَّ وإن كره ما يستر عبده عليه، ويجب العفو وإن كره ما يعفو عنه من الأوزار، ويجب التوايين وتوبتهم وإن كره معاصيهم (٣).

لقد مدح المتقين وبين أفعالهم الطيبة، وصفاتهم الحميدة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَكَمُ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فكلما صدر منهم ذنب، أو وقعت منهم زلَّة لم يُقيموا عليها، بل أحدثوا لها توبة، وأتبعوها استغفاراً.

وهذه صفة المؤمن، يذكر الله وعظمته، وقدره وجلاله، ووعيده على ما أتى من معصيته فيخاف منه، ويوجل قلبه، فيعود على نفسه باللائمة، فيفعل أوامر ربه ويترك زواجره، فيحلم الله ﷻ عليه ويرحمه، ويكرمه ويجود عليه بالتوبة والمغفرة (٤)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، ففي هذه الآية دعوة إلى التزام الطريق القويم لمن انحرف عنه، وإشعار بأن باب التوبة مفتوح لمن أناب

(١) ينظر: ميزان العمل ص ٢٣٣، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤٣٤ و ٥٥٨، والعملية الإرشادية ص ٤٦٢.

(٢) ينظر: الكشف ١ / ٢٩٤، والتسهيل لعلوم التنزيل ١ / ١١٢، وتفسير القرآن الحكيم ٦ / ٢١٥.

(٣) ينظر: روضة المحبين ١ / ٦٣، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ٢ / ٥٩٠، وبقظة أولي الاعتبار ص ٢٤١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧ / ٢١٩، وتفسير القرآن العظيم ٢ / ١٢٣.

إلى الله ﷻ، والتزم حدوده، وهذا من رحمته بعباده أن فتح لهم بابها ورغبتهم فيها، وما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، بل إنه ﷻ حثهم عليها، وناداهم إليها، قال تعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، فأمر عباده أن يتوبوا إليه توبة صادقة خالصة، تتسم بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العودة إليه مرة أخرى، ورد الحقوق لأصحابها.

لقد جعل الله ﷻ أهل التوبة في أعلى المقامات، ووعدهم لها الجنات، فأحب التوابين الذين كلما عملوا ذنباً أحدثوا له توبة، بل رغب الكافرين بالمغفرة لما سلف منهم من عظام الذنوب التي أشدها جحد حقه وتفرد به بالعبادة، فقال للذين جعلوه ثالث ثلاثة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]، وأمر رسوله ﷺ أن يقول لعموم الكافرين: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

فهو ﷻ يهدي إلى التوبة ويعفو، وهو عظيم الرحمة بعباده التوابين، فمن زل وهفا، ثم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، فإنه الله يعفر له، فهو: ﴿الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، وهو ﴿وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] وهو ﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وجعل ملائكته يستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]، فلا يقبل توبة التائبين ويغفر ذنوب المذنبين ويمسح خطايا المخطئين إلا هو، فهو مفرع المذنبين بفضله وكرمه، بل إنه جعل التائب من ذنبه كمن لا ذنب له، قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وفي هذا تطيب لنفوس العباد، وتنشيط لهم على التوبة وبعث عليها، وردع عن اليأس والقنوط^(١)، وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجلُّ، وكرمه أعظم.

(١) القنوط: اليأس من الخير. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (قَنَطَ) ٢٥ / ٩، والمفردات في غريب القرآن ص ٦٨٥.

وليس مصيبة الإنسان في أن يخطئ ويَزِل، فالإنسان بحكم بشريته عرضة للخطأ والزلل، ولكن المصيبة ألا يتأثم من الإثم ولا يتحرج من الانحراف، فيقيم على إثمه ويُصر على انحرافه، وليس يستنقذ الإنسان من أن يحيط به ذنبه إلا أن يرجع إلى الله من قريب، وأن يلقاه نادماً تائباً، فهناك يجد من ربه الرحمة والمغفرة والمحبة؛ ليتطهر من كل أذى يمسّ جسده وروحه.

وكما أن الله رحم بعض خلقه من المعاصي بحفظهم منها، فقد شرع لهم التوبة لأهم لا يسلمون من عمل السوء، فلو لم يكن للعاصي توبة لفسد الناس وهلكوا، وانهمكوا في المعاصي والسيئات، واتباع الهوى وخطوات الشيطان، إذ لا فائدة حينئذٍ من مجاهدة نفسه وتزكيتها، أما وقد شرع الله ﷻ بحكمته قبول التوبة، فقد فتح لهم باب الفضيلة، وهداهم إلى محو السيئة بالحسنة؛ بهدف إصلاح الكون، وحتى لا يستمر الغافل عن منهج الله على ضياعه وفساده، فاقداً للأمل في الإصلاح، متمادياً في غيه وطغيانه؛ فيضر نفسه ويتأذى منه المجتمع، فهي وسيلة صلاح للإنسان؛ لينعم بمحبة الله وعفوه وجزائه، وهي رحمة للمجتمع من شقائه بالعصاة وشرورهم.

فالتوبة مما يفتح للمؤمن الطريق إلى أن يكون في الطاهرين الطيبين الزاكين، وهي الباب الواسع للراغبين في الطهر والتقاء، الذي يدخل منه الآثمون جميعاً إلى رحمة الله ومغفرته؛ وذلك بالانخلاع عما هم فيه من المنكرات، والرجوع إلى الله والتقرب إليه؛ بالعبادات والطاعات، فمن صحت توبته، صار نقياً طاهراً، كيوم ولدته أمه^(١).

إن وقوع الذنب المتعقب بالتوبة والاستغفار لا يقدر في كون التائب من الأبرار الأتقياء، ولا يلحقه بذلك وعيد في الآخرة^(٢)، قال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥].

إن الله ﷻ قد مدح هؤلاء الذين يبادرون إلى التوبة والتطهر من جرائمهم، بخلاف الذين يُغرقون أنفسهم في الآثام مادامت تناسبهم الظروف وتسعفهم الأحوال، فيستخفون

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤/ ٣٦٦.

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية ٢/ ٢٥٥.

فيها، والتي تعقم ما مرت عليه^(١).

فحيث كانت في سياق الرحمة أتت مجموعة، وحيث وقعت في سياق العذاب جاءت مفردة، وهذا الاطراد في الآيات إنما هو اطراد أغلي في رياح البر دون ربح البحر، حيث قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، فذكر ربح الرحمة الطيبة بلفظ الأفراد؛ لأن تمام الرحمة هناك إنما تحصل بالربح الواحدة؛ فإن السفينة لا تسير إلا بربح واحدة، من وجه واحد في سيرها، فإذا اختلفت عليها الرياح، تصادمت وتقابلت، ولم يتم سيرها واتزانها، واتحاد جهتها، فكان ذلك من أسباب الهلاك والغرق، فالمقصود منها في البحر خلاف المقصود منها في البر؛ إذ المقصود في البحر أن تكون واحدة طيبة، لا يعارضها شيء، فأفردت هنا وجمعت هناك^(٢)، وهذا ما أكده الوصف لها في قوله تعالى: ﴿بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ ليزول الاشتراك بينها وبين ربح العذاب، وليندفع التوهم أن تكون ريحاً عاصفة بل هي مما يفرح بها لطيبها^(٣).

ولقد ضرب الله ﷻ للناس في هذه الآية مثلاً من واقعهم الذي يعاملون به خالقهم، فبينما هم في السفينة التي سخرها لهم، وهي تجري بمن فيها، بسبب ربح رخاء، موافقة لما يهوونه جهة سيرهم، من غير انزعاج ولا مشقة، وفرحوا بما هم فيه من راحة وهدوء فوجئوا بربح شديدة قوية، فاضطرب البحر وهاج، وتموج سطحه من كل جانب، وهنا عرفوا أن الهلاك حاصل لا محالة، فقد نزلت بهم نذره، وتقطعت بهم الأسباب، فانقطع حينئذ تعلقهم بالملخوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، دعوا الله مخلصين له الدين،

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٨٧، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ٤١٢.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ٤١٢، والمفردات في غريب القرآن ص ٣٧٠، ومفتاح دار

السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١/ ٢٠١، والإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٦٢، وروح المعاني ١١/ ٥١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١/ ٦٤١، وبدائع الفوائد ص ١١٩.

بمحارم الله، ويهجمون عليها من غير تخرج ولا تأثم، ويبيتون معها ويصبحون عليها، دون أن يكون لهم مع أنفسهم حساب أو مراجعة، فيقطعون العمر في الصدّ عن سبيل الله، وصحبة الفواحش والقاذورات والموبقات، حتى إذا ما بلغت الروح الحلقوم وغرغرت^(١)، وحشرجت^(٢) بما صدورهم، وأطلّ عليهم الموت فزعوا وكرّبوا، وألقوا بهذا الزاد الخبيث من أيديهم، وقالوا: تبنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا من هذه المنكرات، فهذه توبة قد فات محلها فلم تجئ في وقتها، وليست من قلب مطمئن، وعقل مدرك، يحاسب ويراجع ويأخذ ويدع، ولكنها توبة الياثس الذي لا يجد أمامه طريقاً غير هذا الطريق، ولا وجه أمامه للنجاة غيرها، إنما التوبة ساعة الموت، فعلها فرعون من قبل حين أدركه الغرق فردّها الله وَعَلَىٰ، ولم يقبلها منه، وقيل له: ﴿ءَالْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]^(٣).

٩- التَّطَهُّرُ:

وهو من الصفات، والأفعال التي يحبها الله، ويجب المتصفين بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]^(٤)، وقال تعالى مشياً على أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

بل إن الله وَعَلَىٰ أمر رسوله بالتطهر منذ بداية الرسالة، فقال تعالى: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ [٤]، [المدرثر: ٤]، إنه أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الذنب والآثام^(٥)، والتزهر من الأفعال الخبيثة والأخلاق المذمومة، وما يستهجن من العادات السيئة، والغالب أن من طهر باطنه ونقاها عني بتطهير الظاهر وتنقيته؛ لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن، والمؤمن الطيب

(١) الغرغرة: «تَرَدُّدُ الرُّوحِ فِي الْحَلْقِ». تاج العروس، مادة: (غرر) ١٣ / ٢٣٠.

(٢) الحشرجة: «الغَرغَرَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَتَرَدُّدُ النَّفْسِ». تاج العروس، مادة: (حشرج) ٥ / ٤٨٣.

(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٢ / ٧٢٧.

(٤) لعل في تقديم من أذنب على من لم يذنب فائدة، وهي: عدم فنوط التائب من الرحمة، وعدم إعجاب المتطهر

بنفسه. ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٩١.

(٥) قال السدّي: «يقال للرجل إذا كان صالحاً: إن لظاهر الثياب، وإذا كان فاجراً إنه لخبث الثياب». معالم التنزيل

يخالف المشركين الخبيثاء الذين خبثت بواطنهم فتلوثت ظواهرهم بالنجاسات.

المؤمن حريص على الطهارة والنظافة، وإذا كان مترهاً نفسه لمعبوده فإنه يأبى إلا اجتناب الخبث، وإيثار الطهر في كل شيء، ولن يقف بين يدي ربه إلا بثياب طاهرة من النجاسات والقاذورات، ونقية من كل مكسب محرم خبيث، ولا ريب أن ذلك من جملة التطهير المأمور به، إذ به تمام إصلاح الأعمال والأخلاق^(١).

ومن فضله ورحمته أن جعل لعباده مُطَهَّرًا يتطهرون به من آثامهم التي علق بهم، وذلك عن طريق العبادات والقربات، فالصلاة مطهرة لما بين الفريضة، والزكاة مطهرة للمال، قال تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣]، وهكذا الصوم والحج، وكل طاعة هي مما يتطهر به الإنسان، ويتزكى من ذنوبه وآثامه.

إن التطهر من سمات المؤمنين الذين تطهرت قلوبهم من غير خالقهم، وحفظوا أنفسهم من أن يلوثوا أعراضهم بالفواحش والموبقات، ومن أن يغشوا أماكن العهر والفجور، وهذا ما شهد لهم به أعداؤهم الخبيثاء الذين قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهَرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

أما أهل البيت النبوي الكريم فقد جاءهم التزكية الربانية والشهادة الإلهية بأنهم أطهار شرفاء، كما قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]^(٢).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ١٢، تفسير القرآن الكريم ص ٥٥٧.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٥٢٦، ومحاسن التأويل ٨ / ٧٢.

لئن فرّج عنهم، أن يكونوا شاكرين، فلا يتوجهون في تفريج كرباتهم وقضاء حاجتهم إلى وثن أو صنم، ولا إلى وليّ أو نبي؛ بل لله وحده، فلما أنجاهم من تلك الشدة عادوا لضلالهم، ولم يلتزموا بوعدهم، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، ولا يملك لهم نفعاً ولا ضرراً، بعد أن اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق إلا هو^(١).

فسبحان الله، ما أكفرهم؟! فهلا أخلصوا له العبادة في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة؟!.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، إيماء إلى أن مجيء العاصفة حدث فجأة من دون توقع حصولها؛ ليخوفهم ويذكرهم قدرته ووحدانيته^(٢).

وفي الآية التفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة؛ ولعل ذلك من أجل المبالغة «كأنه يذكّر لغيرهم حالهم؛ ليُعجِبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار والتوبيخ»^(٣).

وفي الآية دليل على أن المضطرّ يجاب دعأؤه وإن كان كافراً، وأن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة، وما شابهها.

كما أن فيها إيماء إلى أن الناس جُبلوا على الرجوع إلى الله حين الضيقة والشدّة، فإعجاباً لما حدث في الإسلام من طوائف ومذاهب ضلت عن الهدى، وانحرفت صراط الله المستقيم، فاعتقدوا أن للأموات وأضرحة الأولياء والصالحين قدرةً على جلب النفع ودفع الضرر، فإذا عرضت لهم شدة وحاجة دعوهم، واستغاثوا بهم، مما جعلهم أسوأ حالاً من مشركي الجاهلية الذين يُخلِصون لله في حال شدتهم، متكئين في بدعياتهم، وشركياتهم على تأويلات بعض علماء الضلالة، ويسمونهم توسلاً وتبركاً، ويدافعون عنهم، ويغرّونهم بمواصلة شركهم وبدعهم، ولا سيما أهل التعصب والمتنعين؛ من أصحاب المشاهد الذين يتمتعون بأوقافها ونذورها، عياداً بالله من عمى القلوب، وضلالها!.

(١) ينظر: البحر المحيط ٥ / ١٤١، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٦٨، وتفسير المراغي ١١ / ٨٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١١ / ١٣٧.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢ / ٣٢٣.

المبحث السابع: الطيب من عموم المخلوقات في القرآن الكريم:

المتدبر للقرآن الكريم، والناظر في هذا الكون بتفكير يدرك عظيم صنع الله الذي أتقن هذه المخلوقات، فهي قائمة على أحسن نظام وأكمله، بلا اختلاف ولا تنافر أو خلل، فلها من الصورة والشكل ما يطابق كمالها والمنفعة المنوطة بها، ولها ما يتناسب مع جنسها، وما يصلح لها؛ من العبادات، والمآكل والمشارب، والمناكح، والأعمال والتصرفات، والله حكيم عليم^(١).

وقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلى مجموعة من هذه المخلوقات واصفاً لها بالحسن والطيب، وعظيم النفع، وكثرة البركة والفضل، مع الحث على الاستفادة منها فيما يقرب إلى الله، وبيان فوائدها ومنافعها، وما يوثق الصلة بخالقها، ومن ذلك:

١ - الصَّعِيدُ^(٢) الطَّيِّبُ:

امتن الله على هذه الأمة بمشروعية التيمم على كل ما تصاعد على وجه الأرض من الطاهرات، بدلاً عن الماء حين المشقة، أو جود الضرر باستعماله، أو في حالة عدم وجوده، وخاصة السفر؛ فإنه مظنة فقدته^(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

ويتكرر هذا التشريع في سورة المائدة؛ تذكيراً بيسر الشريعة، ودلالة على سماحة هذا الدين، وعظيم منة الله ﷻ على عباده وتوسعته عليهم، وأنه لم يجعل عليهم في شرائعه من حرج ولا مشقة، وإنما هو رحمة وهداية؛ ليطهرهم وليتم نعمته عليهم، فيعبده ويشكروه.

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٥٤، وتفسير القرآن العظيم ٨ / ١٧٧، وأضواء البيان ٤ / ١٩.
 (٢) الصَّعِيدُ: فيه أقوال متعددة، فقيل: الأرض بعينها، أو كل تراب طيب، أو ماله غبار، أو ما صعد على وجه الأرض، تراباً أو غيره. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (صعد) ٣ / ٢٨٧، وتاج العروس ٨ / ٢٨٣.
 (٣) ينظر: أحكام القرآن للطحاوي ١ / ٨٩، وأحكام القرآن للخصاص ٤ / ٢، وأحكام القرآن للشافعي ١ / ٤٨، وأحكام القرآن للكنيا الهراسي ٣ / ٥٠، والجامع لأحكام القرآن ٥ / ٢١٩.

وما تضمنته الآية من رخصة التطهر بالصعيد الطيب، قد جاء تأكيده وإرشاد النبي ﷺ إليه، كما في حديث أبي ذر^(١) رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءَ الْمُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ، وَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيُمِسَّهُ بَشْرَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ خَيْرٌ))^(٢).

ولعل الإشارة إلى الصعيد؛ لمظنة أنه بمنأى من الخبث والقذر، حيث يعلو عن استعمال الناس، والتلوث بالقاذورات.

وليس المراد مجرد العلوّ لاختيار المكان الذي يُمسح منه، وإنما القصد أن يكون طيباً طاهراً، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿صَعِيداً طَيِّباً﴾، قيداً للصفة التي يكون عليها هذا الصعيد وهو أن يكون طيباً، إذ قد يكون صعيداً، ولكنه ملوث بالخبث والقذر^(٣).

ولقد ختم ربنا ﷻ الآية ببشارة لعبادة بأنه كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله، ومن عفوه ومغفرته أن شرع لعباده الطهارة بالتراب بدل الماء، وأن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليها ووعدهم مغفرة ذنوبهم^(٤)، فلو أتاه المؤمن بقُرَاب^(٥) الأرض خطايا، ثم لَقِيَهُ لا يشرك به شيئاً، لأتاه بقُرَابِهَا مغفرة^(٦).

(١) أبو ذر: جُنْدُب بن جُنَادَةَ بن سُفْيَانَ الغِفَارِي، أحد السابقين الأولين، هاجر وجاهد، كان من نجباء أصحاب محمد ﷺ، ومفتياً في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، وكان رأساً في الزهد والصدق، والعلم والعمل، قوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأحب الوحدة، فأذن له عثمان رضي الله عنه بالخروج إلى الرَبْدَةَ، وكانت وفاته سنة ٣٢هـ. ينظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٢١٩، وحلية الأولياء ١/ ١٥٦، والإصابة ١١/ ١١٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣٥/ ٢٩٧ رقم ٢١٣٧١، والترمذي، في كتاب الطهارة، باب ما جاء في التيمم للجنب إن لم يجد الماء ١/ ٢١١، رقم ١٢٤، والنسائي، في كتاب المياه، باب الصلوات بتيمم واحد ١/ ١٧١، رقم ٣٢٢، قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/ ١٥٢ رقم ١٥٣.

(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٣/ ٨٠٠.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٣٨٥، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٠٨، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٧٩.

(٥) أي: «بما يُقَارِبُ مَلاَهَا». النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٤.

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد ٣٥/ ٢٤٣ رقم ٢١٣١٥، والترمذي، في كتاب الدعوات، باب الحديث القدسي (يا ابن آدم إنك ما دعوتني...) ٥/ ٥٤٨ رقم ٣٥٤٠، والدارمي، في كتاب الرِّقَاق، باب إذا تقرب =

٣- الملائكة^(١) الكرام البررة:

عالم غيبي كريم، كله طهر، وتقى ونقاء، خلقهم الله ﷻ من نور، وجعلهم مستديمين لعبادته، منقادين لأوامره بلا تأخير أو عصيان^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقد شرع الله ﷻ لنا السجود عند تلاوة هذه الآية أو استماعها إرغاماً للمشركين، واقتداءً بالملائكة المقربين، ولكل مؤمن أسوة حسنة بخواص ملائكته، وأقرب المقربين عنده تبارك اسمه وتعالى جده^(٣).

والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، ويتضمن: التصديق بوجودهم وأسمائهم، وإنزالهم منازلهم، وبأعمالهم التي يقومون بها في هذا الكون، وأنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، وليس لهم من خصائص الألوهية أو الكون شيء^(٤).

ولقد تحدث القرآن الكريم كثيراً، عن خلقهم، وكثرتهم، وأسماء بعضهم، وأحوالهم مع المؤمنين والكافرين، وأعمالهم، وموقف المشركين منهم.

فخلقهم عجيب، على تفاوت فيه؛ فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [فاطر: ١].

أما جبريل ﷺ فله ستمائة جناح، كل واحد منها قد سد الأفق^(٥)، وقد وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿عَلَمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ ﴿ذُومِرَةً فَأَسْتَوَىٰ﴾ ﴿٦﴾ [النجم: ٥ - ٦]، يعني: ذو قوة، وهيئة

(١) الملائكة: جمع ملك: مشتق من ألك، وقيل: من لأك، أي: أرسل، ويقال: من الملائكة ملك، ومن البشر ملك.

ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/ ٢٥٠، وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٥٢٤.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣١٤.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٣٩، وتفسير القرآن الحكيم ٩/ ٤٦٥.

(٤) ينظر: عالم الملائكة الأبرار ص ٨، والحق المبين في معرفة الملائكة المقربين ص ١١٩.

(٥) كما في مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ ١/ ١٥٨ رقم ١٧٤، من

حديث ابن مسعود ﷺ.

٢- الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ:

آية عظيمة من آيات الله ﷻ الباهرة الناشئة من هذا الهواء اللطيف، الذي ندرك جسمه عند هبويه ولا نراه، مع وجوده بين السماء والأرض، وجريانه بينهما، والطير ساجدة بأجنحتها في أمواجه^(١)، وما أودعه الله من المصالح لجميع المخلوقات، فهو حياة الأبدان والحيوان والنبات، فإن شاء حركه برحمته، فحصلت رياح الرحمة: المَبَشِّرَات^(٢) والمُرْسَلَات^(٣) والتَّاشِرَات^(٤) والذَّارِيَات^(٥)، وإن شاء جعله جنداً من جنوده فحركه بحركة العذاب، وأودعه عذاباً أليماً، فصار نَحْساً^(٦)، وَعَاتِيّاً^(٧)، مفسداً لما يمر عليه، ونقمة على من يشاء من عباده، فحصلت منه رياح العذاب: العَاصِف^(٨)، والقَاصِف^(٩) - وهما في البحر - والعَقِيم^(١٠)،

العبد إلى الله تعالى ٣ / ١٨٣٥ رقم ٢٨٣٠، من حديث أبي ذرؓ، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ١٢٤ رقم ١٦١٦: حسن لغيره.

- (١) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / ١ / ٢٠٠.
- (٢) المَبَشِّرَات: من البشارة، وأصلها الخبر السار، فشبّهت الرياح برسل موجهة بأخبار المسرة، وهذه الرياح مؤذنة بالخير، وهو المطر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦]. ينظر: التحرير والتنوير ٢١ / ١١٨.
- (٣) كما قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، قال ابن كثير: «والأظهر أن المرسلات هي الرياح» قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفٍ﴾ [الحجر: ٢٢]. ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ٢٩٧.
- (٤) التَّاشِرَات: رياح طيبة تنشر السحاب، وتبته، في آفاق السماء، قال تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: ٣]. ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ٢٩٧، والتحرير والتنوير ٨ / ١٧٩.
- (٥) كما قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ [الذاريات: ١]، وهي الرياح، تذررو التراب وغيره، قال تعالى: ﴿تَذُرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥]. ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤ / ٣٩٤.
- (٦) النَّحْسُ: الشؤم. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٢، وتاج العروس، مادة: (نحس) ١٦ / ٥٣٨.
- (٧) أي: شديداً، قاهراً. ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ٢٠٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٢٤٥٥.
- (٨) العَاصِفُ: شديدة الهبوب، قال تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَقِرحُوا بِهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]. ينظر: مجاز القرآن ١ / ٣٣٩، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ٥٢٤.
- (٩) القَاصِفُ: هي التي لا تمر بشيء إلا كسرته، وحطمته، ثم تُعرقه، قال تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٩]. ينظر: مجاز القرآن ١ / ٣٨٥، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٤٩٩.
- (١٠) العَقِيمُ: هي المفسدة، التي لا تنتج خيراً، إنما هي عذاب، قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]. ينظر: جامع البيان ٢٢ / ٤٣٤، والكشاف ٢ / ٥٣٨، وتفسير القرآن العظيم ٧ / ٤٢٣.

والصَّرَصِر^(١)، وهما في البر^(٢).

وعند تأمل منفعة الرياح، وما يجري لها في الجو والبر والبحر، وما هيئت له من الرحمة والعذاب ندرك شيئاً من حكمة اللطيف الخبير، الذي جعلها مختلفة الصفات والمنافع والتأثير، فريح لينة لطيفة تغذى الإنسان والحيوان، وتنمي الشجر والنبات، فتشده وتجففه، وأخرى تُضعفه أو تُهلكه، ورياح تُلقّحه، ولولاها لكانت عقيماً^(٣).

ورياح مسخرة للسحاب تثيره وتحمله، وتؤلف بين كسفه وقطعه، ثم تلقّحه، ثم تُزجيه وتسوقه إلى حيث نزول مائه بأمر ربه ﷻ.

ويستمر التأمل إلى ريح البحر التي تُسيّر سفنه، وتُقلّب مائه، وتطرد رائحته، وتساعد على حياة حيواناته.

وبالجملة فحياة ما على الأرض بالرياح؛ فلولا تسخيرها للعباد لضعف النبات ومات الحيوان، وفسدت المطاعم، وأتنت العالم، وفسدت الثمار وتغير الزرع، وحدث المرض في الجو، فسبحان من جعل الرياح تأتي برحمته ولطفه ونعمته^(٤).

ولهذا فأكثر ما ينخبر ﷻ عن رياح الرحمة بصيغة الجمع؛ لاختلاف منافعها، فرياح الرحمة متعددة، وأما ريح العذاب فواحدة، ومن وجه واحد، حتى تنتهي إلى المعذبين، ممتثلة ما أمرت به، فتصيب من أرسلت إليه، مدمرة كل شيء أتت عليه بأمر ربها، ولا يعارضها أو يقاومها شيء، قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤١ - ٤٢]، فوصفت بأنها عقيم، وهي التي لا تلقح، ولا خير

(١) كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة: ٦]، باردة شديدة البرد، وذات صوت مزعج. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن في تأويل القرآن ١٢ / ٥٢٠، ومعاني القرآن للنحاس ٦ / ٢٥٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦ / ٣٢٣.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٨٦.

(٤) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١ / ٢٠١.

حسنة^(١)، وراه رسول الله ﷺ على صورته الملائكية التي خلق عليها مرتين، ذكرتا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [١٣] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٤]^(٢).

وقد خلقهم الله على صور جميلة كريمة، ووصفهم بقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]، فقدراتهم كاملة، وخلقهم حسن شريف، وأفعالهم وأخلاقهم بارّة طاهرة^(٣).

وقد تقرر عند الناس وصفهم بالجمال - كما تقرر لديهم وصف الشياطين بالقبح - ولذلك تراهم يُشَبَّهون الوسيم من البشر بالملك، وقد قالت النسوة في الصديق عليه السلام: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

لقد أعطوا من القدرة ما يتشكّلون به على غير أشكالهم، كما تمثل جبريل لمريم الصديقة عليها السلام ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ومن قبل جاءت الملائكة ضيوفاً على إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، ولم يعرف حالهم حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم، وجاؤوا إلى لوط عليه السلام في صورة شباب حسان الوجوه^(٤).

وكما أن أعمالهم مختلفة، فلهم عند ربهم مقامات ومنازل متفاوتة معلومة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤]، وقال في جبريل عليه السلام: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] أي: له مكانة، ومترلة عالية رفيعة عند الله^(٥).

وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم عليه السلام، وتتبع آي القرآن الكريم نجد أنه

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢/٤٩٩، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/١٧٧، وتفسير القرآن العظيم ٧/٤٤٤.

(٢) كما أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [١٣] / ١، ١٥٩، ١٧٧، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨/٣٢١، وعالم الملائكة الأبرار ص ١٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٥/٤٤٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/٥٤١، وأضواء البيان ٢/٢٨٥.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٤/٢٥٨، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٤٠، والحق المبين في معرفة الملائكة المقربين ص ١٩.

لم يصرح إلا بأسماء خمسة، وهم جبريل وميكائيل، ومالك، وهاروت وماروت.

ومع علم الله ﷻ، وغناه وقوته وقدرته إلا أنه جعل لهم أعمالاً كلفهم بها^(١)، فالروح الأمين جبريل عليه السلام موكل بالوحي، الذي به حياة القلوب والأرواح وهدايتها، وميكائيل عليه السلام موكل بالقطر والنبات، الذي به حياة الأرض، والأبدان والحيوان، فجبريل بالهدى، وميكائيل بالرزق^(٢).

أما إسرافيل عليه السلام فموكل بالنفخ في الصور^(٣) يوم القيامة، الذي هو سبب حياة الخلق بعد مماتهم، وعود الأرواح إلى أجسادها.

وهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلون بالحياة لهم خصوصية ومزية على غيرهم؛ لشرفهم وفضلهم، وقرَّبهم من الله^(٤).

الملائكة الكرام منهم حملة العرش^(٥) ومن حوله، والمقربون لدى رب العزة والجلال ومنهم المختص بقبض أرواح العباد، وهو ملك الموت وأعوانه^(٦)؛ عندما تنتهي آجالهم المقدره لهم، فتترع أرواح المؤمنين نزغاً رفيقاً، وتُنبئهم وتُبشِّرهم بجنة ربهم، أما الكفرة فلهم البشري بغضب الجبار، وعذاب الهون.

ومنهم الكرام الكاتبون الموكلون بأعمال العباد، يراقبون أعمالهم، ويكتبون أقوالهم

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢/ ٦٤٩.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٤٢.

(٣) سأل أعرابي رسول الله ﷺ ما الصور؟ قال: ((قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)) أخرجه أحمد ١١/ ٥٣ رقم ٦٥٠٧، وأبو داود، في كتاب السنّة، باب في ذكر البعث والصور ٤/ ٣٧٨ رقم ٤٧٤٤، والترمذي، في كتاب الزهد، باب ما جاء في شأن الصور ٤/ ٦٢٠ رقم ٢٤٣٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٢٢٢ رقم ٣٥٦٨، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ١٢٨، وزاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ٤٣.

(٥) العرش: سقف المخلوقات، وأعظمها، وأوسعها، وأحسنها، وأقربها من الله تعالى. ينظر: الرسالة العرشية ١/ ٣٦،

وزاد المعاد في هدي خير العباد ٤/ ١٧٨.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٦٧.

وأفعالهم؛ من خير أو شر^(١).

ومنهم الموكلون بحفظ العبد وحراسته؛ من بين يديه ومن خلفه^(٢)، فإذا جاء قدر الله عليه خلوا عنه^(٣).

إنهم يشهدون الجُمع والجماعات مع المسلمين، ويتعاقبون فيهم، فطائفة تأتي وطائفة تذهب، صباحًا ومساءً، فملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبها ملائكة النهار، وهكذا بعضهم يعقب بعضاً^(٤)، ويجتمعون في صلاتي الصبح والعصر، قال تعالى: ﴿أَقْرَبُ الصَّلَاةِ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها، ومنهم الموكل بالنار وعذابها، وهم مالك ومن معه من الزبانية والخزنة، وهم غلاظ شداد^(٥).

ومنهم الصَّافُونَ؛ الذين هم في عبادتهم صفوف قيام لا يفترون، وركع سجد لا يرفعون^(٦).

ويتزلون إلى الأرض بأمر كريم من ربه؛ لتنفيذ مَهَمَاتٍ وكلت إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مریم: ٦٤]، ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة كليلة القدر، فَيَتَزَلُّونَ فِيهَا إِلَى الْأَرْضِ بِالْخَيْرِ وَالْبِرْكَهَ وَالرَّحْمَةَ، قال تعالى: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، و«هذا التَّنْزِيلُ كَرَامَةٌ أَكْرَمَ اللَّهُ بِهَا الْمُسْلِمِينَ بَأَن أَنْزَلَ لَهُمْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ جَمَاعَاتٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَفِيهِمْ أَشْرَفُهُمْ، وَكَانَ نَزُولُ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ؛ لِيَعُودَ عَلَيْهَا مِنَ الْفَضْلِ مِثْلَ الَّذِي حَصَلَ فِي مُمَائِلَتِهَا الْأُولَى لَيْلَةَ نَزُولِهِ بِالْوَحْيِ فِي غَارِ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٢٧١، ومعالم التنزيل ٨ / ٣٥٧، وتفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٩٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٣٧.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٣٧١، وتفسير ابن أبي حاتم ٧ / ٢٢٣٢، والدر المنثور ٨ / ٣٨٦.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٣٦٩.

(٥) ينظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ١ / ٩٦.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٢٧، والمحرم الوجيز ٤ / ٥٥٩، وتفسير القرآن العظيم ٧ / ٤٤٤.

حرَاء^(١)»^(٢).

وفي يوم القيامة يجيئون ويقفون صفوفًا بين يدي رب العزة والجلال^(٣)، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

لقد أتى عليهم القرآن الكريم في عبادتهم، وخصوصًا التسبيح والتحميد؛ ولكنرة ذلك منهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة، وحق لهم أن يفخروا فيقولوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصفات: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، فالملائكة المقربون الذين لا ذنوب عليهم مع تسبيحهم فإنهم يستغفرون لأهل الإيمان، ويدعون لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم^(٤)، ولما كانت معرفتهم بربهم كبيرة، كانت خشيتهم له عظيمة، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فيقومون بالعبادة، وتنفيذ الأوامر بلا ضعف ولا كلل أو ملل، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وحياتهم ليست كحياة البشر، فلا يأكلون ولا يشربون؛ فقد جاؤوا إبراهيم عليه السلام، فلم تمتد أيديهم إلى ما قرَّبه إليهم من لذيذ الطعام، فأوجس منهم خيفة، فكشفوا له عن

(١) العار: في جبل حرَاء، شرقي مكة، على مسافة (٤) كم تقريبًا عن الكعبة المشرفة، ويسمى اليوم جبل النور، وهو: فجوة في أعلى الجبل، بإمها نحو الشمال، طولها (١٩٠) سم، وعرضها (٦٠) سم تقريبًا، ويتسع الغار لخمسة أشخاص في آن واحد، والداخل فيه يكون متجهًا نحو الكعبة، وكان الرسول ﷺ يتعبد فيه قبل البعثة، ومنه بدء الوحي، وزيارته ليست مشروعة، واعتقاد أفضلية التعبد فيه من الأمور المتبدعة. ينظر: معجم البلدان ٢/٢٣٣، وموقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٤٦٣.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٨٧، والحياتك في أخبار الملائك ص ١٥١، وأضواء البيان ٣/٢٨٤.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/٣٥٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٣٢.

حقيقتهم، فزال خوفه واستغرابه.

ولهم دور مختلف مع المؤمنين والكافرين، فمحببتهم لأهل الحق والإيمان، يصلون عليهم ويدعون ويستغفرون لهم، مما يكون له أثر على هدايتهم، وتخليصهم من ظلمات الكفر والمعاصي، إلى نور الحق، ونهج الهداية السليم، وطريق الله الواضح المستقيم.

وهم من أعظم جنود الله ﷻ، يؤنسون المؤمنين ويثبتونهم، وينصرونهم على من اعتدى عليهم، ويقاتلون معهم عدوهم، كما في بدر والأحزاب، ويحملون لهم البشري؛ كما حملوها إلى إبراهيم عليه السلام بأنه سيرزق ذرية صالحة، وإلى زكريا عليه السلام بغلام، ومريم الصديقة بولد عظيم، وشأن كبير^(١).

وفي مقابل ذلك فهم لا يحبون الكفرة والمشركين، وأهل النفاق والضلال، بل يعادونهم ويحاربونهم، ويزلزلون قلوبهم، ويلعنونهم، ويتزلزلون بهم العذاب بأمر ربهم.

وقد طلب الكفار رؤية الملائكة للتدليل على صدق الرسول ﷺ، فأخبرهم الله ﷻ أن اليوم الذي يرون فيه الملائكة يوم شؤم عليهم؛ عندما يجلب بهم العذاب، أو عندما يتزلزل الموت، ويكشف الغطاء^(٢)، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢].

ولقد ضلل الله ﷻ مشركي العرب؛ الذين زعموا أن الملائكة إناث، واختلطت هذه المقولة المحافية للحقيقة بخرافة عندهم أعظم وأكبر؛ إذ زعموا أن هؤلاء الإناث بنات الله، وقد ناقشهم القرآن الكريم في هاتين القضيتين، وبين أنهم لم يشهدوا خلقهم، وسوف يُسألون يوم القيامة عنها، حيث لم يعتمدوا على دليل صحيح في هذا القول الساقط، ومن عجب أنهم ينسبون لله البنات، وهم يكرهونهن!

إن الحديث عن الملائكة لا يخضع للعقل، ولا للمقاييس البشرية؛ لأنهم عالم غيبي منبعه النص، فلا زيادة ولا نقص، ومن تكلف ما لم يكن به علم فقد ضل سواء السبيل.

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٢٦٦، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٠١.

٤ - الأزمنة الطيبة:

تلك الأوقات التي فضلها الله وتكرم بها على عبادة، وجعلها مظانَّ إجابة الدعوات، أو مضاعفة الحسنات، وأولها من الحرمة ما ليس لغيرها؛ فالحسنات تضاعف في كل زمان ومكان فاضل، وكذا السيئات فإنها تعظم في كل زمان ومكان فاضل، وشاهدُ هذا في القرآن العزيز، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧] ^(١).

وقد تحدث القرآن الكريم عن مجموعة من الأوقات الفاضلة الطيبة، التي لها مزية عن غيرها في الفضل؛ كشهر رمضان الكريم، وليلته المباركة، والأشهر الأربعة الحرم ^(٢)، وأشهر الحج ^(٣)، وعشره المباركة، ويوم النحر، والأيام المعدودات ^(٤).

فشهر رمضان أنزل الله فيه كتابه المبين، وشرع فيه الصيام؛ ثالث أركان الإسلام، وزاده تشريفاً وتعظيماً، وفضلاً وكرامة بليلة القدر ^(٥)، التي أودعها فضائل متعددة، وشرفها على غيرها من الليالي، فهي في الفضل والشرف، وكثرة الثواب خير من عبادة ألف شهر لمن قبلنا من الأمم، ومنَّ على أمة محمد ﷺ بجزيل فضلها وخيرها، وأشاد بفضلها في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، فوصفها بأنها مباركة؛ لكثرة خيرها وبركتها، فالقرآن المبارك أنزل فيها، هداية للبشر، وسعادة لهم في الدنيا

(١) ينظر: الضياء اللامع ٩ / ٧٠٤.

(٢) سميت حُرماً، لعظم حرمتها، وحرمة الذنب فيها، وقيل: لتحريم القتال فيها، وسبب التحريم التمكن من الحج والعمرة؛ فشهر ذي القعدة للسفر فيه إلى الحج، وشهر ذي الحجة يقع فيه الحج، وشهر المحرم للرجوع فيه من الحج، وبذلك يأمن الحاج على نفسه من حين خروجه إلى رجوعه إليه، أما تحريم شهر رجب فللاعتناء فيه في وسط السنة، لمن كان قريباً من مكة. ينظر: لطائف المعارف ١ / ١١٥، والتحريم والتنوير ٢ / ٢٣١.

(٣) وهي شوال، وذي القعدة، وذي الحجة، أو عشرها الأول على الراجح. ينظر: جامع البيان ٤ / ١٢٠، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٥٤٢، والجامع لأحكام القرآن ٢ / ٤٠٥، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤ / ٤٨١.

(٤) الأيام المعدودات: هي أيام التشريق. ينظر: جامع البيان ٤ / ٢٠٨، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٥٦٠.

(٥) القدر: بمعنى الشرف والتعظيم، أو بمعنى: التقدير والقضاء؛ لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يقدر الله فيها، ويقضي ما يكون في العام من أموره الحكيمة. ينظر: تاج العروس، مادة: (قدر) ١٣ / ٣٧٢، ومجالس شهر رمضان ص ١٢١.

والآخرة، وأنزل في فضلها سورة كاملة، ونوّه^(١) بقدرها وشرفها، بما يدل على التفخيم وعظم الشأن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)﴾ [القدر: ٢]، وجعل الملائكة تنزل فيها، وهم لا يتزلون إلا بالخير والبركة والرحمة؛ حيث يكثر فيها السلامة للمؤمنين من العقاب والعذاب والمخاوف، بما يقومون به من طاعة الله ﷻ، ويكثر العتق فيها من النار، ويقدر الله فيها ما يكون في السنة؛ من الأرزاق والآجال، والخير والشر، وغير ذلك من أوامر الله المحكمة المتقنة، التي ليس فيها خلل ولا نقص، ولا سفه ولا باطل^(٢).

وقد حث رسول الهدى ﷺ أمته إلى التماسها، وتحريها في ليالي الوتر من العشر الأواخر من رمضان، وقال فيها: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))^(٣).

والله ﷻ جعل ثلث أشهر السنة حُرْمًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كَتَبِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)﴾ [التوبة: ٣٦]، فعدة الشهور اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حُرْم، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمُحَرَّم، ورجب^(٤)، فهن حُرْمات، معظمت بتعظيم الله لهن، فالذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح، والأجر أعظم^(٥).

أما أشهر الحج فهي أوقات معلومات، ومدخل لأداء ركن الإسلام الخامس، وبيان

(١) التَّنْوِيهِ: رفع ذكر الشيء وتعظيمه، وإشهاره، والإشادة به. ينظر: أساس البلاغة ٢ / ٣١١، والتوقيف على مهمات التعاريف ص ١١٠.

(٢) ينظر: مجالس شهر رمضان ص ١٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا ونية ٣ / ٢٦ رقم ١٩٠١، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) لحديث أبي بكره ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((الزَّمانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا؛ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين ٤ / ١٠٧ رقم ٣١٩٧،

ومسلم، في القسامة والمخاربن، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣ / ١٣٠٥ رقم ١٦٧٩.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤ / ٢٣٨.

للآداب التي يجب على الحاج أن يلتزمها في هذه الأزمنة المعظمة؛ فيصون نفسه عن الجماع ودواعيه، وينأى بها عن كل قول أو فعل يكون خارجاً عن آداب الإسلام، ويجتنب الجدال المفضي إلى الخصام والخلاف، وما يوقع التنازع بين الرفقاء والإخوان؛ إذ الحج طاعة لله وسعى إلى التقرب إليه، والتعرض لمغفرته ورضوانه.

وخصت الأيام المعلومات^(١) من أشهر الحج بمزيد من العناية والتفضيل، إذ أقسم الله بها في قوله تعالى، ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١ - ٢]^(٢)، وليس في أيام السنة أفضل منها للأعمال الصالحة، ولا أحب إلى الله ﷻ^(٣).

ويجتمع فيها من العبادات ما لا يجتمع في غيرها، قال ابن حجر: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة؛ لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره»^(٤).

وهذا من الرحمة بالعباد؛ حيث لم يحرم الله أحداً من فضل هذه الأيام، فلم يقصر ثوابها وأجرها على عبادة معينة لا يستطيع القيام بها إلا بعض الناس، بل فضلها وثوابها شامل لكل بر وخير، ما دام مشروعاً مصحوباً بنية وإخلاص؛ من صلاة وصوم، وحج وتضحية، وذكر، ولا سيما التهليل والتكبير والتحميد، ولا سيما يوم عرفة الذي تحصل فيه مباحات^(٥) الله ﷻ ملائكته بحجاج بيته الواقفين بتلك البقعة الطاهرة، ويشاركهم غيرهم بالصيام؛ ليظفروا بتكفير ذنوب عامين كاملين^(٦).

(١) الأيام المعلومات: هي العشر الأول من ذي الحجة على الراجح من قولي العلماء؛ كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وهو عند البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به، في كتاب الجمعة، باب فضل العمل في أيام التشريق ٢ / ٢٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ٣٩٠، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٢ / ٦٦.

(٣) لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ، قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل العمل في أيام التشريق ٢ / ٢٠ رقم ٩٦٩.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٢ / ٤٦٠، وينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١ / ١٨٩.

(٥) المباحات: المفخرة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ١٦٩، ولسان العرب، مادة: (هو) ١٤ / ٩٩.

(٦) كما دل على ذلك حديث أبي قتادة رضي الله عنه، عند مسلم، في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل

شهر، وصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والاثنين والخميس ٢ / ٨١٨ رقم ١١٦٢.

ثم يأتي يوم الحج الأكبر يوم النحر، الذي هو أعظم يوم عند الله^(١)، وأفضل أيام المناسك، ويوم عيد للمسلمين، وفيه معظم أفعال الحج، وهو يوم تم فيه الإعلام، ونبد العهود للمشركين، والبراءة منهم، وتطهير الحج من نجاستهم ورجسهم؛ إظهاراً للدين وقوته، وبياناً لعز المسلمين وذل المشركين^(٢).

وأما أيام التشريق فأيام عيد وطعم، وذكر وشكر لله ﷻ بالتوحيد والتعظيم والعبادة.

إن هذا التفضيل لبعض الشهور والأيام والليالي والأزمنة، إنما هو بما يقارنها من الفضائل الواقعة فيها، أو المقارنة لها؛ لأنها من الأشياء التي لا إرادة لها، كما أنه حكمة إلهية، وتشريع ربّاني من عند الله وحده، فليس للناس فيه أي حق في التدبير، أو الاختيار، أو التغيير، وهكذا في كل أمر شرعه^(٣).

(١) لحديث عبد الله بن قُرْظٍ، أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرَّةِ))، وهو اليوم الحادي عشر، والحديث: أخرجه أبو داود، في كتاب المناسك، باب الهدى إذا عطب قل أن يبلغ ١٤٨ / ٢ رقم ١٧٦٥، وابن خزيمة في صحيحه، في كتاب المناسك، باب فضل يوم النحر ٢٧٣ / ٤ رقم ٢٨٦٦، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الحج، باب نحر الإبل قياماً غير معقولة، أو معقولة يدها اليسرى ٣٨٩ / ٥ رقم ١٠٥١٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١ / ٦، رقم ١٥٤٩.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢٩ / ١٤، وتفسير القرآن العظيم ١٠٣ / ٤، وإرشاد العقل السليم ٤٢ / ٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١٠ / ١٨٤.

الخبيث والطيب في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على

(درجة الماجستير) في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الطالب

عبد العزيز بن محمد بن صالح الربيعي

الرقم الجامعي

٢٩١٩٠٠٠٥٤

إشراف الدكتور

إبراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي

الأستاذ المشارك في قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم

الجزء الثاني

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الفصل الخامس

أسباب الخُبث، والطيب في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب الخبث في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أسباب الطيب في القرآن الكريم.

مدخل:

الأسباب: جمع سبب، وهو لغة: ما يُتَوَصَّلُ به إلى غيره، واصطلاحاً: ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته^(١).

وقد تحدث القرآن الكريم عن عدد من الأشياء الضارة، والإساءات الخبيثة، والجرائم المتنوعة، التي أبعدت عن الله، وعن أوليائه، وقربت الشيطان وحزبه، فمنعت من الخير والفلاح، وسببت الشر وحلول العذاب، وأورثت الشقاء، وحرمت من الطيبات، وأوصلت إلى الخبائث، فكانت سبباً في التحريم، وجلب العذاب والشقاوة.

في مقابل ذلك تحدث القرآن عن عوامل أخرى طيبة، صدرت من المستجيبين لنداء الحق، فكانت سبباً في سعادتهم الأبدية، وحصولهم على العيش الكريم، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الفصل عرض لهذه العوامل، والأسباب الخبيثة والطيبة، مما سيجعل محور الحديث عنها في بحثين هما:

المبحث الأول: أسباب الخبث في القرآن الكريم:

هناك أسباب خبيثة، ووسائل باطلة متعددة، تقود إلى المعصية، وتلحق الضرر والأذى بمن يتناولها أو يتعاطاها، فنبهنا الله عليها، ومنعنا من سلوكها والوصول إليها؛ تعبدًا للجلاله، وحفاظًا لما شرع لنا في دينه، ورعاية لصحتنا وأبداننا، وصيانة وسلامة لعقولنا، ووقاية لأموالنا، وطهارة لأعراضنا، وما به حفظ مصالحنا، ودرء الضرر عنا، ومن ذلك:

(١) ينظر: قواطع الأدلة في الأصول ١/ ١٠١، والبحر المحيط في أصول الفقه ٢/ ٤٦٦، وشرح الكوكب المنير ١/ ٤٤٥، وتاج العروس، مادة: (سبب) ٣/ ٣٨.

١ - الْكُفْرُ^(١)، وَالشِّرْكَ^(٢)، وَالنَّفَاقُ^(٣):

كلها جرائم كبار بجميع أنواعها، وصورها المخرجة من الملة، والمخلدة في النار، التي هي أعظم الضلالات، وأكبر الذنوب والمعاصي، وأقرب سبب خبيث يوصل إلى الجحيم.

وجاء الحديث عنها، وعن أهلها في القرآن الكريم مجملاً ومفصلاً، وعند تأمل تلك الآيات التي تتحدث عن جرائمهم، وتكشف عن أعمالهم الخبيثة، وجرائمهم المتنوعة، نجد أنها تحتم بيان السبب الخبيث لما حلَّ بهم من عذاب، ولما وقع عليهم من شدة وهوان.

فأهل النار ينادون يوم القيامة، ويبين لهم أن أعمالهم الخبيثة وكفرهم وشركهم ونفاقهم هو السبب فيما وصلوا إليه، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

وتصرح الآيات بأن جحودهم، وتكذيبهم، وافتراءهم على الله، وعلى رسوله، واستمرارهم على ذلك هو السبب لعذابهم الأليم، فإنهم كانوا كذبة يكذبون بالحق^(٤)، كما قال ﷺ عن أهل النفاق: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، فعَلَّ استحقاقهم للعذاب بسبب الكذب ورتبه عليه^(٥).

(١) الكُفْرُ لغة: من الكَفَر، بمعنى السَّتر، والتغطية، واصطلاحاً: الاعتقاد والقول والعمل المناهين للإيمان. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (كفر) ٣/ ٣٦٤، والإحكام في أصول الأحكام ١/ ٤٥، والإيمان حقيقته، حوارمه ١/ ١١٣.

(٢) الشِّرْكَ في اللغة: يأتي بمعنى المخالطة، والمصاحبة، والمشاركة، وفي الاصطلاح: جعل شريك لله في ربوبيته، أو إلهيته، أو أسمائه أو صفاته. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (شرك) ٣/ ٣١٦، وبصائر ذوي التمييز ١/ ٩٤٢، والإيمان حقيقته، حوارمه ١/ ١٠٩، ورسالة الشرك ومظاهره ص ١٨٩.

(٣) النَّفَاقُ: من النَّفَقَ: وهو سَرَبٌ في الأرض، أو من النَّافِقَاءِ: وهو موضعٌ يُرْفَقُه اليربوعُ من جُحْرِه، يخرج منه عند الحاجة، ومنه اشتقاق النَّفَاقِ؛ لأن صاحبه يكتُم خلافَ ما يُظهِر، فيظهر الإسلام بقوله أو فعله، ويكتم الكفر في باطنه، فكان الإيمان يخرُج منه، أو هو يخرج من الإيمان في خفاء. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (نفق) ٥/ ٣٦٤، والتعريفات ١/ ٣١١، وبصائر ذوي التمييز ١/ ١٥٠٣، ومجموع الفتاوى ٧/ ٣٠٠.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٩، ومنهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ١/ ١٤.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١/ ٤٢.

ويكون جوابهم للخزنة عن سبب دخولها: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدِ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ [الملك: ٩].

وتوضح آيات أخرى موقف الكافرين والمنافقين من الدين، ولمن جاء بتبليغه، حيث اتخذوا الدين لعباً ولهواً، واستهزؤوا^(١) بالله ﷻ ودينه ورسوله ﷺ فوقعوا في سبب خبيث، يضاف إلى سجل خبائثهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

وحيث كان مكرهم الخبيث من معظم مواد إجرامهم المستمر جاء التصريح بسببته في قول الله تعالى^(٢)، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وأما الاستكبار عن الحق فنوع آخر من أنواع الكفر، وصفة من صفات مستحقي نار جهنم، وسبب خبيث يُصير إليها، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلِهَتُم طَبَّتْكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠]، فقيد استكبارهم في الأرض: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ ليسجل عليهم هذه الرذيلة؛ وليبين أنهم قوم عادتهم التكبر والغرور، واتباع الباطل على الحق، وعلل ذلك العذاب بسبب خبيثين:

أحدهما: الاستكبار، وهو ذنب القلب.

والثاني: الفسق: وهو ذنب الجوارح، وقدم الأول على الثاني، لأن أحوال القلب أعظم وقعاً من أعمال الجوارح وناشئة عن مراده^(٣).

(١) الاستهزاء: السخرية، والاحتقار، والازدراء، وهو من أعظم الاستهانة بالله، ودينه، ورسوله. ينظر: تهذيب اللغة،

مادة: (هزأ) ٢ / ٣٥٤، والصحاح ١ / ٩٦، وصفات المنافقين ص ٨، وبصائر ذوي التمييز ١ / ١٦٣٨.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٤٥٠، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣ / ١٨٣.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٦ / ٢٣، والتفسير الحديث ٥ / ١٩.

ويأتي إنكارهم ونسيانهم اليوم الآخر؛ ليكون سبباً في كونهم في عداد الكافرين الخبيثاء فحق عليهم القول، فوصلوا إلى مصير سيء خبيث لا ينفع معه دعاء، ولا يقبل فيه رجاء، ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

والقرآن الكريم مليء ببيان صفاتهم، وكشف ما سلكوه من أسباب خبيثة أوصلتهم إلى دار الخبث والإهانة؛ كل ذلك تحذيراً منها، وتطهيراً للنفس المؤمنة من سلوكها^(١).

٢- عَدَمُ الْقِيَامِ بِالتَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ:

وذلك بعدم الالتزام بالأوامر التي جاء بها الشرع، أو بالتعدي على حرمانه^(٢).

فعدم تنفيذ الأوامر؛ من الصلاة والزكاة والحج، وغير ذلك، عصيان وسبب خبث، وهو من أسباب العقوبات؛ ولذا يُسأل أهل النار عن سبب دخولها: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدر: ٤٢]، فيأتي جواهم بتعداد جرائمهم وخبائثهم، وتركهم دعائم الدين، وتسلبهم على المؤمنين ودينهم؛ سخرية واستهزاء: ﴿قَالُوا لَوْلَا نُرْنَاكَ مِنَ الْمَصَلِينَ﴾ [٤٣] ﴿وَلَوْلَا نُرْنَاكَ نَطَعِمُ الْمُسْكِينِ﴾ [٤٤] وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [٤٥] وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [٤٦] [المدر: ٤٣-٤٦].

وحين نمنع النظر في آي القرآن الكريم نجد أن قطيعة الرحم من أعظم أسباب الخبث، والفساد في الأرض؛ لما فيها من منع ما يجب لهم من حقوق بدنية أو مالية، ولما تورثه من التفرق والشّتات، وتغير النفوس وقسوتها^(٣)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فَاقْرَؤُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا

(١) ينظر: صفة النفاق وعت المنافقين لأبي نعيم ص ٣٨، واقتضاء الصراط ١/ ١٨، ومدارج السالكين ١/ ٣٥٨.

(٢) ينظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص ٢١٤، والجنة والنار ص ٥٥.

(٣) ينظر: قطيعة الرحم (المظاهر، الأسباب، سبل العلاج) ص ١٢.

آيَةَ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا رَبُّهَا وَأَكْتَبَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾ [التحریم: ١٢].

فهذه شهادة ربانية بعفافها، وبعدها عن الرية والرذيلة، وأما حفظت فرجها وصانته عن كل سوء، وخبث.

ومع هذا فقد قذفوا هذه التقية النقية بالفاحشة، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ [النساء: ١٥٦]، فقولهم موصوف بالبهتان العظيم، وأي بهتان للعدراء أعظم من هذا الذي صار سبباً لما حل بهم من غضب ولعنة، وتحريم للطيبات عليهم؟^(١).

ولم يُبين هذه الآية ما هو هذا البهتان الذي تفوهوا به على العدراء، ولكن الإشارة إلى بيانه جاءت في موضع آخر، حيث رموها بالفاحشة، حين: ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مریم: ٢٧ - ٢٨]، أي: زانية؛ لأن عبارتهم تعني رميها بالزنا، والإنكار على فجورها، وأما حَبَلَتْ^(٢) بالمسيح زناً، وأما ارتكبت من الفاحشة ما لم يعهد من أبويها فعله وإتيانه^(٣).

وواجب المسلم أن ينكر هذا الافتراء، وأن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من أن مريم طاهرة عفيفة مصنونة من كل سوء، وأنها العابدة القانتة، الصديقة المطهرة، المصطفاة من بين نساء العالمين، وأنها حَبَلَتْ بمعجزة ربانية، وأن الله ﷻ خلق المسيح كما خلق آدم - عليهما السلام - بطريقة خاصة، عُبر عنها في القرآن الكريم بنفخ الله من روحه فيها، أو في فرجها، بدون مسّ من رجل، كما جاء ذلك مصرحاً به في عدد من الآيات، في سورة آل عمران، ومريم، والأنبياء، والتحریم^(٤)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ١٥ / ٦.

(٢) الحَبْلُ: الحمل، والحَبْلُ مختص بالأدميات، ويقال في غيرهن: الحمل. ينظر: المفردات في غريب القرآن، مادة:

(حَبْلٌ)، ص ٢٥٨، وتهذيب الأسماء واللغات ٦١ / ٣.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ١٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٢٢٦.

(٤) ينظر: التفسير الحديث ٨ / ٢٧٣.

أَرْحَمَكُمُ ﴿ [محمد: ٢٢] ﴾^(١).

ولكي يحفظنا الله ﷻ من التعدي على حرمانه، فقد نهانا وحذرنا من الحرام، ومن وسائله ودواعيه، وعن كل سبب خبيث يوصل إليه؛ سداً للذريعة ودرءاً للمفسدة؛ فمن حام حول الحمى^(٢) يوشك أن يقع فيه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، فمنع قربان الفاحشة بمنع أسبابها الموصلة إليها^(٣)، كما أمر بغض البصر، وبالحجاب؛ دفعاً للجريمة وحماية عن الوقوع في الفاحشة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وأما من لم يغض بصره، أو جلب الفتنة لنفسه بعدم الستر، فقد وقع في الأسباب الخبيثة التي توصله إلى الحرام، وعظائم الذنوب، ومن ثم استحقاق العقاب والعذاب. وحينما نقرأ كتاب الله ﷻ ندرك خطورة أسباب الخبث، والتعدي المتعمد، والمستمر لحدود الله من قبل اليهود، حين ارتكبوه الذنوب العظيمة فحرم الله ﷻ عليهم طيبات كانت حلالاً لهم، بسبب بغيهم وطغيانهم، واجتراحهم السيئات، ومخالفتهم رسولهم، واختلافهم عليه، وبتصرفاتهم الوقحة، وأقوالهم وأفعالهم الخبيثة.

لقد عبث اليهود بآيات الله، وحرّفوا وبدّلوا في كلماته، وأداروا دينهم على الوجه الذي يُعذّي أهواءهم ويشبعها، فأحلّوا وحرّموا غير ما أحلّ الله، وغير ما حرّم، ولم يقفوا عند حد، فتقولوا على أنبيائهم، ورموهم بالكبائر والمنكرات، وجحدوا رسالة محمد ﷺ، وما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله ٨ / ٥ رقم ٥٩٨٧، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطعها ٤ / ١٩٨٠ رقم ٢٥٥٤.

(٢) الحمى: من أحميت المكان فهو محمي إذا جعلته حمى، وهذا شيء حمي: أي محظور لا يقرب، وحميته حماية إذا دفعت عنه ومنعت منه من يقربه، والحمى: موضع فيه كلاً يحمى من الناس أن يرعى. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٤٤٧، وتاج العروس، مادة: (حمى) ٣٧ / ٤٧٧.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٥٣.

حدّثت به التوراة عنه، وفي كل هذا كانت تنزل آيات القرآن فاضحة لهم، وناشرة على الناس ضلالهم، وافتراءهم على الله، وعدوانهم على حدوده وشرائعه.

ولقد سجل القرآن الكريم عليهم جملة من الجرائم، وكشف عن خبثهم ومخالفاتهم في شتى المجالات، سواء أكان ذلك في عباداتهم لرهبهم، أم في أخلاقهم وسلوكهم، أو في معاملاتهم مع الخلق؛ مما جعلهم أهلاً لما وقع عليهم من عقاب، قال تعالى: ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَقَهُمْ وَيَكْفُرِهِمْ بِتَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٥٥ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْنَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩ فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَّيْتُ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝١٦٠ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدِّمُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦١﴾ [النساء: ١٥٤ - ١٦١].

الأسباب الخبيثة لدى اليهود التي استحقوا بها العذاب:

هذه الآيات السابقة رصدت وعددت جملة من الأسباب الخبيثة لدى اليهود، التي استحقوا بها الحرمان والعذاب، وبيانها كما يلي:

أ- **نَقْضُ الْمِيثَاقِ^(١)**: المؤكد الذي أخذه الله ﷻ على بني إسرائيل، وبينه في كثير من الآيات؛ ومن ذلك أن يؤمنوا برسول الله، وبما في التوراة، وأن يعملوا بما فيها، وأن يؤمنوا بالرسول ﷺ ويتبعوه إذا بعث، وبيّنوا أمره للناس، لكنهم نقضوا عهد الله وميثاقه، وكفروا بالله وآياته، وقتلوا كثيراً من أنبيائه بغير حق.

(١) الميثاق: العهد المؤكد الموثق، من أوثق الشيء إذا أحكم شده، ونقض الميثاق: حله. ينظر: الصحاح، مادة: (وثق)

٤ / ٢٤٩، وتهذيب اللغة ١ / ٢٩، والفروق اللغوية ١ / ٥٢٥، وبصائر ذوي التمييز ١ / ١٥٣٢.

وَأَصْطَفَيْنَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ [آل عمران: ٤٢].

و- الظُّمُّ^(١): عمل خطير وصفة ذميمة، وعاقبته سيئة ونتائجه وخيمة، وقع من اليهود كما أخبر الله ﷻ، ومع عظمه وشناعته إلا أنه فيهم قد بلغ شدته وضراوته، حتى أوصلهم إلى ما وقع عليهم، في قوله تعالى: ﴿فِظْلَمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوْا وَقَدُّهُوْا عَنَّهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١].

فبسبب هذا الظلم العظيم حرم الله ﷻ عليهم الطيبات، لا بسبب آخر؛ ولو أنهم لم يقعوا في هذا الظلم الشديد لما حرّمها عليهم^(٢)؛ وهذا واضح من سياق الآية حيث قدّمت الظلم على التحريم؛ إذ هو الغرض الذي قصد إلى الإخبار عنه بأنه سبب التحريم^(٣).

ومن ظلمهم ما صرحت به الآيات من نقض الميثاق، والكفر، وقتل الأنبياء، وقولهم قلوبنا غلف، وقولهم على مريم بهتاناً، وقولهم إنا قتلنا المسيح، فكل ذلك داخل تحت الظلم ونتاج عنه^(٤).

ز- الصَّدُّ^(٥) عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ: فصدوا أنفسهم وغيرهم عن اتباع الحق، ودَعَوْهم إلى ما هم عليه من الضلال والغى، ومنعواهم من الهدى وحذروهم منه؛ بقولهم على الله الباطل، وادعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتابه وتحريف معانيه، وأمرهم بالمنكر، ونهيهم عن المعروف، فظلموا أنفسهم، وظلموا غيرهم، وجمعوا بين الضلال والإضلال، فكانوا قدوة سيئة حين سَوَّلوا لكثير من الناس البقاء على ضلالات الجاهليّة وعمائها؛ فأضافوا وتحملوا

(١) الظُّمُّ: وضع الشيء في غير موضعه؛ إما بنقص أو زيادة؛ أو عدول عن وقته، أو مكانه. ينظر: مجاز القرآن،

١/ ٤٠٢، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٨، وطريق المحرّتين ص ٣٣٣، وعمدة الحفاظ ٣/ ١٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٦/ ٥٠.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ٢٦.

(٥) الصَّدُّ: المنع عن قصد الشيء خاصة. ينظر: الفروق اللغوية ١/ ٣١١، وبصائر ذوي التمييز ١/ ٩٨٧.

وصار نقض العهد سمة من سماتهم، وأ نموذجاً سيئاً يدل على أخلاقهم وتعاملاتهم مع ربهم، ومع من يعاهدونه من البشر، قال تعالى: ﴿أَوْ كَلِمًا وَعَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وآيات العهد والميثاق لنا فيها أعظم العبر والدروس، حيث تكشف لنا عن طويّة^(١) هؤلاء وسوء أخلاقهم، وأنهم لا أمان لهم ولا وفاء.

ويقف المسلم حائراً أمام هذا الجنس من البشر، الذين لا عهد لهم ولا ميثاق، آذوا موسى ﷺ، وأعطاهم الله أعظم الآيات فكفروا، ووهبهم أعظم النعم فجحذوا، وتوارثوا الغدر والمكر والخيانة منذ موسى ﷺ إلى يومنا الحاضر^(٢).

ومن العجب أن تتعالى الأصوات، ويقوم السعي الجاد إلى إقامة المعاهدات، وكتابة المواثيق، والعلاقات معهم، ظناً أنهم سيؤمنون شرهم ويكونون في وقاية من غدرهم، وهذا شأن من لا يأخذ الدروس والعبر، ومن لا يقرأ كتاب الله، ولا يعرف التأريخ، ولا يتعظ بتجارب البشر، التي أثبتت أن اليهود لا يستقيم لهم عهد، ولا يبقى معهم ميثاق.

إذا نحن في أمسّ الحاجة إلى معرفة طبائع اليهود، وسوء طويتهم، فهذا دين لا نُعذر بجهله، أو التفريط فيه.

ب- الكُفْرُ بِآيَاتِ اللَّهِ ﷻ: وهي العلامات التي نصبها دلالة على الحق؛ من وحدانيته، وصدق أنبيائه ورسوله، وما أيدهم به من المعجزات الدالة على صدقهم^(٣).

لقد تأصل فيهم الكفر، والتكذيب بآيات الله، فكفروا بالمعجزات التسع التي أوتي

(١) الطويّة: النية والضمير؛ وسمي بذلك لأنه يُطوى على السرّ، أو يُطوى فيه السرّ. ينظر: مختار الصحاح، مادة:

(طوي) ص ١٩٤، وتاج العروس ٣٨ / ٥١٣.

(٢) ينظر: الخطر اليهودي ص ٥٤، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ١٥٥، ومنهج القرآن الكريم في

دعوة المشركين إلى الإسلام ٢ / ٨٢٥.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦ / ١٦٥، وتفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٤٧.

موسى، كَفَلَقَ^(١) البحر بالعصا، وتفجير الماء من الصخر، وهى آيات لا يكذب بها إلا كل معتد أثيم^(٢).

وكذلك فعلوا مع آيات الله التي أجراها على يد نبيه عيسى عليه السلام من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه^(٣)، والأبرص^(٤)، ورموه بالباطل، والشعوذة^(٥)، حتى سعوا في قتله، وصلبه، فأبطل الله كيدهم، وأفسد تدبيرهم، وكذا كان موقفهم من نبي الله محمد عليه السلام، مع ما في كتبهم من آيات ودلائل على صفات تدل على نبوته^(٦).

وقد فصلت آيات القرآن الكريم أنواعاً من الكفر، والجحود من قبل أعداء الله ورسوله؛ فجاء التعبير بكفرهم على عدة أشكال، فأيات تدل على كفرهم بالله، وأخرى تحير عن كفرهم بآياته الظاهرات في الكون، وما أُيدت به رسله الكرام، وثالثة تبين كفرهم بالرسل والأنبياء، ورابعة تؤكد كفر من فرّق بين الله ورسله، وقال: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠]، وخامسة تنكر عليهم إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، وهكذا يتقلبون من كفر إلى كفر، ومن جحود إلى جحود واستكبار، واستهزاء، حتى صار كفرهم بالمعجزات سمة ظاهرة فيهم مع طلبهم لها، ووضوحها.

ج- قَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ: وهذا يدل على طباع مليئة بالحقد والعدوانية، وأن جرائمهم على القتل، إنما منشؤها العصيان، وتعدى حدود الله.

فقتلوا خلقاً كثيراً من أنبيائهم، وصالحينهم، ودعاة الخير فيهم، ومن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويُظهر آيات الله، ويستدل بها على اتباع الحق، وقد تكرر منهم ذلك

(١) الفَلَقُ: «شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض». المفردات في غريب القرآن، مادة: (فَلَقَ) ص ٦٤٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٦٨.

(٣) الْأَكْمَةُ: من وُلِدَ أَعْمَى. ينظر: الدر المصون ١ / ٧٩٢، ولسان العرب، مادة: (كَمِه) ١٣ / ٥٣٦.

(٤) الْبَرَصُ: بياض يظهر في ظاهر البدن. ينظر: الدر المصون ١ / ٧٩٢، والقاموس المحيط، مادة (برص) ١ / ٧٩٠.

(٥) الشَّعْوَذَةُ: حِفَّةٌ فِي الْيَدِ، وَأُخِذَ كَالسَّحْرِ يُرَى الشَّيْءُ بغير ما عليه أَصْلُهُ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، وَقِيلَ: تَصْوِيرُ الْبَاطِلِ فِي

صورة الحق. ينظر: العين، مادة (شعد) ١ / ٢٤٤، وتاج العروس ٩ / ٤٢٦.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٤٨.

وزراً فوق أوزارهم^(١)، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦].

وتلك سَجِيَّةٌ اتصفوا بها منذ القديم؛ ولهذا عاندوا الأنبياء والرسل وكذبوهم، بل عادوهم وحاولوهم على كتم المواعظ، وقتلوا عدداً منهم بغير حق^(٢).

وكل عدو للحق قائم بدوره في الصد عن سبيل الله، حسب جهده ومركزه، وما يملكه من نشاط ومُقدِّرات؛ وذلك أنه بضاعةُ المفلسين، وسبيلُ المفسدين، وحيلةُ المجرمين وجرثومةٌ قديمة، تتابع عليها أعداء الرسل، فقد زرعها الكفار، وتولَّى سقيها ورعايتها المنافقون وكثير من الأَحْبَارِ^(٣) والرُّهْبَانِ^(٤)، ومن سار في ركايمهم وانتحل طريقتهم.

ولم يدخر الكفار طريقة إلا سلكوها في سبيل صد الناس عن الحق، ومن ذلك ما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وهم مستمرّون في ذلك؛ ولذا جاء التعبير بالفعل المضارع ﴿يُنْفِقُونَ﴾، مما يعني استمرار الصد، ووقوعه في الحاضر والمستقبل، وأن المعركة متجدّدة^(٥) والعداوة باقية، وأن الصد أسلوبٌ متواصٍ به، فقد عُودِي به الأنبياء أزماناً، واشتكى الصالحون منه دهوراً.

وأما الأَحْبَارُ والرهبان فكثير منهم قد أخذ الأموال بالباطل، وشرَّع للناس ما يصددهم عن دين الله وصراطه المستقيم، وقادهم إلى طريق الغواية والاعوجاج؛ حباً للدنيا ومتّعها وشهواتها، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٩١/٩، وتفسير القرآن العظيم ٤٦٧/٢، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٥٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٣٩١/٩، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧٠/٦، والتحرير والتنوير ٢٧/٦.

(٣) الأَحْبَارُ: جمع حَبْرٍ، بفتح الحاء وكسرها، وهو العالمُ. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (حبر) ١٠٦/٢.

(٤) الرُّهْبَانُ: جمع رَاهِبٍ وهو الْمُتَعَبِّدُ فِي الصَّوْمَةِ. ينظر: المغرب في ترتيب المغرب، مادة: (رهب) ٣٥٥/١، والدر

المصون ١/١٤٤٢، ولسان العرب ١/٤٣٦، وتاج العروس ٢/٥٤٠.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٣٤٠/٩، وبنو إسرائيل في ضوء الإسلام ص ٨٣.

حتى صار سجية ثابتة فيهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ [البقرة: ٨٧]، وهذه مذمة خاصة بهم، سواء من باشر القتل أو أمر به، أو سكت عنه ولم ينصر الأنبياء ﷺ^(١).

وفي التصريح بأن قتلهم كان بغير حق زيادة في شناعة حالهم، وتقبيح لفعالهم مع هؤلاء النخبة من البشر، وتوضيح بأنهم لم يكونوا مخطئين في الفهم، ولا متأولين للحكم بل عن عمد وإصرار، وعلم أنه بغير جرم؛ فلم يدعوا في قتلهم وجهًا معتبرًا - في شريعتهم - يستحقون به القتل، فإن فيها: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وهذا من الاحتجاج عليهم بأصول دينهم، وتخليد لمذمتهم، وإلا فإن قتل الأنبياء لا يكون بحق في حال من الأحوال؛ فلم يأت نبي قط بما يوجب قتله؛ لأنهم معصومون من أن يأتوا أمرًا يستحقون عليه القتل^(٢).

والممتع لآي القرآن الكريم يلحظ أن القتل من اليهود يقع للنبين، ولا يأتي للذين أخذوا صفة الرسالة، وذلك أن الرسل لا تسلط عليهم أعداؤهم بالقتل؛ ولعل ذلك من أجل تبليغ الرسالة، ومن ثم كان ادعاء القتل لعيسى عليه السلام باطلاً يتنافى مع حكمة الإرسال، فالله ﷻ رفعه إليه، بعد أن أنهى رسالته، وتمام المقصد منها^(٣).

ولقد خيل إليهم الوهم الذي أدخلوه على أنفسهم، وألبسوه لباس الحقيقة أنهم قتلوا المسيح عليه السلام وصلبوه، وتجنحوا بالجريمة وأشاعوها بين الناس، والحال أنهم ما فعلوا من ذلك شيئاً، لا قتلاً ولا صلباً، ولكن شبه لهم غيره، فقتلوا وصلبوا الشبيه^(٤)، فتركوا الخير الذي كان بين أيديهم، وتعلقوا بالأوهام والخيالات، فظلموا أنفسهم وخسروا خسراً مبيئاً بهذا

(١) ينظر: البحر المحيط ٢ / ٤٢٩.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ١ / ٢٧٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١ / ٥٣٠.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢١٣.

التطاول على المسيح، وتكذيبه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وهذا القول الخبيث منتهى الجرأة على الباطل، والضرارة بارتكاب الجرائم، مع أن المسيح ﷺ جاء رحمة من رحمت الله بهم؛ ليرفع عنهم بعض تلك الأحكام التأديبية التي أخذهم الله بها حين عاقبهم بجرماهم من الطيب الذي مُدَّت إليهم فلا ينالون منه شيئا! (١).

د- قَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ (٢): وادعائهم أنها لا تفقه ولا تفهمه؛ لما عليها من الغشاوة فجاههم القرآن بما لم يكن في حسابهم، فكشف ضلالهم، وفضح طواياهم، وما اشتملت عليه من سوء، فأخبر أنهم شهدوا على أنفسهم بأنهم أصحاب قلوب مغلقة، وطبيعة متبلدة قد جفت منها موارد العاطفة، فلا يصل إليها شيء من الذكر والموعظة، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، فلا تتأثر كثيرا بالمعجزات، ولا تهتدي بالآيات، فكان ردُّ الله ﷻ عليهم وحُكمه على قلوبهم، بقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]، مع تردد وضعف، وسرعة في السقوط والانهيار؛ لقيامه على الريبة والشك! (٣).

لقد ارتكبوا أربعة أفعال جسيمة: نقضوا الميثاق، وكفروا بآيات الله، وقتلوا الأنبياء بغير حق، وادعوا أن الله طبع على قلوبهم، ولعله كان يكفي ارتكابهم واحدة من هذه الأعمال؛ ليطبع الله على قلوبهم، ولكنهم ارتكبوها كلها مجتمعة.

هـ- البُهْتَانُ (٤) العَظِيمُ لِمَرْيَمَ: العابدة الصديقة، التي شهد الله لها بالإحسان والعفاف في موضعين، قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٦ / ١٥.

(٢) غُلْفٌ: مُعْشَاةٌ مُعْطَاةٌ. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (غلف) ٤ / ٣٩٠، وبصائر ذوي التمييز ١ / ١١٧٦.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢ / ٣٢٤، ومعالم التنزيل ١ / ١٢٠، وأمراض القلوب وشفائها ص ١٠،

وتفسير القرآن العظيم ١ / ٣٢٥، وموسوعة فقه القلوب ٢ / ١٣٠٩.

(٤) البُهْتَانُ: الباطل الَّذِي يُتَحَيَّرُ مِنْ بَطْلَانِهِ. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (بُهت) ١ / ٢٨٦، والدر المصون ١ / ٥٩٢.

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿التوبة: ٣٤﴾.

وأما أهل النفاق فيأتون في مقدمة الصادقين عن الهدى؛ كبراً و عناداً، وإمعاناً في الضلالة، جاعلين من أيمانهم وحلفهم سبيلاً للإقناع والتصديق بمواقفهم وإحسان الظن فيهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٦].

إن الصد عن سبيل الله قد يكون عن الدين كله، وقد يكون عن جزء منه، وذلك بصد الناس عن بعض تشريعاته، وقد يكون ظاهراً، وقد يكون متسترًا مكتفياً بالمعوقات والحواجر التي تقف دون الحق وإقامته.

ويقوم بالصد عن سبيل الله فئات مختلفة من الخلق، والذين ذكرهم القرآن الكريم أربعة أصناف، وهم: النفس والشيطان، والكافرون والمنافقون.

ولتحقيق ذلك اتبعوا طرقاً وأساليب مختلفة، ووسائل خبيثة متنوعة، حسب الزمان والمكان والظروف والأحوال.

فلهم أساليبهم الفكرية المستهدفة للعقول والأفكار؛ بدعوة الناس للكفر والجدال بالباطل، وإثارة الشبه والشكوك، والطعن في الدين وتشويهه وتحريفه، وتشريع ما يخالفه، والتأثير على النفوس، بما يؤدي إلى زعزعة الثقة بالحق، وترزين الباطل والثقة به.

ولهم أساليبهم الاقتصادية، من منعهم وصول المال لأهل الحق، واستخدامه لمحاربتهم، والإنفاق على الأنشطة المعادية له.

ولن يقفوا عند حد، فلو لم يصدوا عن سبيل الله إلا بالقوة العسكرية لكان هذا من خياراتهم؛ تهديداً وقتلاً وتدميراً، وتشريداً واحتلالاً.

ولئن كان أسلافنا رأوا صوراً من الصد عن دين الله، وذاقوا بأسها ومرارتها، فلقد انتشرت سبله ووسائله في عصرنا، وبلغ شرره وسمومه مساحات عريضة من الأرض، ومن ذلك زرع العثرات والمثبطات عن فعل المعروف؛ تارة بالتهديد فيه، والتخذيل من الإقدام

عليه، وتارة باقمام نيات أهله ولزهم في أعمالهم وصدقائهم، وتارة بالتضييق عليهم في معاشهم وحصارهم في اقتصادهم، وفي كل يوم نرى ونسمع سبلاً من التواصي في الصد عن الحق؛ فهذا يتبرم من الأعمال الدعوية، وهذا ينادي بتحجيم المشروعات الخيرية، وذلك يتضجر من كثرة تدريس الدين في المسجد والمدرسة والبيت والإعلام، ورابع يتأفف من الفتاوى في شؤون الحياة وربط الأمور بالدين.

وفي مقابل ذلك تأتي صور أخرى للصد عن سبيل الله بفتح أبواب المحرمات والإغراء بالشهوات، وإشاعة القول بالباطل، وجذب الناس إليها بالوسائل والدعايات البراقة، وإلهاء الناس بها عن ربهم، ومعلوم أن النفوس إذا أُلْهِيتْ عن الحق، فقد شغلت بالباطل.

إضافة إلى تركيزهم على تنحية الأحكام الشرعية، والإعراض عنها، والتشكيك فيها، والبحث في التراث عن القول الشاذ؛ لإبرازه وإظهاره والرفع من شأنه، وإقناع الآخرين به، والتلبس على الناس بأن منطلقاتهم شرعية، وأنهم لا يخالفون الكتاب والسنة وأن لهم سلفاً في قولهم؛ فيغتر بهم من يغتر، ويترك القول الصحيح، أو يقل العمل به، وهل كل هذه الأمور إلا صد عن سبيل الله؟!.

أما تشويه صورة الحق وأهله وتجرأة السفهاء والجهلة عليهم فكثير؛ لإحداث البلبلة داخل المجتمع الإسلامي، وسَلَقَ^(١) أهل الحق بألسنتهم الحداد، ووصفهم بالتشدد والرجعية، والظلامية، ليس طعنًا في ذواتهم، بل للحق الذي معهم.

وللتضييق على صوت الحق سهم كبير من سهامهم؛ كما سعى إلى ذلك المشركون بقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، ثم لَمَّا رَأَوْا إقبال الناس على دعوة النبي ﷺ، وتأثرهم بها، سعوا لحبسها، وخنق صوتها، أو قتلها، أو إخراجها.

ولكم شَرِقَ الخبثاء بالحق فسعوا إلى منعه وتقييده، وتحجيمه بكل وسيلة، في زمن تتعالى فيه شعاراتهم بالحريات، وقبول الآخر! ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

(١) السَلَقُ: بسط بقهر، إمّا باليد أو باللسان، يقال: سَلَقَهُ بلسانه: آذاه وأسمعه ما يكره. ينظر: معاني القرآن للفراء

٢/ ٣٣٩، والصاحح، مادة: (سَلَقَ) ٤/ ١٤٩٧، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٢٠.

يَعْلَمُونَ ﴿ يوسف: ٢١ ﴾.

ح- أَخَذُ الرِّبَا: ذلك التعامل المالي الخطير الذي جاءهم النهي الصريح عن أخذه، وبيّنت لهم رسلهم تحريمه، وعظمه وجرمه، إلا أنهم لم يلتفتوا لتلك النصوص والتحذيرات، فلم ينتهوا عنه، بل تناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل، وصنوف من الشُّبه، حتى بلغ من جرأتهم أن حرّفوا التوراة، وأقاموا نصوصها على الوجه الذي يرضون، فجعلوا الربا محرماً بين قومهم خاصّة، فلا يحل بين يهودي ويهودي، بينما هو سائغ مع غير الإسرائيليين، ومباح بين يهودي وأمّي، فاستحلوا لأنفسهم أكل أموال غير الإسرائيليين بالباطل، كما حكى الله ﷻ استحلال بعضهم أكل ما يأتمنهم عليه العرب، وأنهم ﴿ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥]، فرأوا أنفسهم في غاية العظمة، أما العرب فهم في غاية الاحتقار، فشرعوا جواز خيانتهم، ونفي الإثم في عدم أداء أموالهم إليهم^(١).

ط- أَكَلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ^(٢): وهذا أعمّ من الربا، فيشمل كل مال جاء من غير طريق مشروع، وهو أنواع: فمنه الجيانة والخداع، والقمار والغش، وغيرها^(٣).

فكانوا يأخذون الرُّشَا^(٤)، ويميلون في الحكم^(٥)، كما وصفهم الله به في قوله ﷻ: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢]، وكانوا يأخذون أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم، ثم ينسبونها إلى الله، ويأخذون الفداء على الأسرى من قومهم، وما أشبه ذلك من المآكل التي يصيبنها من

(١) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢ / ٢١٠، وتفسير القرآن العظيم ٢ / ٦١، وتفسير القرآن الحكيم ١٩٧ / ٩، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص ١٥٥.

(٢) الباطل: الشيء الذاهب، وهو ضد الحق. ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١ / ٥٢٢.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٩٢، والتحرير والتنوير ٦ / ٢٨.

(٤) الرُّشَا: الرشوة، وهي: ما يعطى لإبطال حق، أو لإحقاق باطل. ينظر: التعاريف ١ / ٣٦٥.

(٥) ينظر: معالم التنزيل ٢ / ٢٤٢.

عوامهم، ومما أكلوه بغير استحقاق، وبلا مقابل يعتد به، بل بطرق خبيثة^(١).

ولا يزال اليهود يراحمون، ويحرصون على كل مورد اقتصادي، حتى لا يكادون يدعون مكاناً لأحد، ومن غير نظر إلى التبعات، والأضرار على غيرهم.

وبتلك الأسباب الخبيثة وقعوا في العصيان، وارتكاب عدد من الجرائم المسببة لعقابهم؛ تأديباً وعقاباً، قال تعالى: ﴿فِيُظَلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١]، والله الحكمة البالغة فيما يحلل ويحرم؛ ولذلك حرم عليهم ما لم يحرمه على غيرهم من الطيبات.

ولم تبين هذه الآية ما حرمه الله ﷻ على اليهود من الطيبات؛ ولعل الغرض سياق العبرة بكونها عقوبة، لا بياها في نفسها، فأهمه كما أهم الظلم الذي كان سبباً في العقوبة؛ ليعم أي نوع منه يكون سبباً للعقاب في الدنيا والآخرة.

وقد حصل البيان والتوضيح لما حرمه عليهم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِعْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [النحل: ١١٨]^(٢).

وليس التحريم تعدياً عليهم، أو تعنتاً في معاملتهم، بل لأنهم بَعَوْا وَطَعُوا، والباغي يؤدب، ويوضع له حد يمنع من تجاوزاته، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

فلم يبدأهم الله بعقوبة، بل عاقبهم نتيجة لمواقفهم السيئة، وعلى أسباب خبيثة صدرت منهم، وعلى رأسها الظلم، فاستحقوا الحرج والتضييق، وتحريم الطيبات عليهم، إذ ليس في

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/ ٣٩٢، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٦٧، والتحرير والتنوير ٦/ ٢٨.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/ ١٩٥.

تلك الحرّمات من المفاسد ما يقتضي تحريم تناولها، وإلاّ حرّمت عليهم من أوّل مجيء الشريعة^(١).

وكانت بنو إسرائيل إذا ارتكبوا مخالفة لأمر الله، أو أمر رُسوله عوقبوا بتحريم نوع من الطيبات، أو صبّ عليهم هلاك، أو مضرة؛ لعلهم يرجعون^(٢).

ولعل القسوة والظلم سرت في أمرجتهم، فصار ذلك طبعاً فيهم، فأراد الله ﷻ أن يُلطّف طباعهم بتحريم مأكولات من شأنها تغليظ الطباع، ثمّ لما جاءهم عيسى عليه السلام أحلّ لهم بعض ما حرّم عليهم؛ إما لزوال سبب التحريم، وإما أن يكون عقاباً للذين ظلموا، ثمّ بقي ذلك على من جاء بعدهم؛ ليكون لهم موعظة وذكراً، وللأوليين سوء ذكر^(٣)، من باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ ولحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقِتْلَ))^(٤).

وحين نزل القرآن فاضحاً بغيهم، وناشراً ضلالهم، ومصرحاً بعقوبتهم، أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم، فجعلوا يبدون العجب والمكابرة والإنكار مما يُحدّث به القرآن الكريم عنهم، ويقولون: لم يُحرم علينا إلا ما كان محرماً على يعقوب عليه السلام، فكذبهم الله ﷻ في قوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَوْهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

أما بعد نزول التوراة فقد حرّم الله عليهم أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك^(٥).

وفي الحديث ((أَنَّ إِسْرَائِيلَ^(١) - يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرِضٌ مَرَضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ،

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ٢٦.

(٢) ينظر: معالم التنزيل ٢/ ٦٩، وتفسير الرازي ٨/ ١٢٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ٢٧.

(٤) سبق تخريجه في ص ٢٠٣، حاشية (٤).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٦٧، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦/ ٧٠.

فَنذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَعْنٌ شَفَاهُ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنْ سَقَمِهِ لِيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لِحَمَانِ اللَّيْلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا^(١).

ولعل الأطباء أشاروا عليه بتركهما؛ ليكون علاجاً له، فحرمها على نفسه^(٢).

وبالنظر لما حُرِّم على اليهود، وما حُرِّم على هذه الأمة ندرِك شيئاً من حكمة الله العليم الحكيم، فتحريم الطيبات عليهم تحريم عقوبة، بسبب ظلمهم، وبغيهم، وخروجهم عن منهج الله، ومجاورة حدوده، حيث أدخلوا على أنفسهم أشياء ليست حلالاً لهم، وأحلوا لأنفسهم ما حرم الله؛ ليمتعوا أنفسهم بشيء ليس من حقهم، فجاء التشريع الرباني فسلب حظهم من المتعة بالطيبات، حين استحلوا متعة في غير طيب؛ وذلك أن مرادات الشارع تأتي على غير أهواء ومرادات الخارجين عنه^(٣).

بينما السمة الواضحة في الشريعة المحمدية أنها قائمة على السماحة واليسر، فليس فيها ما يعنت أو يرهق، فكان التحريم فيها تزيهاً عن الخبائث التي تضر في الدين والدنيا.

ولقد سأل المؤمنون ربهم أن يصونهم عن أمثال هذه التغلظات؛ وذلك أن التشديد مظنة التقصير، والتقصير مسبب للعقوبة، ولا طاقة لهم بعذاب ربهم، فلا جرّم أن طلبوا السهولة في التكاليف قائلين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]^(٤)، فاستجاب لهم، وعافاهم من هذا البلاء، وجعل ما شرعه لهم قائماً على السماحة واليسر، قال تعالى: ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

(١) إسرائييل: لقب يعقوب عليه السلام، ومعناه: المجاهد مع الله. ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٤/ ٥، وتفسير المراغي ٤/ ٤،

والتفسير الواضح ١/ ٢٥٣، والتفسير المنير ٤/ ٥، ومعاني أسماء الأنبياء ١/ ٤.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ٤/ ٤٥٠، وأحمد ٤/ ٣١١، رقم ٢٥١٤، والطبراني في معجمه الكبير

١٢/ ٢٤٦ رقم ١٣٠١٢، من حديث ابن عباس عليه السلام، مرفوعاً، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. ينظر: تعليقه

على جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٣٧٨، رقم ١٦٠٥.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٤١٣، والجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٣٥.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٩٣.

(٥) ينظر: تفسير الرازي ٧/ ١٢٧.

حَرَجٌ ﴿الحج: ٧٨﴾.

فصارت هذه الأمة متجاوبة مع فطرة الله ﷻ، وما بعث به محمد ﷺ، من كونها أمة مختارة معصومة مرحومة، محفوظة عن التشديد والمشقة، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهكذا نرى ظلم الإنسان لنفسه، كيف كان سبباً خبيثاً نتج عنه التحريم والهوان والإذلال والإعنات، حتى دُفع عن الطيب، وذُيد عن الشهيء؛ نكالاً له بما كسب من ظلم وما جنى من بغي.

وبما سبق يتضح أن الأصل في الطيبات كان على الحل، ثم عوقبت اليهود بتحريم عدد منها، ثم جاء عيسى عليه السلام فأحل الله لهم بعض ما حرم عليهم، ثم جاءت شريعة خاتم النبيين لتحل جميع الطيبات.

٣- ما يُؤدِّي إلى حُدُوثِ الضَّرَرِ^(١):

فكل ما يوصل للضرر؛ ويكون سبباً للعداوة والبغضاء فهو سبب للخبث، قد نبهنا الله على اجتنابه، ومنعنا منه، وهذا من ألطاف الرب الجليل بنا؛ حيث جاءت آياته لتهدينا صراطه المستقيم، وتير عقولنا، وتصحح وجداننا، وتغذي أجسامنا بالغذاء الطيب، ولتحول بينها وبين أن نطعم الخبيث ليسلم البدن كله، جسداً وعقلاً، وقلباً وروحاً!

إن تناول ما فيه ضرر تعدي على النفس، وتعريض لها إلى الهلكة، قال تعالى: ﴿تَلَقُّوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، والنهي عن قتل النفس هي عن أسبابه، وعن كل ما يؤدي إلى الضرر بها^(٢).

(١) الضَّرَرُ: ضد النفع، ويطلق على كل أذى يلحق الشخص، في ماله المُحْتَرَم، أو جسمه المعصوم، أو عِرْضه المَصُون.

ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (ضر) ٤/ ١٣٥، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٢، والفروق اللغوية ١/ ٣٢٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٥٧، والبحر المحيط ٣/ ٢٤٢، وإرشاد العقل السليم ٢/ ١٧٠، ومنهج التشريع

وتحريم الشيء بسبب ضرره فيه استعلاء بالإنسان، واستكمال للكمال المنشود له، بل والمطلوب منه، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وهذه جميعها مطاعم ملوثة بالضرر والأمراض، فالميتة والدم ولحم الخنزير، والحيوانات التي تموت من غير ذكاة شرعية؛ كالمنخنقة والموقوذة، والمتردة والنطيحة، وما أكل منها السبع إلا ما ذكيتم، ولا تسوغها طبائع سليمة، بل تأباها وتعافها.

وكذا المطاعم التي منعتها الإسلام؛ حفاظاً على سلامة عقيدة المسلم وعبادته؛ ولما أحاط بها من جوّ كرهه يفسدها، ويفسد طعمها على أكلها، كتلك التي تُذبح لغير الله؛ قرباناً للأوثان، ومثلها جميع مطاعم الوثنيين حيث تفوح منها رائحة الشرك والكفر فهي على هذه الصفة طعام ملوث بالشرك بالله، فمن طعمها طعم الشرك معها^(١).

وكذلك المطاعم، والمكاسب التي حرمها الإسلام؛ لتعلق حق الغير بها كالطعام والمال المسروق، والمغتصب والمكتسب بقمار، أو بغاء، والتي يتجلى خبثها المعنوي وخبثها المادي؛ لما يحدثه طريق الوصول إليها من خلل، وضرر في نظام المجتمع، والذي قد يصل إلى قتل النفس، أو اعتداء على الأعراض، والأموال.

فلم يُحرّم الإسلام مطعوماً أو مالاً، إلا لضرر ينجم عنها، أو خبائث محققة لا يليق بالعاقل أن يتناولها، وما منها إلا وقد أثبت الطب فيه الضرر والأذى؛ لأن العلم الحديث الصادر عن تجارب صحيحة، وحقائق واقعية، يخدم الإسلام في كثير من المسائل، وكلما تمكن أكثر ازداد الناس معرفة بكثير من أسباب تحريم بعض المأكولات والمشروبات، وخبثها وضررها؛ وذلك أن دين الإسلام دين الصحة والسلامة، فلم يبح شيئاً إلا لمصلحة ولم يجرمه إلا لمضرة ظاهرة، أو خفية علمناها، أو لم نعلمها.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٦/ ٩٠.

٤ - الاستخبات، والاستقذار^(١):

وهذه قاعدة فيما لم يرد فيه نص، على قول كثير من العلماء^(٢)، قال تعالى واصفاً نبيه ﷺ: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتُ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فهو ينهاهم عن كل خبيث تستهجنه الجبلة القويمة، وتمحج الطباع السليمة، وتستقدره الخلقة السوية، والعقول الراجحة؛ كالأموال الخبيثة المكتسبة من: الربا والرّشوة، والعُلُول والسَّرقة، والخيانة والغصب^(٣)، وكل ما أخذ بطرق تضاد نصوص الشريعة، وتؤذي عباد الله، وتؤثر على اقتصادهم وممتلكاتهم، وتفوح منها رائحة القمار والغش^(٤)، وكالأطعمة الخبيثة؛ كالميتة والدم المسفوح، والخنزير^(٥)، ولحوم الحيوانات المفترسة؛ لأنها في نفسها مستخبة؛ كالحشرات.

وإذا كان الشرع الحكيم قد سبق إلى تحريم لحوم الحيوانات المفترسة، وأن طيب المطعم يؤثر في الحل، وخبثه يؤثر في الحرمة، فإن العلم الحديث والواقع أكداً تأثر الأكل بطباع المأكول^(٦)؛ لما فيها من القوة السببية التي تورث أكلها نبات جسمه منها، فتصير أخلاقه قريبة من أخلاق السباع التي تتغذى على الجيف، والقاذورات والنجاسات^(٧).

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن الإنسان يتأثر بطباع الحيوانات المعاش لها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((الْفَخْرُ وَالْخَيْلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ^(٨) أَهْلِ الْوَبْرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي

(١) الاستقذار: من قَدَرْتُ الشَّيْءَ، إذا كرهته، واجتنبته، ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (قدر) ٣ / ١٩٩.

(٢) ينظر: الأم ٢ / ٢٤١، وبدائع الصنائع ٥ / ٣٨، وبداية المجتهد ١ / ٤٧٠، والمغني ١١ / ٦٥.

(٣) الغصب: أخذ مال الغير ظلماً، وعدواناً. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (غصب) ٣ / ٥١.

(٤) الغش: ضدُّ النَّصْحِ، وَغَشَّ إِذَا لَمْ يَمَحْضَهُ النَّصْحَ، وَزَيْنَ لَهُ غَيْرُ الْمَصْلُحَةِ، أَوْ أَظْهَرَ لَهُ خِلَافَ مَا أَضْمَرَهُ. ينظر: الصحاح، مادة: (غش) ٣ / ١٥٠، ومقاييس اللغة ٤ / ٣٠٦.

(٥) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٩ / ١٩٧.

(٦) عن طريق علم الوراثة Genetics، الذي يدرس المورثات (الجينات) والصفات التي تورثها، وما ينتج عنه من تنوع الكائنات الحية. ينظر: موقع ويكيبيديا، ar.wikipedia.org.

(٧) الجيف: جمع جيفة، وهي: جثة الميت إذا أُنْتِنَ. ينظر: الصحاح، مادة: (جيف) ٤ / ٢٦.

(٨) الفدّادون: جمع فدّاد، يُقال: فدّ الرجلُ يَفِدُّ فِدِيداً إذا اشتدَّ صَوْتُهُ، وهم الذين تَعَلَّوْا أَصْوَاتَهُمْ فِي حُرُوثِهِمْ، وَمَوَاشِيهِمْ، عِنْدَ سَوْقِهَا لِكثْرَتِهَا. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٨٠٢.

أَهْلِ الْعَنَمِ))^(١)، وإذا كان مجرد المصاحبة تؤثر في الطباع فكيف بأكل لحمه وشرب لبنه، والتغذي بأجزائه؟.

ويظهر أن الراجع في معنى الآية أنه ﷺ لا يحرم إلا ما كان خبيثاً، فيكون الوصف بالخبث علة لما حرّمه الشرع، وأن الشرع لا يحرم إلا ما كان خبيثاً، وليس استطابة الناس واستخبائهم، ولو كانوا هم المرجع لصار الحِلُّ والتحريم أمراً نسبياً، فيكون الشيء حلالاً عند قوم حراماً عند آخرين؛ لأن بعضهم قد يستخبت الطيب، ويستطيب الخبيث^(٢).

٥ - النَّجَاسَةُ:

من أسباب خبث الشيء والمنع منه^(٣)، وهذا السبب يتصل من ناحية بما يضر الجسم، ومن ناحية أخرى بالاستقدار، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزْيِرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وكما أن نجاسة هذه المذكورات، وضررها ثابت شرعاً فإن نجاستها وخبثها ثابت عقلاً، وكما أن تحريم النجاسة يقتضيه الدليل الشرعي فإن الطب يؤيد ذلك؛ لأن ما يحكم عليه الشرع بالنجاسة هو غالباً مصدر للعدوى والأوبئة والأمراض؛ لما يحتويه من كم هائل من الجراثيم، وكونه وسطاً صالحاً لنموها، يغذيها ويسهل تكاثرها ونموها، وعليه فإن تناول النجاسات كلها محرم، فالدم والبول والغائط، والميتة كلها نجاسات يحرم أكلها، أو أكل ما تلوث بها من طعام أو شراب، والأمة مجمعة على حرمة تناول النجاسات^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب المناقب / ٤ / ١٧٩ رقم ٣٤٩٩، ومسلم، في كتاب الإيمان باب

تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه / ١ / ٧٢ رقم ٥٢.

(٢) ينظر: الشرح المتع على زاد المستقنع / ١٥ / ٢٣.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للكميا الهراسي / ٣ / ٦، وأحكام القرآن لابن العربي / ٣ / ٤٤١، وأضواء البيان / ٤ / ٢١٦.

(٤) ينظر: تفسير الرازي / ١٣ / ١٨٠.

٦- ما يُؤدِّي إلى الإسْكَار^(١):

والمراد به كل ما يغطي العقل وإن اختلفت مسمياته، وإذا ثبت لأي شيء أنه مسكر أو مخدر فاستطعامه كبيرة وفسق؛ لكونه يزيل العقل الذي قصد الشارع بقاءه، والانتفاع به، فهو آلة الفهم والإدراك عن نصوص الشريعة، والتميز به الإنسان عن الحيوان، والوسيلة إلى إثارة الكمالات عن النقائص^(٢)، والخمر شراب يغتال العقل، فيترل بالإنسان عن إنسانيته التي يحرص الإسلام على أن يبقيا في كيان المخلوق الذي كرمه الله ﷻ^(٣).

وهو شراب خبيث، قد ثبت شرعاً وعقلاً ضرره؛ العقلي والبدني والاجتماعي؛ إضافة إلى نجاسته على قول الأكثرين^(٤)، وكونه سبباً لكل خُبث ونقيصة؛ لذا حرّمته الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

لقد أجمعت الأبحاث الطبية الحديثة على ضرره، وأقرّ بذلك أهله ومُصنّعوه ومُسوّقوه^(٥)، وهذا من عظم الإعجاز التشريعي أن تتوافق موازين الشرع والطب على تحريم هذه الخبائث.

(١) الإسْكَار: نقيض الصُّحو، ومنه قوله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّمَا سَكِرْتُمْ أَبْصُرْنَا﴾ [الحجر: ١٥]، أي: سُدَّتْ، وَغُطِّيَتْ، وَمُنِعَتْ من النظر، كأن العين لحقها ما يلحق شراب المُسكر إذا سَكِرَ، وهو: حالة تُعَرِّض بين المرء وعقله، فَيَحْتَلِّ كَلَامُهُ الْمُنْتَظَمَ، وَيَنْكَشِف سِرُّهُ الْمَكْتُومَ. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧٤/١٧، وتهذيب اللغة، مادة: (سكر) ٣/٣٢٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٨/٣٢٢، وأسنى المطالب ٣/٢٨٤.

(٢) ينظر: الأشربة، لابن قتيبة ١/ ١١، ومنهج التشريع الإسلامي وحكمته ص ١٦، المسكرات والمخدرات ص ٣٠، وسبيل الدعوة الإسلامية للوقاية من المسكرات والمخدرات ص ٨٨.

(٣) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٥/ ١٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤/ ١٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/ ٤٢٦، والشرح الممتع ١/ ٤١.

(٥) ينظر: التفسير المنير ٢/ ٢٧٦، وأثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع ١/ ٧٥، وموسوعة الدين النصيحة ٢/ ٥٢.

المبحث الثاني: أسباب الطَّيِّب في القرآن الكريم:

من حكمة الله ﷻ، ورحمته أنه جعل العباد مفتقرين إلى جلب منافعهم الدنيوية والدينيوية، وأنها لا تحصل لهم إلا بالسعي بأسبابها الموصلة إليها.

وقد بيَّن في كتابه أسباباً مباركةً طيبة يسلكونها، فتوصلهم إلى مطالبهم العالية؛ فيفوزون بما يؤنسهم، ويحقق لهم سعادتهم.

وحينما يعرض القرآن الكريم جزاء المؤمنين فإنه يعلل ذلك بأسباب طيبة عظيمة أوصلتهم - برحمة الله - إلى ما يرضونه، وينعمون فيه من طيبات الدنيا والآخرة، وقد يجمل، وقد يفصل فيها.

وأصل هذه الأسباب الإيمان والعمل الصالح؛ فالله ﷻ جعل خيرات الدنيا والآخرة وحصولها بحسب قيام العبد بهذين السببين الطيبين^(١)، ولنقف مع القرآن الكريم حولهما:

١ - الإِيمَان^(٢):

بما أمر الله به من أصول الدين وقواعده، وهو التصديق الجازم بربوبية الله ﷻ، واستحقاقه العبادة وحده، واتصافه بصفات الكمال ونعوت الجلال، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله واجتناب نواهيه، وهو شرط في صحة الأعمال وقبولها، بل لا تسمى صالحة إلا به^(٣).

ومما نبه إليه القرآن وأرشدت له السنة أنه مكوّن من ستة أركان، وأنه لا يتم إلا بها كلها، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(١) ينظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٢ / ٩٣.

(٢) الإِيمَانُ في اللغة: التصديق، وفي الشرع: إقرار باللسان، واعتقاد في القلب، وعمل بالجوارح. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (أمن) ٥ / ٢٢٥، والتعريفات ١ / ٦٠، والإيمان لابن مندة ١ / ٣٤٧، وبصائر ذوي التمييز ١ / ٤٦٩.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٤٩.

وسأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن الإيمان، فقال: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))^(١).

فهذه أصول عظيمة يقوم عليها الإيمان، فلا إيمان لأحد إلا بها، وهي أسس مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بالجميع^(٢)؛ لذا يتأكد في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول؛ علماً وتعليماً، وتحقيقاً، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رُسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ويتتبع آيات القرآن الكريم فإنها ترشد إلى أن الإيمان بالله يشمل الإيمان بربوبيته^(٣)، وأن يوحد بالخلق والرزق، والملك والنفع والضرر، والإحياء والإماتة، والتدبير والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها^(٤)، كما قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ءَ وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي ءَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ءَ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ءَ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠ - ١١].

ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه، وما في هذا الكون من عجائب صنع الله لأرشدته ذلك إلى خالقه؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يتزل المطر، أو يخلق النطفة التي كان منها، أو يحولها إلى علقة أو مضغة، أو يجعل منها عظاماً، أو يكسو العظام لحماً.

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه ﷺ ١ / ٣٧ رقم ٨، من حيث عمر ﷺ.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣١٤، وتفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٣٤.

(٣) الربوبية: مصدر من الفعل رَبَّبَ، ومنه الربُّ، ويطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم

والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ. ينظر: تاج العروس، مادة: (ربب) ٢ / ٤٥٩.

(٤) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ١ / ١٥.

ومن كان ربًّا خالقًا رازقًا، مالكًا موصوفًا بكل صفات الكمال، ومترهاً من كل نقص،
وجب أن يكون إلهاً واحداً لا شريك له، ولا تصرف العبادة إلا له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [الذاريات: ٥٦].

فقلوب العباد مفضولة على توحيدته في برهوبية، ولكن لا يصح معتقدتهم فيه حتى
يلتزموا بتوحيد العبادة؛ الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت لتحقيقه الكتب، وسُلت من أجله
سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين، وبين أهل الجنة وأهل النار، وهو الذي أنكرته
الأمم السالفة فأوردتهم موارد الهلاك والعطب^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء: ٢٥].

فهو المستحق لجميع العبادات وحده، ولا يصح أن يعطى المخلوق شيئاً من خصائصه،
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) [الأنعام: ١٦٢].

ولقد عظم الإنكار على المشركين لما أقروا برهوبيته دون إلهيته، وصرّفوا العبادة لغيره
قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦) [يوسف: ١٠٦]، فما يُقرُّ أكثرهم
بالله ربًّا وخالقًا، ورازقًا ومدبرًا إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره، من الأوثان والأصنام
التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع^(٢).

وكذا لا يصح الإيمان حتى يوحد الله ﷻ في أسمائه وصفاته^(٣)، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١]؛ لما لهما من آثار عظيمة على
المؤمن، وتحقيقه لعبادة ربه، فلكل اسم من أسماء الله مدلول خاص، وتأثير معين في القلب
والسلوك فإذا أدرك المؤمن معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك تجاوب مع هذه المعاني،

(١) ينظر: العبودية ١/ ٧٧، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ١/ ١٣٨.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/ ٢٨٩، ومعالم التنزيل ٤/ ٢٨٣.

(٣) يقوم معتقد أهل السنة فيه على أساس الإيمان بكل ما وردت به نصوص القرآن، والسنة الصحيحة إثباتاً ونفيًا.

ينظر: الحجة ٢/ ٤١٠، ومجموع الفتاوى ٣/ ٣، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٢٧، وأضواء البيان ٧/ ٢٨١.

وانعكس هذا على تفكيره وسلوكه^(١).

وأرشد عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويشنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأسماء الله ﷻ كلها حسنى، بالغة في الحسن غاية، وهو ((طيب^(٣)) لا يقبل إلا طيباً))^(٤)؛ فلا يلحقه شيء من العيب والنقص، «فهو ﷻ طيب في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أحكامه، وفي أفعاله، وفي كل ما يصدر منه، وليس فيها رديء بأي وجه»^(٥).

ويأتي في المرتبة الثانية الإيمان بالملائكة الكرام، فهو ركن أساس في الإيمان، لا يتحقق الإيمان إلا به، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]؛ فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البر، والخير؛ وذلك أن هذه الأشياء أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه^(٦).

ولتقرير الإيمان بالكتب أمر الله المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب^(٧) بقوله تعالى: ﴿قُولُوا

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٣٢٧.

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨ / ٧٥.

(٣) هل يسمى الله ﷻ بالطيب؟.

محل خلاف بين أهل العلم، فمنهم من أثبتته، ومنهم من لم يجعله اسماً، وأن ما ورد هو على سبيل الخير، وهو أوسع من باب التسمية والوصف. ينظر: الفتاوى الكبرى ٢ / ٣٨٢، والتحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية ص ٢٧، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ١٦، والمجلى في شرح القواعد المثلى ص ١٢٧. (٤) أخرجه مسلم، في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها ٢ / ٧٠٣ رقم ١٠١٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) شرح الأربعين النووية للعثيمين ص ١٤١، وينظر: فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله ص ٥٤.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٢ / ٥، ومجموع الفتاوى ١٤ / ١٣٥.

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣ / ١٠٩، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١ / ٤٥.

كقضية اليوم الآخر، والتصديق فيه، والخوف من العذاب، ورعاية الأمانة، والقيام بالشهادة على أكمل وجه وأتمه.

وتتحدث سورة الحج عن الذين يستحقون المعونة الإلهية، والنصرة والغلبة، وأن من أجل أعمالهم إقامة الصلاة، كما شرعها الله؛ ليكونوا دائماً على ذكر، وولاء من ربهم الذي وهبهم هذا التمكين؛ فهم يترددون على بيته خمس مرات في اليوم واللييلة، وإعطاء الزكاة مستحقيها، بطيبة نفس، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ لأنهما دعامتان قويتان لبقاء الأمة وعزتها ووحدها؛ وصلاتها ونصرها، وحصول الشرف والفضيلة لها، وإلا تفرقت بها الأهواء، وتشتت بها المسالك^(١).

فهذه الأعمال الصالحة أسس الصلاح في المجتمع، والميزان الذي يسعد به الجميع؛ فأما إقامة الصلاة؛ فلدالاتها على القيام بالدين، وتجديد مفعوله في النفوس، وأما إيتاء الزكاة؛ فليكون أفراد الأمة متقاربين في نظام معاشهم، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فلتنفيذ أحكام الإسلام بين سائر الأمة من تلقاء أنفسهم؛ لأن فيهما إحياء شريعة الله وإصلاح عباده، وصيانة الدين وحماية العباد، وابتعاد أسباب الفساد والعقوبة^(٢).

أما سورة الذاريات فتطرح أنموذجاً لعدد من الأعمال الصالحة التي جاءهم الثناء والجزاء من ربهم بسببها، ومن ذلك ما يقومون به من إحسان في عبادة ربهم وإلى عباده، ومع إخلاص وقيام طويل في الليل لربهم؛ صلاة وقراءة، وذكرًا ودعاء، وتضرعًا، ومع قلة نومهم، وكثرة همهم وسخائمهم، وبذلهم لأصحاب الحاجات، والعوز فإنهم «إذا أسحروا أخذوا في الاستغفار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم»^(٣).

وُشَوِّق سورة الصف إلى الجنان والحصول على مساكنها الطيبة بسبيين: أولاهما الإيمان بالله، والثاني الجهاد في سبيله، وهو من أجل الأعمال الصالحة، إذا كان القصد نصره دين الله وإعلاء كلمته؛ إذ لا حياة للأمة بدونه، وأي أمة تدعه فستعيش الذل بأبشع صورته؛ لأن فيه

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٦٥١، تفسير القرآن الحكيم ٤ / ٥٢، والضياء اللامع ٢ / ٣٦٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٧ / ٢٨٠.

(٣) أنوار التنزيل ١ / ٢٣٦، وينظر: البحر المحيط ٨ / ١٣٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨ / ١٣٨.

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِنْزَاهُمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

أما الإيمان بالرسول فهو اعتقاد صادق أنهم أنبياء الله ورسله، مبعوثون بالبشارة والندارة، والدعوة للتوحيد؛ هداية للبشر، وإنقاذاً للأمم من الشرك والوثنية؛ وتطهيراً للمجتمعات من التحلل والفساد، فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، ونصحوا أممهم، وجاهدوا في الله حق جهاده، وجاءوا بمعجزات باهرات تدل على صدقهم، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله ورسله جميعاً^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

ويؤكد القرآن الكريم في كثير من آياته على الإيمان باليوم الآخر، وربطه بالإيمان، فقال

في وصف أهله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا لآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤].

وحينما يوقن المؤمن باليوم الآخر، وما يشتمل عليه من الأمور المغيبة عنا، وما هو كائن بعد الموت، مما أثبتته النصوص الصحيحة؛ من الموت وسكراته، وحضور ملائكته، ونعيم القبر وعذابه، والبعث، والحشر والشفاعة^(٢)، والحساب^(٣)، والحوض^(٤)، والميزان^(٥)،

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٥٣/٩، وتفسير القرآن العظيم ٣٤١/١، والجامع لأحكام القرآن ٥/٦.

(٢) الشفاعة: من الشفع، وهو ضم الشيء إلى مثله، والمراد بها «كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره». تهذيب اللغة، مادة: (شفع) ١/١٣٥، وغريب القرآن ١/٢٦٣، وبصائر ذوي التمييز ١/٩٥١.

(٣) الحساب: توقيف الله عباده على أعمالهم. ينظر: بصائر ذوي التمييز ١/٦٦٨، ولوامع الأنوار البهية ٢/١٧٢.

(٤) الحوض في اللغة: مجمع الماء، والمراد هنا: مورد عظيم، في الآخرة، ترده أمة محمد ﷺ، إلا من خالف هديه، وبدل بعده. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (حوض) ٢/١٢٠، وشرح الطحاوية ٢/٥٣.

(٥) الميزان في اللغة: آلة توزن بها الأشياء، وأما ميزان يوم القيامة فله كفتان لوزن أعمال العباد حسنهما، وسيئهما. ينظر: اعتقاد أهل السنة ١/١٧٧، والمحرم الوجيز ٢/٤٤٠، وتاج العروس، مادة: (وزن) ٣٦/٢٥٢.

والصِّرَاطُ^(١)، والجنَّة والنَّار، حينما يستشعر ذلك كله فإنه يحرص على طاعة الله؛ رغبة في ثوابه، ويبعد عن معصيته محبة وتعظيمًا وخوفًا من عقابه؛ ويسلو عما فاته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها، ويوقن بكمال عدل الله بين عباده، ومجازاتهم على أعمالهم، مع رحمته بهم^(٢).

أما الإيمان بالقَدَر: فهو سرٌّ من أسرار الله في خلقه، لم يَطَّلِع عليه ملكٌ مُقرب، ولا نبي مرسل، قد طَوَى^(٣) علمه عن أَنَامِهِ^(٤)، ونهَاهُمْ عن مَرَامِهِ^(٥)، قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وهو اعتقاد جازم بما سبق به العلم الرباني، وجرى به القلم مما هو كائن، وأن كل شيء بإرادته ومشيئته وتدييره، وأنه عِلْم كل ما كان، وقدَّر المقادير للكائنات قبل أن تكون^(٦). ولتحقيقه أثر بالغ في حياة المؤمن، فهو يعتمد على الله مع فعله للأسباب، في راحة للنفس، وطمأنينة في القلب؛ لأنه يدرك أن كل شيء بقضاء الله وقدره، فلا عجب بالنفس عند حصول مرادها، ولا قلق أو ضجر عند فواته^(٧).

إن الإيمان كله نور وهداية، يهبه الله لمن يشاء، ويصرفه عن من يشاء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وإذا كتبه الله ﷻ في قلب عبده، وثبت ورسخ فيه فلا يقوى أحد على محوه أبدًا، قال

(١) الصِّرَاطُ: في اللغة الطريق الواضح، والمراد: الصراط في الآخرة، وهو: جسر ممدود على جهنم، يمر الناس فيه على

قدر أعمالهم. ينظر: مجاز القرآن ١/ ٢٤، والدر المصون ١/ ٢٥، ولوامع الأنوار البهية ٢/ ١٩٢.

(٢) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ١/ ٣٣٠.

(٣) طَوَى: كتم. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (طوى) ١/ ٢٤٢، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٤.

(٤) الأَنَامُ: الخلق. ينظر: العين، مادة: (أتم) ٨/ ٣٨٨، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٦.

(٥) المَرَامُ: المَطْلَبُ: مختار الصحاح، مادة (روم) ص ١٣٢، وتاج العروس ٣٢/ ٢٩٥.

(٦) ينظر: جامع البيان ٢٣/ ١٩٥، وتفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٦، وأضواء البيان ٧/ ٥٤٩.

(٧) ينظر: أصول الإيمان ١/ ٣٣٦، ومنهج القرآن في القضاء والقدر ص ٨، والقضاء والقدر للأشقر ص ١٠٩.

حماية البلاد والعباد في دينهم، وأنفسهم وأموالهم، وأعراضهم وعقولهم، وفيه عزهم ورفعتم ومعتهم، وبه يتيسر للأمة تناول أسباب النجاح، ويحف اللطف الإلهي بالأمة فيدفع عنهم العراquil والموانع^(١)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرْ عَلَىٰ يَحْزَنُ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝١٠ تَوَمَّنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

وتذكر سورة الإنسان بأعمالٍ صالحة صدرت عن إيمان عميق من الأبرار؛ كوفائهم بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وقصدتهم بالنفقة وإطعام الطعام وجه الله ﷻ، لا مالاً ولا ثناء، وتصرح بالسبب الطيب الذي أوصلهم دار الكرامة، قائلة: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١٢]^(٢)، والجزاء على العمل يتم ويكمل في الآخرة، حتى ولو قُدم منه قسط في الدنيا.

والجنات لا تكون إلا لمن جمع الإيمان والعمل الصالح، ومنه التواصي بالحق والتواصي بالصبر، كما في سورة العصر، وتخصصهما بالذكر مع اندراجهما في الأعمال الصالحة، لإبراز كمال الاعتناء بهما^(٣).

وهكذا تقرر كثير من آيات القرآن العزيز السبب الذي نالوا بها كرامة الله، وما أحله عليهم من الطيبان، فتختم جزاء المؤمنين بأن ما هم فيه سببه أعمالهم الصالحة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ ٱلْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ ۚ يَقُولُونَ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ۖ أَدْخَلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ [السجدة: ١٩].

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٨ / ٢٨٤.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٠١.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ٥ / ١٧٢.

تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

فأثبت الآيات أن الإيمان راسخ في قلوبهم كأنه مكتوب فيها^(١)، وعند يكون ذلك فإنه يتحول إلى أمر محسوس يدركه المؤمن، ويشعر به، ويكون داراً ومترلاً وقراراً له، كما قال تعالى عن الأنصار حين سكنوا المدينة قبل المهاجرين فامتلكوها، وتبوؤا الإيمان فتمكنوا منه^(٢): ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

فالإيمان هو الأصل الذي يَنْبُتُ ويخرج منه كل فرع من فروع الخير، وتعلق به كل ثمرة من ثماره، وإلا فهو فرع مقطوع من شجرته، صائر إلى ذُبُولٍ، وجفاف.

والقرآن الكريم يهدر قيمة كل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل، ولا ينبع من هذا المنهج، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]؛ لأنه لم يصدر عن روح مؤمنة بالله، ولم يُبدَل لوجهه الكريم، من هنا كان عديم القيمة في الميزان، مهما كان ذا قيمة في موازين أهل الأرض^(٣).

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٢٨٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٢٣٤٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢١.

(٣) في ظلال القرآن ٨/ ٩٠، والتفسير القرآني للقرآن ٧/ ٣٥٩.

٢- العمل الصالح:

وهو كل طاعة خالصة لله، وكل ما يقرب إليه؛ من الأقوال والأفعال، حسبما قررته الشريعة، سواء أكان ذلك على مستوى الفرد أم الجماعة^(١).

فالعمل الصالح مع الإيمان هما السبب والأصل في دخول الجنة، والنجاة من النار، والحياة الكريمة، والعيشة الطيبة الهنيئة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تُوَفَّقُوا لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فأعمالهم الطيبة التي حصلت كانت سبباً لما وصلوا إليه من المنازل العالية، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، فهذه لا تقرب إلى الله، وإنما طابت قلوبهم بالإيمان به ومحبتة، وأستنتهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، فرحمهم وتفضل عليهم بجنته ونعيمه^(٢).

وعندما نستعرض سور القرآن الكريم نجد في كثير منها البيان والحث والتشويق للأعمال الطيبة، التي كانت السبب لما يلقاه المؤمنون عند ربهم.

ففي آيات من سورة آل عمران تذكير وتثوية^(٣) بجزاء المتقين، وأن ذلك بسبب مجموعة من الأعمال الصالحة التي أوصلتهم برحمة الله إلى الجنات؛ كالنفقة في السراء والضراء، وكظم الغيظ والعفو، والمسارة إلى التوبة، وذكر الله واستغفاره، وعدم التمادي والإصرار على ما يغضبه؛ من الفواحش والظلم.

أما سورة الرعد فتعقد مقارنة بين أعمال الطيبين والخبثين، مبتدئة بصالح أعمال الطيبين قائلة: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(٤) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ^(٥) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّونَ بِلِحْسَنِ النَّسِيئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِقَابُ الدَّارِ^(٦) [الرعد: ١٩ - ٢٢].

(١) ينظر: الإيمان والعمل الصالح سبب النجاح والفلاح ١/ ٦٥.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٦٤، و٤٣٩، والوسائل المفيدة للحياة السعيدة ص ٢١.

(٣) التثوية: رفع ذكر الشيء وتعظيمه. ينظر: أساس البلاغة ٢/ ٣١١، والتوقيف على مهمات التعاريف ص ١١٠.

الفصل السادس

أساليب القرآن في التحذير من الخبيث والحث على الطيب

وفيه تسعة مباحث:

- المبحث الأول: أسلوب الأمر.
- المبحث الثاني: أسلوب النهي.
- المبحث الثالث: أسلوب النفي.
- المبحث الرابع: أسلوب الاستفهام.
- المبحث الخامس: أسلوب الوعيد.
- المبحث السادس: أسلوب الوعد.
- المبحث السابع: أسلوب الذم.
- المبحث الثامن: أسلوب المدح.
- المبحث التاسع: أسلوب ضرب الأمثال.

وتُعْرَضُ سورة الفرقان مجموعة أخرى من الأعمال الطيبة الصالحة التي صدرت من عباد الرحمن، ونالوا بها شرف الإضافة والتكريم، فكانت سبباً في كرامتهم، وحصول الطيبات لهم، فوصفهم الله ﷻ بحسن الأدب والسكينة والتأني، فهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، والمشي الهين على الأرض علامة على التواضع ولين الجانب، وسماحة الخلق^(١).

وإذا رماهم السفهاء بالكلمة الخبيثة أعرضوا عنهم، وقالوا: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، فلا تزيدهم شدة الجهل عليهم إلا حِلماً؛ وذلك أن أخلاقهم متينة وطباعهم كريمة، وقلوبهم حية، لا تخلو من ذكر الله حتى في أوقات الراحة والنوم، فهم مقبلون على ربهم بالعبادة والذكر، سجداً على وجوههم، وقياماً على أقدامهم في خضوع وإجلال وتضرع؛ لعل ربهم يدخلهم جنته، وينجيهم من ناره^(٢).

ومع ذلك فهم يلزمون الطريق الوسط في حياتهم، وفي كل شأن من شؤونهم، فلا إفراط^(٣) ولا تفريط^(٤)، وأكثر ما يتجلى هذا المبدأ في إنفاقهم للمال الذي هو عملية مستمرة في الحياة اليومية، فلم ينفقوا في معصية، ولم يبذلوا مالاً في غير محله، ولم يجاوزوا الحد في النفقة بالتبذير، فيضيعوا الأموال في غير حقها فيكونوا إخوان الشياطين، ولم يضيّقوا فيضيعوا حق الله أو حق عباده، بل إنفاقهم فيه اتباع واستقامة على منهج الله، فهم وسط بين الإسراف، والتقتير^(٥).

وفي جانب الذنوب والمعاصي، هم منها على حذر شديد، خاصة أمثامها، والتي أعظمها الشرك بالله وقتل النفس والزنا؛ فهم في عبادتهم لربهم مخلصون، ودعائهم متجه إليه، ولا يعتدون على أحد، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا من كان مستحقاً له، ولم يندسوا

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ٢٩٣، والدر المصون ١ / ٣٧١٦، والتحرير والتنوير ١٩ / ٦٩.

(٢) ينظر: معالم التنزيل ٦ / ٩٤.

(٣) الإفراط: التجاوز. ينظر: الصحاح، مادة: (فَرَطَ) ٣ / ١١٤٨، ومقاييس اللغة ٤ / ٤٩٠، والمفردات ص ٦٣١.

(٤) التفريط: التقصير والتضييع. ينظر: العين، مادة: (فَرَطَ) ٧ / ٤٢٠، والصحاح ٣ / ١١٤٨، والمفردات ص ٦٣١.

(٥) ينظر: معترك الأقران ١ / ٢٢٤، والتحرير والتنوير ١٩ / ٧١.

فروجهم بالخبائث والفواحش، ومن أقدم منهم على شيء من ذلك فهو مسارع إلى التوبة المقرونة بالإيمان والعمل الصالح، بل ما لديهم من الإيمان يحجزهم من كل خبيث من قول أو فعل فلا يُدلون بشهادات مُزورة، ولا يحضرون مجالس الفحش، والهجر، ولا يستمعون مقالات الكذب والبهتان، وإذا وقع في طريقهم مشهد من مشاهد العيب واللّهو، لم يقفوا عنده، ولم يُلقوا آذانهم، أو أبصارهم إليه، بل مرّوا به وهم مترفعون بإيمانهم عن أن يشاركوا في هذا الباطل من قريب أو بعيد؛ لأنهم سمعوا آيات الله تتلى عليهم فتلقوها باستجابة وقبول، ولم يَضيقوا بها ذرْعاً^(١)، ولم يُصموا آذانهم عن سماعها ورؤيتها، كحال الغافلين والجاهلين، فصاروا أهل صلاح وتقوى، ومن تمام صلاحهم وتقواهم أنهم يدعون الله بصلاح أزواجهم وأولادهم؛ حتى يأتلف جمعهم وتتوحد مشاعرهم، ويكونوا قدوة لأهل الإيمان في الخير والإحسان، وأن تكون أعمالهم قائمة على طريق الحق والعدل، حتى يكونوا أسوة في الطريق إلى الله^(٢).

وأما سورة الشورى فتسوق آياتها أعمالاً صالحة قدمها أهل الإيمان، وأوصافاً طيبة تحلوا بها، وخصال كمال تجملوا بها، كانت أسباباً طيبة سعدوا بها^(٣)، قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَنَّ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبُغْيُ هُمْ يَنصُرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٦ - ٣٩].

وحينما نتحدث سورة المؤمنون عن فلاحهم، فإن السبب هو أعمالهم الصالحة، ومن أهمها الصلاة الخاشعة، والإعراض عن اللغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفروج عن الحرام. وتأتي سورة المعارج فتؤكد هذه الأعمال الصالحة، وتضيف إليها أعمالاً أخرى،

(١) الذَّرْعُ: من قولهم: ضاق ذرْعِي عن كذا وكذا، إذا لم أطقه، وأصلُ الذَّرْعُ: بسطُ اليد، كأن اليد مُدَّت إليه فلم تنله. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (ذَرَع) ٢/ ٦٩١، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٧، والصحاح ٣/ ١٢١٠.

(٢) ينظر: معالم التنزيل ٦/ ٩٣، والبحر المحييط ٦/ ٤٦٨، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ١٢٢.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٥٩.

وتتابع الآيات مبينة أن إيمان المؤمنين وأعمالهم الصالحة هي الأسباب الطيبة الموصلة إلى النعيم المقيم^(١)، وأن أهل الجنة يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤) [الحاقة: ٢٤]، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) [الطور: ١٩] و[المرسلات: ٤٣].

إن الجنة ليست ثمنًا للعمل، فهي شيء عظيم، لا يمكن أن يناله المرء بأعماله التي عملها وإنما تنال برحمة الله وفضله، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٢) [الزخرف: ٧٢].

ولا تعارض بين هذه الآيات، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ))^(٢).

فهذه الآيات وغيرها كثير دالة على أن الأعمال سبب لدخول الجنة، وليست ثمنًا لها، والحديث ينفي أن تكون الأعمال ثمنًا للجنة^(٣)؛ فالرسول ﷺ «نفي بقاء المقابلة والمعادلة، والقرآن أثبت بقاء السبب»^(٤).

هذا ومن المقرر شرعًا أن العمل لا يُقْبَلُ إِلَّا بِشَرْطَيْنِ: الإخلاص لله ﻋَظِيمًا، والموافقة لشرعه القويم؛ ولذا ذكر الله ﻋَظِيمًا جزاء العاملين في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [النحل: ٩٧]؛ فالإيمان شرط في صحة الأعمال، وقيد لازم لقبولها والجزاء عليها في الآخرة، ولا تسمى صالحة إلا به؛ لأنه التصديق الجازم المرضي عند الله

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨١٤، و٩٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب تمنى المريض الموت ٧/ ١٢١ رقم ٥٦٧٣، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى ٤/ ٢١٧٠ رقم ٢٨١٦.

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/ ٩٥.

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١/ ٢٥٣، وينظر: الإيمان والعمل الصالح ١/ ٨١.

والمثمر لأعمال الجوارح؛ من الواجبات والمستحبات^(١).

وكل عمل لا يسبقه إيمان صادق فإنه لا جزاء عليه في الآخرة؛ لأنه مُقَدَّم لغير الله، وغير مُحتسب عنده الأجر، وأنى لصاحبه ذلك وهو غير معترف به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

فمن عرف الله ولم يعرف الحق لم ينتفع، ومن عرف الله وعرف الحق ولم يخلص العمل لم ينتفع، ومن عرف الله وعرف الحق وأخلص العمل ولم يكن على السنة لم ينتفع، والذين جمعوا بين الإيمان والأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب، وأعمال الجوارح على وجه الإخلاص والمتابعة، هم المنتفعون، المستحقون للحياة الطيبة، ودخول الجنان^(٢).

إن الله وَعَلَّمَكَ لم يثن على المؤمنين ولم يصف ما أعد لهم من النعيم المقيم والنجاة من العذاب الأليم، ولم يخبرهم برضاه عنهم إلا بالإيمان والعمل الصالح، والسعي الرابع، فقرن القول بالعمل، والنية بالإخلاص؛ حتى صار اسم الإيمان مشتملاً على المعاني الثلاثة؛ قولاً باللسان، وعملاً بالجوارح، واعتقاداً بالقلب، لا ينفصل ولا ينفع بعضها دون بعض^(٣).

إن سعادة الإنسان العاجلة والآجلة بالإيمان والعمل الصالح، وهذا صريح آيات القرآن الكريم، والمتتبع لآياته يجد أنه أفرد الإيمان بآيات كثيرة، وجعله مقترناً بالعمل الصالح في أكثر من سبعين موضعاً، منها ما تقدم، ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾ [الرعد: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

فالآيات التي أفرد بها الإيمان فيقصد به جميع عقائد الدين، وشرائعه الظاهرة والباطنة

(١) ينظر: تفسير الرازي ٨ / ١٦٦.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٥٨.

(٣) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة ٢ / ٧٧٩، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧ / ٢٠١.

مدخل:

الأسلوبُ: الوجه والطريق، والمذهب والفن، وجمعه أساليب، يقال: سلك أسلوبه: أي طريقته، وكلامه على أساليب حسنة، وأخذ فلان في أساليب من القول: أي أفانين منه^(١).

وأساليب القرآن الكريم في معالجة القضايا كثيرة ومتعددة، وصور بلاغته تتعدد بتعدد تلك الأساليب وتنوعها.

ولا يخفى أن للأسلوب أثرًا في الفهم والوضوح وبلوغ المراد، مما يجعل الكلام يتميز عن غيره مما هو معتاد.

وللقرآن الكريم أسلوبه الفريد؛ في حديثه عن الخبيث والطيب من خلال عرضه لأمثلته، وأمره ونهيه، وقرنه بين الوعد والوعيد، والمدح والذم، وغيرها من الطرق المؤثرة والمعجزة^(٢)، ويمكن أن نستجلي بعض أساليبه من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: أسلوب الأمر:

جاء أسلوب الأمر^(٣) في القرآن الكريم في غاية من البيان والعمق؛ من خلال أفعاله الدالة عليه، وما تعبر عنه من المعاني البلاغية^(٤)؛ التي يرشد إليها السياق والقرائن، ومقتضيات الأحوال؛ لتحقيق الحكمة الإلهية من تلك الأوامر، بأسلوب متميز معجز.

وعندما نستعرض الآيات التي تحدثت عن الطيبات فإننا نلاحظ التنوع في توجيه الخطاب حيث جاء الأمر بالأكل من الطيبات بأسلوب العموم والخصوص، ولعدد من المخاطبين، قال

(١) ينظر: الصحاح في اللغة، مادة: (سلب) ١/ ١٦٧ وتهذيب اللغة ٤/ ٢٨٩، وتاج العروس من جواهر القاموس ٣/ ٧١، والأسلوب ص ٤١.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن ص ٣٥، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٦١، والأسلوبية والأسلوب ٣٤.

(٣) الأمر: طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء. ينظر: تيسير التحرير ٢/ ١٣٤، والإيضاح في علوم البلاغة ٣/ ٨١، والبحر المحيط في أصول الفقه ٣/ ٢٦١.

(٤) قال الفيروزآبادي: «والأمر ورد في نصّ التثريب على ثمانية عشر وجهًا» ثم عدّها. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٤٠ وينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٢٧٧.

ولهذا يرتب الله عليه حصول الثواب والنجاة من العقاب، وأما الآيات التي قرُن فيها بالعمل الصالح فيُفسَّر بما في القلوب من المعارف والتصديق، والاعتقاد والإنابة، ويفسر العمل الصالح بجميع الشرائع القولية والفعلية^(١).

وهذا التلازم الذي كرره القرآن مرة بعد مرة بين الإيمان والعمل الصالح يؤكد شدة الارتباط والتلاحم^(٢)، فلن تنفع أفعال الخير صاحبها في الآخرة إذا لم يكن مؤمناً بالله ﷻ قائماً بواجباته، كما يؤكد أنه لا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر^(٣).

وفي هذا الترابط بينهما فيه إشارة إلى وجوب تلازمهما، واعتبار العمل الصالح عنواناً ومظهراً للإيمان؛ لأنه لا يصح إيمان العبد بوحدة دون الأخرى؛ فمن زعم وجود العمل في قلبه دون جوارحه فإنه لا يثبت له اسم الإيمان؛ لأن الأعمال والأقوال الظاهرة من لوازم الإيمان التي لا تنفك عنه^(٤)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً وَلَا بَنِينَ وَلَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ [المائدة: ٨١].

كما أن في تقديم الإيمان على العمل الصالح إشارة إلى انبثاق العمل الصالح من الإيمان، فالإيمان هو الذي يدفع صاحبه إلى الخير، ويدفعه عن الشر^(٥).

والبيان القرآني لا ينبغي بديلاً عن كلمة الصالحات، أو العمل الصالح؛ لأنها كلمة عامة تعبر عن المهام التي خلق من أجلها الإنسان في هذه الحياة؛ مما يرضي الله ﷻ؛ لينهض بها، فما من عمل يُصلح حالة البشري، أفراداً أو جماعات، طبق المقاصد التي تدور عليها أحكام الشريعة الإسلامية إلا وهو داخل تحت معنى العمل الصالح^(٦).

إن مقياس الصلاح لا يتمثل فيما يتصوره الإنسان بمقاييس أهوائه ورغباته، وإنما يتحقق

(١) ينظر: القواعد الحسان في تفسير القرآن ١ / ٤٥.

(٢) التلاحم: التداخل. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (لَحَم) ٥ / ٢٣٨.

(٣) ينظر: التفسير الحديث ٢ / ٢٥٩.

(٤) ينظر: الإيمان حقيقته، حوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ١ / ٥٢.

(٥) ينظر: التفسير الحديث ١ / ٥٦٨.

(٦) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ / ٢٨١.

الصالح بمقياس الكتاب والسنة، وبمقياس الاستجابة لأوامرهما ووصايهما.

والحكمة في هذا ظاهرة قوية، فالإيمان يمنح صاحبه طمأنينة واستقراراً، فيجعلانه يصدر في أعماله وأهدافه عن يقين وقصد وثبات، ويتحمل لتحقيق ذلك ما قد يلاقه من مصاعب، وما تمس الحاجة إليه من توضيحات، ويجعل صاحبه يقبل على الخير، والعمل الصالح، وينقبض عن الشر والإثم؛ ابتغاء وجه الله، واتقاء لغضبه وطمعاً في رضوانه.

والإيمان والعمل الصالح هما المنجيان من كل الهلكات، يدرك المؤمن ذلك حينما عاهد ربه عليهما، فإن نكث وعده، وأطاح عهده، فلا يكسب إلا مقتته، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

فالبركة في تلك الكلمة المقترنة بالعمل المخلص^(١)، إذ المسلم قدوة لغيره، فإذا دعا إلى أمرٍ فعليه أن يكون أول المتزمين به، وإذا نصح فعليه أن يكون ملتزماً بما ينصح به، وعندما يُفقد العمل الصالح، فإن أمراضاً عديدةً ستنشأ وتتمو بين المسلمين، جماعات وفردى، وما قيمة الشخص إذا أصبح مُحِبًّا للعلم، والمعرفة فحسب، من غير عملٍ يصدِّق ما تعلَّمه، وإنما ليقال عنه: عالمٌ، وقارئٌ؟.

إنه لا معنى للأقوال إلا بالعمل والتطبيق؛ لأن فائدة الإيمان، وثمرته العمل به، فهو الثمرة اليانعة للجذور الممتدة في الأعماق.

آفاتُ العمل الصالح:

مما سبق يمكن طرح سؤال تحذيري وقائي: هل توجد آفاتٌ للعمل الصالح؟.

والجواب نعم، قد أشار القرآن الكريم إلى شيء من ذلك، فمنها:

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٣٥٠، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥ / ٢٧٧.

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨]، فالآية نداء لعموم الناس بأن يأكلوا من جميع خيرات الأرض، من حبوب وثمار وفواكه وحيوانات، وغيرها من أصناف المأكولات، فقد أحل الله لهم كل طيب فيها، فليأكلوا مما لا شبهة فيه ولا إثم، وأن يكونوا على حذر من تلاعب الشيطان بهم، فيجعلهم يُحرّمون على أنفسهم ما لم يكن في شرع الله^(١).

وهذا النداء الرباني يُشعر بعموم الرزق للناس، وأن الكفر لا يحجب الرزق الإلهي، فإنه ﷻ جعل رزق الاقليات لعموم خلقه، إلا أن كل مجرم خبث يأكل ويتمتع أياماً قلائل، ثم يبقى في الهلاك الدائم، قال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات: ٤٦]، وهذا أسلوب أمر معناه التهديد والوعيد بأن يأكلوا في بقية آجالهم، ويتمتعوا بقية أعمارهم ثم ينتقم الله منهم؛ لأنهم مكتسبون ما يضرهم في الآخرة؛ من الشرك والمعاصي^(٢).

ثم يتنوع أسلوب الخطاب، ويتوجه الأمر لبني إسرائيل خاصة، في آيات كثيرة؛ ليذكّرهم بمتن الله عليهم؛ من السقيا بعد العطش، وسترهم من حر الشمس بالسحاب الأبيض، وإنزال ما يتلذذون بشربه وأكله من الحلوى واللحوم، ثم بعد أن اجتمع لهم الظلال والماء وأطيب الطعام جاءهم الأمر بالأكل من هذه الطيبات، وشكر الله عليها^(٣)، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَٰبَ الْأَرْضِ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

ولم يزل الله ﷻ يعطيهم الطيبات ويمتن عليهم بها، ويأمرهم بالأكل منها؛ لیسئلوا بها عن غيرها، قائلاً لهم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ

(١) ينظر: الوجيز ص ١٤٣، والمحرم الوجيز ١/ ٢٣٧، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٠، والتحرير والتنوير ٢/ ١٠١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٤/ ١٤٤، والوجيز ص ١١٦٤، ومدارك التزئيل ٣/ ٥٨٨، والبحر المحيط ٢/ ١٠٩.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣/ ١٧٦، والكشاف ٢/ ١٥٩، ومدارك التزئيل ٢/ ٧٣.

أ- آفة الرياء^(١): وحب الظهور، ولفت الأنظار إلى العمل، وهذه من صفات المنافقين، الذين قال الله عنهم: ﴿رَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨ - ١٩].

والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين للنفس على الخلاص منه، ومجاهدتها في مدافعة خواطره، مع الاستعانة بالله على دفعها؛ لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده^(٢).

ب- آفة المن بالطاعة: وكان نفعها ليس عائداً عليهم، ولا لصالحهم^(٣)، قال الله تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

ج- آفة المن على الناس: وهي سبب لبطلان الأعمال، وزوال بركتها، وثوابها^(٤)، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وما أكثر الأعمال التي يقوم بها الإنسان وهي في ظاهرها أعمال صالحة، ولكنها تحولت بسبب سوء القصد إلى أعمال فاسدة؛ لأنه ابتغى بها تغذية أهوائه، ومقاصده الدنيوية.

(١) الرياء: «أن يعبد الله ليراه الناس». القول المفيد على كتاب التوحيد ١ / ٨١.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ١ / ١٣٢، وينظر: تيسير العزيز الحميد ١ / ٤٦٤.

(٣) ينظر: التفسير المنير ٢٦ / ٢٧٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢ / ٣٢١، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٦٩٤، وتفسير القرآن الحكيم ٣ / ٥٢.

وما من إنسان تبين مبادئ الإسلام، وأصغى السمع لنور الوحيين، إلا وعلم الأعمال الصالحة، وتبين الفرق الذي بينها وبين الأعمال الفاسدة.

فليس في الناس من لا يعلم أن الفواحش، والظلم، وسوء الأخلاق من الأمور الخبيثة، وليس في الناس من لا يعلم أن العبادات على تعددها وتنوعها من الأعمال الطيبة.

ولكن الخطر العظيم يكمن في انصراف قصده بعمله عن مرضاة الله ﷻ، والتقرب إليه وتنفيذ أمره؛ وذلك أن الدواعي النفسية من شأنها أن تتدخل، وأن مصالح الإنسان الدنيوية من شأنها أن توجد، وأن مشاعر الإنسان تجاه الآخرين قد تظهر، وعند ذلك سرعان ما تصبح هذه الأعمال المشروعة مقيدة بقياد النفس وأهوائها، ومن ثم يكون العمل صالحاً في مظهره، ولكنه يتحول إلى عمل فاسد بسبب سوء القصد الذي استكن في النفس، وعن هذا النوع من الناس يتحدث بيان الله ﷻ إذ يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ [هود: ١٥].

فلم تتحدث الآية عن العمل، ولم تقل: من كان يقوم بأعمال فاسدة، بل تحدثت ونبهت على القصد، والدافع إلى العمل؛ لأنه قد يكون صالحاً بحسب الظاهر لكنه أراد به الحياة الدنيا وزينتها^(١).

إن العمل الذي لا يصدر عن إيمان يكون معرضاً للانقطاع، والتردد والتأثر بالمؤثرات والاعتبارات الشخصية، والنفعية والظرفية، وكثيراً ما ينصرف المرء عنه حينما يلقي المصاعب والمشاكل، أو حينما يتطلب منه التضحيات، أو لا يكون من ورائه جلب خير، أو دفع شر عاجل.

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ١٢/١٩٧، وتفسير المراغي ١٢/١٦، والتفسير الحديث ٣/٥١٣.

عَضْبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ [طه: ٨١].

ثم يتجه الخطاب ثالثة بأسلوب التخصيص فيكون للمؤمنين؛ لِيُمَيِّزَهُمُ اللهُ بِبَدَاءِ خَاصٍ يَأْمُرُهُمْ فِيهِ بِالْأَكْلِ مِنْ طَيِّبَاتِ الْأَرْضِ، وَشَكَرِهِ وَاسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّقْوَى بِهَا عَلَى مَا يُوصل إِلَيْهِ، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

فالآية تلفت انتباه المؤمنين بأن يتحروا طيبات ما رزقوا، ويقوموا بحقوقها، إن صح أنهم يخصصونه بالعبادة؛ لأن إيمانهم يجعلهم ينتفعون بالأوامر والنواهي، ويحجزهم عن تناول ما ليس لهم، فلا يلحقهم بذلك تبعة^(١).

ولما نهي ﷺ عن تحريم الطيبات أعقبه بأسلوب التأكيد مباشرة بالأمر بالأكل منها؛ ليكون المؤمنون على ضد ما عليه المشركون، الذين يحرمون ما أحل الله^(٢)، فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٨].

وإيراد التقوى عقب النهي عن تحريم الطيبات والأمر بالأكل من الرزق الطيب الحلال، للدلالة على أنه لا منافاة بين الاستمتاع بطيبات الرزق وبين التقوى^(٣)، وكان ﷺ أتقى الناس لربه، ومع ذلك كان يحب الحلوى ويأكل الثريد^(٤)، ويمدحه^(٥).

ويتواصل الأمر للمؤمنين بالأكل من الرزق الحلال الطيب، في قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

كما يلفت القرآن الكريم انتباههم إلى حالتهم في مكة، ومِنَّةُ اللهِ عَلَيْهِمُ بِالطَّيِّبَاتِ، قال

(١) ينظر: جامع البيان ٣/ ٣١٧، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٤٤٩، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠/ ٥٢٢، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/ ٢٩١.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٧/ ٩، وروح البيان ٢/ ٣٤٥، والتفسير المنير ٧/ ١٤.

(٤) الثريد: من الترد، وهو فت الشيء وهشمه، وهو الخبز باللحم، وهو من أشهى الأطعمة، وأطيبها. ينظر: مقاييس

اللغة، مادة: (تَرَدَ) ١/ ٣٧٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٧١، وزاد المعاد ١/ ١٤٢.

(٥) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ١/ ١٤٢.

تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَآيَدِكُمْ بِنَصْرِهِ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، فكانوا مستضعفين، خائفين، فكثرتهم بعد القلة، وأغناهم بعد العيلة^(١)، وقواهم بعد الضعف، وأعزهم بعد الذلة، ونصرهم على من عاداهم، وأعزهم برسوله ﷺ، وجعل لهم المدينة بلداً يأوون إليها بعد أن كانوا مقهورين تحت حكم غيرهم، ورزقهم الغنائم وأحلها لهم، ولم تحل لمن قبلهم^(٢).

ويتنوع أسلوب الخطاب الإلهي فيكون متوجهاً للرسول ﷺ أمراً لهم بالتمتع بالطيبات والأكل من الحلال، والقيام بصالح الأعمال، في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، فكل رسول أمر في زمنه بالأكل من الحلال، والعمل الصالح؛ لما لأكل الحلال من تأثير معروف في الأعمال الصالحة والعون عليها وقبولها، كما أن للأكل أثراً بيّناً في توجيه النفس ناحية الخير أو الشر، فهو غذاء للبدن وقوة له؛ فإذا كان الغذاء طاهراً نقياً، طيباً حلالاً كان وقوداً نظيفاً نافعاً، دافعاً للعمل الطيب، والإعانة على كل خير؛ أما إذا كان غذاء حراماً فإنه يدفعه إلى سيئ الأعمال وخبيثها، ويثبته عن الخير ويفتح له أبواباً من الشر والبلاء، مما يسبب قسوة القلب، وعدم الانقياد للشرع، ولعل الآية مشعرة بهذا حينما قدم الله ﷻ الأكل على العمل الصالح، في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً﴾، فلا يتحرى الأكل من الطيب إلا من أقام نفسه على الأعمال الصالحة، كما أن المداومة على الأكل من الحلال الذي لا شبهة فيه له أثره في مواظبة الإنسان على العمل الصالح^(٣)، إضافة إلى أن الأكل وما يتصل به هو مدار حياة الإنسان، وكل سعيه وعمله يكاد يكون دائراً في مجاله، فكان الإلفات إليه أولى^(٤).

وهذا الذي أمر الله به رسله في هذه الآية، قد أمر به المؤمنين من هذه الأمة، وتخصيص

(١) العيلة: الفاقة، والفقر والحاجة. ينظر: مجمل اللغة، مادة: (عِيل) ص ٦٤٠، ومختار الصحاح ص ٢٢٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ٤٧٦، وتفسير الرازي ١٥ / ١٢١، والبحر المحيط ٤ / ٤٧٩.

(٣) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥ / ٣٣٤.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ٢٣ / ٩١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ١٥٨، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٥٣.

الرسول بالنداء؛ لكونهم القدوة للناس عامة، ولأقوامهم خاصة، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))^(١).

وعند التأمل في قوله ﷺ للمؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، وقوله ﷻ للرسول: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾؛ نجد الآية الأولى أمرت المؤمنين بالأكل: ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾، الرزق - بدون الألف واللام - وجاء الأمر في الآية الثانية بأمر الرسول بالأكل: ﴿مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾، بإضافة الألف واللام، ولعل ذلك يدل على أن المؤمنين مأمورون بالأكل من عموم الطيبات، أما الرسول فعليهم أن يتحروا ويجتهدوا، فلا يأكلوا ويشربوا إلا من أطيب الطيبات وأخصبها، ويعضد ذلك ما كان يفعله ﷺ؛ حيث كان يتحرى في مأكله ومشربه، ويسأل أهل بيته عن الطعام الذي يأتي إليهم، و((أَتَيْ بِقَدْرِ فِيهِ خَضْرَاتٍ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنْ الْبُقُولِ، فَقَالَ: قَرَّبُوهَا، فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: كُلْ؛ فَإِنِّي أَنَا جِي مِنْ لَا تُنَاجِي))^(٢).

وبتأمل الآيات يُستنتج أن الأمر بالأكل لم يكن من عموم الأرزاق، بل إنه مخصوص بالطيبات، كما في قوله تعالى: ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، وقوله: ﴿مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾، وهذا الأسلوب القرآني يشعر بأن الرزق منه الطيب وغيره؛ ولذا لم يبح الله ولم يأمر إلا بالأكل

(١) أخرجه مسلم، في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٥.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث ١/ ١٧٠، رقم ٨٥٥
ومسلم، في كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثومًا أو كراثًا أو نحوهما مما رائحته كريهة عن حضور المسجد حتى تذهب ذلك الريح ١/ ٣٩٤، رقم ٥٦٤، عن جابر رضي الله عنه.

من طيبات الأرزاق دون خبيثها^(١).

«و﴿من﴾ هنا لبيان الجنس وليست للتبويض؛ لأنهم أبيع لهم أن يأكلوا جميع الطيبات»^(٢)، كما أنه ﷺ لم يقل: كلوا ما رزقكم، بل قال: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، وقال: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾، مما يدل على أنه ليس كل ما في الأرض يمكن أكله، أو يحل^(٣)، مع الإرشاد إلى التوسط وعدم الإسراف^(٤).

وفي الأمر بالأكل من الطيبات للمؤمنين والمرسلين، ذم لمن امتنع عنها بدون سبب شرعي؛ كمن ترك أكل الثمار والفواكه تورعاً - لا لعدم الرغبة - لأن عمله هذا على خلاف عمل السلف الصالح؛ الذين فتحوا البلاد وأكلوا وشربوا من طيباتها، مما لا يعرفونه في عهد النبي ﷺ، كما أن من امتنع عن تناولها من غير مسوغ شرعي فهو راداً لمنة الله عليه؛ لأن امتثال الأمر يكون بالتمتع بما يتيسر منها، بطيب نفس، وبلا تأثم أو تخرج، مع ملاحظة الشكر لله، وأنها من نعمه وفضله، وأسباب مرضاته ومثوبته^(٥).

إنه لا ينبغي الامتناع من تناول الطيبات من غير سبب شرعي مع الداعية الفطرية للاستمتاع بها، وقد يكون إثماً يجنيه المرء على نفسه في الدنيا، ويستحق به عقاب الله في الآخرة؛ بزيادته في دين الله قربات لم يأذن بها؛ وبما يترتب على ذلك من إضاعة بعض حقوق الله وحقوق عباده؛ كإضاعة حقوق امرأته أو عياله، كيف «إذا انتصب قدوة لغيره، فكان سبباً لغلو بعض الناس في الدين، وتحريمهم على أنفسهم وعلى من يقتدي بهم ما أحله الله تعالى»^(٦).

وعليه فيجب على المسلم أن لا يأكل إلا من الحلال، فإذا توفر له الحلال الطيب فهو

(١) ينظر: تفسير الرازي ٩ / ٥، واللباب في علوم الكتاب ٣ / ١٦٨، والجواهر الحسان في تفسير القرآن ١ / ١٢٩.

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ١ / ١٩٦.

(٣) ينظر: الكشاف ١ / ٢١٣، والجامع لأحكام القرآن ٢ / ٢١٥، والجواهر الحسان في تفسير القرآن ١ / ١٢٩.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ١٢ / ٦١، واللباب في علوم الكتاب ٧ / ٤٩٢.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى ٣٢ / ٢١٢، وتفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ١ / ١٩٦.

(٦) تفسير القرآن الحكيم ٧ / ٢٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٨٤.

مأمور بالتناول منه، وهذا على سبيل الإباحة والامتنان، مع وجوبه حال الاضطرار، ودفع الضرر عن النفس، وبقائه على الإباحة إذا خلا عن العوارض^(١).

ولعل في أمر المؤمنين بالأكل من الطيبات فائدتين: إحداهما: أن يكون أكلهم منها امتثالاً للأمر الرباني، وليس لمجرد الطباع والعادات، وبهذا يمتازون عن الحيوانات وغير المكلفين، والثانية: ليشبههم على امتثال الأمر، وهذا من رحمته بهم أن أمرهم ليفعلوا فيأتيهم الأجر مع كونهم متلذذين منتفعين^(٢).

ويلاحظ أن الآيات تحدثت عن الأكل دون غيره من وجوه الانتفاع؛ ولعل من الحكمة في ذلك أن «معظم ما حرّمه الناس على أنفسهم هو المأكّل، وكأنّ الله يُعرّض بهم بأنّ الاعتناء بالمهمّات خير من التهمّم بالأكل»^(٣).

وينتقل الخطاب الرباني لأهل الجنة بأسلوب الأمر الدال على التكريم والرضا^(٤)، على ما أسلفوا من أعمال، فيقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩].

ثم إن اختيار الطيبات ليس مقصوراً على الأكل منها، بل حتى في الإنفاق منها، يتضح ذلك حينما يتحدث القرآن الكريم عن النفقات فإنه يوجه بأسلوب الأمر إلى أن تكون من أطيب أموالهم وأجودها وأنفسها، والبعد عن خبيثها وذنيئها، سواء أكانت النفقة واجبة أم نفلاً، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]^(٥).

ولما تحدثت عن أم الخبائث والقمار وما عبد من دون الله نجد التعبير بالاجتناب لا بكلمة التحريم أو الترك، كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]؛ لأن كلمة ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ مشعرة

(١) ينظر: تفسير الرازي ٥ / ١٩٠، وتفسير القرآن العظيم ٦ / ١٤٥، وأضواء البيان ٢١ / ١٤٧.

(٢) ينظر: روح البيان ١ / ٢٢٤.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢ / ٢٩١، والتحرير والتنوير ٧ / ١٧.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨ / ٢٣١، وتفسير الحجرات: الحديد للعثيمين ص ١٨٤.

(٥) ينظر: جامع البيان ٥ / ٥٥٥، وأحكام القرآن للكميا الهراسي ١ / ١٦٧، وتيسير الكريم الرحمن ص ٩٥٧.

بوجوب الابتعاد عنها بالكلية، وبأي وجه من الوجوه؛ شرباً، وبيعاً وشراءً، ونقلًا، وعبادة وغيرها، حتى الجلوس في مجالسها؛ لما لهذه المنكرات والأرجاس من أوصاف ذميمة، ومفاسد دينية ودنيوية^(١).

وفي قضية الفروج نجد الأسلوب القرآني بعيد الدلالة حينما أمر المؤمنين والمؤمنات بحفظها مطلقاً؛ لأنه لا يباح لغير أهله بحال من الأحوال، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُوْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظْنَ أَوْرُجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، لكن الأسلوب تغير عندما أمر بغض البصر فقال: ﴿يَغْضُوْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، فأتى بحرف (من) الدال على التبعض؛ لكون النظر جائزاً في بعض الأحوال، كنظر الشاهد، والمخاطب ونحوهما^(٢).

أما في شأن النكاح فيأتي أسلوب الأمر بفعله الصريح الدال على الإباحة والإذن، كما هو واضح من السياق والقرائن في قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتِلْكَ وَرُبِّعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰٓ إِلَّا تَعْوَلُوا﴾ [النساء: ٣]؛ لأن الآية سيقت لبيان الامتنان، فيباح التعدد لمن أمن على نفسه الجور والظلم، ووثق من القيام بحقوقهن، ولا يجوز الزيادة على غير ما سمي الله، ومن خشى عدم العدل فليقتصر على واحدة أو ملك اليمين؛ حتى لا يُعرض نفسه لأمر يخاف منه الجور والظلم؛ لأنه من الحكمة والتوفيق أن يسلك سبيل السعة والعافية^(٣).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٥٥، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٠، وأضواء البيان ١/ ٤٢٨.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٦٦، والتحرير والتنوير ١٨/ ٢٠٣.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٥٤٠، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٠٨، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٦٣.

المبحث الثاني: أسلوب النهي:

النَّهْيُ^(١) يُتَقَيُّ الخير من الشوائب التي تعترض سبيله، وهو أسلوب ظاهر في آيات القرآن الكريم، من خلال صيغة المتعددة؛ كحرف النهي (لا) مع الفعل المضارع، والذي يفيد التحريم، ما لم يأت ما يصرفه إلى معانٍ وأغراضٍ مختلفة؛ تُبينها القرائن وسياق الكلام؛ ليكون أسلوباً موجهاً في حياة الإنسان، وطريقاً مؤثراً في السلوك، لمن يريد الوقوف عند حدود الشريعة ويتأدب بأدائها؛ وليصل - بإذن الله - بسلامة إلى حياة طيبة في الدارين^(٢).

وقد سلك القرآن الكريم هذا الأسلوب في التحذير من الخبيث والحث على الطيب، فُيَبِّينُ المحرمات، ويذكر بعضها بصيغة النهي، أما البعض الآخر فيفهم من صيغة الأمر؛ لأن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده^(٣).

وعندما يأتي الحديث عن المطعومات نجد النهي الصريح عن تحريمها، أو المبالغة في التضييق على النفس وحرمانها منها، فيخاطب الله ﷻ أهل الإيمان قائلاً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، وهذا النهي شامل لكل أوجه التحريم؛ ومن ذلك ردُّها وعدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها؛ لأن ذلك قول على الله الكذب وكفر بالنعمة، ومن الاعتداء ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٤)، وجملة ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، معترضة، مفادها أن تحريم الطيبات فيه تجاوز واعتداء على حكم الله وشرعه، وهو من حقوق الرب ﷻ فمن انتحله لنفسه كان مدعيًا الربوبية، أو كالمدعي لها^(٥).

(١) النَّهْيُ: خلاف الأمر، وهو طلب الكف عن الفعل، على وجه الاستعلاء. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (نهي) ٩٩٧/٢، والمحکم والمحيط الأعظم ٤/٣٨٤، وبيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ٢/٨٦، والإتقان في علوم القرآن ٣/٢٧٨، والبحر المحيط في أصول الفقه ٣/٣٦٥.

(٢) ينظر: اللمع في أصول الفقه ص ٢٤، والبحر المحيط في أصول الفقه ٣/٣٦٥، والإتقان في علوم القرآن ٣/٢٧٨، والقواعد والفوائد الأصولية ص ٢٥١، والقواعد الحسان لتفسير القرآن ص ٩٢.

(٣) ينظر: المعتمد ١/٩٧، والعدة في أصول الفقه ٢/٣٦٨، والتبصرة ص ٨٩، والتحرير والتنوير ٨/١٥٧.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٧/١٧.

ويتكرر أسلوب النهي في الآية مرتين؛ حيث نهى عن تحريم الحلال، ثم أرفده بالنهي عن الاعتداء على كافة الحقوق؛ لأن مجيء الاعتداء في سياق النهي عام لجميع جنسه؛ من حقوق الله وحقوق عباده، خاصة ما كانت في الجاهلية من العدوان، وأعظمه الاعتداء على الضعفاء كالوآد^(١)، وأكل مال اليتيم، وعَضَل^(٢) الأيامى^(٣)، وغير ذلك^(٤).

وكما جاء النهي عامًّا في كل اعتداء، فإنه متبوع بالتأكيد بجملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ لتكون تذيلاً لما قبلها، محذرة من كل اعتداء، كما أن ذكر الاعتداء في مقابلة تحريم الطيبات يدل على النهي عن تجاوز حدِّ الإذن المشروع فيها، فَشَرَعُ اللهُ عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، وليس فيه إفراط ولا تفريط^(٥)، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))^(٦).

وفي هذا انسجام مع وسطية الإسلام واعتداله، فلا إسراف ولا تقتير، ولا امتناع عن لذائذ الحياة المشروعة، أو الزهد المؤدي إلى تعذيب النفس، وإضعاف الجسد وحرمانه، كما

(١) الوآد: مصدر وأد الرجل أبتته يدها، إذا دفنها وهي حية. ينظر: العين، مادة: (وآد) ٨ / ٩٧.

(٢) العَضَل: المنع، والشدة، والتضييق، وعَضَلَ الرجل أَيْمَهُ إذا منعها من الزواج ظلماً. ينظر: العين، مادة: (عَضَل)

١ / ٢٧٨، ومعاني القرآن للفراء ١ / ١٤٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤ / ٧٦.

(٣) الأيامى: مَنْ لا زوج له؛ من رجل أو امرأة. ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٦٥، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٤

وتهذيب اللغة، مادة: (أَيْم) ١٥ / ٤٤٦.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٣ / ٧٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٧ / ١٧.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ٢ / ٧ رقم ٥٠٦٣، ومسلم، في النكاح

باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٢ / ١٠٢٠ رقم ١٤٠١.

لا إغراق في الشهوات وانتهاج اللذات فوق القدر المعتاد المتوسط.

وكما أمرنا بالتمتع بالطيبات ونهينا عن تحريمها فإننا كذلك منهيون عن تعمد إنفاق الرديء، وقصده بدلاً من الطيب، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِيهِ إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

لقد حث الآيات قبلها على الإنفاق والصدقة، وأرشدت إلى ما يجب أن يتصف به المنفق من الإخلاص وقصد تثبيت النفس، وما يتقيه بعد البذل من المن والأذى، فكان ذلك إرشاداً يتعلق بالبذل والباذل، ثم جاءت هذه الآية لتبين ما ينبغي مراعاته في المبدول بأسلوب يشير إلى شيء معهود في الأذهان؛ وهو أن البعض كان يتصدق برديء التمر، فأمروا بالإنفاق من الجيد، ونهوا عن قصد وحصر الصدقة في الخبيث والرديء الدون في فرض أو نفل، فالواحد منا لا يرتضيه، ولا يقبله لو بذل له هدية إلا حياء من رده، ولا في مبايعة إلا بنقص من القيمة^(١)، أما التصدق به من غير تعمد ولا حصر فلم يمنع منه^(٢).

ومن المعلوم شرعاً وعقلاً أن التمتع بالطيبات والتنعيم بها لا يكون بحقوق الآخرين، أو إلحاق الضرر بهم، ولقد راعى الإسلام هذا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

وإذا كان هذا النهي جاء بأسلوب التعميم؛ ليشمل كل اعتداء باطل فإن أسلوب الخطاب الآخر يقف إلى جانب الضعفة والمساكين، والفتة العاجزة عن تحصيل حقها والقيام بمصالحها، فكان من أول ما أوصى بالله ﷻ أن قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَّمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، فأموالهم لهم، ويجب أن تؤدي إليهم كاملة إذا بلغوا ورشدوا، كما يجب الحذر من أخذ طيبها ونفيسها، وتعويضه بالرديء

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٣/ ٦٠، وفي ظلال القرآن ١/ ٣١١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٥٥٩، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٥٣٥، ومحاسن التأويل ٢/ ٢٠٧.

الحَسِيس^(١).

إننا منهيون عن قربان أموالهم إلا بالتي هي أحسن، فضلاً عن الإغارة عليها، وأكلها أو التصرف بها لمصلحة شخصية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وإذا كانت هذه الفئة بحاجة إلى الإحسان والعطف والرعاية والحنان، فهل يليق بعامل لديه شيء من المروءة أن يتسلط على مال يتيم أو يستحوذ^(٢) عليه، أو يبخسه^(٣) حقه بأنواع التحايل والضغوطات، إن هذا لسوء في الخلق، فضلاً عن النقص في الديانة.

إن تخصص مال اليتيم بالذكر دون غيره - وإن كان مال غيره مثله في التحريم - تنبيه إلى هذا الخطر الذي يتهدد من يقرب ماله ويطوف بحماه؛ حيث نوازع النفس إليه، ودواعي الطمع فيه أقوى؛ لقلّة من يرعاه، ويجتهد للقيام بإصلاحه، فاليتم مظهر من مظاهر الضعف والعجز عن دفع يد من يُريده بسوء؛ فكان ذكره ولَفَت النظر إليه أولى^(٤).

وكما سبق فإن النهي عن القرب من الشيء أبلغ من النهي عنه؛ فإن القرب يتضمن النهي عن أسبابه ووسائله المؤدية إليه، وعن الشبهات التي هي مظنة التأويل، فيبتعد عنها المتقي، وَيَسْتَسِيغُهَا^(٥) الطامع، ويراهها بالتأويل من الوجوه الحلال التي لا تضرّ به^(٦)؛ من هنا جاء اختيار كلمة ﴿وَلَا تَقْرُبُوا﴾ دون التعبير بالأخذ والأكل؛ لأن القرب سابق عليهما، ومن أجل تعظيم المقام والمبالغة في النهي والتحذير من مجرد الاقتراب، أو التفكير في التعدي عليه أو التّعريض له إلا بالخصلة التي هي أحسن^(٧).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٦٣.

(٢) الاستحواذ: الغلبة والسوق. ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤٢، ومجاز القرآن ١/ ١٤١.

(٣) البخس: النقص. ينظر: العين، مادة: (بَخَسَ) ٤/ ٢٠٣، ومجاز القرآن ١/ ٣٠٤، والمفردات ص ١١٠.

(٤) ينظر: النكت والعيون ٢/ ١٨٧، وزاد المسير ٢/ ٩٢، والبحر المحيط ٣/ ٦٤٨، وغرائب القرآن ٤/ ٣٤٥.

(٥) السوّغ: السهولة. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (بَخَسَ) ٣/ ١١٦، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٣٥.

(٦) ينظر: تفسير المراغي ١٥/ ٤٢.

(٧) ينظر: تفسير الرازي ٢٠/ ٣٣١، وإرشاد العقل السليم ٥/ ١٧٠، والتحرير والتنوير ٢/ ١٨٦.

وكثيراً ما يُعلق النهي في القرآن بالقرب من الشيء، وضابطه «أن كل منهي عنه كان من شأنه أن تميل إليه النفوس وتدفع إليه الأهواء فالنهي فيه يكون عن القربان، ويكون القصد التحذير من أن يأخذ ذلك الميل في النفس مكانة تصل بها إلى اقتراف المحرم»^(١).

وهذا ما نجده واضحاً حينما نهي الله ﷻ عن جريمة الزنا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فقد جاء التعبير في الآية بأسلوب يفيد العموم والشمول فكلمة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ أبلغ وأكد - في النهي - من كلمة: ولا تنزوا؛ لأنه بمعنى: ولا تدنوا من الزنا، فأفادت تحريم الزنا وتحريم الدنو منه، بمباشرة أسبابه ودواعيه، وفعل أي شيء من مقدماته، فضلاً عن مباشرته؛ لأن قربانه داعٍ إلى مباشرته، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه^(٢)، يؤكد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرَزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَرَزْنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ))^(٣).

والتعبير بالقرب فيه تحذير من اقتراب الفواحش، ومبالغة في النهي والزجر عنها، وسد للذرائع، واتقاء لضعف الإرادة، وكم من إنسان ضعفت نفسه لما قرب من الشهوات؟! وكم حصل في قربها من انتهاك حرمة الشرع، واختلاط للمياه، وإفساد للمرأة، وتضييع للنسب، مع سمعة سيئة، وإزهاق لأنفس بريئة!^(٤).

لذلك حرم الإسلام تعمد النظر من غير حاجة، ومنع الاختلاط بين الجنسين، وأوجب الحجاب ونهى عن التبرُّج^(٥)، وإثارة المآرة بالطيب، وغيرها مما يجلب الفتنة، ويوقع في الرذيلة، ويلوِّث الحياة الإسلامية النظيفة.

(١) الوسيط لطنطاوي ٥ / ٢١٩.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٥ / ١٦٩، والسراج المنير ٢ / ٣٠١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ٨ / ١٢٥ رقم ٦٦١٢، ومسلم، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره ٤ / ٢٦٥٧ رقم ٢٠٤٦.

(٤) ينظر: فتح القدير ٣ / ٢٦٥، وتفسير ابن باديس ص ٩١، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ١ / ٦١.

(٥) التبرُّج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها. ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٦٩، ومختار الصحاح، مادة: (برج) ص ٣١.

إن شريعة الإسلام لا تترك الناس يتعرضون للفتنة ثم تكلفهم عنتاً^(١) في مقاومتها؛ فهو دين وقاية وحماية قبل أن يقيم الحدود ويوقع العقوبات، بخلاف قوانين البشر الداعية لحرية الشهوات، وتحقيق رغبات أهل الزيغ والفساد الذين يطلقون الغرائز، ويجتهدون في إشعالها من خلال أدوات التوجيه والإعلام^(٢).

(١) العنتُ: المشقة الشديدة. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤١٦، ومهذّب اللغة، مادة: (عنت) ٢ / ١٦٢.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ٣ / ١٢٣١.

المبحث الثالث: أسلوب النفي:

تتنوع أساليب القرآن الكريم في التعبير عن الخبيث والطيب، وقد كان لأسلوب النفي^(١) نصيبه؛ فقد جاء مُقرراً مؤكداً أن الخبيث لا يساوي الطيب؛ مقداراً، ولا إنفاقاً، ولا مكاناً، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلْبَسِ لِعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]؛ فالخبيث - مع كثرته - لا يساوي شيئاً؛ لما فيه من الضيق والدلة، والندامة والهزيمة، والعاقبة السيئة، وأن الفضل المتوهم في كثرته لا يوازي ضرره ونقصانه، وفوات ما يقابله من الطيب^(٢).

إن أسلوب الآية مشعر بالعموم من خلال لفظ: ﴿الْخَبِيثِ﴾ الذي تدل عليه (أل) مما يستفاد منه حكم شامل في نفي المساواة عند الله ﷻ بين الرديء من الأشخاص، والأعمال والأموال، والعلوم والمعارف، وفي جميع الأمور^(٣)؛ فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا تحسن له عاقبة، والطيب - وإن قل - فهو نافع جميل العاقبة، والحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار، إذ لا عبرة بالقلة والكثرة، بل بالجودة والرداءة؛ فإن الحمود القليل خير من المذموم الكثير؛ ولذلك أمر الله بالتقوى في ترك الخبيث وإن كثر في الحس؛ لنقصه في المعنى، وأمر بإيثار الطيب وإن قل في الحس؛ لكثرته في المعنى^(٤).

قال ابن عاشور «ولما كان من المعلوم أن الخبيث لا يساوي الطيب، وأن البون^(٥) بينهما كبير، علم السامع من هذا أن المقصود استئزال فهمه إلى تمييز الخبيث من الطيب في كل ما يلتبس فيه أحدهما بالآخر، وهذا فتح لبصائر الغافلين؛ كيلا يقعوا في مهواة الالتباس ليعلموا أن ثمة خبيثاً قد التفت في لباس الحسن، فتموه على الناظرين؛ ولذلك قال: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ

(١) النَّفْيُ: من نفى الشيء نفياً، وهو ضد الإثبات، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية، يراد به نقض فكرة وإنكارها. ينظر: مقاييس اللغة، مادة (نَفَى) ٥ / ٤٥٦، والمحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٤٩٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢ / ٢٤٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٩٦، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١ / ٦٨٢.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ١ / ٤٩١، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٠٣، والسراج المنير ١ / ٣١٨.

(٥) البون: الفرق والبعد. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (بون) ١ / ٣٨٢، ومقاييس اللغة ١ / ٣٢٢.

الْخَبِيثِ ﴿١﴾، فكان الخبيث المقصود في الآية شيئاً تلبس بالكثرة، فأعجب أعين الناظرين لكثرتة، ففتحها للتأمل فيه؛ ليعلموا خبثه ولا تعجبهم كثرته»^(١).

إن الآية جاءت بأسلوب النفي المفيد للتوكيد القاطع الذي لا يبقى معه أدنى شك على عدم المساواة بين الخبيث والطيب، وأن الخبيث والطيب من كل شيء لا يستويان؛ فالقليل الطيب من الناس خير من الكثير الخبيث، والفئة القليلة من أهل الشجاعة والإيمان تغلب الكثيرة من ذوي الجبن^(٢) والشرك، وأفراد من أولي البصيرة والرأي يأتون بما يعجز عنه الجماعات من هؤلاء؛ من هنا جاءت الآية لتؤكد وتقرر قاعدة عامة مفادها: «أن العبرة بصفة الشيء لا بعدده، وإنما تكون العزة بالكثرة بعد التساوي في الصفات»^(٣).

ولقد تقرر هذا - مع استخدام أسلوب النفي وأدواته - في كثير من الآيات، مما يبرهن على أن الكثرة وحدها ليست دليلاً على الحق، ولا سبباً للهدى، ولا طريقاً للنصر، ولا علامة على القوة والعزة، فأكثر أهل الأرض ضلالاً خبثاء غير مؤمنين، كما قال تعالى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]^(٤).

ولهذا لم تغن الكثرة في حنين، ولم تمنع القلة من النصر في بدر، فقد قال الله للمؤمنين تبيئاً لهم؛ وحتى لا تُخيفهم كثرة المشركين في عددهم وعددهم: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ. وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقال للمشركين: ﴿وَلَنْ نُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

وقد جاءت الآيات بأسلوب النفي المؤكد الذي يبين لطف الله بعباده ورحمته بهم وحكمته حينما فرّق بين الخبيث والطيب؛ حتى لا يحصل خلط أو لبس بينهما، كما قال

(١) التحرير والتنوير ٦٣ / ٧.

(٢) الجبن: «ضعف القلب عما يحق أن يقوى عليه». المفردات في غريب القرآن، مادة: (جبن) ص ١٨٦.

(٣) تفسير القرآن الحكيم ٧ / ١٠٤، وينظر: في ظلال القرآن ٢ / ٤٤٠.

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧ / ٤٥.

تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، فوصف المؤمن بالطيب، ووصف المنافق بالخبيث؛ تسجيلاً على كل منهما بما يليق به، وإشعاراً بعلّة الحكم^(١).

والآية فيها التفاتٌ بديع، وتنوع في أسلوب الكلام مع وضوح اللفظ، وإيجازه؛ فلام الجُحود^(٢) في ﴿لِيَذَرَ﴾ تفيد تأكيد النفي والمبالغة فيه^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ غايةٌ لما يفيدُه النفي؛ كأنه قيل: «ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط، بل يُقدِّرُ الأمور ويرتب الأسباب حتى يعزِلَ المنافق من المؤمن»^(٤).

وقد تكرر أسلوب النفي فيما ضربه الله ﷻ من أمثال للخبيث والطيب، والخير والشر والنافع الضار، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢].

فالخبيث الذي عَمِيَ عن الدين لا يساوي ذلك الطيب الذي أبصر الحق واتبعه، ولا تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، وأن لكل منهما حالة تشبهه؛ فحال المؤمن يشبه حال الظل؛ حيث تطمئن فيه المشاعر، وتصدر فيه الأعمال عن تبصُّر وإتقان، وأما الكافر فحالُه يشبه الحرور^(٥)؛ حيث تضطرب فيه النفوس، ولا تتمكن معه القوى من التأمل والاعتبار، وتصدر فيها الآراء والمسااعي معجلة متفككة، فلا يستوي من حيي قلبه بالإيمان والترجيل بمن

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٤/ ١٣٦، والبلاغة العربية ١/ ٤٨١.

(٢) لام الجُحود: هي الواقعة بعد كان الناقصة المنفية، وسميت بذلك؛ لاختصاصها، وملازمتها للجدد، أي: التَّفْسي، والصواب تسميتها لأم التَّفْسي، وتفيد النفي المؤكّد، وتقوي معناه في الجملة كلها. ينظر: اللامات ص ٦٩، والجنى

الداني في حروف المعاني ص ١٠٥ - ١١٦، ومعني اللبيب عن كتب الأعراب ص ٢٧٨.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢/ ١١٨، والتحريير والتنوير ٤/ ١٧٨، وإعراب القرآن وبيانه ٢/ ١١٧.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/ ١١٩.

(٥) الحرور: حر الشمس، وما كان من الحر ليلاً أو نهاراً، ينظر: معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٥١.

خبت قلبه وفسد فأصبح في عداد الموتى؛ لغلبة الكفر عليه، حتى صار لا يعرف الهدى من الضلال، ولا يعقل عن أمر الله ونهيه شيئاً^(١).

إن أسلوب الآية عجيب لافت للنظر؛ حيث تكرر حرف النفي (لا) المقرون بواو العطف، مما يفيد تأكيد معنى النفي؛ من أنه لا مساواة قطعاً بين الطيبين الأخيار وبين الخبيثين الأشرار، وأنه إذا كان لا يصح المساواة بين الأعمى والبصير في عُرف العقلاء فكذلك لا يصح المساواة بين مؤمن طاب عمله مع كافر أو فاسق خبيث قد ساء عمله وقبح فعله، فالكافر في اختلاط أمره بين عقل وجهالة، كالأعمى في اختلاط أمره بين إدراك وعدمه، والكافر وإن كان ذا عقل يدرك به الأمور فإنه قد خلص لإدراك أحوال الحياة الدنيا، وكان كالعدم في أحوال الآخرة^(٢).

إن أسلوب الآية وتركيبها عجيب؛ فقد احتوت على واوات عطف وأدوات نفي، وتشبيهات عديدة، فإثنان من أدوات مؤكدان؛ للتغلب الموجه إلى الجملتين المعطوفتين المحذوف فعلاهما ﴿وَلَا الظُّلْمَتُ﴾، ﴿وَلَا الظُّلُّ﴾، وإثنان مؤكدان لتوجه النفي إلى المفردين المعطوفين على مفردين، في سياق نفي التسوية بينهما وبين ما عطف عليهما، وهما واو ﴿وَلَا النُّورُ﴾، وواو ﴿وَلَا الحُرُورُ﴾، والتوكيد بعضه بحرف (لا) وبعضه بحرف (ما)، وهو استعمال قرآني بديع في عطف المنفيات من المفردات، والجمل^(٣).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠ / ٤٥٧، والبرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٥.

(٢) ينظر: الكشاف ٣ / ٦٠٨، وتفسير الرازي ٢٦ / ٢٣٢، والبحر المحيط ٩ / ٢٦٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٩٤.

المبحث الرابع: أسلوب الاستفهام^(١):

أسلوب القرآن الكريم معجز ومتنوع، وقد كان لأسلوب الاستفهام حظ في الإعجاز والتأثير والجادبية؛ من خلال أدواته، ومعانيها ودلالاتها، وأغراضها البلاغية العديدة التي تعرف من خلال السياق والقرائن؛ مما كَوَّنَ أثرًا بالغًا وإسهامًا فاعلاً في عرض الخبيث والطيب على النفوس، فأقبلت على هذا وأعرضت عن ذلك، متأثرة بأسلوب القرآن الذي يكشف الحقيقة، وينير البصيرة، ويقطع الحجة على من خالفه.

فحينما يسوق القرآن الكريم ذلك المثل العجيب لكلمة التوحيد، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، فإنه يشبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، لافتًا الأنظار إلى هذا المثل، وإلى العلم به عن طريق الاستفهام؛ ليتم الوقوف عنده وقفة تدبر وتذكر واعتبار، فلا أطيب من كلمة التوحيد؛ لأنها هي النجاة وبها الفوز العظيم، وهي كلمة الحق وضدها باطل، ومن حققها فهو الطيب، ومن أعرض عنها فهو الخبيث، وهي أصل الثبات والاستقامة، وضدها زائل غير مستقر، وهي مشبهة بالشجرة الطيبة من جميع نواحيها، فهي طيبة المنظر والصورة، والشكل والرائحة، وثمرها طيب ونافع، وهي ثابتة راسخة، في أمان من السقوط والانقطاع؛ لثبات أصلها ورسوخ عروقها؛ مما يدل على كمالها في الارتفاع، وقوتها في التصاعد، واستمرار الانتفاع بثمرها على الدوام، فلا تنقطع بركاتها وخيراتها، وكل هذا يدل على الفضل والمزية المنبه عليه بأسلوب الاستفهام، الذي يجعل القارئ والسامع يستدعي الانتباه لما بعده؛ فيكون التأثير أقوى وأمكن^(٢).

إن تطبيق الكلمة الطيبة والعمل بها يوجب الرضا بحكم الله، والتقيد بما شرع، فهو رَبِّهِ

(١) يرى البعض أن يقال: أسلوب السؤال؛ تأدبًا في اللفظ مع الله العليم الخبير، الذي لا يخفى عليه شيء؛ لأن الاستفهام لغة: «طلب الفهم، واصطلاحًا: طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته»، وقد تستعمل صيغته في غيره؛ لأغراض بلاغية، ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٢٧، والمنهاج الواضح للبلاغة ٢/ ٩٥.

(٢) ينظر: محاسن التأويل ٦/ ٣١٤، والتفسير القرآني للقرآن ٧/ ١٧٠.

يجب من عباده أن يقبلوا نعمه ويستعملوها في طاعته، ويكره لهم أن يحنوا على الفطرة التي فطرهم عليها، فيمنعوها حقوقها، أو على الشريعة فيحرموا ما لم يجرمه، أو يبيحوا ما حرمه، أو ترك ما فرضه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فابتدأت الآية بالاستفهام الإنكاري على من تعنت، فحرم مأكلاً أو مشرباً أو ملبساً من تلقاء نفسه، وبهذا الأسلوب نزلوا منزلة من يعلم فيطلب منه البيان؛ إنكاراً عليهم^(١)؛ ولذا لم تذكر الآية لهذا الاستفهام جواباً؛ لأن «الاستفهام إذا تضمن الإنكار لا جواب له»^(٢).

وسبحان الله! من هذا الذي يُقدم على تحريم الطيبات؟ ومن ذا الذي يُضيق على العبادة ما وسَّعه الله عليهم؟.

إنهم المشركون الذين حرّموا بأرائهم الفاسدة، وابتداعاتهم المضللة، أما الحريصون على النقاء والطهر، والتعدي بالحلال فإنهم بادروا بسؤال المصطفى ﷺ، فأتاهم الجواب الرباني بقاعدة صريحة، وأسلوب موجز بين واضح^(٣) كما في قال تعالى: ﴿سَتَلُونَكُمْ مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ قُلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

إن هذه الأرزاق الطيبة تستوجب شكر المنعم، وإفراده بالعبادة؛ فإنه ﷺ لما ذكر بنعمه ومثته بالأزواج والأولاد، والمآكل والمشارب واللذائذ جاء بأسلوب استفهامي مشعر بالتوبيخ لمن قابلها بالشرك والكفر، فعبد باطلاً غير منعم؛ من الأصنام والأنداد، وهي لم تكن شيئاً مذكوراً! وليس لها أي تصرف من خلق أو رزق أو تدبير، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١٠١/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٨٧/١، والتحرير والتنوير ٩٦/٨.

(٢) البحر المحيط ٤٢/٥.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٤٢٧/١.

الطَّيِّبَاتِ أَفْيَابًا لِبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿ [النحل: ٧٢].

فمن عبدها فهو مستحق للإنكار واللوم والتأنيب، ومن قدّمها فقد آثر الغيَّ على الرُّشد، والخبيث على الطيب، فوقع في أظلم الظلم، وأفجر الفجور، وأسفه السفه^(١).

ولما أمر الله ﷻ بالأكل من الطيبات ونهى عن تحريم ما أحله نص على ذم الخمر والميسر واجتنابهما، وأكد ذلك بمؤكدات كثيرة، فليست من المُسْتَطَابَاتِ والمستلذات - وإن كانت شائعة مرغوبة عند البعض - بل هي مقرونة بالأعمال الوثنية والأباطيل الشركية وموصوفة بالرجس، ومُوقَّعة في شباك الشيطان، وحائلة بين العبد وفلاحه، وعبادة ربه، ومسببة للعداوة والبغضاء.

وبعد هذا كله يتكرر النهي المؤكد بصيغة استفهامية دالة على التقرّيع والتوبيخ^(٢)، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١١﴾ [المائدة: ٩١]، فهل بعد هذه المفاصد من مفاصد؟ ومن سيُصِرُّ على معصية تُدنسه، وتجعله من أهل الخبث والأشرار؟!.

إن أسلوب الآية يحمل تحريضاً^(٣) قوياً على ترك هذه الخبائث والانخلاع عنها، ومجاهدة النفس في اجتنبها، ومغالبة الأهواء الداعية إليها؛ لما لها من سلطان على النفوس، وإغواءات تدعو إلى التَّحُلُّل من سلطان العقل والوقار، وتحمل على الفوضى والعبث؛ ولذا ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾؛ وهذا وإن كان استفهاماً في الظاهر إلا أن المراد به الأمر بالانتهاء، وهو استفهام يُطلب الجواب عليه، وكامل الإيمان لا يتردد بالقبول، والاستسلام، فيجيب قائلاً: انتهينا انتهينا^(٤).

إنه استفهام مُفهم بالتحريم المؤكد، وجار مجرى النص على وجوب الانتهاء المُقْتَرَن

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٥٩/١٧، وتفسير القرآن العظيم ٥٨٦/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤٤٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣٥٦/٤، ومحاسن التأويل ٢٤٥/٤، وتفسير المراغي ٢٥/٧.

(٣) التَّحْرِيسُ: الحث الشديد. ينظر: العين، مادة: (حَرَضَ) ١٠٣/٣، ومعاني القرآن للنحاس ١٦٨/٣.

(٤) ينظر: معالم التنزيل ٢٤٤/١، والإتقان في علوم القرآن ٢٧١/٣، ومناهل العرفان في علوم القرآن ٣٢١/٢.

بإقرار المكلف بوجوب الانتهاء؛ لأن المنصف إذا تجلّت له الحجة لم يتوقف في قبولها والإذعان لها^(١).

وإنما حسن الاستفهام بهذه الصيغة؛ لأن الله ﷻ ذم الخمر والميسر، وذكر الصّوّارِفَ عنهما، وأظهر قبحهما للمخاطب، فلما استفهم بعد ذلك عن تركها لم يقدر المخاطب إلا على الإقرار بالترك، فكأنه قيل له: أتفعله بعد ما ظهر منها ما ظهر؟.

كما أن الاستفهام بهذه الصيغة مُؤدّن بأن الأمر والزجر عنها وكشف ما فيهما من المفسد والشرور قد بلغ الغاية، وأن الأعدارَ قد انقطعت بالكلية، فهل سيقى أحد عليها بعد هذا؟^(٢).

وإذا نظر العاقل إلى بعض تلك المفسد انزجر وكفت نفسه عنها، ولم يَحْتَجْ إلى كثير وعظ ولا زجر بليغ؛ ولهذا عرض الله ﷻ على العقول السليمة النهي عنها عرضاً، بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْمُونُونَ﴾، فجاء أسلوباً استفهامياً بصيغة تُستعمل للحث على الفعل في مقام الاستبطاء؛ ليمثّل حال المخاطبين بحال من يبيّن له حقيقة الشيء ثم اختبر مقدار تأثير ذلك البيان عليه، فما ظهر من مفسدتهما كاف في انتهاء الناس عنهما، ولم يبق حاجة لإعادة النهي، بل الاستفهام كاف للكشف عن مبلغ أثر البيان في نفوسهم؛ ترفيماً بهم إلى مقام الفطن الخبير، ولو نهاهم عن تعاطيها بعد هذا البيان كله لكان قد أنزلهم منزلة العبي، ففي هذا الاستفهام من بديع لطف الخطاب ما بلغ به حد الإعجاز^(٣).

وفي شأن الأقوال الخبيثة يعرض القرآن الكريم ما يناله المغتاب من عرض أخيه بأفطع^(٤) وجه، وأفحشه، بأسلوب مقرون بالمثال، والاستفهام التقريري^(٥)، قال الله تعالى: ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

(١) ينظر: تفسير الرازي ١٢ / ٤٢٥، والبحر المحيط ٤ / ٣٥٩.

(٢) ينظر: الدر المصون ٤ / ٤١٤، وغرائب القرآن ٣ / ١٣، وإرشاد العقل السليم ٣ / ٧٦، وفتح القدير ٢ / ٨٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٧ / ٢٨.

(٤) الفَطْنُ: الشديد العظيم. ينظر: العين، مادة: (فَطَعَ) ٢ / ٨٩، ومقاييس اللغة ٤ / ٥١١.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ / ١٣٦، ومحاسن التأويل ٨ / ٥٣٦.

فلا استفهام في: ﴿يَجِبُ أَحَدُكُمْ﴾ يحقق بأن كل أحد يُقَرُّ بأنه لا يجب ذلك؛ ولذلك صار جوابه: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، ولم يرد الاستفهام على نفي محبة ذلك بقول: ألا يجب أحدكم؛ إشارة إلى تحقق الإقرار، مع أنه ترك له مجالاً لعدمه، ولكن لم يسعه إلا تحققه^(١).

وإذا كانت المخالفة بين الأقوال والأفعال نوع من الحُبْث، ودليل على النقص الخُلُقِي فإن القرآن الكريم يذم من هذه صفته، ويُهَوِّل الأمر ويُعظمه حينما يجيء الاستفهام عنها على جهة الإنكار والتوبيخ؛ مبالغة في التقيح^(٢)، في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

فمن الخصال الذميمة أن يقول الإنسان الخير ويحث عليه وربما يتمدح به، وهو لا يفعله وينهى عن الشر وربما يتظاهر بالتزهر عنه وحقيقة الأمر أنه غارق في ظلماته، وملتوث بوسخه، فهل يليق هذا بالمؤمن؟!^(٣).

وإذا كان الحديث عن النعم والطيبات الدنيوية يريح النفس ويهيج الصدر فإن القرآن الكريم ينتقل بنا إلى نوع آخر من الطيبات أكثر راحة وأنساً عندما يتحدث بأسلوب الاستفهام التَّشْوِيقِي^(٤) كاشفاً عن التجارة المنجية، وحلول المساكن الطيبة في جنات النعيم، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠) ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

فهذا الاستفهام: ﴿هَلْ أَذُكُمُ﴾ يفيد التشويق والاهتمام بما يأتي بعده، وهو من روائع

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٥٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٨٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ١٧٤، وتفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٥٨.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٥٩، وتفسير العثيمين: الحجرات - الحديد ص ١٣٣.

الخطاب، مما يستدعي قبوله والمشاركة لعمله^(١).

وحينما يتحدث القرآن الكريم عن عذاب الكفار وعرضهم على النار، فإنه يقال لهم توبيخاً وتقريراً: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، والعرب تستفهم بالتوبيخ ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾، وتترك أحياناً ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ على الخبر في المعنى، وهما قراءتان^(٢). والتوبيخ كائن عليهما^(٣)، والمعنى أن كل ما قدر لكم من الطيبات، والراحات، والملذات فقد استوفيتموه في الدنيا وأخذتموه، فلم يبق لكم شيء بعد استيفاء حظكم منها؛ لَمَّا أَعْرَضْتُمْ عَنْ دَاعِيِ الْحَقِّ، وَأَقَمْتُمْ عَلَى الْمَعَاصِي، وَكُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ، وَإِعْرَاضٍ، وَشَهَوَاتٍ، فَصَدَقْتُمْ عَنِ الْعَمَلِ لَمَّا يُوْصَلُكُمْ إِلَى طَيِّبَاتِ الْآخِرَةِ.

فيصيبهم من الألم والحسرة، والضيق ما يصيبهم من هذا التعنيف واللوم^(٤).

(١) ينظر: تفسير المراعي ٢٨ / ٩٠.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ١٢١، والسبعة في القراءات ص ٥٩٨، والحجة في القراءات السبع

ص ٣٢٧، ومعاني القراءات ٢ / ٣٨١، والنشر في القراءات العشر ١ / ٣٦٦.

(٣) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥ / ٢٢١، وفتح القدير ٥ / ٢٦.

(٤) ينظر: تفسير الرازي ٢٨ / ٢٣، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٨ / ٨٤.

المبحث الخامس: أسلوب الوعيد:

لأسلوب الوعيد^(١) أهمية كبرى في معالجة النفوس، ومداواة غفلتها وإعراضها؛ لأن منها ما لا يجدي فيها إلا التقرير والتخويف، وكسر ما لديها من حِدَّةٍ وَتُؤْوٍ^(٢) وإعراض؛ لتُعود إلى الالتزام بكلمة التقوى، وتستيقظ من ظلمتها، وتعمل بما فيه مصلحتها ونجاتها؛ فكان الوعيد والزجر، والترهيب والتخويف مناسباً لها.

وقد برزت آيات الوعيد في القرآن الكريم وتكاثرت وتنوعت، محذرةً من الخبيث، عبر أسلوب له أثره في زجر النفوس الخبيثة، وتثيبتها عن المعصية، وانكفافها عن مضارها، وتذكيرها بما أعد للعصاة يوم القيامة، مما كان له الأثر البين على النفوس الطيبة المطيعة؛ تنشيطاً على الطاعة، وإقبالاً على الله، وخوفاً من عذابه؛ وطلباً لمرضاته وجنته، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ أَوْ يُحَذِّرُهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

والتأمل في آي القرآن يجد أن الوعد والوعيد قرينان في الغالب، وقد يكونان في آية واحدة أو آيتين منفصلتين، وقد ينفرد أحدهما بالذكر دون الآخر.

فتارة يدعو الله عباده إلى الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وَأَنْكَالَهَا^(٣) وعذابها، والقيامة وأهوالها^(٤) في يوم سَمَّاهُ يوم الوعيد، كما في قوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]؛ حيث توعد الله فيه الخبيثين بالعذاب الأليم، وسوء المصير في نار جهنم، وفي تخصيصه بيوم الوعيد - مع أنه يوم وعد للمؤمنين - تهويل وتحذير للعصاة الخبيثاء مما سيكون فيه^(٥).

(١) الوعيد: من وَعَدَهُ وَعِيدًا وَأَوْعَدَهُ إِيْعَادًا، وهو تهديد خاص بالشر، والسوء. ينظر: المصباح المنير، مادة: (وَعَدَ).

٢ / ٦٦٤، وتفسير القرآن الحكيم ٨ / ٣٧٨.

(٢) التُّؤْوُ: «خروج الشيء من موضعه من غير بينونة» العين ٨ / ١٣٦، ومقاييس اللغة، مادة: (تَأُ) ٥ / ٣٨٨.

(٣) التَّكْلُ: القيد. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (نَكَل) ١٠ / ١٣٨، والمفردات في غريب القرآن ص ٨٢٥.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٤٦.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٢ / ٣٤٧، وفتح القدير ٥ / ٩٠، وتفسير العثيمين: الحجرات - الحديد ص ٩٦.

لقد نوع القرآن الكريم أسلوبه في تهديد الكفرة الخبيثاء، والعصاة المخالفين فخوفهم الله نفسه، ومن غضبه ونقمته، وعقابه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وكان من أعلى درجات الوعيد التي استخدمها القرآن الكريم الوعيد بالنار، وما أعد لأهل الخبث فيها، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

وفي هذا الوعد تهكم بهم؛ إذ الآية تتوعدهم، وأسلوبها مشعر بالوعيد المحض^(١) المزلزل لقلوبهم؛ من خلال ذكر النار وتنوع أسمائها والخلد فيها، ولعنهم، وإقامتهم ودوامهم في عذابها^(٢).

وقد يصرح القرآن الكريم بأسماء الأشخاص المتوعدين بالعذاب في النار؛ كأبي لهب وامراته، وقد يصف الخبيث بخبثه وجريمته، من غير تصريح باسمه، ويتوعده بعذاب مؤلم موجع، كما قال تعالى في شأن الخبيث الضال عبد الله بن أبي: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]، وفي ذلك تنوع بأسلوب الوعيد للخبيثاء، مما يشعر بالعقوبة الأليمة التي تنتظرهم؛ فيتضاعف الخوف والرعب والحيرة عندهم، كما قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]؛ ومعنى هذا لا تُشغل قلبك به، ولا تهتم لشأنه، ولكن اتركه إلي أكفك أمره، وهذا تهديد ووعيد بالنكال والبلاء، وهو أسلوب معروف بأن المراد به الوعيد؛ كما يقول الإنسان: دعني وإياه فستري ما أصنع به، حينما يشتد غيظه وغضبه^(٣).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ فَلِيلًا﴾ [الزمل: ١١]، فقد

(١) المحض: الخالص. ينظر: العين، مادة (مَحَض) ٣/ ١١١، وجمهرة اللغة ١/ ٥٤٧.

(٢) ينظر: جامع البيان ١١/ ٥٥٠، وعناية الراضي وكفاية الراضي على أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٣٤١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢١١، ومعالم التنزيل ٨/ ٢٠١ والتحرير والتنوير ٢٩/ ١٠٠.

دُعِيَ النبي ﷺ أن يهجر الرعوس الفاسدة والأنفس العفنة الخبيثة من أهل الشرك، التي كانت تقود الحملة الضالة لأذيته ﷺ، وتقف لدعوته بالمرصاد، بأن يترك أمرهم لله ﷻ، فهو الذي سيتولى حساب هؤلاء الأنجاس، فإن العذاب مُطلَّ عليهم عن قريب، وهذا أسلوب من أساليب الوعيد والتهديد المفرع، ويبدو هذا في صورة من أمسك بيده شيئاً قد رفعه في وجه عدوه الذي يحتمي في ظل صديق أو شفيع، فهو يقول له: اتركني وهذا الشقي، أضربه الضربة القاضية^(١).

وتواصل أساليب الوعيد للخبيثاء؛ تارة بذكر سوء عاقبة المكذبين، وتارة عن طريق حكاية ما يقوله الشيطان الخبيث لأتباعه يوم القيامة، وما يقوله الضعفاء للخبيثين المستكبرين، وما يقوله الظالمون حين يرون العذاب.

ويكثر في القرآن الكريم استخدام الكلمات المفرعة والمزلة؛ مما يشعر بقوة التهديد والوعيد للمجرمين الخبيثاء، كوصف العذاب بالشدة والعظم، والألم والإهانة والإقامة، ومثل كلمة: ﴿وَيْلٌ﴾، التي تعني وعيداً وعذاباً مفرعاً، مما يجعل الخبيث في ثبور وحزن، وشقاء وشر مستمر^(٢)، وهي مستعملة في القرآن الكريم في أربعين موضعاً؛ ويكفي رهبة وخوفاً ورُعْباً أن تُوعَدَ فيها الخبيث من مشهد يوم القيامة، ومن النار ونبذهم فيها، والعذاب الأليم الشديد فيها، وقد شمل الوعيد بها الكافرين والمشركين والظالمين، والمتهاونين الغافلين عن الصلاة، وأصحاب الأعمال الخبيثة، والذين قست قلوبهم من ذكر الله، والمطففين الذين ينقصون الناس ويخسونهم حقوقهم^(٣)، والنَّاهِثِينَ^(٤) للأعراض الساعين بينهم بالفساد.

أما الخبيثاء الأفَّاكُونَ المكذبون للرسول، فقد كان لهم حظ وافر من التهديد والوعيد بها^(٥) فقد تكرر وعيدهم بها اثنتا عشرة مرة، وفي سورة المرسلات منها عشر، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٢/ ٣٠٥، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٤٢٨، والتفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٢٦١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢/ ٢٦٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٢٦، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٤٩.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٤/ ٢٧٧، وأضواء البيان ٩/ ١٠٠، والتفسير البياني للقرآن الكريم ٢/ ١٦٨.

(٤) النَّهْثُ: «تناول الشيء بالقم ليغضه فيؤثر فيه ولا يجرحه». المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (نَهْث) ٤/ ١٨٩.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/ ٥٩٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٤٣٢.

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ [المسلمات: ١٥]؛ ولعل من الحكمة في تكرارها تقرير معناها في النفوس، وتمكينها في القلوب، والتشجيع والتأكيد على خبث هذه الخصلة، ومن اتصف بها^(١)؛ وليجددوا عند استماعها توبة وataعاطًا، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظًا، فلا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة^(٢).

إن القرآن الكريم عرض آيات الوعيد بما يطمئن المؤمنين الطيبين، وبأسلوب يُقضى مضاجع الخبثاء المفسدين الساخرين، ويعظم به هَوْلُهُمْ، ويبعث الرعب في قلوبهم^(٣) خاصة لما يكون أسلوب الوعيد جامعاً بين أصناف من العذاب في النار، وتصوير حالهم فيها، مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمَ وُسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٦ - ١٧]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦].

وإذا كان أهل الجنة يُستقبلون التهاني والإكرام، فإن الخبثاء أهل النار على الضد منهم، فإنهم إذا وصلوا إليها فوجئوا بشيء من عذابها؛ بفتح أبوابها في وجوههم، فيستقبلهم العذاب؛ إهانة وإذلالاً لهم^(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّامًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزمر: ٧١].

ومما درج عليه القرآن الكريم الوعيد والتخويف بالعذاب الدنيوي، ولفت أنظار المجرمين إلى ما حصل لغيرهم من أهل الخبث والضلال، الذين اعرضوا عن منهج الله، وتكَّبوا^(٥)

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ص ٢٤٤.

(٢) ينظر: الكشاف ٤/ ٤٣٩، وتفسير الرازي ٣٢/ ٢٠٩، وملاك التأويل ٢/ ٤٩٨، والدر المصون ١١/ ٤٦.

(٣) الهول: المخافة. ينظر: العين، مادة: (هول) ٤/ ٨٦، ومقاييس اللغة ٦/ ٢٠.

(٤) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ١/ ٣٨.

(٥) التَّكَبُّ: الميل، والعدول عن الشيء. ينظر: العين، مادة: (تَكَب) ٥/ ٣٨٥، وجمهرة اللغة ١/ ٣٧٨.

صراطه، فنالوا غضبه واستحقوا عذابه، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرْتِمْ مَعِشْتَهَا فَنَلَاكُمْ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، فجعلهم الله عَلَيْكُمْ عبرة لمن يأتي بعدهم ومثلاً للآخرين على مر الزمان، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦].

كما يكون الوعيد بالطمس على القلوب، والرآن والحثم عليها، وتبديل الحال من خير إلى شر، ومن نعيم إلى بؤس، ومن رخاء إلى قحط وبلاء^(١).

والمتدبر للقرآن الكريم يجده زاخرًا بآيات وعيده، فَيَاضًا بأوفى ما عُرف من ضروب الوعيد وفنونه وأساليبه، على وجوه مختلفة واعتبارات متنوعة في العقائد والعبادات، والمعاملات والأخلاق^(٢)، مما يجعل المصلح والداعي إلى الله وَعَلَيْكُمْ مستخدمًا هذا الأسلوب مُذَكِّرًا بعذاب الدنيا والآخرة، مخوفًا من مقارفة المعاصي واستيلاء الغفلة، لافتًا الأنظار إلى إثارة الدار الباقية على الفانية، منتبهًا إلى أن الوعيد أسلوب قرآني ضروري، يتم استخدامه عند وجود ما يدعو إليه، مع عدم الغفلة عن الوعد؛ ليحصل التوازن، وتتحقق المصالح وعدًا ووعيدًا^(٣).

(١) ينظر: الدعوة إلى الله ص ٢٠٥.

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٢١٤.

(٣) ينظر: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة ص ٧٦.

المبحث السادس: أسلوب الوعد:

انتهج القرآن الكريم مع النفس البشرية أسلوب الوعد^(١)؛ ليعينها على الطاعة والمسابقة فيها؛ ويحذرنا من المعصية، ويحملهنا على الإنكفاف عنها؛ ذلك أن الوعد يمثل حافزاً مهماً على العمل واستنهاض الهمم، وعاملاً مؤثراً في النفوس وضبط سلوكها، ومظهراً من مظاهر التشويق أو التخويف؛ إذ النفوس مجبولة على حب ما ينفعها، ومتأثرة بما يدفعها.

ولا غرو^(٢) أن يبرز هذا الأسلوب في القرآن فهو كتاب دعوة، والوعود من أنفع الأساليب فيها؛ لاعتماده على عنصري الثواب والعقاب؛ الذي يشكل دافعاً قوياً للإقبال على ما هو نافع، والإحجام^(٣) عما هو ضار^(٤).

وكثيراً ما يجتمع الوعد والوعيد في القرآن الكريم؛ لمداواة النفوس بمزيج من الترغيب والترهيب؛ تنشيطاً على الطاعة وتثبيطاً^(٥) عن المعصية.

وقد جاء الوعد بالطيبات بأسلوب بياني ظاهر، واهتمام كبير؛ فنجد الآيات قد حشدت جملةً من الوعود الجميلة التي يمكن تقسيمها إلى وعود معجلة في الدنيا، وأخرى مؤجلة في الآخرة^(٦).

فالقرآن الكريم جمع العديد من المرغبات والمشوقات في الخير، التي تحصل في الدنيا من الخير العميم، والهداية الغامرة، والتمتع بحياة طيبة خالية من مظاهر الشقاء والتكد، فليس فيها كدر^(٧) أو تعب، بل وعد صادق بالحياة الطيبة الكريمة، وحسن العاقبة في الدنيا والآخر، قال

(١) الوَعْدُ: يستعمل في الخير والشر، يقال: وعدته خيراً، ووعدته شراً، وقالوا في الخير: وَعَدَهُ وَعَدَّاهُ وَعَدَّاهُ، وفي الشر: وَعَدَّهُ وَعَدَّاهُ؛ فالمصدر فارق بينهما. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (وعد) ٦/ ١٢٥، والمصباح المنير ٢/ ٦٦٤.

(٢) الغُرُو: العجب. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧٩، ومجمل اللغة، مادة: (غراً) ٦٩٤.

(٣) الإِحْجَامُ: الكف والامتناع. ينظر: العين، مادة: (حجم) ٣/ ٨٧، ومختار الصحاح ص ٥٣.

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٢٣٨.

(٥) التَّثْبِيطُ: الحبس والمنع والإشغال. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (تبط) ١٣/ ٢١٦، والمفردات ص ١٧٢.

(٦) ينظر: معالم الترتيل ٣/ ٢٧، والبحر المحيط ٩/ ٥٠٣.

(٧) الكَدْرُ: ضد الصفاء. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (كدر) ٢/ ٦٣٧، والمفردات في غريب القرآن ص ٧٠٤.

تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

كما أن المؤمنين الطيبين موعودون في الدنيا بمدافعة الله عنهم، وبالنصر والتأييد، والتمكين والاستخلاف في الأرض؛ فيكونون هم ملوكها والقائمين بشؤونها، والمكلفين باستخراج خيراتها؛ لإعزاز الدين وأهله، وتحقيق النمو والمعرفة، والمصلحة العامة التي فيها عزهم ورفعتهم، وتفوقهم على الأمم^(١).

وعلى الرغم من ضعف المسلمين، واستخفاف أعدائهم بهم إلا أن الوعد الذي تحقق للمسلمين من قبل ما زال مستمرًا، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وفي هذا الوعد الصريح المبين لفنون السعادة الدنيوية والدينيوية معنى القسم؛ لأن وعد الله حقيق لا يتخلف؛ ولذا قال في جوابه: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾، أو القسم محذوف أي: أقسم ليجعلنكم خلفاء في الأرض^(٢).

وإذا كنا اليوم في أشد الحاجة إلى تحقق هذا الوعد، فإن الأمل قائم، وبوادره واضحة والدين حق قوي شامخ^(٣)، يغيب الكفار ثباته ودقته، وأعداؤه ليسوا بمعجزين في الأرض وسيأتي اليوم الذي ينهارون فيه كما انهار أسلافهم الخبيثاء من قبل ويتحقق الوعد الحق^(٤): ﴿وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: ١٤].

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٨ / ٥١٤٣، وتفسير المراغي ١٨ / ١٢٦، والدعوة إلى الله ص ٢٠٢.

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥ / ٢٠٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٦ / ١٩٠.

(٣) الشامخ: الطويل العالي. ينظر: العين، مادة: (شَمَخَ) ٤ / ١٧٤، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٦.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٧٣، وفي ظلال القرآن ٤ / ٢٥٢٨.

أما الوعود الحسنّة والمرغبات الآجلة فهي نعيم دائم، وخيرات صافية لا تنقطع، كالوعد بالجنة، وما فيها من الحور، والأشجار والأثمار، والمساكن الطيبة، وحلول الرضوان، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢).

فهذا الوعد حق ثابت، من غني كريم مالك قادر، وقد جاء بصيغة الفعل الماضي؛ إما أن يكون إخباراً عن وعد تقدم في آي القرآن قصد التذكير به لتحقيقه، وإما أنه صيغ بلفظ الماضي على طريقة صيغ العقود مثل: بعثُ وتصدقتُ؛ لكون هذه الصيغة معهودة في الالتزام الذي لا يتخلف^(١).

وعطف ﴿وَمَسْكِنٍ طَيِّبٍ﴾ على ﴿جَنَّاتٍ﴾؛ للدلالة على أن لهم في الجنات قصوراً طيبة خالية من خبث المساكن وأوساخها، وبقايا العمل والسكن فيها، ونحو ذلك^(٢).

أما التنكير في ﴿وَرِضْوَانٍ﴾، فللتنوع؛ ولم يقرب بلام تعريف الجنس ليتوسل بالتنكير إلى الإشعار بالتعظيم والتهويل؛ فإن رضوان الله عظيم، والتنكير يفيد التقليل، فإن أقل شيء من الرضوان أكبر من جميع ما تقدم من الجنات ومساكنها^(٣).

ويتكرر الوعد الكريم، والثواب الجزيل المشوق للتجارة الراجعة العظيمة، المحصلة للمقصود والمزيلة للمحذور، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةٍ تُبِيحُ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ - ١٣]، وهذا هو الفوز الذي لا فوز وراءه، والسعادة الدائمة الكبيرة التي لا شقاء بعدها.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٠ / ٢٦٤.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ١٦ / ١٠٢، واللباب في علوم الكتاب ٦ / ١٣، والتحرير والتنوير ١٠ / ٢٦٤.

وبعد هذا الوعد مَنْ ذا الذي لا يشتاق لهذه التجارة أو يدخر في سبيلها شيئاً، وهو يتَّجر مع الله أياماً معدودة في الدنيا، فيكسب به خلوداً في الآخرة ومتاعاً غير مقطوع ولا ممنوع؟! إنه لربح هائل أن يُعطي المؤمن دنياً زائلة ويأخذ نعيماً باقياً في الآخرة^(١).

ويمكن أن نلاحظ في قوله تعالى: ﴿وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً﴾، مغزى بعيداً في تخصيص المساكن بالذكر، وهو أن المجاهدين قد فارقوا مساكنهم، ومنهم من استشهد بعيداً عنها، وفيها أهله وماله فوعدهم ﷺ بما هو خير منها^(٢).

ويتواصل الوعد الكريم بذكر جزاء الطيبين حين يصور القرآن حالة تكريمهم واصفاً سوقهم إلى الجنة في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طَيِّبَةً فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فيساقون إلى الجنة سوق إكرام وإعزاز وتشريف، ويحشرون وفداً على النَّجَائِبِ^(٣) إلى الجنة متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل، في حالة من الفرح والاستبشار، كل زُمْرَةً^(٤) مع التي تناسب عملها وتشاكلة^(٥).

ومع هذا التصوير البياني للموعود الكريم نجد أسلوب الآية يشعر بعمق الإكرام لهذه الوفود الطيبة حينما يصلون إلى أبواب الجنة، فيجدونها مفتوحة لهم فتح إكرام؛ ليكرموا في تلك الرحاب الأنيسة، والمنازل الطيبة، والملائكة تستقبلهم بالبشارة والسلام، والثناء فيسعدون ويسرون، فقد طابت أعمالهم وأقوالهم، وطاب سعيهم فطاب جزاؤهم في دار طيبة، لا يليق بها إلا الطيبون، قد طهرها الله من كل دنس، وطيبها من كل قدر، فلا يدخلها إلاّ مناسب لها موصوف بصفتها^(٦).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٨/ ١٣، وفي ظلال القرآن ٦/ ٣٥٥٩.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٥٩، والوسيط لطنطاوي ١٤/ ٣٦.

(٣) النَّجَائِبُ: خيار الإبل. ينظر: تاج العروس ٨/ ٤٢١.

(٤) الزُّمُرَةُ: الجماعة والفوج. ينظر: العين، مادة: (زَمَر) ٧/ ٣٦٥، وجمهرة اللغة ٢/ ٧١٠، والمفردات ص ٣٨٣.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٩/ ٢٢٤، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ١١٩، وإرشاد العقل السليم ٧/ ٢٦٤.

(٦) ينظر: تفسير الرازي ٢٧/ ٤٧٨.

وقد تقدم فتح أبواب الجنة قبل مجيء أهلها؛ تكريماً وترحيباً وانتظاراً لمقدمهم؛ فلذلك جيء بالواو، في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ﴾^(١).

وما عند الله من الخير والفضل والنعيم لعباده الطيبين لا يُحد بوصف، ولا يتخيله عقل أو يخطر على قلب بشر، وهو وعد صادق تطمئن النفس البشرية إلى وجوده وتحققه، بخلاف وعود الشيطان وأمانيه؛ ولذلك ينبه القرآن على الفرق بين الوعدين عند أمره بإنفاق الطيب، ونفيه عن قصد إخراج الخبيث؛ حيث ينتقل إلى التصريح بأسلوب المقارنة بين الوعد الشيطاني الخبيث والوعد الإلهي الكريم؛ فوعد الشيطان وتخويله للمتصدق من الفقر كذب وخداع وخبث؛ ليسيء ظنه بربه، ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه، فيقع عليه الحرمان، بعد أن سؤل له المعصية والبخل وإنفاق الخبيث وعمل السوء بثوب الناصح المشفق الحرص على مصلحته^(٢)، وسيُقر على نفسه بذلك في نار جهنم قائلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فمن استجاب لوعده فهو المغرور المخدوع، وقد نبهنا الله على ذلك؛ لئلا تقع في إغوائه وحيله وخبائثه، وحتى ننجو مما يحل به وبأتباعه من العذاب يوم القيامة.

يقابل هذا الوعد الكاذب وعد إلهي صادق، متحقق وقوعه لأهل الإيمان والعمل الصالح متضمن مغفرة ذنوبهم، وفضلاً وزيادة في أرزاقهم، وتوسعة عليهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فهذا وعد لله وذاك وعد الشيطان، فأَي الوعدين أوثق؟ وإلى أيهما يطمئن القلب، وتسكن النفس، وتكون العاقبة؟^(٣).

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ١٤٧، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٥٤٣.

(٢) ينظر: طريق المهجرتين وباب السعادتين ص ٣٧٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢/ ٦٨٣، وطريق المهجرتين وباب السعادتين ص ٣٧٥، وتفسير القرآن الحكيم ٥/ ٣٥١.

المبحث السابع: أسلوب الذم:

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التنفير من الخبيث وأهله أسلوب الذم، والناظر في آيات الذكر الحكيم يجد تكالِب الأعداء في معارضة الحق، فتبرز فيهم صفات خبيثة سجلها عليهم على مر الأزمان، فأيات تذم الأقسام المكذبين، وآيات تصرح بدم شخصيات واجهة دعوة الحق، واعترضت دعوة الرسل، وأخرى تُعَرِّض بالذم والتوبيخ لفئات مندسة بين الصفوف المؤمنة؛ ليكشف أمرها ويجلي خبيثها.

وقد تتبع القرآن هؤلاء مستخدمًا أسلوب الذم^(١) بكثرة وتنوع، بالتصريح والتعريض والأفعال، وبالأسماء الدالة على الذم والتنقص.

وبتتبع النص القرآني نجد كثرة ذم الخبيث وأفعالهم مستخدمًا ألفاظًا عديدة منها: فعل الذم ﴿بِئْسَ﴾، الذي تكرر في سبعة وثلاثين موضعًا، وكذا ﴿بِئْسَمَا﴾ في ثلاثة مواضع، وأما ﴿سَاءَ﴾، و﴿سَاءَتْ﴾ ففي ثلاث وعشرين موضعًا، في حين أن كلمة ﴿مَذْمُومٌ﴾ لم تأت إلا في ثلاثة مواضع.

وكان للسياق والبلاغة دور كبير في إبراز صفات الخبيث وذمه، كالتشبيه بالحيوانات الخبيثة، وما دل على إهانة أو قبح أو خبث، أو رجس أو نجاسة.

والقرآن الكريم يكشف عن صفات ذم عامة للخبيثاء، كنفي محبة الله للظالمين والمعتدين، ووصف أهل الملل والطوائف المنحرفة عن اتباع الإسلام بالخسران، والقبح والإجرام، والعمى، وأن لهم من العذاب ما يهينهم ويسوؤهم، وأن جهنم هي مثواهم وقرارهم، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

فهي مصير من تكبر عن طاعة ربه، كما قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

(١) الذم: إظهار السوء قصدًا للعيب. ينظر: الصحاح، مادة (ذَمَم) ٢٠٣/٥، والكلبيات ص ٤٥٤.

فِيهَا فَيَنْسُ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [الزمر: ٧٢].

وأول أهلها الذين أكثر القرآن من ذمهم، الخبيث ﴿إِبْلِيسُ﴾ و﴿الشَّيْطَانُ﴾^(١)، الذي تكرر في ثمان وستين آية، وكلها تبين عداؤه لبني آدم ومكره، وحيله وتصفه بالرجيم؛ لتحقيره وإبرازه في صورة الساقط، ثم جاء لفظ ﴿إِبْلِيسُ﴾ في إحدى عشرة آية، وغالبها عن قصته مع آدم عليه السلام، وامتناعه عن السجود؛ إِبَاءً وَاسْتِكْبَارًا، وهذه أقبح صور الاستكبار الواردة في القرآن^(٢).

أما الذين اتبعوه بفعل المنكرات فلهم حقهم من الذم، خاصة من سكت عن الإنكار وهو يقدر على التغيير أو البيان، قال تعالى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ [المائدة: ٦٢ - ٦٣].

فهذه الآية فيها ذم للعلماء الذين يتهاونون في إنكار المنكر أبلغ من ذم الواقعين فيه، حيث استخدم القرآن الكريم زيادة على فعل الذم - ﴿يَنْسُ﴾ - لفظاً آخر، يضيف عليه قوة في المعنى، وزيادة في التأثير، فعبر عن ذم فاعليه بلفظ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، أما العلماء فعبر عنهم بلفظ ﴿يَصْنَعُونَ﴾؛ فجعل ترك الإنكار منهم ليس مجرد عمل، بل صناعة لهم، كأنهم بذلك تمكنوا من ترك المنكر، وتدربوا عليه حتى صار وصفاً لهم^(٣).

ولا يزال الذم في القرآن الكريم يلاحق أصحاب المعتقدات الخبيثة ومعبوداتهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، فالآية تصف أصنامهم بالخبيث والنجاسة والقذارة، وأي قذارة أعظم من تعظيمها وإعطائها

(١) إبليس في القرآن: الشيطان، لكن الشيطان في استعمال القرآن ليس مقتصرًا على إبليس، بل يشمل معه كل من

يقوم بعمله. ينظر: التحرير والتنوير ١ / ٤٢٤، وحوار مع إبليس ص ١١.

(٢) ينظر: فن البلاغة ص ٢١٠، وحقيقة الشيطان بالمنظور القرآني ص ٢٧.

(٣) ينظر: الكشاف ١ / ٦٨٧، والبحر المحيط ٣ / ٥٣٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦ / ٤٨.

خصائص خالقها، وتأمراً باجتنابها كما تُجْتَنَّب الأنجاس، وهذا غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها، والتنفير عن عبادتها^(١).

وتواصل الآيات في ملاحظتهم، وكشف ما لديهم من أعمال خبيثة وصفات قبيحة، وتجمع ما لديهم من أعمال وأوصاف ذميمة، مبينة الحال والآل، كما في النهي عن نكاح زوجات الآباء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٢٢).

وحينما يتحدث القرآن الكريم عن الأعمال الخبيثة، فإنه يخص بالذم الإسراف، وقتل الولد خشية الفقر، والزنا، وقتل النفس المعصومة، والتعدي على مال اليتيم، وظلم الناس في حقوقهم، والنقص في الكيل والوزن، والقول على الله بغير علم، والكبر، ثم يصفها بالذم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (الإسراء: ٣٨)، أي: هو مذموم عند الله، ومكروه فعله من فاعله^(٢).

ويتواصل النص القرآني في ذم سلوكهم وتعديهم، وعدم تدبرهم وتفكرهم في عواقب الأمور حينما يجنون على بناهم فيدفنوهن وهن حيات، فينتقد صنيعهم، ويعرض صورة وجوههم الكئيبة^(٣) حين العلم بولادة البنت وهو جالس بين الناس، فيقول تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل: ٥٨) يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَّمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨ - ٥٩).

ومن اتصف بخلة^(٤) سيئة فيها تضليل للناس عن الحق وتبديل للحقائق وخلط للمفاهيم كذباً وزوراً فله حقه من اللوم والذم، كالشعراء الكاذبين ومن يتبعهم أو يوافقهم على قولهم الخبيث وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض، والقدح في الأنساب، ومدح من لا

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ١٢٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٥/ ١٠٥.

(٣) الكآبة: سوء الحال، والانكسار من الحزن. ينظر: العين، مادة: (كآب) ٥/ ٤١٨، الصحاح ١/ ٢٠٧.

(٤) الخلة: الخصلة. ينظر: العين، مادة: (خَلَل) ٤/ ١٤١، وتهذيب اللغة ٦/ ٣٠٢، ومختار الصحاح ص ٩٦.

يستحق المدح^(١)، قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٣٣٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٣٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٣٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

وحيثما نظر إلى حديث القرآن عن معاملة الأقسام الخبيثة ومواقفهم مع الأنبياء وأتباعهم، نجد أنه يكشف عن صفات ذميمة ملؤها الجفاء والسوء، والغلظة في الأقوال والأفعال، ويأتي التكذيب بارزاً من بين صفاتهم الخبيثة؛ ولذا تفتتح الآيات قصصهم بالتصريح بهذه الصفة وتبدأ بها، كما يظهر ذلك تفصيلاً في سورتي الشعراء والقمر، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وهكذا في قصة عاد وثمود، وقوم لوط وشعيب.

وحيث يأتي ذكرهم في سورتي (ص) و(ق) فإن صفة التكذيب سمة مشتركة بينهم، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ١٢ - ١٤]، وقال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيسِ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ بُعْ كُذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

أما الشخصيات المفسدة فذمهم في القرآن بارز، كالخبيث فرعون الذي جعله الله قبيحاً بين الناس مذموماً^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤٢]، بسبب كفره وظلمه، وقلبه للحقائق وتضليله، وصدده عن الحق، وبذلك أوقع قومه في الجهالة، ودلهم على سوء العاقبة، فلم يكن ذا صفة قيادية حسنة، حيث قادهم إلى الضلال والبحر، وكلاهما ضلال يؤدي إلى البوار؛ لذا يُقدمهم يوم القيامة إلى النار، ﴿وَيَسَّسَ الْوَرْدُ الْمَمْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨]^(٣).

وليس ببعيد عن هذه الشخصية الخبيثة وزيره هامان المتبع لضلالاته، والمعين على خبثه

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٣٨٧، والنص القرآني من الجملة إلى العالم ص ١٣٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١٢٧.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٦٤، وفي ظلال القرآن ٥/ ٤٨٧، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢٧٢.

وكذا قارون الذي تميز بأسوأ صفات الذم السلوكي حين تكبر على قومه، واستعلى عليهم حينما اغتر بحاله، وبما أوتي من عطاء إلهي، وما منح من كنوز وأموال.

وكما أن الذم حاصل للرجال فللنساء الخبيثات اللاتي ساءت منهن الأعمال والتصرفات نصيب فامرأة نوح وامرأة لوط لم تُؤثر المكانة الزوجية في سلوكهما، فظهرت فيهما الخيانة الدينية المتمثلة في عدم الوفاء والطاعة، وعدم الاحترام إلى أن وصل الوضع إلى التَّقْصُّص، والوصف بالجنون، والدلالة على الأضياف الحَسَان؛ تيسيراً للجرمة وفعل الفاحشة، ومُؤَالاة^(١) للقوم المجرمين^(٢)، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحریم: ١٠].

ولما يتحدث القرآن عن موقف الخبيثاء في مكة، ومعارضتهم لدعوة الحق، ويجادلهم ويبين معايهم، فإنه يخص بالتصريح شخصية أبي لهب مع التعريض بزوجته، اللذان شكلا نموذجاً للزوجين المذمومين في القرآن الكريم.

وكذا يأتي التعريض بخبيث قريش الوليد بن المغيرة^(٣)، ووصفه بتسع صفات ذميمة اجتمعت في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتِلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم: ١٠ - ١٥]، فهو كثير الحلف، وعيب الناس بالقول والإشارة في حضورهم وغيبتهم، والسعي بما يفسد قلوبهم ويقطع صلاتهم، إضافة إلى التميز بالبخل، وعدم محبة الخير ومنعه له، وكذا الظلم والغلظة والجفاء^(٤)، هذا مع كونه زَنِيمًا، وهو: «المشهور بالبشر

(١) المُمَالَاةُ: المعاونة. ينظر: تمذيب اللغة، مادة: (مَلَأَ) ١٥ / ٢٩٠، والمصباح المنير ٢ / ٥٨٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٨٤، وفي ظلال القرآن ٨ / ١٧٣.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٢٩.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٩٥، وفي ظلال القرآن ٨ / ٢٣٠.

الذي يُعرف به من بين الناس، وغالبًا يكون دَعِيًّا^(١)، وله زنا، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره»^(٢).

أما النفاق، وأهله الخبثاء فذمهم في القرآن الكريم واسع، ما بين تصريح وتعريض؛ فالآيات المصرحة بلفظ النفاق سبع وثلاثون آية، وأما الآيات التعريضية فيهم فكثيرة، وقد توزعت معها الأغراض والمعاني في ذمهم حسب ما يظهره السياق؛ من سوء مقاصدهم وتعداد أعمالهم وأقوالهم الخبيثة وصفاتهم الذميمة، وهذا ظاهر في ثلاث عشرة سورة^(٣).

وأكثر السور إطنابًا في ذمهم سورة التوبة، ثم المنافقون؛ فقد فضحتنا مخططاتهم، ونشرتنا خزيهم، وتذبذبهم^(٤) العَقْدِي، وانحرافهم الفكري، واضطرابهم النفسي، وطمعهم المالي، وحرصهم على خَلْخَلَةِ المجتمع المسلم وتفريق صفه من خلال زرع الفتن وترويح الأخبار الكاذبة^(٥).

أما في جانب العبادة فتبرز فيهم صفة الكسل عن الصلاة، مع ظهور آفة الرياء، وقلة الذكر في إشارة إلى تمكن الكفر من قلوبهم، مما جعلهم يَحَادُّونَ الله ورسوله، ويؤذونهما، مع كراهية للمعروف وفرح بالمنكر^(٦).

لقد قرنهم الله ﷻ مع الكفار في موضعين من سورة الأحزاب، وذمهم في آخرها مع المشركين، وقدمهم عليهم في العذاب.

كما أن الذم حاصل لهم بالاقتران مع اليهود في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّأُوا مِنَ اللَّهِ عَهْدَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤].

(١) الدَّعِيُّ: المُلصِقُ بالقوم وليس منهم. ينظر: تَهذِيبُ اللُّغَةِ، مادة: (دَعَا) ١٣/١٥٧، ولسان العرب ١٢/٢٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩٦.

(٣) هن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والحديد، والمجادلة، والحشر، والمنافقون.

(٤) الذَّبْدُ: التردد، والاضطراب. ينظر: العين، مادة: (ذَبَبَ) ٨/١٧٨، وجمهرة اللغة ١/١٧٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ١٠/١٠٠، ولغة المنافقين في القرآن ١/١٨٢.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٠/٢٥٤، والقرآن والمجتمع ص ١٣٣.

وفي سورة الحشر ذمهم عن طريق التصريح بمناصرتهم لأهل الكتاب، وأنهم أخوة لهم في الضلال والكفر، وتشبيهم بالشیطان في أسلوبه وحيله، وأن مثل إغرائهم لليهود على القتال كمثل الشيطان الذي أغرى الإنسان بالكفر ثم تخلى عنه وخذله^(١).

لقد جاءت الأحكام والتشريعات الربانية كاملة مصلحة لحياة الناس في الدارين، ولكن عندما يستأثر الإنسان بأحكام عقلية على أحكام ربانية فإنه يستحق الوصف بالجهل، الذي يدل على عدم العلم، من هنا يأتي مصطلح الجاهلية في التعبير القرآني؛ ليعبر عن معاني النهي والذم عن ظن الجاهلية وابتغاء حكمها، وتبرجها وحميتها.

ويعظم الذم حينما يأتي النص القرآني بأسلوب التشبيه؛ لأن وقعه أشد وأثره أعظم^(٢)، ومن ذلك حال من آتاه الله العلم فلم يستفد منه، بل تركه ولم يعمل به، واتبع هواه فلم ينفع فيه وعظ أو نصح، فجاء تشبيهه بالكلب اللائح في جميع أحواله، قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشُلِّهٖ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

أما الذين أرادوا هدم بيت الله الحرام فيعبر عنهم القرآن بأصحاب الفيل؛ مما يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس الفيل في البهيمية، وعدم الفهم والعقل، وأنهم كانوا أقل حالاً، وأدون مترلة منه^(٣).

ومن لطائف التعبير القرآني أن يذم أقواماً من أهل الكتاب؛ لتضييعهم الأمانة، وتعاميهم عن أحكام التوراة، فيشبههم بالحمار الذي يحمل الكتب من غير علم ولا فهم، وهذا

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٣٦٢، والكشاف ٤/ ٥٠٧، والبحر المحيط ١٠/ ١٤٧.

(٢) ينظر: علوم البلاغة ص ٢٠٨.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ٩٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٥٦٦.

لإذلالهم واحتقارهم، ولإظهار جهلهم وبلادتهم، وهما في الحمار أظهر^(١)، أما المناوئون^(٢) للكلمة الطيبة والمعرضون طريقها، فهم مُشَبَّهون كذلك بِالْحُمُرِ في شِدَّةِ نُفُورِهَا وَهَرَبِهَا مِنَ الصَّائِدِ، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾^(٣) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥١﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٢﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١]، وهذا من أبلغ الذم؛ فإنهم نَفَرُوا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحُمُرِ عما يُهلكها.

وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة، فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضاً، وَحَضَّهُ^(٤) عَلَى النُّفُورِ، فكأنها تواصلت بالنفور وتَوَاطَّأَتْ^(٥) عليه.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٥٥، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٢١٣، والجمان في تشبيهات القرآن ص ٣١٢، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ١٠٠، والمعاني الثانية في الأسلوب القرآني ص ٣٠٨.
 (٢) الْمُنَاوَأَةُ: المعادة: ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (نَوَأَ) ٥/ ٣٦٧، ومختار الصحاح ص ٣٢٢.
 (٣) الْحَضُّ: الحث. ينظر: العين، مادة: (حَضَّ) ٣/ ١٣، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٥٦، والمفردات ص ٢٤١.
 (٤) الْمُوَاطَّأَةُ: الاتفاق. ينظر: الصحاح، مادة: (وَطَّأَ) ١/ ٨١، وبصائر ذوي التمييز ٥/ ٢٣٦.
 (٥) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٦٤، والأمثال في القرآن الكريم ١/ ٢٦.

المبحث الثامن: أسلوب المدح:

يشغل أسلوب مدح^(١) الطيبين مساحة واسعة في القرآن الكريم، وتتبع آياته نجد أنه راجع إلى أساليب عدة، فصرحها فعل المدح^(٢) ﴿نَعَمْ﴾، وقد جاء في ستة عشر موضعاً، و﴿نَعِمًا﴾، في موضعين، ولا يقتصر أسلوب المدح عليهما، بل يشمل الوصف بالحسن والطيب، كما أن للسياق دوره الظاهر في إبراز صفات المدوحين، كما في افتتاحية سورة (المؤمنون)، وآخر (الفرقان)، ووسط (المعارج)، وكذا بوصفهم بألفاظ التركيبية بأسلوب الخبر والتأكيد؛ لإبراز صفاتهم وأعمالهم الطيبة التي نالوا بها المحبة الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فالله يحب ﴿التَّوَّابِينَ﴾، و﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، و﴿الْمُتَّقِينَ﴾، و﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، و﴿الصَّابِرِينَ﴾، و﴿الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، و﴿الْمُقْسِطِينَ﴾، وهذه جامع صفاتهم في القرآن الكريم.

كما يستخدم القرآن عدة ألفاظ تدل في معانيها على المدح حين يصف بها الطيبين؛ كالحكمة والرحمة، والإمامة والذكر، والظهور والصدق^(٣).

وقد جاء أسلوب مدح الطيبين في القرآن الكريم متنوعاً، فكان باعتبار المتكلم، على أربعة أقسام:

أولها: مدح من الله ﷻ، كما في التصريح بفعل المدح لنبين كريمين، فقال في سليمان **السَّلَامَةَ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** [ص: ٣٠]، وقال في أيوب **السَّلَامَةَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** [ص: ٤٤].

(١) المَدْحُ لغة: الثناء الحسن، وهو خلاف الذم، واصطلاحاً: إظهار الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً، بذكر

المناقب والمزايا. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (مَدَح) ٥ / ٣٠٨، والتعريفات ص ١١٦.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٣٠٠.

(٣) ينظر: كشف السرائر عن معنى الوجوه والأشباه والنظائر ص ٧٣.

أما إبراهيم عليه السلام فقد مُدِح بمجموعة من الصفات؛ كالإمامة والقنوت، والثبات على التوحيد، والصدق والشكر، والحلم والإنابة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٧٥) [هود: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧) [النجم: ٣٧]، وهي صيغة مبالغة في وفائه وإتمام ما أمر به، ومن ذلك وفاءه بتبليغ الرسالة، ودفاعه عن عقيدة التوحيد، والصبر على ذبح ولده، وعلى نار التمرود، وأذية قومه^(١).

وجاء المدح الإلهي لخاتم المرسلين بعدة أساليب فجمع له اسمين من أسمائه، ولم يكن ذلك لأحد غيره، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة: ١٢٨]^(٢).

كما مدحه ربه على حسن خلقه وتميز تعامله، وهذا ما أكده أسلوب الخبر، في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) [القلم: ٤]، فهو المبلغ الذي تنبع منه الأخلاق العالية العطرة في الحياة الدعوية، وهو القدوة والأسوة الموصوفة بالحسن^(٣).

وأما المدح للطاهرة العفيفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقد كان بأسلوب واضح، وصريح بلفظ الطيب، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٦٦) [النور: ٢٦].

ثانيها: أخبار من الأنبياء أنفسهم متضمنة لعدد من النعم والأوصاف التي أنعم الله بها عليهم، ويُمدحون بها، كما في قول المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١) [مریم: ٣١]، وقول هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٦٨) [الأعراف: ٦٨].

وثالثها: مدح من الملائكة، كما في قولهم لإبراهيم مدحًا لإسحاق: ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨ / ١٦٣، ومن بديع لغة التتريل ص ١٩٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٠٢.

(٣) ينظر: التبيان في أقسام القرآن ١ / ١٣٢، والسيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة ص ٢٧.

قَالُوا لَا تَحْفَظْ وَيَشْرُوهُ بِعَلْمِ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ [الذاريات: ٢٨]، وكما في مدح جبريل للمسيح لما خاطب مريم قائلاً: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ﴿١٩﴾ [مريم: ١٩].

ورابعها: مدح عام من الناس، ومنه مدح موسى عليه السلام على لسان بنات صاحب مدين بصفتي القوة والأمانة^(١)، ومدح النسوة اللاتي أعجبن بجمال يوسف له بقولهن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، فأبرزن صفاته عن طريق أسلوب الحصر، حيث أوهمن السامع أنه ملك على الحقيقة لا على التشبيه، فكأنه خلصت له صفات الملكية، حتى لم يبق له من صفات البشرية شيء؛ مبالغة في مدحه^(٢).

وأعظم الشخصيات الطيبة مدحاً في القرآن هم الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم بإحسان، ويأتي أسلوب مدحهم وثناء القرآن بأسلوب الإضافة، بصفات أهمها العبودية، وقد جاء ذلك بألفاظ متنوعة، ومنها ﴿عِبَادِنَا﴾، و﴿عِبْدَانَا﴾، و﴿عَبْدِهِ﴾، و﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾، وهذه صفات مدح وثناء، وقد استحقوا ذلك لأدائهم أمانة التبليغ، وتحمل الإيذاء من أقوامهم^(٣).

ويأتي التكريم والمدح لغيرهم كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، فالإضافة هنا للتخصيص والتفضيل، وإلا فكل الخلق عباد لله^(٤).

ويستمر التكريم لرسول الله والإشادة بهم، فيأتي التسليم الإلهي عليهم جميعاً في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، ويخص عدداً منهم بالتسليم كنوح وإبراهيم، وموسى وهارون، وإلياسين ويحيى، وغالبه في سورة الصافات.

ويعظم الثناء للطيبين عندما يكون اختيار الاسم لهم ربانياً؛ كتسمية يحيى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَنْزَكِرْنَا إِنَّا نَبْتَشِيرُكَ بِعَلْمِ اسْمِهِ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ﴿٧﴾ [مريم: ٧].

(١) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ٣/ ٤٠٧، وقصص الأنبياء ص ٢٩٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/ ٨٤، والبحر المحيط ٥/ ٣٠٤، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٦٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٩٢.

(٤) ينظر: معالم التنزيل ٦/ ٩٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٠/ ٥٧.

ويتواصل الثناء عليهم حين تُبرز الآيات أماكن عباداتهم؛ بياناً لأخص صفاتهم الطيبة في الحياة وأجلها، وهي عبوديتهم لله، فتذكر مقام عبوديتهم؛ ﴿الْمِحْرَابِ﴾^(١)، وقد اقتران ذكره مع النبيين الكريمين؛ زكريا وداود عليهما السلام وكذا مع مريم الصديقة.

وعندما تُخصَّص عدد من السور بأسمائهم فإن هذا يظهر مزيداً من الثناء، والرفعة لهم وهذا حاصل لستة منهم، لخصت تلك السور دعوتهم لأقوامهم، وأساليب نصحتهم وإرشادهم، وحرصهم على تبليغ رسالة ربهم بكل قوة وثبات، وما يتمتعون به من علم وحلم وصبر، وطيب نفس، وطهر ونقاء، وكمال في العبودية والأخلاق والسلوك القويم والعقل الراجح، والفهم الثاقب^(٢).

وإضافة إلى تخصيص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسورة تحمل اسمه الكريم فهناك عدد من السور تخصه في الخطاب؛ كسورة الإسراء والفتح، والضحي والانشراح، والكوثر وغيرها من السور، مما يدل على تكريم الله ورعايته له، وكل هذا يدخل مدحاً وتكريماً تحت قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]^(٣).

وأكثر صفات المدح، والثناء للأنبياء والمرسلين كانت بصفتي (الرسالة)، و(النبوة). وذلك حاصل لعشرة من الأنبياء، أما المدح بصفة ﴿أَمِينٌ﴾ فمع سبعة أنبياء، واجتمع لإبراهيم ومحمد عليهما السلام الوصف بـ ﴿أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [المتحنة: ٤].

أما ملائكة الرحمن فقد بين القرآن مكانتهم في أشرف مقامات الثناء، فاستشهد بهم على التوحيد وإنزال الكتاب، وبين حسن أدبهم مع ربهم، وأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(٤) لَا يَسْئُرُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ^(٥) [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧]، وأكثرهم ذكراً باسمه ولقبه هو جبريل عليه السلام، حيث وصف بعدة أو صاف منها: ﴿الرُّوحُ﴾، و﴿الْأَمِينُ﴾،

(١) الْمِحْرَابُ: أشرف المجالس، ومقدمها، وكذلك هو من المسجد، ويقال للمسجد: محراب. ينظر: مجاز القرآن

١/٢، ومعلم التنزيل ٢/٣٢، والاشتقاق ١/٧٥، والتطور الدلالي ص ١٩٨.

(٢) ينظر: الكشف ٢/٤٦٧، والتحرير والتنوير ١٢/٢٠٨، ومع الأنبياء في القرآن الكريم ص ١٩.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل ٤/٥٣٥، والبحر المحيط ٨/٤٣٤.

﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾، كما مُدِح بالقوة في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]، فقد جمعت الآية في مدحه أمرين: صيغة ﴿شَدِيدٌ﴾ مع لفظ ﴿الْقُوَى﴾، فقواه شديدة، ومن قوته أنه اقتلع قري قوم لوط، ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح بتمود فأصبحوا جاثمين^(١).

وقد تمثل المدح للشخصية المؤمنة في أفرادها بالذكر، وخصوصية التصريح باسمها في القرآن الكريم، فلم يصرح القرآن باسم امرأة إلا الصديقة مريم، لكنه ساق آيات كثيرة في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في سورة النور ووصفها بالطيب، ولم يحصل التصريح باسم أحد من الصحابة إلا لزيد بن حارثة رضي الله عنه^(٢).

ومن بديع الثناء للنساء أن امرأة إبراهيم عليه السلام عجوز، لكنها أنموذج لقوة العاجز^(٣).

وتظهر الآيات امرأة فرعون مدحاً لها بالإضافة لهذا الطاغية؛ بياناً لصبرها وقوة إيمانها وثبات شخصيتها المرتبطة بالعقيدة^(٤).

وفي جانب الملك يقع الثناء على شخصية طالوت، التي جمعت مقومات السيادة الحسنة في العلم والقوة، وعلى شخصية ذي القرنين التي تمثلت في القوة، وحب الخير للناس^(٥)، وعلى حكمة ورجاحة عقل ملكة سبأ، حينما قادت قومها بعقل ورأي شديد جنبهم الذلة والشور والفوضى^(٦).

وفي الجانب التربوي والأخلاقي يعلو الثناء والمدح للقمان المخصوص بالحكمة، فقد جاءت وصاياه البليغة منهجاً للداعية، جامعة بين الترغيب والترهيب، والدعوة والنصيحة، مستهدفة البناء التعبدي والأسري، والسلوكي والاجتماعي^(٧).

(١) ينظر: الكشاف ٤ / ٤١٩، وتفسير القرآن العظيم ٧ / ٤٤٤.

(٢) ينظر: معترك الأقران ٢ / ٢١٢.

(٣) ينظر: البيان في إعجاز القرآن ص ٣٩.

(٤) ينظر: التصوير الفني في القرآن ص ١٥٦، وقصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ص ٢١٢.

(٥) ينظر: رجال ذكرهم القرآن ص ٤٧.

(٦) ينظر: التفسير المنير ١٩ / ٢٩٣.

(٧) ينظر: نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن ص ١٠٥، ومنهج القرآن في تربية الرجال ص ١٦٣.

أما المثال الزاهر لخلق الحياء فكان للمرأة المؤمنة المترية على العفاف، وفي بيت الطهر والنقاء؛ بنت صاحب مَدْيَن، فقد جاءت إلى موسى بمشية الحياء، وفي كلامها أمارات الحكمة، والفتنة والذكاء.

ويستمر القرآن الكريم في عرض الشخصيات الثابتة على العقيدة، والإيمان الراسخ في صدور المؤمنين؛ فيسوق خير أصحاب الكهف مادحاً لهؤلاء الطيبين بأسلوب قصصي جذاب، يغري بالوقوف والتأمل في بديع لفظها، وجزالة معانيها^(١).

وحينما يعرض خير الأقوام الخبيثين، فإنه يستثني القوم الطيبين قوم نبي الله يونس عليه السلام؛ مشيداً بإيمانهم الجماعي، فهم يمثلون القرية المؤمنة، المخصوصة بالمدح من بين القرى^(٢).

ويسوق القرآن العظيم الثناء والمدح لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ
الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، فقد
جاء مدح أحوالهم وأفعالهم وإخلاصهم، فليسوا سابقين فحسب بل الأولون، الذين شكلوا
القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم^(٣).

إلى جانب ذلك يسوق القرآن الكريم المدح في الجانب العقدي المتمثل بتوحيد الله، والاعتصام به، والتوكل عليه وحده، وكذا المدح في جانب المعاملات المتمثل في الإنفاق، وأداء الأمانة، وإقامة العدل، وغيرها من الأعمال الطيبة، كما يسوق المدح لعموم الطيبين فيمدح أجرهم، ومالهم من الله في جنته، كما قال الله تعالى بعد أن عدد صفاتهم الطيبة: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦]^(٤).

(١) ينظر: قصص القرآن ص ٣٨.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ١٤٤.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ٤/ ٢٩٢.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٢٦، وتفسير القرآن الحكيم ٤/ ١١٣، ودراسات لأسلوب القرآن ٣/ ٤٢١.

المبحث التاسع: أسلوب ضرب الأمثال^(١):

إيصال المعاني إلى القلوب بأيسر السبل وأبينها، أسلوب درج عليه القرآن الكريم فضرب أحسن الأمثال وأوضحها؛ لكونها أمثل أساليب البلاغة، وأشدّها تأثيراً في النفوس، وإقناعاً للعقل، وسرعة في التفهيم، وإزالة للإشكال، فهي توضح المعاني النافعة، وتوصلها إلى ذهن السامع، وتمثلها بالأمر المحسوسة؛ فيصير القلب كأنه يشاهد الحقيقة فتأنس النفوس بنظائرها وأشباهها، فتكون أسرع لقبول ما ضربت له^(٢).

وتهدف أمثال القرآن إلى التذكير والوعظ، وإصلاح النفوس، وتطهير القلوب، وتهذيب الأخلاق، وتقويم المسالك، وتصحيح العقائد، وتنوير البصائر، والهداية إلى ما فيه خير الفرد وصلاح الجماعة، وتقريب الحقائق الغيبية للأذهان، وربط عالم الشهادة بعالم الغيب، والتذكير بسنن الله في الأمم، والترغيب في الجنة وما يؤدي إليها، والتحذير من النار وما يقود إليها، إضافة إلى التنبيه على الخبائث والمساوي؛ ليحذر منها وتجتنب، والطيبات والمحاسن؛ لتقبل عليها النفوس الطيبة والقلوب الزكية، مع ما في الأمثال من الحكم، وإظهار التفاوت في الأجر، وإبراز المدح والذم، والثواب والعقاب، وتفخيم أمر أو تحقيره، وتحقيقه أو إبطاله، بعبارات مختلفة وأساليب متنوعة^(٣)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

كما جعل الله ﷻ في ضرب الأمثلة تربية قرآنية لكل إنسان يتقبل الهدى، والعلم النافع

(١) المثلُ والمثَلُ: النظير والشبيه، ويطلق على الصفة والعمرة، وهو: قول في شيء يشبه قولاً في آخر، بينهما مشابهة، ليبيّن أحدهما الآخر ويوضحه.

وضرب المثل: أن يذكر للحال ما يناسبها؛ فيظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً، مأخوذ من ضرب الدراهم، وهو إحداث أثر خاص فيها، فضارب المثل يقرع به أذن السامع؛ لينفذ أثره إلى قلبه. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (مثل) ٩٦/٥، والبرهان في علوم القرآن ٤٩٠/١، بصائر ذوي التمييز ١٤٠١/١، وتفسير المراعي ٧٠/١، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ٤٨/١.

(٢) ينظر: الأمثال في القرآن ٩/١، والقواعد الحسان ٦٠/١، وضرب الأمثال في القرآن ص ٥٩.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٦٧/١٦، وأمثال القرآن ص ١١، والبرهان في علوم القرآن ٤٨٧/١.

فتكون سبباً لهديته، بخلاف الخبيثاء المعرضين المعاندين الذين لم يفهموا حكمته فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٦٦﴾ [البقرة: ٢٦]، فلا يستحي أن يضرب أي مثل، ولو كان المثل المضروب بعوضة فما فوقها، ولذا ضرب المثل بالعنكبوت والكلب، والذباب والحمار، ولم تكن حقاقتها مانعة من ضرب المثل فيها، بل ليحصل المقصود من الأمثال، فينتفع بها المؤمنون، ويعقلها العالمون، وأما غلاظ القلوب وأغبياء العقول فيزدادون جهلاً وعناداً^(١).

ولقد عنيت رسالة التوحيد بحظ وافر من أمثال القرآن الكريم، ومن ذلك المثل البديع، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦].

فشبه شهادة أن لا إله إلا الله بالشجرة الطيبة ذات الجذور الثابتة الأصل الباسقة الفرع؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهكذا شجرة الإيمان في قلب المؤمن أصلها ثابت علماً واعتقاداً، وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح ممتد في السماء، فالشجرة الطيبة رمز العطاء والبدل، وكلمة التوحيد رمز العبودية لله ودليل الإخلاص له، وبرهان الاعتماد عليه^(٢).

ومن قال: إن الشجرة الطيبة هي النخلة، أو المؤمن نفسه فلا اختلاف بينهما، فالمقصود بالمثل المؤمن، والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة عنوان الخير والجود، فالمؤمن المشبه بها أولى، فهو ثابت في إيمانه، عال في تطلعاته وتوجهاته، نافع في عمله، ومن

(١) ينظر: معالم الترتيل ١/ ٧٦، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦/ ٥٦، والتحرير والتنوير ١/ ٣٥٧.

(٢) ينظر: الأمثال في القرآن ١/ ٣٥، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢٥.

قال: إنما شجرة في الجنة فالنخلة من أشرف أشجارها^(١).

وبضد كلمة التوحيد وشجرة الإيمان تلك الكلمة الخبيثة كلمة الكفر، فهي كالشجرة الخبيثة، فليس لها أصل ثابت، ولا ثمرة نافعة، ولا قدرة على المقاومة، بل تنهاوى لأقل خطر يهددها؛ كذلك كلمة الكفر فهي ضرر وسوء لا خير فيها، وكلمة خُبث لا طيب فيها، وكلمة مسمومة لا نفع فيها، وهكذا صاحبها لا ثبات له ولا قرار، فهو متقلب بين مبدأ وآخر، وسائر خلف كل نَاعِقٍ^(٢)، اعتقاداً وفكراً، وسلوكاً وأخلاقاً، وتطلعاً وهمة وليس له أصل يأخذ به، ولا برهان يعتمد عليه، ولا يقبل الله عمله ولا يصعد إليه، ولا يجعل فيه بركة ولا منفعة^(٣).

وإذا كانت غالب أمثال القرآن تناقش أصول العقيدة وتُجَلِّبها، فإنه يأتي بأسلوب المقارنة الرائعة فيعقدها بين المؤمن الطيب وبين المشرك الخبيث؛ بياناً لمجمل حالتهما، فيقول سبحانه: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، فالمشرك مع معبوديه كعبد مشترك قد تنازع فيه ملائكته، وتجادبوه في أعمالهم، فتَحِير وتعب، فهو لا يستطيع إرضاءهم جميعاً، ولا يدرى أيهم يقدم، ولا ممن يطلب رزقه ويلتمس رفقته وشفقته، أما المؤمن فمثله مثل عبد له مالك واحد، فقلبه وفهمه مجتمع، وهو مستريح وعمله مريح^(٤)، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرًا أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

ويتواصل الأسلوب القرآني في عقد المقارنة بأسلوبين تمثيليين، لفريقي الخبيث والطيب من الكفر والإيمان، مع نفي التسوية بينهما، في قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، فالكافر مشبه

(١) ينظر: إعلام الموقعين ١/ ١٧٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩٣.

(٢) النَّعَقُ: الصياح. ينظر: العين، مادة: (نَعَقَ) ١/ ١٧١، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٦٨.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/ ٥٨٣، والكشاف ٢/ ٥١٩، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩٤.

(٤) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم ١/ ٥٤، ومناهل العرفان في علوم القرآن ٢/ ٣٦٣.

بالأعمى والأصم؛ لأن قلبه أعمى عن رؤية الحق، أصم عن سماعه، فهو مشبه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء، وسمعه أصم عن سماع الأصوات، أما المؤمن فهو بصير القلب سميعه، كبصير العين وسميع الأذن^(١).

ويتجه الأسلوب القرآني في بيان الفرق بين القلوب الطيبة والخبيثة في قول الله تعالى:

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [الأعراف: ٥٨]، فشبّه قلب المؤمن بأرض طيبة حسنة، أخرجت أحسن

الثمار وأزكاها، وشبه قلب الكافر بأرض رديئة لا تصلح للزرع؛ فلا تثبت إلا بعسر ومشقة، وبهذا التشبيه يتضح أن القلوب التي أثرت فيها تعاليم الوحي تُنتج أنواعاً من الطاعات، والأخلاق الحميدة، أما قلوب الخبيثاء فلا تُنتج إلا الأذى والشر^(٢).

وإذا كانت أعمال الخبيثاء من الكفار والمشرّكين ليست عند الله في شيء، فإنه يشبه بطلانها وعدم الانتفاع بها وقت الحاجة بذرات الرماد الذي فرقته الريح وبعثرته فلم تبق منه باقية، كما يمثله بالسراب؛ الذي يُرى في أعين الناظرين ماء ولا حقيقة له، فيأتيه الظمآن وقد أهداه العطش فلا يجد شيئاً، وهذا مناسب لحال الكافر الخبيث، وبطلان عمله فإن كفره بمتزلة النار المحرقة، وعمله بمتزلة الرماد والسراب الذي لا حقيقة له، مما يدل على إهدار قيمة أي عمل لا يستند إلى الإيمان^(٣).

ولم يكتف القرآن الكريم ببيان الأمثلة على بطلان أعمالهم، بل خص نفقاهم بمثال؛ ليتحقق التكامل في التنويع البياني؛ حيث ذكر العام في موضع، ثم ذكر بعض أفراده في موضع آخر، فصور نفقاهم بمن زرع زرعاً يرجو ثمرته ويؤمل نفعه، فبينما هو كذلك إذ أصاب زرعه برد شديد محرق فهلك وتبدد أمله، ولم يحصل إلا على المشقة والتعب، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا

(١) ينظر: إعلام الموقعين ١/ ١٥٤، والأمثال في القرآن الكريم ١/ ١٣، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٣١٥.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٢/ ٤٩٧، وتفسير الرازي ١٤/ ٢٩٣، وإرشاد العقل السليم ٣/ ٢٣٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/ ١٩٥، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ٧٠، وفي ظلال القرآن ٥/ ١٤٧.

أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ [آل عمران: ١١٧]؛ لأنهم بنوا أعمالهم على غير أساس إيماني^(١).

وإذا كان الرياء والمن والأذى بالصدقات أخلاقاً سيئة خبيثة فهي عنها القرآن، فإنه يشعر صاحبها بيطان عمله، من خلال تمثيله بالحجر الأملس الشديد، الذي تغطي بالتراب، فلما نزل عليه المطر الغزير أزال ما عليه من تراب، فم يبق له أثر، فكذلك حال هذا المرائي، فإن قلبه غليظ قاس بمترلة الحجر الأملس، أما صدقته وأعماله فبمترلة التراب الذي على هذا الحجر، فإذا رآه من يجهل حالته ظن أنه أرض زكية، قابلة للنبات الطيب، فإذا انكشفت حقيقة الحال، وزال عنه التراب تبين أن عمله بمترلة السراب، وأن قلبه كهذا الحجر غير صالح للنبات؛ لأن الإيرادات الخبيثة تمنع من الانتفاع بالعمل^(٢).

يقابل هذا المثل حالة المؤمنين المنفقين أموالهم في سبيل الله، بأسلوب يحضر صورة المضاعفة من خلال ما يعرضه القرآن من مثل يشاهده المؤمن ببصره، فيشاهد المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد المعاينة، فنفاقتهم تزكوا، وثوابها مضاعف، فتنقاد النفس للإنفاق بفرح وطيب نفس، مع أمل بالمضاعفة الجزيلة، والمنة الجليلة، قال تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]^(٣).

وفي مثال آخر للذين أنفقوا أموالهم الطيبة؛ مرضاة لربهم، بانشرح نفس وسخاء، فمثل نفقتهم كمثل البستان الزاهي بأشجاره الكثيرة، وظلاله الوافرة، وموقعه المرتفع، وتعرضه للشمس طيلة النهار، فإن نزل عليه مطر كثير فثماره تتضاعف وتكثر، وإن كان قليلاً فإنه يكفيها؛ لطيب منبتها، فهذه حالة أهل النفقات الطيبة الكثيرة والقليلة، كل على حسب

(١) ينظر: البحر المحيط ٥ / ٤٠٥، والأمثال في القرآن الكريم ١ / ٣٤، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٦٠٨.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ٥٢٧، ومعالم التنزيل ١ / ٣٢٦، والبحر المحيط ٢ / ٣٢١.

(٣) ينظر: معالم التنزيل ١ / ٣٢٨، وإرشاد العقل السليم ١ / ٢٦٠، وتيسير الكريم الرحمن ص ١١٢.

حاله^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وللأعمال الخبيثة حظها من أمثلة القرآن الكريم، فهذا المغتاب الذي يمزق عرض أخيه في غيبته بمترلة من يُقطع لحمه في حال غيبة روحه بالموت، أما محبته للأكل فهي زائد عليه، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه، فصار هذا التشبيه والتمثيل مطابقاً للمحسوس، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وكما تكرهون أكل لحمه إذا كان ميتاً، فلتكرهوا غيبته وأكل لحمه حياً، وكما أنه مكروه طبعاً فاكروهه وابتعدوا عنه شرعاً، ثم من الذي يتحمل أكل لحم الإنسان، فضلاً أن يكون أخاً، فضلاً أن يكون ميتاً؟^(٢).

ويسوق القرآن العظيم أمثلة عديدة بأسلوب العيب والذم لنفوس تلوثت بالأطماع الدنيوية، وإيثارها على مرضاة الله وآخרתه، كحال ذلك العالم الذي انسلخ مما يدعو إليه العلم النافع والآيات البينات، كما تنسلح الحية من جلدها، تاركاً كتاب ربه والعمل بما علمه، متبعاً لهواه، لاهثاً وراء الدنيا، كحالة الكلب - الذي هو من أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرًا، وأخبثها نفساً - فإنه في لهث دائم سواء في حالة التعب والراحة، والصحة والمرض والري والعطش، قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَّهُ كَمَا شَلَّ الْكَلْبُ إِن تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]^(٣).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١١٤، والتحرير والتنوير ٣/ ٥٠.

(٢) ينظر: الكشاف ٤/ ٣٧٦، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٤٩، والتحرير والتنوير ٢٦/ ٢٥٦.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ١٥/ ٤٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٠٨، والتحرير والتنوير ٩/ ١٧٧.

أو كتلك النفوس الخبيثة التي لم تتشرف بحمل العلم وتعليمه والعمل به، مع توفر القدرة وهيئ الأسباب، فمثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً من كتب العلم فهو لا يستفيد منها، ولا يلحق به فضيلة، بل حظه منها الحمل فقط، وهذا مثل مطابق لعلماء اليهود والنصارى الذين لم يعملوا بالتوراة وكذبوا محمداً ﷺ مع وجود صفاته فيها، وهو كذلك مثل لكل من أوتي علماً شرعياً ثم لم يعمل به^(١).

وينتقل الأسلوب القرآني ليضرب مثلاً عجيبيًا، مشتملاً على الثناء، والمدح لنفوس طيبة في معتقداتها، ومسالكها، وأخلاقها، وهم محمد ﷺ وأصحابه ﷺ، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

فهذا الذي وصفهم الله به مذكور في التوراة، وأما مثلهم في الإنجيل فكزرع أخرج صغاره فعاونته في الشباب والاستواء، فقوي وغلظ، فهم - في نفعهم للخلق، واحتياج الناس إليهم، وقوة إيمانهم وأعمالهم - بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه قد لحق بالكبير السابق، فعاونته على ما هو عليه؛ من إقامة دين الله والدعوة إليه، ولهذا يحصل الغيظ للكفار الخبيثاء حين يرون اجتماعهم وتراحمهم، وشدهم في معارك وساحات القتال^(٢).

ويتناول الأسلوب القرآني شيئاً مما يكون في الجنة من النعيم، فيضرب له المثل بشيء محسوس؛ إذ ليس بمقدور المخاطبين إدراكه، كما في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣].

(١) ينظر: جامع البيان ٢٣/ ٣٧٧، وأنوار التنزيل ١/ ٣٣٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٣٠٠.
 (٢) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٦٥، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ١٩٨، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٤٩٣، والمشاهد في القرآن الكريم ص ٣٣٨، وجماليات المفردة القرآنية ص ١٣٨.

كما ضرب المثل التقريبي لتصور ما يكون في النار من العذاب، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ۝ ٣٢ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ ۝ ٣٣﴾ [المرسلات: ٣٢ - ٣٣]، فاللؤلؤ والقصر، والجِمالَةُ^(١) الصُّفْرُ هي موجودات مادية يحس بها المخاطبون بجواسهم المادية.

وقد يشبه الله ﷻ بعض الأمور الغيبية بأمر محسوس وجدانياً، حيث استقر في النفوس قبحه، يظهر ذلك حينما يتحدث القرآن الكريم عن الخبثاء أهل النار وعذابهم، فإنه يستخدم أحياناً تشبيه المجهول بالمجهول؛ كما في تمثيل طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، ومن المقرر لدى الناس أن الشيطان أقبح الصُّور والأشكال وأفزعها، فجاء التشبيه مستويًا مع ما في أذهانهم؛ زيادة في التأثير والتخويف، وتعظيمًا للهول، وكل سيتصور الشكل الذي يفزعه ويخيفه؛ لأنه لم يحدد نوعًا واحدًا، فيكون هذا الإبهام هو عين البيان^(٢).

(١) الجِمالَةُ: جمع جمل. ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٥، ومعالم التنزيل ٨/ ٣٠٧، والكشاف ٤/ ٦٨١.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٢٦/ ٣٤٢، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٢١، والتحرير والتنوير ٢٣/ ١٢٤.

الفصل السابع

آثار الخبيث والطيب في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آثار الخبيث الدينية والدنيوية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آثار الطيب الدينية والدنيوية في القرآن الكريم.

مدخل:

لقد سهّل الله ﷻ الطرق الموصلة إليه، وحث عباده على سلوكها، ورجبهم بكل ما تشاقه نفوسهم، وتطمئن إليه قلوبهم، وحذرهم مما يكون سبباً لمساءتهم وعذابهم؛ وهذا يدفعهم لاختيار طيبات الأقوال والأفعال، والحرص الدائم على الإكثار من الصالحات، والمسابقة في التعرض للتفحّات^(١)، مع حذرٍ وخوفٍ، وبعدٍ عن مهاوي الردى الخبيثة، ونزعات الهوى العنيفة.

وهذا من الرحمة والرأفة بهم، ومعونتهم على تحقيق الاستقامة والعبودية؛ رجاءً لرحمته وخوفاً من عقابه، ومحبةً لجلاله وعظمته؛ ليمتدح لديهم الخوف بالرجاء في توازن مثمر في قلوبهم، وليكونوا على بينة من أمورهم، وعلم بالعواقب والنتائج والآثار^(٢).

فكل عامل له عمله طيبه وخبيثه، وسيراه في آخرته، ويجازى عليه جزاءً عادلاً تُقرُّ به الخليقة كلها^(٣).

والتدبر للقرآن الكريم يلحظ تنوعاً في الأمر والنهي، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والتذكير بعظمة الخالق، ونعمه المتكاثرة، وذكرًا كثيرًا للجنة والنار، ووصفاً لثواب الآخرة وعذابها، وجزاء الطيبين وعاقبة الخبيثين، وما لأعمال الفريقين من آثار، ونتائج دينية ودينيوية، وهذا ما سيتضح من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: آثار الخبيث الدينيّة والدينيوية:

ينهى الله ﷻ ويتوعد ويخوف عن عدة أعمال خبيثة، ويبين عقوبة المخالفين، وما تؤدي إليه مخالفتهم من أضرار، وما يترتب عليها من شرور وعذاب، وآثار سيئة ونتائج خبيثة في الحياة الدينيوية والبرزخية ويوم يقوم الأشهاد؛ ليكون ذلك دافعاً لهم على البعد والحذر،

(١) التَّفَحَّة: الدَّفعة من الشيء، والنصيب والحظ: ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (تَفَح) ٥ / ٤٥٨.

(٢) الأَثَارُ: جمع أثر، وأثرُ الشيء: رَسْمُه الباقي، وحصول ما يدلُّ على وجوده. ينظر: المفردات في غريب القرآن ص ٦٢، ومقاييس اللغة، مادة: (أَثَر) ١ / ٥٣.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٢٢.

فتحصل لهم الوقاية والسلامة والعافية، وهذا كثير في القرآن الكريم، ويتجلى ذلك ويتضح من خلال عرض مجموعة من الآثار فيما يلي:

١ - الحِرْمَانُ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا:

فالذين يخالفون منهج الله - بطغيانهم وخبيث فعالهم وتعديهم على شرع ربه، وإيثارهم الحياة الدنيا - يوشك أن تعجل لهم آثار معصيتهم، فيسلب الله عنهم نعمته ويجرمهم من فضله في الدنيا؛ كما تشير إلى ذلك أحاديث القرآن وأخباره وقصصه في الأمم العاتية، والطوائف المكذبة، وعدد من الأشخاص المحرومين الخبيثاء؛ ففرعون وحزبه المجرمون حرموا من الملك والجاه، ومن خيرات مصر الوافرة، وأموالها وبساتينها ومساكنها العامرة؛ التي تمتعوا بها أزمنة طويلة، وقضوا فيها شهواتهم ولذاتهم على كفر وفساد، وتكبر على العباد^(١)، قال الله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩].

أما صاحب الجنة في سورة الكهف فقد عرفه الله وَعَلَّمَكَ أثر كفره، وفخره وعزه بماله وعشيرته، وأن الأمر أمره، فأتلف بستانه بعد أن ظن أنه لن يبديد ولن يخرب^(٢).

كما قص علينا القرآن العظيم نبأ أصحاب البستان في سور القلم حين عزموا على حرمان المساكين، وحلفوا أن يقطعوا ثمر نخيلهم في وقت مبكر لا يعلم به المحتاجون، فكان من أثر هذا العزم والرأي الخبيث، والتخطيط الإجرامي أن أتلفه الله وأحرقه، فصار أسوداً مثل الليل، فأصبحوا على ما آل إليه تصرفهم نادمين^(٣).

ويقص علينا خبر اليهود، ويصرح بخبائثهم وعظيم جرائمهم، وما جرته إليهم من عقوبات، وآثار عظيمة جعلتهم عبرة لمن بعدهم؛ حيث ابتلاههم الله بضروب من البلوى،

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٥٧٨، وتفسير القرآن العظيم ٦ / ١٢٩.

(٢) ينظر: تفسير يحيى بن سلام ١ / ١٨٧، وتفسير عبد الرزاق ٢ / ٣٣٥، وتفسير العثيمين (الكهف) ص ٦٩.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٥٤٣، والوسيط للواحدي ٤ / ٣٣٧، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٤٩.

وحملهم من التكليف ما أعتتهم^(١)، وأرهقهم^(٢)، قال تعالى: ﴿فِظَلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١].

لقد تحايَلوا على شرع الله في التحليل والتحریم، والزيادة والنقص والتأويل، حتى كان من أثر ذلك أن زال ملكهم، وتمزق نسيج وحدتهم، فتفرق شملهم، وساءت أخلاقهم، وقست قلوبهم، وذهبت ريحهم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وحق عليهم غضب الله، وحلت بهم لعنته، وحرّم عليهم من الطيبات بعض ما كان حلالاً لهم، مع العذاب الأشق الذي ينتظرهم؛ عقاباً ونكالاً لهم^(٣).

وفي ذلك عبرة لأي خبيث منحرف؛ فربنا عَلَّمَ قادر أن يزيل عنه الملك والمنصب، وأن يصرف عنه الصحة والمال أحوج ما يكون إليها، أو بعدم الحصول عليها أو نقصها، أو يجرمه من التلذذ والأنس بالطيبات، ويفتح له أبواباً من الأمراض والعلل والمصائب التي تمنعه من تناول ما يشتهي من الخيرات، وربنا تَجَلَّ قادر على أن يسكنه بين المرضى بعيداً عما شيده وبنائه، نائياً عن ثرواته وخدمته ومركبه، معزولاً عن زوجاته وأولاده ومحبيه أو يصيبه بعقاب يفوق ما أخذ وتعدى وظلم.

إن البعد عن منهج الله في التمتع بالطيبات - إسرافاً، أو اقتراً للفواحش، أو اكتساباً لها من الحرمات، أو منعاً للواجبات - مصدر ذل وشقاء، وفرقة وشتات، وقلق يرافق صاحبها. فالذين يسرفون على أنفسهم بتعاطي الموبقات؛ من خمر أو مخدر يخشى عليهم من اليوم الذي يجرمهم الله فيه من أطيب الأشياء إليهم.

أما الذين يأخذون مالاً بالربا فمهددون بمحقها وحلول الكوارث فيها؛ لما يحدثونه من خلل في اقتصاد الناس، وتسبب في إفقارهم، ومعاملة لفاعليه بنقيض قصدهم وفعالهم؛ فإنهم

(١) العنت: المشقة والضرر. ينظر: العين، مادة: (عنت) ٧٢/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤٢/٢.

(٢) الإرهاق: أن يُحمل على الإنسان ما لا يطيقه. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (رهق) ٢٥٩/٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ١٤/٦، والتفسير القرآني للقرآن ٣٩١/٢.

آثروه تحصيلاً للزيادة من غير مراعاة لأوامر القرآن ونواهيها، فمحققت تلك الزيادة، وربما شمل ذلك المال من أصله، حتى تصير عاقبتهم إلى آلام وحسرات، وغاية من الفقر، والذل والهوان، وزوال الخير والبركة عن نفسه وماله، وسقوطه من العدالة، وحصوله على اسم الفسق، إضافة إلى ما يصله من الدم والبغض، ودعاء من ظلم بأخذ ماله^(١)، وما يترتب عليه من عقوبة وعذاب أليم في الآخرة أشد وأنكى، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٦].

فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم إلا أكلة الربا فإنهم كلما قاموا سقطوا، كالمصروع الذي يسقط على وجهه وجنبه وظهره؛ ولعل السر في ذلك أنهم أكلوا هذا المال الخبيث عن طريق المكر والخداع، ومخالفة أمر الله ورسوله قريباً في بطونهم وزاد حتى أثقلها، فعجزوا عن القيام، وصاروا كلما أرادوا الإسراع مع الناس ونهضوا سقطوا على ذلك الوجه القبيح، فلا يقومون من قبورهم إلا مثل قيام الذي يصرعه الشيطان ليمتازوا ويشتهروا بين أهل الموقف ويفتضحوا على رعوس الأشهاد؛ وليعرفوا أثر خبيثهم، ويدوقوا شيئاً من عقابهم^(٢).

وبتأمل الآيات في وعيد أكلة الربا يظهر جلياً قبح وخبث مكاسب هذه الجريمة، وعظم ما يترتب عليها من آثار وعقوبات، ولا سيما محاربة الله ورسوله؛ إذ لم يترتب على شيء من المعاصي في القرآن إلا على هذا الكسب الخبيث، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٩]؛ فالمرابون في حالة

(١) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر / ١ / ٣٧٢.

(٢) ينظر: معالم التنزيل / ١ / ٣٤١، وتفسير القرآن العظيم / ١ / ٧٠٨، وإرشاد العقل السليم / ١ / ٢٦٦.

حرب خاسرة مع الله ورسوله، ومهددون بالحرمان من الفلاح، وبالنار الحامية^(١).

لقد أظهرت الآيات أن للربا خمسة آثار مخيفة: تخبط الشيطان لآكله، ومحق المال بزواله كله أو بركته، والحرب من الله ورسوله، والكفر لمن استحله، والخلود في النار، ومن ثمَّ كان اعتياد أكل الربا، والتورط فيه علامة على الشر والخبث، وسوء الخاتمة^(٢).

وإذا استبصر العاقل فيما يضره، ويؤثر عليه فإنه يَأْتَفُ^(٣) ويتورع عن أكل الأموال بالباطل؛ لما له من آثار تتم المؤاخذة عليها في العاجل، وما أخبر به القرآن من المعاقبة عليها في الآجل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠].

ويوشك أن يعاقب الله ﷻ الذين يأخذون أموالاً بغير حق بضياعها وهلاكها، ولربما كان ذلك وهم ينظرون^(٤).

كما يوشك أن يحزني من أخذ كسبٍ يدٍ غيره بجرمانه من يده لا من كسبه، وتلك سنة إلهية عادلة، وتشريع رباني مُحْكَم، وخصوصاً لمن يستبطنون جزاء الآخرة، ومن يُعْرِيهُم حب الدنيا وشهواتها، ويُعْرِهَم حِلْمَ اللَّهِ القائل: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨﴾ [المائدة: ٣٨].

بل إن الله ﷻ يُدِرُّ لأهل الفجور والخبث الأرزاق، ويمهلهم حتى يظنوا أنهم في أمان، وألا مؤاخذة ولا عقاب، فيزدادون خبثاً إلى خبثهم، وكفرًا إلى كفرهم فتزيد عقوبتهم،

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٣٧٤، ومحاسن التأويل ٢/ ٢٣٠، ومن أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية وأحكام المدينة ص ١٥.

(٢) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ٣٧٤، والميسوط ١٢/ ١٠٩، والبحر الرائق شرح كتر الدقائق ٦/ ١٣٧.

(٣) الأنف: كُره الشيء، وشرف النفس عنه. ينظر: لسان العرب، مادة: (أنف) ٩/ ١٥.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥/ ٥٠١.

ويتضاعف عذابهم، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون^(١).

وبكل معصية، وسوء أدب مع الله يحرم مرتكبه من لذيذ الطاعات وحلاوتها بقدره، وهو لا يشعر؛ مكرًا واستدراجًا، ولا يزال ينقص إيمانه شيئًا فشيئًا، حتى يتفَلَّت منه^(٢).

٢ - العداوة والبغضاء:

إن آثار المعاصي على النفس والبدن والمال والأهل والأرض لا تتناهى؛ ولذا لما حرم الله ﷻ جملة من الخبائث نبه على أبرز آثارها، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

فإيقاع هذه الخبائث للعداوة والبغضاء في المجتمع ظاهر، وآثرها وصددها عن ذكر الله وعن الصلاة والطاعات أمر مشاهد؛ فالخمر تجمع تلك المفسد كلها، وتجري إليها، وتؤدي إلى التفرق الأسري والاجتماعي، وتؤثر على الفكر، وتنزف^(٣) العقل، وتصدع الرأس، وتعرض سائر البدن للأمراض وتوالي الأسقام، وتوقع في الفواحش والمحرمات، وتتناولها ينحط صاحبها من العزة إلى الذلة، ومن الصحة إلى العلة، ويصير إلى أخسّ حالة، وأرثّ هيئة، وأقذر وصف^(٤)، مع ما ينتظره من حرمان لخمرة الجنة إن لم يتب^(٥)، فهي جماع الإثم، ومفتاح كل شر، وأم الخبائث^(٦).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣١٠.

(٢) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١ / ٥٨٩.

(٣) التنزف: الذهاب، والانقطاع. ينظر: العين، مادة: (نَزَفَ) ٧ / ٣٧٣، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ٣٨٥.

(٤) ينظر: المسكرات والمخدرات ص ٣١، وسبيل الدعوة الإسلامية للوقاية من المسكرات والمخدرات ص ٨٦، الأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات ص ٤٧، والخمر وتأثيرها على العيون ص ١٧٨.

(٥) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم، في كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام ٣ / ١٥٨٧ رقم ٢٠٠٣.

(٦) كما سماها عثمان رضي الله عنه. ينظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني ٩ / ٢٣٦ رقم ١٧٠٦٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٥ / ٩٧ رقم ٢٤٠٦٨، والسنن الكبرى ٥ / ١٠١ رقم ٥١٥٦، والتلخيص الحبير ٤ / ٢٠٧ رقم ١٧٩٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ٧٠٧ رقم ٢٧٩٨، موقوفًا على عثمان رضي الله عنه.

وأما الميسر ففضلاً عن حرمتها فإن عقلاء العالم ومفكروه رأوا من آثارها ما جعلهم ينادون بتصحيح المسار؛ حماية للنفوس والأموال والعقول، ورعاية لحق المجتمع الذي يئن من الانهيارات الاقتصادية، وحوادث القتل، الذي تؤدي إليه نتائج المقامرات؛ من فقرٍ وتشتتٍ أُسر، وخراب البيوت، وذهاب الأموال الطائلة سريعة من أيدي أصحابها بمجرد لعبة يلعبها المقامر في ليلة مع المقامرين؛ مما أفضي ويفضي إلى انتشار جرائم السطو والسرقة، ونهب الأموال، وتعريض النفس للصدمات والأزمات القلبية، والأمراض النفسية^(١).

٣- الرُّعْبُ، وَالْخَوْفُ:

جزاء وأثراً للكلمة الخبيثة المتمثلة بالكفر واتخاذ الأنداد، على ما تمليه الأهواء والإرادات الخبيثة، فمن ثم كان المشرك الخبيث مقدوفاً في قلبه الرعب من أصحاب الكلمة الطيبة، وإذا ألقى الله في القلب الرعب وقذفه فيه فإن صاحبه لا يرى إلا خائفاً مرعوباً يحسب كل صيحة عليه، وكل مكروه قاصداً إليه، فينهزم من داخل نفسه، فلا يقر له قرار ولا يأمن أحداً، ولا يهنأ بحياة، بل تعتل صحته، ويظهر الهلع على عينيه وملامح وجهه، فتسهل هزيمته واصطياده^(٢)، قال تعالى: ﴿سَكُنْتُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

ولأثلك الخبيثاء الذين جاءتهم النعم من ربهم فلم يقدروها قدرها، وحلت بهم الطيبات فما رعوا حق رعايتها، لهم حظهم من الخوف والجوع؛ أثراً من آثار كفرهم بالنعم، ونسبتها لغير موجدتها، وصرف العبادة لسواه، فاستحقوا محقتها وإزالتها، وأن يريهم الله نتيجة تعديهم على مقامه، وأثر شيء من خبائثهم وشورهم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه؛ فألبسهم الجوع بدل الرغد والهناء والشبع، وأزال أمنهم وأنسهم واستقرارهم،

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٣/ ٥٩، والكبائر ص ٨٨، وأحنحة المكر الثلاثة ص ٤٢٩.

(٢) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٧٥.

واستبدلوا به وحشة وخوفاً ورعباً، فزالت النعم وحلت مكانها النقم^(١).

وهكذا كلما ازدادت الخبائث وعظمت الإساءات كان أثرها زيادة في الوحشة والقلق؛ ومن ثم كان أخوف الناس أشدهم إساءة، وأكثرهم لله معصية^(٢).

٤ - الرِّينُ^(٣) عَلَى الْقَلْبِ:

وذلك أن الخبائث تعمي بصيرته، وتطمس نوره، وتسد عنه طرق العلم، وتحجب عنه الهداية؛ فتميته أو تُمرضه مرضاً مخوفاً، أو تُضعف قوته حتى إذا ما وقع صاحبه في شدة أو كربة أو بلية خانة قلبه ولسانه وجوارحه عما هو أنفع له، بل يكون لديه الجسارة^(٤) على ارتكاب المحارم، وذلك يورثه وقاحة وضلالاً يجعله يسبق إلى اعتقاد مذاهب باطلة، وأفكار ملوثة، ويتمرن على استحسان المعاصي واستقباح الطاعات.

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا بالرَّانِ والحْتَمِ، والطَّبَعِ والإِقْفَالِ، والإِغْفَالِ وقَسَاوَةِ القلبِ، وجَعَلَ أكنةً عليها، وبعدم العقل في آيات كثيرة^(٥)، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، فكما جَدُّوا واجتهدوا في حرمان الناس من الهدى حرمهم الله من هداه، وطبع على قلوبهم، فصارت طرق الحق عليهم مُنْسَدَّةً، فقد نبههم فلم ينتبهوا، وذكرهم فلم يتذكروا، فكان من آثار ذلك أن كثرت ذنوبهم فعاقبهم بالطبع على القلوب، حتى غطاها الرَّانُ والدَّنَسُ، وختم عليها فلا يدخلها حق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛ فالذنب ذنبهم؛ إذ لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، مع بيانه ووضوحه فقلب الله أفئدتهم^(٦).

(١) ينظر: تفسير السمعاني ٣/ ٢٠٦، وتفسير الرازي ٣/ ٤٧٧، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢/ ٢٣٧.

(٢) ينظر: طريق المحررتين وباب السعادتین ص ٢٧٢.

(٣) الرِّينُ: الطبع والدنس، والتغطية والغلبة. ينظر: العين، مادة: (رَيْن) ٨/ ٢٧٧.

(٤) الجسور: الشجاع. ينظر: العين، مادة: (جَسْر) ٦/ ٥٠، وجمهرة اللغة ١/ ٤٥٧.

(٥) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٩٠.

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٠٠، وتحقيق الوصال بين القلب والقرآن ص ٢٠.

وكلما أوغَلَ^(١) العبد في الخبيث، وتمادى في الطغيان فإن قلبه يَنعَمِي شيئاً فشيئاً، فيَصْدَأُ^(٢) «من المعصية، فإذا زادت غلب الصِّدَأُ، حتى يصير رأناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختمًا، فيصير القلب في غشاوة وغلَاف»^(٣)، ويصاب بقسوة لا يشعر بها، ولا يرى عظمًا لها، فتتقلب عليه الحقائق، فيرى الخبيث طيباً والطيب خبيثاً، ويُزين له سوء عمله فيراه حسناً، فيتعدى ويظلم، ويبعد عن طاعة الله، ويفعل الموبقات من غير مبالاة أو إحساس، حتى يقع في أسر خبيثه، وتحل به الذلّة، ويحق عليه العقاب الأليم.

٥ - مَوَالَاهُ الشَّيْطَانُ:

والوقوع في أسره، وسجن شهواته، وقيود هواه، ومن ثم فإن التعب والعناء، والتشتت والكسل والبطالة لازمة له لا محالة، وسيطمع فيه شيطانه، ويحاول الظفر به في كل أحواله، وكلما رآه منقاداً مستجيباً لأمره اشتد طمعه، وتأثيره عليه حتى يجعله من حزبه، ويصير هو وليه دون مولاه الحق، فيسول له ويمنيه، وينقله من خبث إلى ما هو أخبث منه؛ ذلك أن الذنب ومقارفة الخبائث يستدعي بعضها بعضاً حتى تغمره، وتحيط به خطيئته.

وكلما كان العبد أبعد عن الله كانت الآفات إليه أقرب، واستجابته للشيطانين أسرع، وهم به أظفر؛ فتجترئ عليه بالأذى والإغواء والوسوسة والتخويف، وتتسلط عليه، حتى تُوْزُهُ إلى الشر أزرًا^(٤)، وتدفعه وتحركه إلى الخبائث والشرور دفعاً، فيزينونها له ويحثونه عليها، حتى ينتشر حبها في قلبه ويتشربها، ويسعى فيها وينصرها، ويحارب أهل الحق عليها^(٥).

وبإعراضه عن الذكر المتزل، فإنه تَحَنَّبَ ولاية الله ﷻ، فيقيض الله له شيطاناً يقارنه ويتولاه، فيصده عن سبيله وطريق فلاحه، ويخرجه من النور إلى الظلمات، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، حتى إذا ما

(١) التَّوْغَلُ: الدخول في الشيء والمبالغة في البعد فيه. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (وَعَلَ) ٢ / ٩٦١.

(٢) الصِّدَأُ: الوَسَخ. ينظر: العين، مادة: (صَدَأَ) ٧ / ١٤٢، ولسان العرب ١٢ / ٤٠٧.

(٣) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٦٠، وشفاء العليل ص ٩٤، ومدارج السالكين ٢ / ٢٧.

(٤) الأزرُ: التَّحَرُّكُ وَالإِزْعَاج. ينظر: العين، مادة: (أَزَزَ) ٧ / ٣٩٧، ومقاييس اللغة ١ / ١٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢ / ١٧٢، وياقوتة الصراط ٣٤٢، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٦٠.

وإني ربه يوم القيامة، وعاین هلاکة وإفلاسه قال لقرینه: ﴿بَلَّغْت بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرْيُنُ﴾ [الزخرف: ٣٨]، وهكذا كل من أعرض عن الاهتداء بالوحي فلا بد أن يقول هذا، وحين يجد ما عمل من خبث مسجل عليه فإنه يتمنى أن بينه وبين خبائثه زمناً طويلاً ومسافة بعيدة؛ لما تأكد لديه من أثر لهذا السوء والخبث المخيف^(١).

وحين أعرض عن ذكر ربه فقد رضي بولاية الشياطين الخبثاء، وخسر ولاية الرحمن ونصرته، فلا يجد أحداً من الخلق يتولاه وينصره ويدفع عنه العذاب، وأيُّ خسارة أبين وأعظم من هذا الذي خسر دينه وديناه، وأوبقته في النار خبائثه، فحصل له الشقاء الأبدي حين يغنم أولياء الرحمن الطيبون، ولا يكون لألئك إلا الخسارة ومزيد من الشقاء والخزي عند الله وعند خلقه، والحرمان من نعيم الجنان وطيباتها؟!.

ولربما عجل الله لهم بعض العقوبات فسلط بعض الخبيثين على بعض، فصار بينهم من الشرور والإحن ما يقتضي البغض والمعاداة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فيسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله وحقوق عباده^(٢).

٦ - سُفُوطُ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ:

عند الله وعند خلقه؛ ذلك بأن الله جعل أهل الخبائث أهونَ خلفه عليه، وجعل الذلة والصغار تلاحق أهل معصيته، وإن علا شأنهم بمال أو جاه^(٣).

وما تزال الخبائث تتكاثر حتى تُسقط صاحبها، ولا تُبقي له شأنًا عند ربه، فيسقط من عينه، ومن قلوب عباده، وإذا لم يبق له جاه ولا كرامة عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك، فعاش بينهم أسوأ عيش، ساقط القدر، عديم الاحترام والتقدير، وحينها لا

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة ١/ ٤٤، وفي ظلال القرآن ٥/ ٣١٩٠، وتفسير القرآن الحكيم ٣/ ٢٣٣.

(٢) ينظر: الوسيط للواحدى ٢/ ٣٢٣، وتفسير الرازي ١٣/ ١٥٠، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٨٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم ص ٧٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٥٨.

فرح له ولا سرور، بل غم وهم وحزن، وعيش في الخزي والهوان^(١).

فاقتراف الخبائث والولوغ^(٢) فيها له أثر على المكانة والقدر والمترلة، فهي تقمع النفس وتذلها، حتى تصير صغيرة حقيرة، بل تسلب أصحابها أسماء المدح والشرف، وتكسبهم أسماء الدم، والصغار، كالفاجر، والمجرم، والعاصي، والمسيء، والمفسد، والخبيث، والزاني، واللوطي والسارق، والخائن، وغيرها من أسماء الفسوق والخبث، و﴿يَسْأَلُ الْأَسْمَاءَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، ولم يكن من آثارها إلا استحقاق هذه الأسماء لكان في العقل منهة عنها؛ فصار صاحبها من السفلة بعد أن كان مهيباً لأن يكون من العلية^(٣)، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

٧- نُقْصَانُ الرِّزْقِ، وَالْحَرْمَانُ مِنْ بَرَكَتِهِ:

فيفتقر بعد غناه، أو يعسر عليه حصوله، أو يقل نفعه، فلا أقل بركة في العمر والدين والدنيا ممن عصي الله، وما محت البركة من الأرض إلا بالمعاصي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

وإنما كان اقتراف الخبائث سبباً في محق بركة الرزق؛ لأنه طاعة للشيطان واتصال به، وكل شيء يتصل به ويقارنه فبركته محققة، وكل شيء لا يكون لله فبركته متزوعة؛ فمن هنا كان للخبائث تأثير عظيم على البركة ومحققها، وكل ما عصي الله به من مال أو بدن أو جاه أو علم أو عمل فهو على صاحبه ليس له^(٤).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ٥١٧، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٧١.

(٢) الولوغ: شرب السباع بألسنتها. ينظر: العين، مادة: (وَلَغ) ٤/ ٤٥٠، وتهذيب اللغة ٨/ ١٧٣.

(٣) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٨٦، وطريق المهجرتين وباب السعادتين ص ١٧٧.

(٤) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٨٤، والفوائد ص ٥١، وطريق المهجرتين ص ٢٧٣.

لقد جرت سنة الله ﷻ في الأولين والآخرين في عقوبة من عصوه أن يصيبهم ببعض ذنوبه، وأن يأتيهم آثار ما فعلوا؛ فيأخذون بالعقوبات والبلايا، وكثرة الآفات ونزع البركات، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٤١: الروم: ٤١]؛ فَحَطُّ^(١) المطر، وقلة النبات، وظهور الآفات في البراري والبحار والأجواء، ونقصان معاش الناس ودواهم ما هو إلا شيء من آثار ما قدمت أيديهم من الأعمال الخبيثة، وما كسبت من خطيئة^(٢)؛ فقد أخرج الله ﷻ الأبوين من الجنة بذنوب واحد ارتكباها وخالفا فيه فنيه، ولعن إبليس وطرده من رحمته بذنوب واحد ارتكبه وخالف فيه أمره^(٣).

٨ - المَعِيشَةُ الضَّيِّقَةُ:

وهي تصيب أهل الخبائث المعرضين عن ذكر الله وهداه من الحياة المُرَّة النَّكَدَةَ^(٤)، وما يلاقونه من المتاعب والعُسْر في الأمور، وما يشعرون به من الهموم والغموم والآلام في دار الدنيا، ودار البرزخ^(٥)، وفي الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ نُنْسِي [١٢٦] وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى [١٢٧] [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

فالمعيشة الضنك مرتبة على الإعراض عن ذكر الله ﷻ؛ فللمعرضين من شدتها وضيقها ومشقتها بحسب إعراضهم، وإن تنعموا في الدنيا بأوصاف النعم، فإن في قلوبهم من الحزن والخوف والوحشة، والذل والخزي، والأمانى الباطلة والعذاب أضعاف ما فرحوا به من

(١) الفَحَطُّ: احتباس المطر. ينظر: العين، مادة: (فَحَطَّ) ٣/ ٣٩، ومقاييس اللغة ٥/ ٦٠.

(٢) ينظر: تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٦٦٢، والوسيط للواحدى ٣/ ٤٣٥، ومعالم التنزيل ٦/ ٢٧٤.

(٣) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٨٨.

(٤) النَّكَدُ: «اللؤم والشؤم، وكل شيء جر على صاحبه شراً فهو نَكْدٌ». العين، مادة: (نَكَدَ) ٥/ ٣٣١.

(٥) البرزخُ: الحائل بين الشَّيْئَيْنِ، والمراد ما بين الدنيا والآخرة. ينظر: العين، مادة: (بَرَزَخَ) ٤/ ٣٣٨.

سكرات وشهواتهم، وينالون من ألمها وعذابها في هذه الدار ثلاث مرات، فيعذبون بها قبل حصولها، ثم بالخوف من ذهابها وفواتها، ثم على فقدانها ما هو أشد وأعظم، ولهم بعدها من الحسرات والهم والغم، وعذاب القبر، والحجاب عن الله، ما تَقَطَّعُ منه الأكبادُ، وما هو أدهى وأمر^(١).

٩ - العَذَابُ الدُّنْيَوِيُّ:

إما بالاستئصال^(٢)، وإما بغيره؛ فكل أمة جاءت بالخاطئة، وعتت عن أمر ربها وعصت رسله، أخذها الله أخذة رَابِيَةٍ^(٣)، وأحل بها العقوبات المناسبة لجرمها وخبثها؛ فكان العَرَقُ بالطُوفَانِ^(٤) من نصيب قوم نوح؛ لتطهير الأرض منهم؛ لما أصروا على شركهم، وكذبوا الرسل، وأصبح نسلهم فاجراً خبيثاً كَفَّاراً.

وحين اعتزت عاد بقوتها، وعظم طغيانها أرسل الله عليهم الريح العقيم، عذاباً تحصبهم وتدمرهم ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، فأخذوا بالريح التي كانوا يرجون نفعها، ولم يتوقعوا منها أية مضرة ولا شدة، فَقَطَّعَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ دَابِرَهُمْ، وَأَبَادَتْهُمْ واستأصلتهم من آخرهم^(٥)، ﴿وَأَنْبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِغَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠].

وأما ثمود فقد قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الآية بالناقة فما آمنوا، بل استمروا على

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٢٣، وتفسير ابن رجب ٢/ ١٣٣، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي

ص ٧٧، والبركة في الرزق والأسباب الجالبة لها في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٧٤.

(٢) الذي لا يترك أحداً من القوم المكذبين، وذلك حاصل قبل نزول التوراة، إذ لم يهلك الله مكذبي الأمم بعدها

بعذاب يعمهم كما حصل لقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون، وغيرهم. ينظر: النبوات ٢/ ٦٥٦،

والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ٢٥١، وجلاء الأفهام ص ٣١٤، وأضواء البيان في إيضاح القرآن

بالقرآن ٧/ ٨٣، وتفسير العثميين (الحجرات - الحديد) ص ١٥٨، والمختب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٣٥.

(٣) الرَابِيَّة: الزائدة الشديدة. ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨١، واللغات في القرآن ص ٥٠.

(٤) الطُوفَانُ: الماء الكثير. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠/ ١٧، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ١٦٤.

(٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٢٥٩.

خبثهم وكفرهم، وهمدوا نبيهم ومن آمن معه، وتوعدوهم بالإخراج والرجم، فأخذوا بالصيحة الطاغية، فهلكوا عن آخرهم، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

وكان الانحلال الخلقي وراء سقوط قوم لوط وهلاكهم، فقد قلبوا الأوضاع بإتيان الذكور دون الإناث، فكان من آثار ذلك أن صار الجزء من جنس العمل، حيث قلب الله عليهم قراهم، وأتبعهم بحجارة من النار^(١)، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

وهو وراء هلاك كل حضارة تحيد عن منهج الله ﷻ في سنة الزواج الشرعي، فمن خرج عنه كان العذاب له بالمرصاد، وهذا ما تنتظره المجتمعات التي رفعت شعار الحرية الجنسية، ونافحت عنه، فانبجست الشهوات، واستحوذت الغرائز، وشاعت فيهم أوكر^(٢) المخذات^(٣)، والملاهي الليلية، وأندية العري، وتبادل الزوجات وظاهرة الشذوذ، ونكاح المحارم، والسحاق^(٤) واللواط، مما نتج عنه انهيار اجتماعي، وسقوط حضاري، ودمار أخلاقي، وتفكك أسري، وأمراض جنسية، حتى أمست مهددة بعدوى الأمراض أكثر من خطر الأسلحة المدمرة، خاصة بعد أن وصلت الأمراض إلى أرقام مذهلة تقدر بالملايين^(٥).

ويتواصل الخبر القرآني عن الخبيثين من قوم شعيب السلي^(٦) فقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات، وصنوفاً من المثلات، وأشكالاً من البليات؛ لما اتصفوا به من خبيث الفعال والصفات، فسلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت منهم الحركات، وصيحة عظيمة أخذت الأصوات، وظلة عظيمة نزل عليهم منها شرر النار من سائر الجهات^(٧).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ٤٨٢، وتفسير القرآن العزيز ٢ / ١٣١، وأضواء البيان ٨ / ٢٥٩.
 (٢) الوكر: مكان الطائر، الذي يبيض فيه ويفرخ. ينظر: العين، مادة: (وكر) ٥ / ٤٠٢، وجمهرة اللغة ٢ / ٨٠٠.
 (٣) الخدن: الصاحب، وأكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة، والأخدان: اللواتي قد حبسن أنفسهن على الخليل والصديق للفجور بما سراً. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦ / ٦٠٢، ومعاني القرآن للنحاس ٢ / ٦٤.
 (٤) السحاق: ما يكون بين المرأتين من تدالك الفرجين. ينظر: الزواجر ٢ / ٢٣٥، ولا تقربوا الفواحش ١ / ٨٥.
 (٥) ينظر: الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة ص ٣٢.
 (٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٦ / ٢٧٨.

وينتقل الحديث في القرآن الكريم عن آل فرعون الخبيثاء الذين عَثَوْا^(١) في الأرض مفسدين، فقد أخذهم الله بالجُدُوبِ^(٢) والقُحُوطِ، ونقص الثمار سنة بعد سنة، ولما تهادوا وأنكروا ما جاء به موسى ﷺ من الآيات أنزل الله عَجَلًا بهم مجموعة من البلايا والعقوبات، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

ولما علا فرعون الخبيث في الأرض، وتجر فيها وتكبر، واعتز بملكه وأثماره، وأشاع الخبيث والفساد فيها، وادعى الألوهية والربوبية، جعل الله هلاكه ووزيره الخبيث هاما وجنودهما بجنس ما كان يتناول به، غرقا في البحر أثرًا من آثار خبيثهم وفسادهم، وتكذيبهم للرسل^(٣) وصدق الله العظيم: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

أما الخبيث قارون فقد اعتر بأمواله الطائلة وكنوزه وخزائنه، وكفر بنعم ربه فكانت له مصدر عذاب وقبر، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

لقد تنوعت معاصي الأمم وخبائثها فتنوع عذاب الله عليهم؛ بيانًا للقدره الربانية، وتنكيلًا بهم، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، فهي ألوان من الهلاك، بأشكال مختلفة، وآثار متفقه^(٤).

(١) العُتُو: الفساد. ينظر: العين، مادة: (عَتِي) ٢/ ٢٣١، وجمهرة اللغة ١/ ٤٢٨، وتهذيب اللغة ٣/ ٩٦.

(٢) الجُدُوبُ: عدم إنبات الأرض، فهو ضد الخصب. ينظر: العين، مادة: (جَدَب) ٦/ ٨٧.

(٣) ينظر: تفسير العتيمين (الفاحة والبقرة) ١/ ١٨٠.

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٢٥٨، والتفسير القرآني للقرآن ١٣/ ٣٢٣.

لقد أخذ الله بني إسرائيل بالبأساء والضراء، وضرب عليهم التيه في الصحراء، ولما اعتدت طائفة منهم في السبت رماها الله باللعة، وأحل عليها غضبه، وجعل منهم القردة والخنازير^(١).

وكما تركوا الحق وآثروا الباطل، وقلبوا الحقائق وشوهوها، واستحسنوا الخبيث وجعلوه طيباً، جوزوا من جنس ذلك بطمس وجوههم كما طمسوا الحق، وردّها على أدبارها؛ فَتَحَوَّلَ قَبْلَ ظُهُورِهَا^(٢).

ولما عظمت جرأتهم، وتمردوا وظلموا، وقالوا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مقولتهم الخبيثة، وطلبوا رؤية الله عَلَيْهِ السَّلَامُ جهرة أخذتهم الصّاعقة^(٣).

ولما لم يلتزموا أحكام التوراة، كان من حكمة الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعاقبهم بعقوبات دنيوية؛ ذلك أن طبيعتهم لا يرضيها ولا يخضعها إلا الآيات المادية، والمعالجة بالأمر المحسوسة؛ فرفع الله على رؤوسهم الطور، فكان عليهم كالأظلة، آية باهرة عجيبة للعقول، تردّ المكذب إلى التصديق، والشاك إلى اليقين، فإما أن يأخذوا ما آتاهم الله بقوة، وإما أن ينطبق عليهم الجبل، فلما رأوا ذلك وقع في قلوبهم الرعب وأظهروا التوبة، وأعطوا العهد والميثاق أن لا يعودوا إلى المخالفة، وأن يقيموا التوراة، ويلتزموا بها^(٤).

ولقد ضرب الله مثلاً لقريش بما شاهدته من عذاب لجيش أبرهة^(٥)، المتعالي بعدده وعدته، المصطحب معه الفيل أقوى الحيوانات؛ فسلط الله عليه الطير التي هي في المنظر من أضعف المخلوقات؛ جنداً من جنوده، ترميهم بالحجارة من فوقهم، فأهلكتهم ودمرتهم

(١) ينظر: تفسير السمعي ٢/ ٤٩، والوسيط للواحي ٢/ ٢٠٤، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٢.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٤٤٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ٢/ ١٣٤٨، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٣١.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ١٧٣، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤٦.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل ١/ ٤١٩، وجامع البيان ٩/ ٣٦١، وروح المعاني ٣/ ١٨٣، وفي ظلال القرآن ٢/ ٨٠٠.

(٥) أبرهة: اسم حبشي، وهو: أبرهة الأشرم أبو يكسوم، من ملوك الحبشة باليمن، عزم على هدم الكعبة، فسار إليها

ومعه الفيل، فأهلك الله جيشه بالطير، وأصابته الأكلة، فحمل إلى اليمن فهلك بها، وصار عبرة، وآية. ينظر:

المعارف ١/ ٦٣٨، والأخبار الطوال ٦٢، وتاريخ الرسل والملوك ٢/ ١٣٧، والاشتقاق ص ٥٣٢.

وبينت ضعفهم وخزيهم، فكانوا عبرة ونكالا لكل من أراد بيت الله بسوء^(١).

وفي ذكر قصص الخبيثاء وأخبارهم، وموافقهم مع الأوامر الربانية، والنصوص الشرعية وتعتنهم، وعوائدهم السيئة مع رسل الله وأنبيائه، وما أسبغ الله عليهم من النعم، ومقابلة ذلك بالكفر والعصيان والنكران، وما حل بهم من عقاب ونكال من الكبير المتعال، في ذلك كله عبرة لمن سلك سبيلهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ثم إن الله ﷻ شرع العقوبات المناسبة للخبيثاء المحاررين له ولرسوله، المبارزين لهما بالعداوة، الناشرين للفساد؛ بتعديهم على مقامه في الوحدانية والتشريع والعبادة، وانتهاك حرمة الأنفس والأموال والأعراض وإخافة الآمنين، وذلك بقتلهم أو صلبهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف؛ جزاءً ونكالا وخزياً دنيوياً، مع ما لهم في الآخرة من العذاب^(٢).

وأما الذين ينتهكون الأعراض بالقذف أو الزنا فلهم من الجزاء الرادع ما يكف تجاوزهم ويردع خبيثهم؛ بالرجم والجلد، والوصف بالفسق، كل بقدر خطيئته، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣].

١٠ - الدُّلُّ، وَالهُوَانُ:

بسبب الأعمال الخبيثة المسخطة لله، والبضاعة السيئة التي اكتسبها أهل الشر؛ من الكفر والتكذيب وأصناف المعاصي، فهي لهم مذلة وسوء، ومهانة وحقارة تلاحقهم؛ وزوال لمهابتهم، وحصول للبغضة، والنفرة منهم في قلوب الناس، بل تغشاهم ذلة في قلوبهم، وخوف وهلع من العذاب في الدنيا والآخرة، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرهم، فتعلوهم كآبة^(٣) وكُسُوفٌ^(٤)، وظُلْمَةٌ وسواد في وجوههم بحسب ما عملوا من السيئات

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٦٠٨، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٤١٢، وأضواء البيان ٨ / ٢٥٩.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ٣ / ٥٨٢، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٢٩، وأضواء البيان ١ / ٣٩٨.

(٣) الكآبة: الانكسار وسوء الحال، والحزن الشديد. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (كأب) ٢ / ١١٠٣.

(٤) الكُسُوفُ: في الوجه الصُّفْرَةٌ وتغير اللون من الهم والحزن. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (كسَف) ١٠ / ٤٧.

على اختلاف أحوالهم الخبيثة^(١)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

وليس أعظم خبثاً ممن أشرك مع الله غيره في عبادته، وتعدى بالقتل على أنبيائه ورسله لذا ضرب الله على أصحابها الذلة والمسكنة^(٢)، وفقر النفس في الحياة الدنيا، وبأؤوا^(٣) بالغضب، ولتخذي العجل حظهم الكبير من ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وإن الذلة والخزي الذي يصيبهم في الدنيا ليصحبهم عند الموت، فالملائكة تبشرهم حال الاحتضار بالعذاب الشديد، الذي يزيدهم الذل والهوان، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣].

ويتمد بهم الهوان وترهقهم الذلة إلى يوم القيامة، حين يجدون أثر خبثهم وجرائمهم فيفتضحون عند الله وعند خلقه إلى أن يدخلوا جهنم صاغرين^(٤)، كما قال الله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ومن هانت عليه التشريعات الربانية، والعبادات الإلهية وضاق بها فهو مهان عند ربه مستحق للإهانة في العذاب^(٥)، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، «فلا كرامة إلا

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥ / ٧٤، ومعالم التنزيل، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٦٢.

(٢) المسكنة: الفقر والضعف. ينظر: نزهة القلوب، مادة: (سكَن) ص ٤٠٩.

(٣) بأؤوا: رجعوا وانصرفوا: ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢ / ١٣٨، ولسان العرب، مادة: (بؤأ) ١ / ٣٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤ / ٦٣٨، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٣٤.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٥٨٧، ومعالم التنزيل ٥ / ٣٧٢.

بإكرام الله، ولا عزة إلا بعزة الله، وقد ذل وهان من دان لغير الدين»^(١).

فهم أتباع الخبيث إبليس، الذي أهبط من الجنة صاغراً محتقراً، مهاناً ذليلاً، مذموماً مبعداً من رحمة ربه.

١١ - اللُّعْنُ، وَالبُعْدُ عَنِ المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ:

لكفرهم بالله وآياته، وكتمان وتكذيب ما جاءت به الرسل من الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾ [البقرة: ١٦١].

وبموتهم على الكفر، وحلول اللعائن عليهم فلا حظ لهم من مغفرة الله وجنته، لا بشفاعة ولا بغيرها؛ لأنه قد قُضِيَ عليهم بالعقاب، وفاقم الثواب، وسدت عنهم أبواب الرحمة والمغفرة، وحصلت لهم الشقاوة الأبدية^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ [محمد: ٣٤].

ويُرد هؤلاء الخبيثاء يوم القيامة مُفْلِسِينَ فُرَادَى بِلَا مَالٍ، وَلَا أَهْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ، وَلَا خَدَمٍ وَلَا جُنُودٍ وَلَا أَنْصَارٍ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤]، تقطع الوصل بينهم فلا نصير لهم من العذاب، ولا شفاعة فيهم مقبولة، لا من ولي أو قريب أو صديق، ولم يجدوا الربح والأمن والسعادة والنجاة التي زينها الشيطان وحسنها لهم أتباعه الخبيثاء^(٣).

(١) في ظلال القرآن ٤ / ٢٤١٤.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٩٠.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٥٤٨، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٠٣.

١٢ - اللُّومُ، وَالتَّوْبِيخُ:

زيادة في عذابهم يوم القيامة؛ لما اغتروا بالحياة الدنيا، واطمأنوا لها، فغرتهم بلذاتها، ورضوا بشهواتها، وتمتعوا بطيباتها وخيراتها مع فسق وخبث وجنوح عن الصراط المستقيم، لاهين بما عن السعي لآخرتهم، غافلين عما فيه أمنهم وسعادتهم، متمتعين بما تمتع الأنعام، غير متورعين فيها عن فاحش أو حرام، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْ طَبِيبَتُهُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

فهذا اللوم والتعنيف يزيدهم عذبا؛ حيث أفقدوا أنفسهم حظها من طيبات الآخرة، حينما لم يحسبوا لها حسابها، وضيعوا بها النعيم الأكبر، الذي فيه فلاحهم ونجاتهم وأنسهم وراحتهم^(١).

فأي عمل صالح قدموه لأنفسهم؟ وأي خير ادخروه لهذا الموقف؟ أيستحقون شيئا من طيبات الآخرة بكفرهم وشركهم واستكبارهم، وقولهم على الله غير الحق؟ أم بتعديهم على حقه ومخالفة أمره؟.

كلّا إثم لا يستحقون إلا العذاب الشديد الذي يهينهم ويفضحهم، وسيلقون في نار جهنم ملومين مدحورين^(٢).

١٣ - النَّدَمُ، وَالْحَسْرَةُ:

على أعمال السوء والخبث التي كانوا يمارسونها؛ حيث امتلأت قلوبهم بالإجرام، فخبثت أعمالهم وأقوالهم، فاستهدفوا بسهامهم العقيدة الصافية، والتشريعات الربانية المحكمة، وحاربوا من يتمسك أو يدعو للفضيلة والاستقامة، واستخدموا للخبث والرذيلة جميع قواهم العقلية والبدنية والمالية، فكان سعيهم إلى ضلال، وتعبهم إلى خسار، فخبث الله أعمالهم،

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢/١٢٠، والوسيط للواحدى ٤/١١٠، وفي ظلال القرآن ٦/٣٢٦٤.

(٢) الدَّحْرُ: الإبعاد والطرده والتنحية. ينظر: العين، مادة: (دَحْر) ٣/١٧٧، وجمهرة اللغة ١/٥٠١.

وجعل الدبّرة^(١) عليهم؛ ذلك أن الاشتغال بالضلال وتقوية الخبث، وبذل الأموال فيه والسعي في نصرته وإعزازه يورث الفشل والهزيمة، ويوقع في بئر الحسرات والندامات^(٢).

وستواصل عليهم الأحزان والحسرات يوم القيامة على تكذيبهم وتفريطهم في جنب الله بل سيود هؤلاء الكفرة الخبثاء عصاة الرسل عند معاينة العذاب، وظهور الفضائح، والمعاناة من تلك الشدائد، والمعاقبة على الخبائث أن ﴿تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢]، فتبتلعهم، أو يكونوا ترابًا مثلها، فيستون معها، وعدمًا كأن لم يكونوا^(٣).

وحين يوقن الخبثاء أن إلقاء التهم على بعض لا يفيدهم، ولا يدفع عنهم شيئًا من العذاب فإنهم يُسِرّون الندامة العظيمة بأنفسهم؛ خوفًا من فضيحة الإقرار، ويتمنى كل واحد منهم أن لو كان على الحق، وأنه لم يسلك طريق الغواية الذي أوصله إلى هذا العذاب، وفي النهاية يشهدون على أنفسهم بالكفر، ويقرون بعظيم الخبث، واستحقاق العذاب، ويجهرون بذلك، ويرجعون على أنفسهم بالملامة والندامة^(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [١٠ - ١١].

إنهم سيندمون أفرادًا وجماعات، وسيعضُّ الخبيث أصابع الندم؛ أسفًا وحسرة على شركه، وتكذيبه للرسل، كما سيندم على مصاحبة الخبيثين الأشرار واتباعهم وتصديقهم بما يبعد عن الهدى؛ حين زينوا له الخبائث، وحسنوا له قبائح الآثام، وكرهوا له الحق وشوّهوه؛ ليُنْفِرُوهُ منه، ومن يدعو له، فأضلوه حينما اتخذهم أحبة أصفياء، معاديًا بسببهم أنصح الناس، وأصلحهم^(٥)، فلم يَجُنْ من ألك إلا الشقاء والخسار والبوار^(٦).

(١) الدبّرة: الهزيمة: ينظر: العين، مادة: (دبّر) ٨ / ٣٢، وأساس البلاغة ١ / ٢٧٨.

(٢) ينظر: طريق المحرّتين وباب السعادتين ١ / ٤١٠.

(٣) ينظر: جامع البيان ٨ / ٣٧٢، والهداية ٢ / ١٣٣٣، والوجيز للواحد ص ٢٦٥، ومعالم التنزيل ٢ / ٢١٧.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٥١٠، وجر العلوم ٣ / ٩٢، وتفسير القرآن العظيم ٧ / ١١٩.

(٥) ينظر: الوسيط للواحد ٤ / ٧٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٠ / ٦٦٦٥.

(٦) البوار: الهلاك. ينظر: العين، مادة: (بور) ٨ / ٢٨٥، والمحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٣٣٢.

١٤ - التَّلَاعُنُ، وَالْعَدَاوَةُ:

الخبثاء يتلاعنون يوم القيامة، وقد كانوا في الدنيا أصحاباً، يجمعهم الكفر والفسق، والتناصر على الخبث، والتسابق في إشاعته، فانقلبت حالهم في الآخرة من مودة إلى عداوة وملاعة، ومن نصرة إلى تَبْرُؤٍ، وإلقاء بالتهم على بعض؛ لأن خُلَّتْهُمُ^(١) ومحبتهم في الدنيا كانت لغير الله، بل ضد شرعه^(٢)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَالُكُمْ مِنَ النَّصِيرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥]. وهم في تلك الحال متباغضون متلاعنون، كل أمة من الأمم الخبيثة تلعن أختها، كما قال تعالى: ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أَخْنَاهُ حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبْتُمْ وَلَا لَنْهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتَّيَبْتُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

١٥ - زِيَادَةُ الْعَذَابِ وَمُضَاعَفَتُهُ، وَشِدَّتُهُ:

وهو لألئك الرؤساء الكفرة، وأئمة الخبث الفجرة؛ جزاء وأثراً لجهدهم المضاعف، والمستمر في الإحرام في الدنيا، وكونهم قدوة سيئة في الخبث، ونشر الفساد ومحاربة الحق^(٣). وعندما يحشر الكفرة الخبيثاء حول جهنم جاثين على ركبهم من شدة الأهوال، وعظيم الهم والغم، فإن الله يَنْزِعُ من كل طائفة من هؤلاء الخبيثاء أشدهم عِتْوًا، وأعظمهم ظلمًا وكفرًا؛ ليقدموا للعذاب، الأغلظ إثمًا فالأغلظ، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ [مریم: ٦٨ - ٦٩]، فلهم خصوصية بالتقديم والعذاب الشديد، فمع أن جميع الكافرين مخلدون في العذاب، ومشاركون فيه وفي أصله، إلا أنهم متفاوتون في مقداره، بحسب أعمالهم

(١) الخُلَّةُ: المودة، والصداقة المتناهية. ينظر: العين، مادة: (خَلَل) ٤ / ١٤١.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠ / ٢٥، وبحر العلوم ٢ / ٦٣٠، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٤٧٧، والجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ص ٣٦٠.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٢٠ / ٢٥٧، ومجموع الفتاوى ٧ / ٤٧٢، والرسالة التبوكية ص ٤٧، وبدائع الفوائد ٢ / ٢٩.

وخبثهم، وافترائهم على ربهم^(١)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]؛ فالخبثاء الذين زادوا على الكفر إبعاد الناس عن الدين، وصاروا دعاة إلى الخبث والضلال، استحقوا زيادة العذاب كما زاد خبثهم؛ وكما أفسدوا في أرض فيستحقون عذابًا أبلغ وأشنع من عذاب الأتباع. والذين تمرنوا على النفاق واستمروا عليه، وازدادوا فيه طغيانًا، سيعذبون مرتين، فلهم عذاب في الدنيا بما ينالهم من الهم والحزن والكرهية لَمَّا يُرِيهِمُ اللَّهُ مَا يَسُوؤُهُمْ مِنْ فَتْحٍ وَنَصْرِ وَعِزَّةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ حيث كان مقصودهم خذلان المؤمنين، وظنوا بالله الظنون الخبيثة، وأنه لا ينصر دينه ولا يعلي كلمته، وأن أهل الباطل ستكون لهم الدائرة على أهل الحق، فكانت دائرة السوء عليهم، وعليهم من الله الغضب، ولهم في الآخرة العذاب الغليظ في الدَّرَكِ^(٢) الأسفل من النار، فهم تحت سائر الكفار؛ لمشاركة الكافرين بالكفر، ومعاداة الرسل، مع زيادة المكر والخديعة، والعداوة للمؤمنين، والتظاهر بالإسلام^(٣).

١٦ - اسوداد الوجوه وعذابها:

في الحياة الدنيا وفي الآخرة وكذا عند الموت، حينما يشتد قلق الكفرة الخبيثاء ويعظم كربهم، لَمَّا تَأْتِي الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمُ الْخَبِيثَةَ فَإِنَّهُمْ يَضْرِبُونَ تِلْكَ الْوُجُوهُ الْمَظْلَمَةَ، وَالْأَدْبَارَ الْقَدْرَةَ؛ بما قدمت أيديهم من المعاصي العظام التي أثرت عليهم سوادًا في الوجوه وظلمة في القلوب^(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

ويستمر عذاب تلك الوجوه الخبيثة في المحشر؛ لما ترى من الأحوال العصيبة في يوم

(١) ينظر: جامع البيان ١٨ / ٢٢٨، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢ / ٣٤٦، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٢٥١.
 (٢) الدَّرَكُ: أطباق جهنم. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٣٨، ومقاييس اللغة، مادة: (دَرَكَ) ٢ / ٢٦٩.
 (٣) ينظر: معالم التنزيل ٤ / ٨٩، ومحاسن التأويل ٥ / ٤٨٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢١١.
 (٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ١٥، وتفسير الرازي ٢٨ / ٥٨، وتفسير القرآن العظيم ٦ / ١٠١.

القيامة وعَرَصَاتِهِ^(١)، وما ينتظرها من عقوبة شديدة، وما سيحل بها من عذاب أليم، وهي آيسة من النجاة، موقنة بالشقاء والهلاك، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]، فكما سودوا وجه الحق بالكذب سود الله وجوههم، وجعل أهل الموقف يعرفونهم بذلك، جزاء من جنس عملهم، وأثراً من آثار شقاوتهم وخبثهم، وتقلبهم في الكفر والشرك، وخداعهم بالنفاق^(٢)، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

لقد عاينت أنفسهم الخبيثة العذاب، فأصابها الخوف والقلق، وتعذبت بالعطش فظهر على وجوهها الخبيثة فتغيرت، وأصابها العُبُوس^(٣)، وعلتها العَبْرَة، وغَشِيَتْهَا الْقَتْرَة^(٤)، فصارت كَاسِفَة سوداء مظلمة كَالْحِجَةِ^(٥) كأنها الليل المظلم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْسُلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

وتسحبهم ملائكة العذاب وتجرحهم على وجوههم وهم كارهون، وتسوقهم بعنف في ذل وصغار^(٦)، وحالة عصبية؛ من الضيقة والعطش إلى أعظم سجن، وأفزع عقوبة وأشنع مرأى، إلى جهنم؛ شر الأماكن وأخبثها، فيلقون فيها حاسنين، تغشى وجوههم النار الحامية، وتحيط بهم من كل مكان^(٧).

(١) التَّعْرِيسُ: الاضطراب. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (عَرَصَ) ٢/ ٧٣٨، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٦٨.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/ ٣١٨، وإرشاد العقل السليم ٧/ ٢٦١، وتيسير الكريم الرحمن ص ٩١١.

(٣) العُبُوسُ: تَقْطِيبُ الْوَجْهِ، وَقَبْضُهُ تَكَرُّهًا. ينظر: نزهة القلوب ص ٣٤٠، ومقاييس اللغة، مادة: (عَبَسَ) ٤/ ٢١٠.

(٤) الْقَتْرُ: الْعُبَارُ. ينظر: مجاز القرآن ١/ ٢٧٧، والصحاح، مادة: (قَتَرَ) ٢/ ٧٨٥.

(٥) الكُلُوحُ: بُدُوُّ الْأَسْنَانِ عِنْدَ الْعُبُوسِ، وَتَقْلُصُ الشَّفَاهِ مِنَ الْكَرْبِ. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (كَلَجَ) ٤/ ٦٣.

(٦) الصَّغَارُ: أَشَدُّ الذَّلِّ. ينظر: مجاز القرآن ١/ ٢٠٦، وتهذيب اللغة، مادة: (صَغَرَ) ٨/ ٦٠.

(٧) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٢١٧، والكشاف ٣/ ٢٧٩، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ١١٠.

١٧- العمى في الآخرة:

كما عموا في الدنيا عن طريق الجنة فلم يقبلوه ولم ينقادوا له ولم يسلكوه، فجوزوا به عمى في مواقف القيامة، جزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۗ﴾ [الإسراء: ٧٢]^(١)، وهذه صفتهم وحالهم في الحشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَيُكَاوِصُهُمْ مَّا أُوتِيَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، فيحشرهم الله على وجوههم؛ حزياً لهم، عمياً لا يبصرون، وبكماً لا ينطقون، وصماً لا يسمعون، مستقرهم جهنم، التي جمعت كل هم وغم وعذاب^(٢).

ويتساءلون عن سبب حشرهم على هذه الهيئة المخزية، فيأتيهم الجواب الرباني أن هذا من آثار فعالهم الخبيثة، ونتيجة لتركهم الحق وصدودهم عنه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۗ﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْبَأْتُنَا فَنَسِينَهَا ۗ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ۗ﴾ [طه: ١٢٥ - ١٢٧].

نعم إنما ستعمى تلك العيون التي عاينت طريق الحق ولم تسلكه، بل ستكون زرقاء اللون من شدة العطش^(٣)، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

١٨- الفضيحة أمام الخلائق:

في يوم القيامة يفضح الخبيث حين يأتون وهم على أقبح حال وأسوئه، ويظهرون فيه غاية الندم، ولكن لا يكون لهم إلا الخيبة والخسران، والحرمان من الخير، وحمل الآثام والذنوب على الظهور، والخلود في النار^(٤)، ويقولون: ﴿يَحْشَرْنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٥٠٤، والهداية إلى بلوغ النهاية ٦ / ٤٢٥٢، وأضواء البيان ٣ / ١٧٧.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ٥٦٠، وتفسير القرآن العزيز ٣ / ٤١، ومفتاح دار السعادة ١ / ٤٥.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٣٦٩، ومعالم التنزيل ٥ / ٢٩٤، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٣١٥.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٣٢٦، والبحر المحيط ٤ / ٤٨٣، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٥٠.

إنهم يحملون أوزارهم الثقال على ظهورهم في المحشر، بكفرهم وشركهم وأقوالهم وأفعالهم الخبيثة، ومنهم من يأتي حاملاً وزره بسبب لُعاة^(١) دنيوية، وطمع زائل أدى بصاحبه إلى أن يتعدى على الحقوق العامة للمسلمين، فيأخذ شيئاً من الغنيمة ما ليس له، مستتراً عن أعين الناس محتفياً عنهم، لكنه لا يخفى على الرب العليم البصير بكل شيء، فجعله يأتي بما أخذ يوم القيامة حاملاً له على ظهره؛ ليفتضح بما جنت يده من خبث أمام الخلائق؛ وليعذب به بما يستحق^(٢)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

١٩- تطويق الأعناق:

وهذا جزاء لمن منع شيئاً مما آتاه الله من فضله، من المال أو الجاه أو العلم فسيصير ما بخل به شراً ووبالاً عليه في دينه ودنياه، وعاجله وآجله، وسيكون ما بخل به طوقاً في عنقه يعذب به يوم القيامة^(٣)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

والذين يمنعون زكاة أموالهم ويمسكون بها عن أداء ما وجب عليهم فيها، ولا ينفقون منها في الطرق الموصلة إلى الله، فإنهم مبشرون بعذاب مؤلم، وستكون أموالهم التي بخلوا بها عذاباً عليهم، وسيحمر عليها في النار ثم تكوى بها تلك الجباه الخبيثة، والجنوب العفنة، والظهور المنتنة «والكفي في الوجه أشهر وأشنع، وفي الجنب والظهر ألم وأوجع»^(٤)، ومع أن هذه الأموال كانت من أعز الأشياء على أربابها، فطالما حملوها وتعبوا في تحصيلها والدفاع عنها، وأهمهم حفظها، وتقلبوا في الفرش؛ تفكيراً وجمعاً وقلقاً عليها، مع هذا كله كانت

(١) اللُعاة: الشيء القليل اليسير. ينظر: أساس البلاغة ٢/ ١٧١، ولسان العرب، مادة: (لَعَج) ٨/ ٣٢٠.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٣٥٦، والبحر المحيط ٣/ ٤١٢، وتفسير القرآن العظيم ٢/ ١٥٥.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٤٣٣، والكشف والبيان ٣/ ٢٢٠، والوسيط للواحدي ١/ ٥٢٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٢٩، وينظر: النكت والعيون ٢/ ٣٥٩، وتفسير المراغي ١٠/ ١١٢.

ضرراً وعذاباً عليهم في الدار الآخرة^(١).

ومزيداً في عذابهم وإيلامهم سيِّئ لهم بأن هذا من آثار ظلمهم لأنفسهم، وبخلهم بما وَحِبَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْمَالِ؛ وَلِيَعَذَّبُوا ثَانِيَةً بِالتَّوْبِيخِ، وَاللُّومِ، وَالتَّقْرِيعِ^(٢) فيقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

٢٠ - الْحِرْمَانُ مِنْ طَيِّبَاتِ الْآخِرَةِ:

فيفوت هذا الخبيث ما هو أحب إليه وخير له، فالكافر الذي استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار سيحرم منها في الدار الآخرة، فإن الله ﷻ لا يجمع لعبده بين لذة المحرمات في الدنيا ولذة ما في الآخرة^(٣)؛ فقد نَعَى^(٤) على قوم شهواتهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وإذا كان الكافرون الخبيثاء حريصين على تناول حظوظهم كلها وطيباتهم في الدنيا، فإن المؤمن لا يُذهب طيباته في الدنيا بالمحرم؛ لأنه يدرك أن من ترك اللذة المحرمة لله استوفاهها يوم القيامة كاملة، ومن استوفاهها هنا بالمحرمات حُرِمَها هناك أو نقص كمالها؛ فلا يجعل الله لذة من أَوْضَعَ^(٥) في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لأجله^(٦).

فالكافر الخبيث ومن شاكله من أهل الشرك والنفاق فاقدون لحظهم في الآخرة، وليس لهم نصيب من طيباتها، ومحرومون من التكليم الإلهي والتزكية الربانية، آيسون من الرحمة، ولذة النظر إلى وجهه الرب الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٤١.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل ١ / ٦٧٨، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ١٤١، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٣٦.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦ / ٥٢٧، وطريق المحررتين وباب السعادتين ١ / ٤١١.

(٤) النَّعَى: هنا تشنيع الأمر وتقييحه. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (نَعَى) ٣ / ١٣٩، ومقاييس اللغة ٥ / ٤٤٧.

(٥) الْإِيضَاع: الإسراع. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (وَضَعَ) ٣ / ٤٨، ولسان العرب ٨ / ٣٩٩.

(٦) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٢٤١، وصفة الجنة في القرآن ص ٣٩٣.

أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧]؛ فعملهم الخبيث وطمعهم السيئ، ورداءة نفوسهم وحقارتها جعلتهم يطلبون القليل ويُحرمون من الكثير، ويقبضون الخبيث ويفقدون الطيب، ويُقبلون على عَرَضِ زائل ويُدبرون عن عظيم باق، فزال حظهم ونصيهم في الآخرة من الخير، فلا يكلمهم الله يوم القيامة تكليم رضا^(١)؛ لأنهم قدموا هوى أنفسهم على رضاه، وسيفقدون التركية، والطهارة من ذنوبهم الكثيرة، فهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد؛ لفساد أخلاقهم وخبث مقاصدهم، ولهم عذاب موجه لقلوبهم وأبدانهم^(٢).

لقد أحبط الله أعمالهم فضاعت عليهم، فلا يستفيدون منها مع ظنهم حسناتها وسلامتها، ولا يقام لهم في القيامة وزن، ولا يكون لها قدر، فكرامتهم لديه مُهدرة، وعذاب جهنم ينتظرهم^(٣)، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ مَن جَهَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

٢١- دُخُولُ النَّارِ:

التي هي عذاب الله الذي يعذب فيه أعداءه، وسجن الخبيثين، والخزي العظيم والخسران المبين، شر الأمكنة وأحبثها، بعيد قعرها، أليم حرها وبردها، مترامية أطرافها، عظيم دخانها وشررها، وقودها الأحجار والفُجَّار من الكفرة والأشرار، يردون إليها سَوَقًا، ويُسحبون إليها على وجوههم سَحَبًا، وَيُكَبِّبُونَ^(٤) فيها، ويقيدون بالأنكال^(٥) والسلاسل، وَيُعَلُّونَ^(٦)

(١) المنفي من الكلام «كلام خاص، وهو الكلام الذي يسر المكلم». التنبهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة ص ٦٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٢، وتفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ٢/ ٢٦١.

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط ٢/ ٤٣١.

(٤) الكَبْبَكَةُ: إلقاء الشيء بفضه على بعض. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (كَبَب) ١/ ١٧٧.

(٥) الأنكال: القيود. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٤، وتهذيب اللغة، مادة: (نَكَل) ١٠/ ١٣٨.

(٦) العُلُّ: طَوْقٌ يُجْعَلُ فِي العُنُقِ أَوْ اليَدِ. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (عَلَل) ٤/ ٥١، والقاموس الفقهي ص ٢٧٧.

كما يُعَلِّقُ المسجون الذي سِيَّهَانُ فِي سِجْنِهِ، فَتَحْرَقُ مِنْهُمُ الْجُلُودُ، وَتَشْوِي الْوُجُوهَ، وَتَطْلَعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُمْ أَدْدَاً وَأَسْرُوراً النَّدَامَةُ لِمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلُ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣٣].

ولهم فيها من العقاب ما يذيب الأكباد والقلوب، فلا يموتون فيستريحون، ولا يحيون حياة يتلذذون بها، وإنما حياة مَحْشُوءَةٌ بعذاب لقلوبهم وأرواحهم وأبدانهم، من غير تَفْتِيرٍ^(١).

فشراهم شَرُّ الشَّرَابِ وَأَخْبَثُهُ، وَأَكْلَهُمْ أَسْوَأُ مَأْكَلٍ وَأَنْتَنُهُ، فَالْحَمِيمُ يَصْنَعُ بَطُونَهُمْ وَيُذِيبُ أَمْعَاءَهُمْ، وَيُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ، وَالصَّدِيدُ، وَالْعَسَّاقُ وَالغَسَلِينُ، وَالضَّرِيعُ أَكْلَهُمْ وَمَشْرَبَهُمْ، وَأَمَّا الزُّقُومُ فَهُوَ ضِيافَتُهُمْ، عِنْدَمَا يُلْهَبُ الْجُوعَ بَطُونَهُمْ، وَهُوَ مَخْصَصٌ لِلْخَبِيثِ الْفَاجِرِ الَّذِي عَظُمَ إِثْمُهُ وَكَثُرَ، فَكَفَرَ بِرَبِّهِ وَكَذَّبَ رِسْلَهُ، فَهُوَ يَغْلِي فِي بَطُونِهِمْ كَمَا يَغْلِي الْمَاءُ الْحَارُّ^(٢)، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ عَنْهُ مَنْدُوحَةٌ^(٣)، فَيَمْلَأُونَ بَطُونَهُمْ مِنْهُ بِالْإِكْرَاهِ وَالْإِضْطِرَّارِ، فَيَصِيبُهُمُ الْعَطَشُ الشَّدِيدُ فَيَسْتَعِيثُونَ، فَلَا يُعَاثُونَ إِلَّا بِمَاءٍ يَزِيدُهُمْ عَذَابًا، وَتَقْتَطِعُ مِنْهُ أَمْعَائِهِمْ لِحَرَارَتِهِ، فَلَا يَكُونُ شَرِبُهُمْ مِنْهُ شَرْبًا مَعْتَادًا، بَلْ شَرَبُ الْإِبِلِ الْعِطَاشِ؛ لِدَاءِ أَصَابِهَا، فَلَا تَرَوِي أَبَدًا حَتَّى تَمُوتَ^(٤)، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الصَّالُونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لِأَكُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْتُونَ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٦].

وكل هذه الأطعمة والأشربة يعذبون بها، أو أن العذاب أنواع والمعذبين طبقات، فمنهم أَكَلَةُ الْغَسَلِينِ، وَمِنْهُمْ أَكَلَةُ الضَّرِيعِ، وَمِنْهُمْ أَكَلَةُ الزُّقُومِ، وَمِنْهُمْ أَكَلَةُ النَّارِ، وَ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ

(١) الْفُتُورُ: الضَّعْفُ. يَنْظُرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ ٦٤٣/٢١، وَمَقَائِيسُ اللُّغَةِ، مَادَّة: (فَتَرَ) ٤/٤٧٠.

(٢) يَنْظُرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ ٤٦/٢٢، وَالْمَحْرَرُ الْوَجِيزُ ٦٧/٥، وَالْبَحْرُ الْحَيْطُ ٤٠/٨، وَالْجَوَاهِرُ الْحَسَنُ ١٤١/٤.

(٣) الْمَنْدُوحَةُ: الْفُسْحَةُ وَالْمُنْتَسَعُ. يَنْظُرُ: الْعَيْنُ، مَادَّة: (نَدَّحَ) ٣/١٨٤، وَجَمْهَرَةُ اللُّغَةِ ١/٥٠٦.

(٤) يَنْظُرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ ١٣٤/٢٣، وَبِحُرِّ الْعُلُومِ ٣/٣٩٥، الْكَشْفُ وَالْبَيَانُ ٩/٢١٤، وَالْوَجِيزُ ص ١٠٦٢.

وَجَزَاءٌ مَّقْسُومٌ ﴿ [الحجر: ٤٤] ^(١).

إن ما يأكله ويشربه الخبيثاء من أهل النار من الأطعمة والأشربة الخبيثة لا يفيدهم شيئاً، فلا يجدون له لذة، ولا تنتفع به أجسادهم، ولا يذوقون فيها ما يُبَرِّد جلودهم، ولا ما يدفع ظمأهم، فلا ينال من حلّ فيها طعم الراحة، ولا يخفف عنهم من عذابها، مما يجعلهم في زَفِيرٍ ^(٢)، وشَهيقٍ ^(٣)، وحياةٍ ملؤها التنغيص الدائم، والألم المستمر.

هذا وإن لهم فيها أشكالاً وألواناً من العذاب من الزمهرير ^(٤)، والسّموم ^(٥)، ولهم ثياب تقطع لهم من النار، وسراويل ^(٦) من قَطِرَانٍ ^(٧)، تشعل فيها النار؛ لتعمهم من جميع جوانبهم وليشتد حرّها عليهم، وتبدل جلودهم كلما احترقت؛ ليلبغ العذاب منهم كل مبلغ؛ وكما تكرر خبيثهم، وصار وصفاً لهم كثر عليهم العذاب جزاءً وفاقاً ^(٨).

إنها لتلّفح ^(٩) وجوههم، وإنهم ليعتصرون ألماً، وحسرة على آثار أعمالهم الخبيثة التي أدت بهم إلى هذه الحالة المفزعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٨].

- (١) ينظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ص ٥٣٨، وفتح الرحمن ١/ ٥٨٠.
 (٢) الزَفِيرُ: إخراج النَّفْسِ بعد أن يمتلئ الصدر غَمًّا. ينظر: العين، مادة: (زَفَر) ٧/ ٣٦٠، ومعاني القرآن للزجاج ٧٩/ ٣، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٣٣، والنكت في معاني القرآن ص ٢٥٦، والمفردات ص ٤٦٨.
 (٣) الشَّهيقُ: رُدُّ النَّفْسِ، وتردُّد البكاء في الصدر، والأنين الشَّدِيد المرتفع جدًا. ينظر: العين، مادة: (شَهَق) ٣/ ٣٦١، ومعاني القرآن للزجاج ٧٩/ ٣، والنكت في معاني القرآن ص ٢٥٦.
 (٤) الزَّمْهَرِيرُ: البَرْدُ الشديد. ينظر: العين، مادة: (زَمَهَر) ٤/ ١٢٤، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٢١٦.
 (٥) السَّمُومُ: ما يوجد من لَفْحِهَا، وحرّها. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (سَوَم) ٣/ ٢٧٥، والوسيط للواحد ٤/ ١٨٨.
 (٦) السَّرْبَالُ: القميص. ينظر: العين، مادة: (سَرَبَل) ٧/ ٣٤٤، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٠٧، والمفردات ص ٤٠٦.
 (٧) القَطْرُ: النحاس. ينظر: معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٤٦، وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٢٨١.
 (٨) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٤٨، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٠، ونزهة القلوب ص ٣٧٥.
 (٩) اللَّفْحُ: من لَفَحْتَهُ النار إذا أصابه حرها فتغير وجهه. ينظر: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣.

وعند ذلك هل سينفعهم الندم، وطلب الرجوع، ودعوى الثُّبُور^(١) والهلاك؟ وهل سينفعهم الاعتراف بضلالهم وكفرهم، وقلة عقولهم؟.

إنهم «يصرخون صراخاً منكراً خارجاً عن الحدِّ المعتاد»^(٢)، ولكن هل سيفيدهم هذا الاضطراب، ورفع الصوت كلا!، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦ - ٣٧]، فطلبهم الإخراج والتخفيف أو الموت مرفوض، بل إنه الرفض لكل ما يطلبون، فلا خروج ولا تخفيف ولا موت، بل لهم العذاب الأبدي السَّرمدي الدائم، الذي كانوا به يكذبون.

ولكل باب من أبوابها السبعة جزء من أتباع الخبيث إبليس، يدخلونه بحسب أعمالهم الخبيثة، فيلقون فيها، وتحيط بهم من كل جهة؛ لإحاطة خطاياهم بهم، والجزاء من جنس العمل، فلا مَحِيد ولا مَهْرَب^(٣).

لقد أعرضوا عن الحق، ولم يستجيبوا له فكان من أثر ذلك أن ألقوا في النار مع عدم الاستجابة لنداءاتهم واستغاثاتهم، وطلبهم الشفاعة، فيشتد منهم النَّحِيب^(٤)، وتفيضُ الدموع، ويطول البكاء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَٰكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٢ - ١٤].

هذه النار هدد الله بها أهل الجرائم، وأعدّها للمتمردين على شرعه، المكذبين لرسله

(١) الثُّبُورُ: الهلاك والخسران. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤١١/١٧، ومجمل اللغة، مادة: (ثَبْر) ١٦٦.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٢٩٦، وينظر: الدر المصون ٩/ ٢٣٥، وفتح الرحمن ١/ ٤٦٩.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٣٥٦، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ١٦١، وغرائب القرآن ٣/ ٤٨٠.

(٤) النَّحِيبُ: البكاء بصوت طويل ومد. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (نَحَب) ٥/ ٧٦، ومقاييس اللغة ٥/ ٤٠٤.

وجعلها شر مرجع للكافرين الخبيثاء، والمشركين الأنجاس، والمنافقين الأرجاس، فهي مصيرهم ومُنْقَلِبُهُمْ، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (١٨) [التوبة: ٦٨].

فخبيثهم أوصلهم هذه النار؛ بما فعلوا من عظام الذنوب وأماتها، ولهم فيها من العذاب ما هو أشد وأنكى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (١٨) [الفرقان: ٦٨]، وقال تعالى في القتل بغير حق ظلماً وعدواناً: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١٣) [النساء: ٩٣]؛ فالقتل ظلماً وعدواً قد انتَهَضَ وحده ليجازى صاحبه بجهنم، والخلد والعذاب العظيم فيها، مع غضب الجبار، وطرده من رحمته، ولم يرد في أنواع الكبائر بعد الشرك والكفر أعظم من الوعيد عليه^(١).

إن الله ﷻ حذرنا من كل عمل خبيث تكون نهايته النار، فهدد الكائمين ما أنزل من الحق بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) [البقرة: ١٧٤]، فما أكلوه أفضى بهم إلى النار، وربما يصير في بطونهم ناراً يطعمونه في نار جهنم^(٢).

وتوعد من يتعدى على حقوق اليتامى المستضعفين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠) [النساء: ١٠]؛ فما أكلوه سيكون ناراً تَأَجَّح^(٣) في أجوافهم، مما يدل على شناعة ما أخذوه، وخبث ما أدخلوه إلى بطونهم، وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب؛ فيه تهديد ووعيد، وعواقب وخيمة، ملؤها

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٩٤.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٣٢٩، وتفسير القرآن العزيز ١/ ١٩٥، وتفسير السمعي ١/ ١٧٠.

(٣) الأَجِحُّ: تَلَهَّبُ النار. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (أَجَحَّ) ١١/ ١٥٩، ولسان العرب ٢/ ٢٠٦.

الإثم والعذاب في النار المحرقة الموقدة؛ وذلك أن ما يأكلون يؤدي بهم إلى النار، فكانوا بمرتلة من يأكلها، وإن كان ما يأكلون طيباً في رؤيته ومذاقه^(١).

وإن من شدتها وهولها وألوان عذابها أن يجمع الله ﷻ الخبيثين مع معبوداتهم في النار، فيشتركون فيها؛ نكأية^(٢) وإهانة وإذلالاً لهم، فتعظم حسرتهم وندامتهم، ويجمع لهم فيها ثلاثة أنواع من العذاب، عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ واللوم، وعذاب الحجاب من رب العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٥ - ١٧].

وحينما يفقد الكافرون الخبيث صوابهم، ويحاولون الخروج منها فإن مقامهم^(٣) الحديد لهم بالمرصاد فتقمهم، وتردهم إلى سواء الجحيم، ويرغب الواحد منهم أن لو دفع ماله وأحبابه لينجو منها، وأتى له ذلك^(٤)؟ وهي «خبثة وأهلها خبيث وأنفسهم خبيثة، والخبيث أحق أن لا يخرج من النار، ويدوم عليه العذاب»^(٥).

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٢ / ٢٧.

(٢) النكأية: الهزيمة والغلبة. ينظر: العين، مادة: (نكأ) ٥ / ٤١٢، وتهذيب اللغة ١٠ / ٢٠٨.

(٣) المقمعة: ما يضرب به الرأس. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (قمع) ٢ / ٩٤١، والمفردات ص ٦٨٤.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٥٩٣، وتفسير ابن رجب ٢ / ٥٥٠.

(٥) بيان المعاني ٤ / ٨٨.

المبحث الثاني: آثار الطيب الدينية والدينية:

إذا حصلت الطاعة لله ﷻ، والاصطباغ بطيبات الأعمال كانت الثمار الحسنة، والآثار الطيبة، والعاقبة الحيرة، فحصل الصلاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

ويعرض لنا القرآن الكريم ما لطيبات الأعمال من نتائج ثمرة، وآثار عاجلة وآجلة وظفر بخيري الدنيا والآخرة مما يدفع للمزيد والإحسان، والإقبال على الله ومحبه وطاعة، ومن تلك الثمار والآثار:

١- الحياه الطيبه:

التي تشمل وجوه الراحة من جميع أمورها؛ من العمل بالطاعة، والانشراح بها، والرزق الحلال الطيب، والقناعة، والسعادة في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فهذا وعد من غني كريم بطيب الحياتين في الدارين لمن جمع بين الإيمان، والعمل الصالح بأن يحييه حياة طيبة سعيدة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة.

إن حُسنها وطيبها يجيء من نفحات الإيمان التي تتلج الصدر بالطمأنينة والرضا، وتدفع النفس بالرجاء والأمل؛ ذلك أن للإيمان طعمًا يفوق كل الطعوم، ومذاقًا يعلو كل مذاق، فحلاوته نفس رضية، وهداية وسكينة قلبية، تجري جريان الدماء في العروق، فلا أرق^(١) ولا قلق، ولا ضيق ولا تضيق، بل سعة ورحمة ورضًا ونعمة، فهي متعة طيبة في الصلاة ومجافاة^(٢) المضاجع، ولذة في ظمأ الهواجر^(٣)، أما حلاوتها في الدنيا وكدها وكدها فتملأ النفس اطمئنانًا ورضًا بما تجري به الأقدار، فيقبل المؤمن على دنياه مطمئنًا هانئًا سعيدًا راضيًا

(١) الأرق: ذهاب النوم في الليل لعلة. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (أرق) ٢/ ٧٩٦.

(٢) التجافي: التنحي والبعد والارتفاع. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٥.

(٣) المهجير: شدة الحر، ووقته من الزوال إلى العصر. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (هجر) ٢/ ١٢١١.

مهما اختلفت عليه الظروف، وتقلبت به الأحوال، لا ييأس على ما فات، ولا يفرح بطراً^(١) بما حصل، ظروف الحياة وابتلاءاتها لا تكدر له صفاءً، ولا تُزعزع^(٢) له صبراً؛ لعلمه أن رزقه إنما حصل بتدبير اللطيف الخبير، وأن خيرات الدنيا سريعة الزوال فلا يقيم لها في نفسه وزناً، فلا يعظم فرحه بوجدانها، ولا غمه بفقدانها^(٣) بل إيماناً وتوكل وثبات، يعتبر ويتذكر، يستفرغ جهده من غير قلق، ولا يهلك نفسه تحسراً، ولا يستسلم للخبيثة^(٤) والخذلان، كل مسارات الحياة ومسالكها عنده خير وعدل، وميدان شريف للمسابقات الطيبة، جهاداً ومجاهدة في رباطة جأش^(٥) ويقين.

إن طيب النفس، وسرور القلب وفرحه ولذته، وابتهاجه وطمأنينته وانسراحه، وسعته ونوره وعافيته، وبعده عن الشهوات المحرمة، والشبهات الباطلة، هو النعيم على الحقيقة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر، ومعرفة الرب ﷻ ومحبتة، والعمل بشرعه؟.

إنه طعم الإيمان الطيب الذي يجده المؤمن ويذوقه في قلبه وكيانه، ولا يعرفه إلا من ذاق طعمه، ولا يحس به إلا من عاشه، ومن ذاقه ووجده فسيبقى يطلبه ويشتاق إليه، وإذا عاش معه فستحول حياته إلى سعادة واستقرار دائم^(٦)، ومن هذه حاله فهو في جنة معجلة في دار الدنيا، ثم في جنة في البرزخ، ثم في جنة الدار الآخرة؛ دار القرار^(٧)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المطففين: ٢٢]؛ فهو يتنقل من راحة إلى راحة، ومن نعيم إلى نعيم، فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، بل ينعم بالطاعة وحلاوة الإيمان ولذته.

(١) البطر: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها. ينظر: العين

مادة: (بَطْر) ٧ / ٤٢٢، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٦٨، والمفردات في غريب القرآن ص ١٢٩.

(٢) الزعزعة: تحريك الشيء بقوة. ينظر: مقياس اللغة، مادة: (زَعَزَع) ٣ / ٣، والمحكم والمحيط الأعظم ٧٧ / ١.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ٢٠ / ٢٦٨، وإرشاد العقل السليم ٥ / ١٣٩، وتفسير المراعي ١٤ / ١٣٩.

(٤) الخبيثة: فوت الطلب. ينظر: العين، مادة: (خَيْب) ٤ / ٣١٥، ومجمل اللغة ص ٣٠٨.

(٥) الجأش: التمس. ينظر: الغريب المصنف، مادة: (جَأَش) ١ / ٣٥٦، والمفردات ص ٣٣٩.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٥ / ٥١٦، والتفسير القرآني للقرآن ٧ / ٣٥٩، وأضواء البيان ٢ / ٤٤٠.

(٧) ينظر: الجواب الكافي ص ٥١، ومحاسن التأويل ٧ / ١٦٠، والوسائل المفيدة للحياة السعيدة ص ١٣.

٢ - التَّوْفِيقُ وَالهَدَايَةُ:

وهما ثمرة لصالح الأعمال، وأطيب الأقوال وأفضلها، قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، فيكون العمل محمود العاقبة، طيب الثمرة؛ فيفرح بطاعة الله ويجد فيها المتعة والراحة، ويعطى السداد والصواب في الأقوال والأعمال والمواقف، ويُحِبُّ إليه الإيمان وأعمال الخير والبر، ويرزق القبول والرُّشد، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

ومن هداية الله وتوفيقه لعبده أن يرغبه في التفقه في دينه، ونشر الخير والدعوة إليه وإصلاح الناس، ونفعهم وقضاء حوائجهم، وإلى صُحْبَةِ تعينه على الطاعة والثبات عليها، وتُحْنِبُهُ المعصية وتحذره من الانزلاق في حَبْثِهَا، كما يُوفِّقُ لحسن الخُلُقِ وسلامة الصدر^(١).

وحينما تقبل النفس هُدًى ربها، وتستقيم على أمره تأتي معونته وزيادته، قال تعالى: ﴿تَحْنُ نَفْسُ عَلَيَّكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِيَّاهُمْ فَتِيَّةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وكل خير يُحْصِلُهُ العبد فأصله من توفيق الله وسداده وهدايته له، وكل شر يجده فأصله من خُدْلَانِهِ^(٢)، فمن وُفِّقَ قام على نفسه يحاسبها، وَيَكْبِحُ^(٣) جِمَاحَهَا^(٤)؛ فإن عمل طاعة فرح بها، وأحسن الظن بربه في قبولها، وإن أذنب سارع في التوبة، وكان في قلق وخوف من آثاره وعواقبه، فيكرمه الله بالعفو والمغفرة للذنوب واندفاع الشرور، وحصول الرزق الطيب الكريم الذي يتحقق به كل مرغوب وأمنية، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]؛ فالعمل الصالح وطيبات الأعمال على اختلاف أنواعها أعظم

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٣٦.

(٢) الخُدْلَانُ: ترك المعونة والنصرة. ينظر: العين، مادة: (خُدَل) ٤ / ٢٤٤، وتهذيب اللغة ٧ / ١٤٠.

(٣) الكَبْحُ: الجذب والرد والمنع. ينظر: العين، مادة: (كَبِح) ٣ / ٦٦، وجمهرة اللغة ١ / ٢٨٢.

(٤) الجِمَاحُ: الإسراع. ينظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٤٤٣، ومجاز القرآن ١ / ٢٦٢.

علامات التوفيق، وهو الفوز العظيم^(١).

وكل من يَقْتَرِفَ^(٢) شيئاً من الحسنات، والأعمال الطيبات فإن الله يشرح له صدره، ويسر أمره، ويكون التوفيق حليفه، ويوفق لعمل طيب آخر، يزداد به عمله ويرتفع به عند خالقه وخلقه، ويحصل له الثواب العاجل والآجل^(٣)، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ))^(٤).

وإذا علم الله من عبده الصدق والإنابة إليه وفقه وهداه، ويسر له أسباب العمل فيما يرضيه، وشرح صدره للطاعة وحببه إليها، فيقبل على أبواب الخير بإخلاص ونهم^(٥)، فلا يمل ولا يشبع حتى يكون منتهاها الجنة.

ومن وَفَّقَ أُلْهِمَ^(٦) الذِّكْرَ والدعاء والتَّذَلُّلَ^(٧) بين يدي ربه بقلبه ولسانه وجوارحه، ومناجاته بأسهل العبادات وأيسرها، حتى يصل إلى غاية مراده ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤٣) [الأعراف: ٤٣].

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٧٣.

(٢) الأَقْتَرَفُ: العمل والكسب. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٩٣.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٥٨.

(٤) أخرجه أحمد ٩٣/١٩ رقم ١٢٠٣٦، والترمذي ٤/٤٥٠ رقم ٢١٤٢، وقال: حديث صحيح، ورواه الحاكم في المستدرک ١/٤٩٠ رقم ١٢٥٧، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الألباني: صحيح. ينظر: مشكاة

المصابيح ٣/١٤٥٤، وصحيح الجامع الصغير وزيادته ١/١١٧ رقم ٣٠٥.

(٥) النَّهْمُ: الشَّرُّ، وإفراط الشهوة في الطعام. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (نَهْم) ٢/٩٩٣.

(٦) الإِلْهَامُ: «أن يلقي الله في النفس أمراً، يبعثه على الفعل أو الترك». النهاية في غريب الحديث ٤/٢٨٢.

(٧) التَّذَلُّلُ: التَّضَرُّعُ، والتَّخَشُّعُ، والخُضُوعُ: العين، مادة: (ذَلَّلَ) ١/٢٧٠، ومختار الصحاح ص ١١٣.

٣- الثَّابِتُ عَلَى الْحَقِّ:

ولزومه وعدم التَّعْيِيرِ عنه، وهذا من الربط على القلوب المؤمنة التي طابت بتحقيق الكلمة الطيبة واطمأنت بها، فأثمرت ثباتاً وصبراً عليها في الدارين، قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٧) [إبراهيم: ٢٧].

إن الإيمان أساس الحياة الطيبة؛ ذلك أنه يجعل صاحبه ثابتاً عالياً مثمراً في حياته، لا تزعزعه الأعاصير، ولا تعصف به رياح الخبث، ولا تقوى عليه معاول الخبيثين^(١).

ومن الذي يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين؟ فهو المَثْبُتُ للإيمان في قلوب المؤمنين على الكلمة الطيبة مدة حياتهم، حتى تمكَّن في قلبهم فلم يتطرق لديهم فيه شك ولو فتنوا في دينهم، ولن يتراجعوا ولو نُشِرُوا بالمناشير^(٢) أو مُشِطَّتْ لحومهم بِأَمْشَاطِ الحديد.

إنه الله الذي يثبت الموحدِين المحسنين في أعمالهم وأفعالهم الطيبة، ويثبت أقدامهم وقت الكفاح، ويكون معهم بالإعانة والنصر والتأييد، فتقوى عزائمهم وتنشط هممهم^(٣)، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُنَيِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧) [محمد: ٧].

ومن داوم على شهادة التوحيد في الحياة الدنيا ثبته الله عليها عند الموت وختم له بخير، وثبته في أول منازل الآخرة في قبره، فيعطي الجواب الصحيح، ويلقن كلمة الحق عند سؤال الملكين فلا يكون لديهم تردد ولا ارتياب، ويثبته الله يوم القيامة فلا تُدْهِشُهُ^(٤) أهوالها، وإذا وقف بين يدي الجبار فهو أهدى الناس قلباً واطمئناناً^(٥).

فالثبات ثمرة طيبة من ثمار التوحيد والإيمان، وطيب الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا

(١) ينظر: الحياة في القرآن الكريم ص ٤٩٣، الثبات عند الممات ص ٧٦.

(٢) المُنَشَّرُ: آلة يُنَشَّرُ ويُشَقُّ بها. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (أَشَرَ) ١١ / ٢٨١، ولسان العرب ٤ / ٢١.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٣ / ٦٦٧، وإعلام الموقعين عن رب العالمين ١ / ١٣٦، وتفسير المراغي ٩ / ١٧٦.

(٤) الدَّهْشُ: ذهاب العقل من الدَّهْلِ والوَلَه. ينظر: العين، مادة: (دَهَشَ) ٣ / ٣٩٨، وتهذيب اللغة ٦ / ٥٠.

(٥) ينظر: غرائب القرآن ورجائب الفرقان ٤ / ١٩٢، وفي ظلال القرآن ٤ / ٢٠٩٩.

مَا يُوعِظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٦].

وهو فضل من الله وتكريم وحفظ ورعاية^(١)، كما خاطب الله خير خلقه محمد ﷺ

بقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤].

وأطيب كلام هو كتاب الله المجيد الذي فيه تثبيت للمؤمنين الطيبين وهداية لهم، وتقوية لإيمانهم وعزائمهم؛ ليزدادوا بما ينزل من آيات تصديقاً وإيماناً، وهدى ورشاداً، مما يؤنس

وحشتهم، ويكشف لهم عن العاقبة المسعدة^(٢)، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ

رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

٤- الحفظ والعناية الربانية:

فطيب الأشخاص وصلاحهم له أثر وطيب على النفس والذرية، وعلى حفظ الأموال؛

فمتى كان العبد مشتغلاً بطاعة الله فإن الله يحفظه، ويحفظ عقبه وعقب عقبه؛ فإن المحسن في

الدنيا تعود نفحات إحسانه على ذريته من بعده، وهذا من جزاء المحسنين؛ حيث تمتد آثارهم

الطيبة إلى أصحابهم، وإلى من يتصل بهم من أهل وولد^(٣)، وهذا ما يشير إليه قول الله تعالى:

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ

أَنْ يُبَلِّغَهُمَا أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَهُمَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ

صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٨٢].

فلما طابت أعمال هذا الرجل الصالح نفع الله ولديه الغلامين في حال طفولتهما وضعفهما،

فأرسل جنوداً لبناء الجدار، وهو لا يعلمهم ولم يتفق معهم، وسخرهم لحماية كثر اليتيمين حتى

يكبروا ويشتد عودهما، ويستخرجهما كثرهما وهما قادران على حمايته من أهل القرية اللئام^(٤).

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥/١٥، والهداية إلى بلوغ النهاية ٤٢٥٨/٦، وتفسير القرآن العزيز ٣٣/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/٣٦٤، والبحر المحيط ٩/٤٦٣، والتفسير القرآني للقرآن ٧/٣٦٥.

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم ١/٤٦٧، والتفسير القرآني للقرآن ٢/٣٤١.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن ٤/٢٢٨١، وتفسير العثميين (الكهف) ص ١٢٣.

وهذا من شكر الله لهذا الأب الصالح، أن رأف بابنيه وحفظهما في أنفسهما ومألهما، وما ذكر عنهما في القرآن صلاحًا، ولكن ببركة صلاح أبيهما، وحفظًا لحقه فيهما، فقد ذكر في سيرته أنه كان تقيًا أمينًا، يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها^(١).

فصلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الأولاد، فيحفظ الله أوليائه في ذريتهم، وتشملمهم بركة عبادته في الدنيا والآخرة، وترفع درجاتهم - إن كانوا مؤمنين - إلى أعلى درجة في الجنة لتَقَرَّ أعين آبائهم بهم؛ إكرامًا وتقديرًا^(٢).

وقد تمتد بركة الصالحين إلى من حولهم، فيحفظ الله بحفظ الرجل الصالح وكده ووكده وكده، ودؤيرته التي فيها، والدؤيرات حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر وعافية ما دام فيهم^(٣).

وكان وجود النبي ﷺ وإقامته بين الكفار مانعًا من عذابهم، وكان مصدر أمان للمؤمنين ورحمة للعالمين^(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، بل «لم تعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا»^(٥) فكرامتهم لديه أعظم^(٦).

وقد منع الله ﷻ العذاب عن بعض الناس بسبب الطيبين^(٧)، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَرَّعَلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّغَوْهُمْ فَمَا يُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ يُدْخِلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

وحين يتقى المؤمن ربه في الدين بين يديه يرزقه من يتقيه في أولاده، قال تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥ / ٣٦٦، والمجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ٢ / ٢٠٧.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٢ / ٤٩٣، وتفسير الرازي ٢١ / ٤٩٢، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ١٨٦.

(٣) ينظر: مسند الحميدي ١ / ٣٦٦ رقم ٣٧٧، وتفسير ابن رجب ١ / ٥٧٦، من كلام محمد بن المنكدر، رحمه الله.

(٤) ينظر: جامع البيان ١١ / ١٥٨، ومعالم التنزيل ٢ / ٢٩٠، وإيجاز البيان عن معاني القرآن ١ / ٣٦٣.

(٥) الوسيط للواحد ٢ / ٤٥٧، وينظر: الجامع لأحكام ٧ / ٣٩٩، ومحاسن التأويل ٦ / ٤٨٢.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢ / ٥٢١.

(٧) ينظر: تفسير الرازي ٦ / ٥١٩.

الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿النساء: ٩﴾.

ومن حفظ الله فقد حفظ نفسه، ومن حفظ جوارحه في الصغر حفظها له في الكبر، وحفظه من كل أذى، وربما جعلت الحيوانات، والحشرات المؤذية بالطبع حافظة وحارسة له، وساعية في مصالحه؛ في حياته وبعد مماته، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه في قصة عاصم بن ثابت ^(١) أنه لما قُتل «بَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عَظْمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظِّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَّتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ» ^(٢).

وأشرف من ذلك «حفظُ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة» ^(٣).

٥- التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ:

وهذا التمييز زينة لصاحبه في الدنيا والآخرة، وإشراق لقلبه، ونور للجوارح في طريقها نحو الحياة والتصرفات، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الأنفال: ٢٩]﴾، فيتين له الهدى من الضلال، ويحصل له الفرقان بين الحق والباطل، والتمييز بين الخبيث والطيب، ويكون قادراً على التفريق بين الشبهات، ويحصل له من نور الله ما لا يلتبس عليه النافع من الضار والخطأ من الصواب، ويؤتیه بصيرة في قلبه يستحسن بها الحسن ويستقبح الخبيث، ويمنحه قوة لا تختلط عليه فيها المفاهيم ^(٤).

(١) عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح (قيس)، أنصاري، بدري، وهو جد عاصم بن عمر لأمه، وهو حمي الدبّر؛ فقد عاهد ربه أن لا يمس مشركاً، ولا يمس مشرك، فحماه بالدبّر بعد وفاته. ينظر: أسد الغابة ٣/١٠٧، والإصابة ٣/٤٦٠.

(٢) كما أخرج البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ٥ / ١٠٤ رقم ٤٠٨٦، من حديث

(٣) تفسير ابن رجب ٢ / ٣١٣.

(٤) ينظر: جامع البيان ١١ / ١٢٧، وإيجاز البيان عن معاني القرآن ١ / ٣٦٢، ومدارك الترتيل ١ / ٦٤٠.

إنها منة ربانية، وتفهم إلهي، وفراسة^(١) تقوى عند من طاب معتقده، وحسن لله عمله، فيعرف من الأمور وينكشف له من الأحوال ما لم ينكشف لغيره، أو يصل إليه علمه وتفكيرهم، وهكذا كلما قرب القلب من الله زالت عنه معارضات السوء، وكان كشفه للحق أتم وفرقائه أقوى؛ لأن ما يقذفه الله من النور في القلب يجعل له أثراً طيباً على صاحبه فيمشي على نور من ربه، ويجري الحق على لسانه؛ مما يجعله من أسعد الناس قلباً، وأهنئهم عيشاً، وأهداهم سبيلاً، وأكثرهم صواباً ونفعاً^(٢).

٦ - الوقاية من القواحش، والمنكرات:

فالأعمال الطيبة والطاعات الصالحة تُزكي النفس، وتُهدب الأخلاق، وتحفظ بإذن الله من الشرور، وعظائم الذنوب.

ومن كان قصده وجه الله ﷻ، والعمل بطاعته واتباع رسوله ﷺ، ثم صدر منه شيء من الذنوب أو ألهم بها؛ مما هو من مقتضيات النفوس وغلبة الطباع، فإن الله يلطف به، ويمن عليه بحفظه، ويعصمه من الخبائث والوقوع في الشرور^(٣)، كما قال تعالى عن الصديق ﷺ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصِّرَفَ عَنْهُ الشُّرُوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]؛ فإخلاص الأعمال لله وحسنها وطيبها من أكبر الأسباب لحصول الخير واندفاع الشر؛ فهذه امرأة العزيز لم تسأل عن شرفها وكرامتها ولا عن مكانة زوجها بل دأستهن^(٤) بنعل الشهوة، ولم تتوقف في بذل ما تستطيع من قوة وحيلة لإخضاع يوسف ﷻ، لكنه لجأ إلى ألطاف ربه، وسلك سبيل المرسلين قبله في فزعهم إلى مولاهم لينيلهم الخيرات، ويعد عنهم الشرور والموبقات، مظهرًا أن لا طاقة له إلا بمعونته ﷻ مُستدعيًا لطفه، وعظيم كرمه ومَنته، أن يبعد عنه كيدهن^(٥)، وأن يثبتته على العصمة،

(١) الفِرَاسَةُ: من تفرَّستُ فيه خَيْرًا: تَوَسَّمته. ينظر: مختار الصحاح، مادة: (فَرس) ص ٢٣٧.

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن ص ٥٨، ودستور الأخلاق في القرآن ص ٣٥٤.

(٣) ينظر: جامع البيان ١٣ / ١٠٠، وتفسير الرازي ١٨ / ٤٤١، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢ / ٥٢٢.

(٤) الدُّوسُ: شدة الوطء بالأقدام. ينظر: العين، مادة: (دوس) ٧ / ٢٨٣، وتهذيب اللغة ١٣ / ٣١.

(٥) الكَيْدُ: المُعَالَجَةُ، والحيلة، والمكر. ينظر: المفردات ص ٧٢٨، ومقاييس اللغة، مادة: (كَيْد) ٥ / ١٤٩.

وأن لا يميل إلى موافقتهم على أهوائهم فيقع في خبث غوايتهم، فاستجاب له ربه وحفظه وعصمه، وصرف عنه السوء والفحشاء، ولولا الله وحده لوصلت إلى ما تريد^(١).

فإن الله ﷻ طهر نفوس الأنبياء من الأخلاق الذميمة والأفعال الرذيلة، وجبلهم على الأخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة التي تحجزهم عن فعل ما لا يليق، فقد اخلصوا دينهم لله وأخلصهم الله لطاعته^(٢).

وعباد الله الطيبون المخلصون في حماية ربهم أن تطيش^(٣) بهم الأهواء والشهوات، وأن يجنحوا^(٤) إلى ارتكاب الموبقات واجترأح^(٥) السيئات^(٦)، وأن يتسلط عليهم الشيطان فيغويهم ويضلهم.

إن طيب الأعمال وصلاحتها له أثر على صاحبه في الوقاية من كيد الشيطان، فلا يصل إلى مراده ولا يدرك مَطْلُوبَهُ عند من طابت قلوبهم وصلحت أعمالهم ولازموا تقوى ربهم، وإذا صدرت منهم زلة أو هفوة فسرعان ما يرجعون، يظهر لنا ذلك في تأكيد القرآن الكريم على عظم شأن الصلاة، وبيان أثر طيبها في الوقاية والحفظ والصيانة لصاحبها من القبائح، قال تعالى: ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَأَ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ فهي تنهى صاحبها عن كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس، وتكرها العقول، والنظر^(٧)، وهي كفارة لصغائر الذنوب^(٨)، فلا يبقى من ذرئها^(٩)

(١) ينظر: جامع البيان ١٣ / ١٤٤، والوسيط للواحيدي ٢ / ٦١٢، والحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣ / ٢٤١.

(٢) ينظر: الكشاف ٢ / ٤٥٨، وزاد المسير ٢ / ٤٣٢، ولباب التأويل ٢ / ٥٢٢، وتفسير المراغي ١٢ / ١٤٢.

(٣) الطيش: خفة العقل. ينظر: العين، مادة: (طيش) ٦ / ٢٧٦، وتهذيب اللغة ١١ / ٢٦٩.

(٤) الجنح: الميل والعدوان. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ٢٥١، وجمهرة اللغة، مادة: (جنح) ١ / ٤٤٢.

(٥) الاجترأح: الكسب. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١ / ٢٦٨، مقاييس اللغة، مادة: (بطر) ١ / ٤٥١.

(٦) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن ص ٢١٥، ومفتاح الأفكار ٢ / ٤٠٨، وموارد الظمان ٢ / ٣٣٩.

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٣٢.

(٨) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الذي أخرجه مسلم، في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى

الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ١ / ٢٠٩ رقم ٢٣٣.

(٩) الدرّن: الوسخ. ينظر: العين ٨ / ٢٠، وجمهرة اللغة، مادة: (درن) ٢ / ٦٤٠، ومقاييس اللغة ٢ / ٢٧١.

شيء^(١)، وتفتح أبواباً لطاعات أخرى، مما يدل على طيبها وفضلها وشرفها.

وحتى يعظم أثرها لا بد أن تكون دائمة لا يَعْتَرِيهَا^(٢) انقطاع، وكاملة من غير نقص، فهي ارتباط بالخالق وتوثيق للصلة به، وبأثرها الطيب يسري في النفس نعيم وسرور يتدفق على صاحبها فتتمحي منه الصفات الذميمة، وتتساقط العلل والأمراض الخبيثة، وما ناله بصلاته من غنى قلبي ونعيم مقيم فإنه مَنهَةٌ له عن الفحشاء والمنكر، فلا ترضى نفسه بالشهوات التي تقطع عليه نعيم الصلاة ولذتها، وتَذَوُّق خيراتهما وإشراقهما في الدنيا والآخرة وينجيه الله ويسلمه من شر كبائر القلوب وأدوائها، والجوارح وموبقاتها.

٧- العَفْوُ^(٣) والمَغْفِرَةُ^(٤):

فإذا أخطأ الإنسان بقول أو فعل ثم لام نفسه، وحزن على تقصيره، وبكى على خطيئته، واستغفر ربه وطلب عفوه عفا عنه، وأصلح عمله، ومحا ما تقدم من ظلمه، وأبدله بعد الذنب طاعة، وبعد الهم فرجاً، وبعد العسر يسراً، وأخرجه من الشدة والمِحْنَةَ^(٥) إلى السعة والمنحة، ورزقه حلالاً طيباً من حيث لا يحتسب، ومَتَّعَهُ متاعاً حسناً طيباً بالمنافع والأرزاق، والنجاة من العذاب^(٦)، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

والله عَلَّمَ يعفو عن زلات عباده، ويعاملهم بعفوه التام مع قدرته عليهم، ويسدل عليهم

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة ١/ ١١٢ رقم ٥٢٨ ومسلم، في كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا، وترفع به الدرجات ١/ ٤٦ رقم ٦٦٧.

(٢) الاعتراء: الإصابة. ينظر: العين، مادة: (عري) ٢/ ٢٣٣، ومجاز القرآن ١/ ٢٩٠.

(٣) العَفْوُ: التجاوز، والحوو، وإزالة الأثر، وعدم العقوبة. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (عفا) ٢/ ٩٣٨، ونزهة القلوب ص ٣٢٩، وتهذيب اللغة ٣/ ١٤١ ومختار الصحاح ص ٢١٣.

(٤) العَفْرُ: السُّتْر، والتغطية، والتجاوز. ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (غفر) ٤/ ٣٨٥.

(٥) المَحْنُ: الابتلاء والاختبار. ينظر: العين ٣/ ٢٥٣، وجمهرة اللغة، مادة: (محن) ١/ ٥٧٢، تهذيب اللغة.

(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠/ ٥٢٦، والوسيط للواحدي ٤/ ٥٨، وتفسير أسماء الله الحسنى ص ٢١٨.

ستره، ويزيد العافي بعفوه عمن أساء إليه عزاً وكرماً، ومن عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له، وأكرمه بعظيم الأجر^(١)، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

بل إنه ﷺ سخر حملة عرشه من ملائكته الكرام يستغفرون لأهل الكلمة الطيبة من أهل الإيمان، ويدعون بالمغفرة للتائبين وإدخالهم الجنان.

وكان من حكمة الله ﷻ أن جعل عفوه مأمولاً وفضله مبدولاً، فإذا ما انزل الفرد في الخطيئة لم تنسد أمامه السبل، بل جعل فيه صفحة جديدة في حياة التائبين؛ استصلاحاً لقلوبهم، وشفاءاً لألم الجناية عنهم، وإدخالاً للأنس على نفوسهم، بدلاً من وحشة العصيان، فترفع الهمم عن تعاضم مغفرة الذنوب، والوقوع في القنوط.

ومن المؤكد أن العفو له آثار عظيمة في النفس البشرية، فهو يبرد على الأكباد، ويظهر لمشاعر الراحة والطمأنينة النفسية الملموسة في الحياة؛ فالمذنب يجد العفو باباً للرجعة مفتوحاً فيسهل عليه العودة إلى جادة الصواب، فيصح مساره ويتدارك هلاك نفسه، أما لو أغلق أمامه لاستمر في خبثه ونهجه الخاطيء؛ لأنه يرى أنه مذنب مطارد بخطيئته، فيتأصل الإجرام لديه، ويجر المصائب على نفسه ومجتمعه.

لقد عفا الله عن الذين تابوا واتبعوا سبيله، وعمن طابت قلوبهم وجلت أعمالهم؛ عبادةً وهجرةً وجهاداً، وبدلاً ونفقةً وعطاءً، وعمن تحلوا بالأخلاق العالية؛ وجاهدوا أنفسهم في تحمل الأذى، فكظموا غيظ القلوب وحنقها^(٢)، وصبروا عن مقابلة المسيء بإساءته، وزادوا على ذلك العفو والتجاوز، وأحسنوا في العبادة وإلى العباد، وبادروا إلى التوبة والاستغفار عند الخطيئة، فلم تستحك عليهم الغفلة، ولم يطاوعوا الشيطان بالاسترسال في الفواحش والآثام، فكان من أثر هذا الأعمال الطيبة أنهم موعودون بتكفير السيئات، ودخول الجنان،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢١٢، وتفسير القرآن الحكيم ١١/ ١٧٩، وأضواء البيان ٢/ ٤٦٦.

(٢) الحنق: الحقد، وشدة الاعتياظ. ينظر: العين، مادة: (حنق) ٣/ ٥١، وجمهرة اللغة ١/ ٥٦١.

وخيرات كثيرة ثمرة لبرهم وطيب قلوبهم، وحسن أقوالهم وأفعالهم^(١)، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

٨- تَأْلِيفُ الْقُلُوبِ، وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ:

وذلك بحصول التقارب، وحلول الرحمة والتواد، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فلين الله قلوبهم وطيبها من خبث العداوة التي كانت بينهم في الجاهلية، وألف بينهم بالإسلام، وصيرهم إخواناً، بعد أن كانت الخصومة بينهم شديدة، والحروب والفتن مستمرة؛ يهجم بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، ما أهلك أشرفهم، ودق^(٢) جماعهم، وقد كانوا ذوي حمية شديدة، وأصحاب عداوة وعصية، وحب للانتقام عظيم، فلو أن رجلاً لطم آخر لقاتلت عنه قبيلته حتى تدرك تأرته^(٣).

فزالت الضغائن والأحقاد، والخصومات والمنازعات، وتصافت قلوبهم، وتآلفت بعد غاية من التنافر والتباعد، فصار البعيد منهم قريباً، والبغيض حبيباً، والعدو صديقاً، وحصلت المودة التامة، والمحبة الشديدة بعد الثفرة^(٤)، والاجتماع والاتحاد بعد الفرقة والشنات، وصاروا إخواناً متراحمين متناصحين، متواصلين متعاونين على البر والتقوى^(٥).

ولم تكد تأتلف قلوبهم، وينتظم شملهم على الحق، حتى بذلوا دونه المهج^(٦)، والأرواح

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٦١.

(٢) الدَّقُّ: «الكسر والرُّضُّ في كل وجه». لسان العرب، مادة: (دَقَق) ١٠ / ١٠٠.

(٣) الثَّأْرُ: «الطلب بالدم». العين ٨ / ٢٣٦، وينظر: جمل اللغة، مادة: (تَأَّر) ص ١٦٦.

(٤) ينظر: معالم التنزيل ٢ / ٣٠٨، وزاد المسير في علم التفسير ٢ / ٢٢٢، وتفسير الرازي ١٥ / ٥٠١.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل ١ / ٢٨٠، وتفسير القرآن العظيم ٢ / ٩٠.

(٦) المهجة: دم القلب، والروح. ينظر: العين، مادة: (مَهَج) ٣ / ٣٩٧، وتهذيب اللغة ٦ / ٤٦.

والأموال فليس ذلك الأمن والاجتماع إلا نتيجة خير وكمال، وأثر مبارك لأطيب معتقد؛
إيمان بالله ﷻ، ومتابعة للرسول ﷺ.

ولم يكن هذا بسعي أحد من البشر، بل بمنة وفضل من مُقَلِّبِ القلوب وحده، ومن
غَيْرُهُ يقدر على تغييرها؟ قال تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

فلولا أطفاف الله الجليلة لما قَدِرَ أحد على تَأْلِفِهِمْ، ولو أنفق في إصلاحهم ما في الأرض
من الأموال جميعاً؛ لشدة ما بينهم، وتَمَاقَتْ^(١) قلوبهم، فغَيَّرَ اللهُ بواطنهم فتغيرت ظواهرهم،
وارتفعت عنهم غشاوة الحمية وخبث الجاهلية، وسلوكياتها الضالة، فصاروا في الحق أنصاراً
وأعدائاً، وأصبح الإسلام في قلوبهم وأعمالهم وأسلوب حياتهم أقوى رابطة تربط ما بينهم،
وصارت أخوة الدِّين فيهم أقوى من أخوة النَّسَب، ووصلوا إلى مستوى في القوة والاجتماع
والأخلاق والسلوك ما لم يعرفه التاريخ من قبل، وهكذا يكون الأثر حين تتألف القلوب
على الهدى، وترتبط بأقوى رباط يُحدث فيها التغيير^(٢).

٩- الوُدُّ^(٣) والمحَبَّة:

لما تحصل المحبة والقبول للطيبين عند الله ﷻ، وفي قلوب أوليائه، وأهل سمائه وأرضه؛
فلأنهم وُدُّوه وآمنوا به وعملوا صالحاً يقرب إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

فكرامة الود والقبول إنما هي للمتبعين الذين طابت نفوسهم بالإيمان والعمل الصالح
وهذا حاصل لمن أحبه الله من أهل الحق، وأئمة الهدى، ورضي عنهم وتقبل أعمالهم،
وزادهم من فضله، ويسر لهم أمورهم، ومنحهم من الخيرات والدعوات والقبول ما تحصل به

(١) المَقَّتْ: البغض الشديد. ينظر: العين، مادة: (مَقَّت) ٥/ ١٣٢، ونزهة القلوب ص ٤١٢.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل ١/ ٦٥٥، وغرائب القرآن ٣/ ٤١٤، والمفاتيح الغيبية ١/ ٢٩٣، وفي ظلال القرآن ١/ ٤٤٣.

(٣) الوُدُّ: صفو المحبة وخالصها وُدُّها. ينظر: العين، مادة: (وَدَد) ٨/ ٩٩، والمفردات في غريب القرآن ص ٨٦٠.

كرامتهم وفرحهم، وأحبتهم ملائكته الكرام، وحببهم الله ﷻ إلى الناس، فأقبلت قلوب العباد إليهم، وحصلت المحبة بينهم، ووضع لهم القبول عندهم^(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحَبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ))^(٢).

فأهل القبول في الأرض محبوبون في أهل السماء قبل أهل الأرض، وسبب ذلك محبة الله لهم أولاً؛ فمن أحبه حَبَّبه لعباده.

وهذه محبة يغرسها الله في نفوس عباده الطيبين؛ فضلاً منه وكرماً، لا بسبب قرابة أو صداقة أو مصلحة دنيوية، أو عمل بر ومعروف قَدَّمه، ولا غير ذلك من الأسباب الدنيوية، وإنما هو اختصاص منه لأوليائه الطيبين؛ إجلالاً ورفعاً لهم، فيُعطون محبة في قلوب الطيبين الأخيار، ومَهَابَةً ورعباً في قلوب الخبيثين الفُجَّار^(٣).

ومن كان محبوباً عند الله وملائكته وعند أوليائه في الدنيا فهو كذلك في الآخرة، عندما يدخلهم دار كرامته، بخلاف الكفار الخبيثين فإنه يكفر بعضهم ببعض، ويتبرأ ويلعن بعضهم بعضاً^(٤).

١٠ - الأَمْنُ، وَالطَّمَانِينَةُ:

التي يترها الله ﷻ على القلوب المؤمنة التي طابت بأعمالها ووجدانيتها لربها، خاصة عند اضطرابها من شدة المخاوف وميادين القتال، وأوقات الفرع والزلزلة، ونزول المحن المقلقة، والأمور العصيبة التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف عندها النفوس، فيربط الله

(١) ينظر: جامع البيان ١٥ / ٦٤٢، ومعالم التنزيل ٣ / ٢٥٣، ومجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص ٣٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب - تعالى - مع جبريل، ونداء الله الملائكة ٩ / ١٤٢ رقم ٧٤٨٥، ومسلم، في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً أمر جبريل فأحبه، وأحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض ٤ / ٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢ / ٣٥٤، والبحر المحيط ٧ / ٣٠٤، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٢٦٧.

(٤) ينظر: الوسيط للواحدى ٣ / ١٩٧، وزاد المسير في علم التفسير ٢ / ٣٩٧.

على قلوبهم، ويتزل عليهم السكينة^(١) فلا يحصل الهلع^(٢)، والانزعاج بعد ذلك، ويتلقون هذه المشاق بقلوب ثابتة ونفوس مطمئنة كما حصل للمصطفى المختار، وصاحبه في الغار، وعلى المؤمنين في غزوة بدر^(٣) وحنين^(٤)، وأنزل الملائكة يثبتونهم، وييسرونهم بالنصر^(٥)، وألقى النعاس^(٦) أمانة ورحمة بهم وتطميناً لقلوبهم، فلا تؤثر فيهم قلة العدد والعدة، ولا يهتمهم كثرة عدوهم وقوة آتته؛ وحرصهم على قتلهم، فصار حصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد دالاً على إزالة الخوف وتمكن الأمن؛ لأن الخائف على نفسه وأهله وماله من عدو لا يرتاح، بل يأخذه القلق، ويرتفع عنه النوم^(٧).

إن شجرة الإيمان الطيبة تثمر لأهلها الأمان على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، وتكفل لهم الهدى والصواب والمعرفة، والحجة والاستقامة على دين الله في الدنيا^(٨)، كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ويحقق الله لهم الاطمئنان يوم القيامة من المخاوف والعذاب، فيأتون آمنين مطمئنين، ليس بهم خوف، ولا يجزئهم فزع؛ لأن إيمانهم في الدنيا أنتج لهم الأمن في الآخرة. ولهم عند ربهم في الجنة الأمن التام، وتقر أعينهم وتهدأ قلوبهم وتطمئن نفوسهم بإلههم المعبود حقاً.

-
- (١) السكينة: السكون والطمأنينة. ينظر: العين، مادة: (سَكَنَ) ٣١٣ / ٥، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٦.
- (٢) الهلع: شدة الجزع. ينظر: معاني القرآن للفراء ١٨٥ / ٣، ومختار الصحاح، مادة: (هَلَع) ص ٣٢٧.
- (٣) بدر: اسم مكان يبعد عن المدينة (١٥٥) كيلاً، وعن مكة (٣١٠) أكيال، وقعت فيه المعركة المشهورة التي نصر الله فيها المسلمين على أهل الأوثان، في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية من الهجرة. ينظر: معجم ما استعجم ١ / ٢٣١، ومعجم البلدان ١ / ٣٥٧، ومراصد الاطلاع ١ / ١٧٠، ومعجم المعالم الجغرافية ص ٤١.
- (٤) حنين: اسم لوادٍ قرب الطائف، وقعت فيه المعركة التي نصر الله فيها المسلمين، في شوال من السنة الثامنة من الهجرة. ينظر: معجم ما استعجم ٢ / ٤٧١، ومعجم البلدان ٢ / ٣١٣، ومراصد الاطلاع ١ / ٤٣٢.
- (٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣ / ٢٣٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٣٢.
- (٦) النعاس: النوم القليل، وقيل: مقاربه. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (نَعَسَ) ١ / ٤٩٤.
- (٧) ينظر: تفسير الرازي ١٥ / ٤٦١، وفي ظلال القرآن ٣ / ١٤٨٤، وتفسير المراغي ٩ / ١٧٤.
- (٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩ / ٣٦٨، والبحر المحيط ١ / ٣٩٩، وفي ظلال القرآن ١ / ٢٩٤.

إن الأمن والسلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على الحياة ضرورة لا تقوم المصالح إلا به، والتأريخ دالٌّ وشاهد على أن تحقق الأمن وبسطه على الناس لم يكن إلا في ظل الإيمان، وتحكيم شريعة الإسلام، الذي جعل أهله أحق الناس بالأمن والطمأنينة^(١).

ومن اتبع غير شريعة الله فلا أحد يحفظه من الله؛ ولا ينصره من دونه، ولو كثرت الجنود واشتدت القوة، وأنفقت الأموال الطائلة من أجله؛ فالأمن إنما يكون بالإيمان وعدل الإسلام، لا باللهث وراء قوانين وأنظمة بائدة فاسدة، لا تُحرز أمنًا ولا توفر استقرارًا؛ لأنها مبنية على الظلم والجور، وعداوة للخالق، ومخالفة لمصالح الخلق.

وكيف يستتب الأمن، وتحصل العزة والمجد والرفعة، وتُطيع الشعوب لولاها وهم عن شريعة ربهم معرضون ولحُكمه مُبدّلون، بل ليس من المعقول أن يعصوا مالك الملك، ثم يريدون أمنًا وطاعة من مملوك!^(٢).

١١ - مُدَافَعَةُ اللَّهِ عَنْهُمْ:

من الآثار الحميدة الطيبة أن يدافع الله عن عباده الطيبين أهل الشرور والعدى والفساد، كما قال تعالى إخباراً وتطميناً لنبيه ﷺ؛ ليلبغ الرسالة من غير خوف أو خشية الأذى من أي أحد: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، فقد حفظه من الوقوع في الشبهات والضلالات، ودفع عنه شر شياطين الإنس والجن^(٣)، ودافع عنه كل مكروه يتقيه، ومن أن يناله خبيث بسوء، فلن يضره أحد بشيء وقد ضمن له ربه العصمة، فهو حسبه وكافيه، وناصره، والصالحين من عباده من كل مخلوق، ومن مكاره الدنيا والآخرة وشدائدهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٣٨]،

(١) ينظر: متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار ص ١٢.

(٢) ينظر: تفسير العثيمين (الفاتحة والبقرة) ٢ / ٣٣.

(٣) ينظر: جامع البيان ٨ / ٥٦٧، والوسيط للواحدي ٢ / ٢٠٩، وتذكرة الأريب ص ٨٥، والكشاف ١ / ٦٥٨.

فيحفظ عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه، وَيَكْلُؤُهُمْ^(١) وينصرهم، ويكف عنهم الأعداء والمكاره قبل نزولها، ويرفعها أو يخفضها بعد نزولها، ويدفع عنهم بأس المشركين وأذاهم، ويصد عنهم شر الأشرار وكيد الفجار، ويصرف عنهم الظلمة والعصاة، وَيَعْصِمُهُمْ من وساوس الشيطان ومكائده، ومن شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم^(٢).

ومن جرّد توحيده لله فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، واهتمامه واشتغاله وتفكيره فيه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، فاستحق الولاية والحفظ والمدافعة، «وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه»^(٣)، وتحصل له النجاة من المكاره.

فلديهم من الإيمان والأعمال الصالحة ما يشبه الدروع الحصينة التي تتكسر عليها ضربات أهل الخبث، حينما يربط الله على القلوب الطاهرة التي طابت بنعيم الإيمان، ويثبت أقدام أهلها على طريق الهدى، ويصيرهم على تحمل المكاره، ويمدهم بملائكته، فيحصل لهم النصر والغلبة، والظفر بمن تسلط عليهم، ويكون للخبثاء المشركين من الرعب والذلة والعذاب والخزي ما يشفي الصدور، ويذهب غيظ القلوب، ويظهر الله للمؤمنين من أمّداد^(٤)، ودفاعه ما يقوى به إيمانهم ويقربهم من ربهم، فيقولون كلمة الحق ويشبتون في ميادين الحرب والدعوة من غير خشية مخلوق^(٥).

١٢ - السّلامَة، والنّجاة:

حصول العافية والخلاص من المكروه، وما فيه مهلكة من الآثار الطيبة التي تحصل لعباد الله الطيبين؛ لما لديهم من الإيمان، والعمل الصالح، وبحسبهما تحصل النجاة من المكاره، وتكمل لهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْلِ ثَمَرِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ فِي يَوْمٍ كَذَلِكَ أَلْسُوءُهُمْ﴾

(١) يَكْلُؤُ: يحفظ ويمنع. ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٣٩. ينظر: المصباح المنير، مادة: (كَلَأَ) ٢ / ٥٤٠.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٥٧١، وتفسير الرازي ٢٣ / ٢٢٨، وتفسير القرآن العظيم ٥ / ٤٣٣.

(٣) بدائع الفوائد ٢ / ٢٤٥، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٦ / ١٠٨.

(٤) المَدَدُ: الأعوان والأنصار. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (مَدَدَ) ٩ / ٢٨٨، ولسان العرب ٣ / ٣٩٨.

(٥) ينظر: أضواء البيان ٥ / ٢٦١، والتفسير القرآني للقرآن ٩ / ١٠٤٢، وتفسير العثيمين (الفاتحة والبقرة) ١ / ٥١.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ [الزمر: ٦١]، وذلك أن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله ﷻ، التي هي العدة عند كل هول، وشدة^(١)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]؛ لكونهم يدعون إلى صالح الأعمال، وطيبات الأقوال ويعملون بها، وينهون عن خبيث الأفعال، وسيئات الأقوال ويجتنبونها، وهذه سنة الله في عباده أن ينجيهم مما نزل بهم من عقوبات كما أخبر ﷻ في كتابه أنه نجي نوحاً ومن معه في السفينة، وإبراهيم من النار، وموسى والذين آمنوا معه من فرعون وجنوده، وإذا سلموا من الشر حصل له الخير والبركات.

١٣ - القوة، والمهابة^(٢):

فالطيون لهم إجلال في القلوب، ومنهم يخاف العدو بما يحملونه من مبادئ وصفات طيبة، جاءت ثمرة لإيمانهم، وأثراً لقوة علاقتهم برهم القوي العزيز.

ولقد صرح بذلك القرآن الكريم، فهذا هود عليه السلام ينادي قومه الذين اشتهروا بالقوة الباهرة، قائلاً: ﴿وَيَقَوْمِ أَتَسْتَعِفُّونَ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُونَ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]؛ فدخولهم في الإيمان بقاء لقوتهم، وزيادة لها، وتحليلهم به فيه عزٌّ زائد على عزهم^(٣).

لقد وعدوا بقوة تشمل جميع القوى؛ فيزيد الله عابديه قوة في إيمانهم ويقينهم وتوكلهم، ويزدهم قوة في أسماعهم وأبصارهم، وأجسادهم وأموالهم وأولادهم، وغير ذلك^(٤).

فالإيمان بالله والعمل بما يرضيه يعث في المتمسكين به القوة في الأبدان، والبركة في القوى، والنشاط في الأداء، والإمداد في المال والولد.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٧٥.

(٢) المَهَابَةُ: الإجلال والمخافة. ينظر: العين، مادة: (هَيَبَ) ٤ / ٩٨، والمخصص ٣ / ٣٥٦.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ١٨ / ٣٦٤، والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣ / ١٨٠، والبحر المحيظ ٦ / ١٦٧.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٩ / ٣٢٣.

إن التمسك بالإيمان مصدرُ قُوَّة وعز، ولم يكن يوماً من الدهر سبباً للضعف والفقر^(١)؛ كما توهمه المشركون الخبيثاء في مكة، فقد قَوَّى اللهُ أهلَ الكلمة الطيبة بعد أن كانوا قلة مستضعفين، يُفْتَنُونَ في دينهم ويسمعون المكاره من عدوهم، فأعزهم بعد الذلة، ورفع قدرهم، وجعل لهم سلطة ودولة قوية ترجح على قوة أعدائهم، وكان لهم من قوة اتصالحهم بالقوي العزيز ما يرهبون به الخبيثاء ويملكون به رقابهم وبلدانهم وأموالهم، وأصبح لديهم من القوة الإيمانية ما يُقوي العزائم ويدفع الخوف ويهرب العدو^(٢)، فصارت الفئة «القليلة من أهل الشجاعة والثبات والإيمان تغلب الفئة الكثيرة من ذوي الجبن والتخاذل والشرك»^(٣)، يقدمون أرواناً من التضحية وضروباً من الفداء، وبقدر ما لديهم من الإيمان تكون لهم القوة.

١٤ - النَّصْرُ، وَالْفَتْحُ:

وهذا حاصل لمن ينصر دين الله، ويستجيب لأمره ونهيه، ويُحَكِّم شرعه ويرضى به ويُسَلِّم، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠]، وهذا وعد حق مؤكد لا يخلف، ولكن من هؤلاء الذين يستحقون نصر القوي العزيز؟.

إنهم الموحدون الذين طابت أعمالهم، ووثقوا الصلوة برهم بإقامة الصلاة كما شرع، واتجهوا إليه طائعين خاضعين، مستمدين منه أمداد الهدى والنصر والرفعة، مؤدين حق المال للمحتاجين طيبة بما نفوسهم، منتصرين على شح النفس وحرصها، قائمين بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يجعلهم دعاة خير ومصايح هدى، وينايع رحمة، وموازين عدل وإحسان، يصلحون سلوك الناس، وقيموهم على صراط مستقيم^(٤).

(١) ينظر: أثر العبادات في حياة المسلم ص ١٦.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١ / ١١٩، والهداية ٤ / ٢٧٩٠.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الحكيم ٧ / ١٠٤.

(٤) ينظر: محاسن التأويل ٧ / ٥١٥، وتفسير المراغي ١٧ / ١٢٠، والتفسير القرآني للقرآن ٩ / ١٠٤٦.

فبالاستجابة للشريعة يُسْتَجَلَبُ الفتح ويُسْتَنْزَلُ النصر، وحق من الله أن ينصر من ينتصر لشعره في الأولين والآخرين، وأن يعزه ويثبت قدمه، ويجعله غالباً مُمَكَّنًا، يخاف منه الخبيثاء ويرهبه الأعداء، كما نصر المهاجرين والأنصار على صَنَادِيدِ^(١) العَرَبِ، وأكَاسِرَةِ^(٢) الفُرسِ وقِيَاصِرَةِ^(٣) الرُّومِ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم^(٤)، وسنته وَجَّكَ في ذلك ماضية، فقد سبقت كلمته في نصر من ينصر دينه، وأن تكون العَلْبَةُ لجُنْدِهِ وأولياؤه الطيبين^(٥).

ولكن قد يتأخر النصر لثَوْتِ الأمة المؤمنة صلحتها برهما، وتتجرد في بذلها وتضحياتها لخالقها، وقد يؤجل النصر لأن الشر الذي تُكافحه محتلط بشيء من الخير ومتلبس به، ويريد الله أن يجرد الشر منه ليذهب وحده هالكًا، وقد يتأخر النصر لكون الخبيث لم ينكشف زيفه للناس تمامًا، وله أنصاره المخدوعون فيه، الذين لم يقتنعوا بفساده وضرورة زواله، فتظل جذوره في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة، وقد تكون البيئة لا تصلح لاستقبال الحق والخير والعدل، فلو انتصرت للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها قرار، فيظل الصِّراع قائمًا حتى تنهياً النفوس لاستقبال الحق واستبقائه!.

من أجل هذا وغيره مما يعلمه الله قد يبطئ النصر، فتتضاعف التضحيات والآلام، مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية^(٦).

(١) الصَّنَدِيدُ: السيد العظيم الشريف. ينظر: العين، مادة: (صَنَد) ٧/ ١٠٠، ومقاييس اللغة ٣/ ٣١٢.
 (٢) الأكَاسِرَةُ: جمع كَسْرَى، وهو اسم يطلق على من تولى على الفرس، وبالفارسية: خُسْرَو، يعني: واسع الملك.
 ينظر: العين، مادة: (كَسْر) ٥/ ٣٠٧، والمحكم والمحيط الأعظم ٦/ ٧٠٩، ومختار الصحاح ص ٢٦٩.
 (٣) القِيَاصِرَةُ: جمع قِيَصْر: وهو اسم يطلق على من تولى على الروم. ينظر: مختار الصحاح، مادة: (قَصْر) ص ٢٥٤.
 (٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٩/ ١٥٧.
 (٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/ ٥٥٣، والإيمان بالله ص ١٢٨.
 (٦) ينظر: في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٢٧.

١٥ - الاستخلاف^(١) والتمكين^(٢):

إذا أقام العباد دين ربهم، وخلص لله تحاكمهم في السر والعلانية، فإنهم على وعد كريم من ربهم أنه يقويهم ويشد من أزرهم حتى يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم، وهي سنة إلهية ماضية نجدها في قصص شتى في كتاب الله ﷻ.

فهذا يوسف عليه السلام صار من أهل الاستخلاف والتمكين، بعد أن ابتلى وظهر للناس إحسانه، وموسى عليه السلام كان حريصاً على أن يظهر لقومه هذه السنة، عندما خافوا بطش فرعون وقومه، فيقول لهم: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ولما استبطؤوا الفرج واستأخروا النصر، ورأوا من عدوهم ما رأوا بشرهم ربهم الكريم بالعاقبة الطيبة، وتبهم إلى سنة الاستخلاف: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

ثم أنجز لهم ربهم ﷻ ما وعد، وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها المباركة، ثم بعد هذا الإرث والاستخلاف من عليهم بالإمامة والتمكين^(٣).

وقد وعد الله ﷻ المؤمنين من هذه الأمة بما وعد به المؤمنين قبلهم، إنهم حققوا الإيمان وعمل صالحات الأعمال وطيباتها، وتحاكموا إلى شريعة الرحمن بأن تأتيهم ثمرة ذلك وآثاره الطيبة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

فيمكن الله لأوليائه في الأرض، ويجعلهم أقوياء راسخي الأقدام مطمئنين، وينصرهم في

(١) الاستخلاف: جعله خليفة. ينظر: لسان العرب، مادة: (خَلَفَ) ٩/ ٨٣، والمصباح المنير ١/ ١٧٨.

(٢) التمكن: التثبيت والإسكان والتملك. ينظر: نزهة القلوب، مادة: (مَكَّنَ) ص ٤١٤، والتبيان ص ١٥٥.

(٣) ينظر: الإيمان بالله ص ١٢٦.

ميادين الجهاد، وعلى خصومهم في الحق، فيجعل معهم الحجة والبرهان، ويجعل العقاب لهم، ويُهلك عدوهم ويسكنهم الأرض من بعدهم، ويكون لهم الملك والسلطة، ونفاذ القول على الخلق، ووقائع التاريخ الإسلامي شاهدة على تحقق هذا الوعد الإلهي^(١).

١٦- العز، والشرف:

الرفعة والعلو في الدنيا والآخرة منحة من القوي العزيز، يؤتيها من يشاء، ومنه وحده ترجى وتطلب، ومن فضله تستمد، فهو مالك الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

إن العزة والرفعة لا تنال إلا بطاعة الله، فمن لزمها جنى آثارها الطيبة؛ عزة وشرفاً وقدراً، ونصراً ومُلْكاً، وهداية وعلماً^(٢)، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ﴾ [فاطر: ١٠].

العزة تحرُّ من رقِّ الأهواء وذُلِّ المعصية والطمع، وتخلُّص من التبعيد لغير الله، وهي هدف نبيل لمنصرة الفضيلة، ومقارعة الخبائث والرذائل، كما أنها احترام للمثل العليا والأخلاق الطيبة التي أمر بها الإسلام، فيعتز المسلم بدينه، ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة والذلة، رافعاً رأسه بلا تكبر أو تفاخر، ومن غير بغي أو عدوان، ذليلاً لإخوانه رحيمًا بهم لينًا معهم، مع عزة وشدة وغلظة على الخبثاء الكافرين^(٣).

من أراد العزة فليعز دين الله، وليلتمسها بالقرآن ذي الذكر، فهو ذكراً لنا وشرف، وهو

(١) ينظر: هجر القرآن الكريم أنواعه وأحكامه ص ٦٢٧.

(٢) ينظر: تفسير الراغب ٢/ ٤٩٤، ومعالم التنزيل ١/ ٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٤/ ٥٥.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٥٢٧، والهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ١٧٨٥، والوسيط للواحيدي ٢/ ٢٠٠.

منبع العزة، ومصدر الكرامة والسيادة^(١)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

فليست مستمدة من الآباء والأولاد والقراية، ولا مكتسبة من المال أو الجاه والمنصب، وليست ذلاً لصنم أو عبادة لوثن، أو تقوياً بكافر مهين^(٢)، ﴿أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]؛ فلا يملك الخبيث منها شيئاً، مما يجعل نفس المؤمن الذي طهر قلبه وطاب عمله تمتلئ بالعزة والقوة، وتأبي عليه الذلة والمهانة، وأتى له ذلك وهو يسمع قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إن العزة الحقيقية وقوة الكلمة تنبع عن التمسك بالإيمان وتطبيق أحكام الشريعة في جميع نواحي الحياة، وبنصرة الحق والوقوف معه، عندها يشعر المؤمن بموطن الهيبة ويحتفظ بعزته وكرامته، ويصدع بالحق ويطالب بالإسلام قولاً وعملاً، واعتقاداً ومنهجاً.

فهذا نبي الله سليمان عليه السلام يقول بعزة وقوة: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

والصديق عليه السلام يفر من الخبائث بعزة وعفاف، ويقول: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، ويُفضل السجن على فعل الفاحشة.

ومحمد عليه السلام يُجَلِّي اليهود بحزم وعزة؛ لما خانوا العهد وغدروا مع قوتهم ومنعتهم^(٣)، وهكذا عزة كل مسلم رفع راية الحق ولم يرض بالدنية لدينه، وقال: «إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَلَنْ نَلْتَمِسَ الْعِزَّ بغيره»^(٤).

(١) ينظر: تفسير سفيان الثوري ص ١٩٩، وتفسير يحيى بن سلام ١ / ٣٠١، وجامع البيان ١٦ / ٢٣٢.
 (٢) ينظر: جامع البيان ٧ / ٦٠١، وتفسير الراغب ٤ / ٢٠٠، ومعالم التنزيل ١ / ٧١٤، والمحرم الوجيز ٢ / ١٢٥.
 (٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦ / ٨٧، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٣١، وتيسير اللطيف المنان ١ / ٣٠٢.
 (٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧ / ٩٣ رقم ٣٤٤٤٤، والحاكم في المستدرک ١ / ١٣٠ رقم ٢٠٨، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١٧- البركات، والخيرات:

وفيضان الأرزاق، وكثرهما، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ
بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

فمن حسن إيمانه، وطاب عمله نعم بهذه الخيرات والبركات، ورغد العيش، وسعة
الرزق، وكثرة مياه الأمطار، وخصوبة الأرض وطيب نباتها وثمار أشجارها وزرعوها، وكثرة
المواشي والأنعام، وكسب الأموال، والسلامة من الآفات، فيأكلوا من فوقهم ومن تحت
أرجلهم، ويتنعموا بالخير من كل وجه، منة من الله وفضلاً^(١).

فالبركات من آثار إيمانهم وتقواهم، وهما أطيب ما يُقرب إلى الله، ويوصل العبد إلى
طيبات الدنيا والآخرة؛ وهما خير وبركة للمؤمنين في أبدانهم وقلوبهم، ودنياهم وأخراهم.
فمن كان شاكرًا لله تقيًا نال من زيادة النعم، وسعة رزق الله ما لم يكن في تفكير، قال
تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

وفي القرآن الكريم مواضع متكررة فيها الارتباط الوثيق بين صلاح القلوب، واستقامة
السلوك، وبين تيسير الأرزاق، وعموم الرخاء^(٢)، قال تعالى: ﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ [الحن: ١٦]، وهكذا نجد ذلك الارتباط مع طيب الأعمال وطلب
الغفران، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

وحيث كان الإيمان والتقى وصلاح الأعمال متحقق في العبد كانت آثار الخير والبركة
والإخاء، والأمن والسلام والعافية حالة عليه^(٣) بالبركة المحسوسة، فيأكل ويشرب، ويلبس
ويسكن، وينفق ويكرم، بكل سعادة وارتياح، قد سد حاجته، وتقدم في معيشته على مَنْ

(١) ينظر: تفسير السمعاني ٢/٢٠٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/٣٣٨، وتفسير الراغب الأصفهاني ٥/٣٩٨.

(٢) ينظر: معالم التنزيل ٥/١٦١، والكشاف ٢/١٣٣، وتفسير الرازي ١٤/٣٢٢.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ٦/٣٧١٣، والتفسير القرآني للقرآن ٥/٤٣٩.

هو أغنى منه في الظاهر؛ ولعل هذا من أسرار وصف الرزق المتزل من السماء والنابت من الأرض بالبركة، فهو رزق ممسوس بنفحات البركة التي تجعل القليل كثيراً، نافعاً محفوظاً، نامياً كما تنمو النبتة المباركة في الأرض الطيبة^(١).

١٨ - حُسْنُ الْوَجُوهِ، وَتَضَارُّهَا:

من آثار أعمالهم الطيبة، وطاعاتهم المستمرة لربهم، كما قال الله تعالى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فأثرت العبادة والطاعة في بواطنهم، فمن كثرتما وحُسْنُهَا أن استنارت بالصلاة والجلال ظواهرهم، وصار لهم في وجوههم وجباههم في الدنيا هيئته وعلامة تشاهد بالعين لا تفارقهم، فشح منها النور والضياء، وظهر عليها الإشراق والصفاء، وعلاها أثر السَّمْتِ^(٢) والحُسْنِ والخشوع^(٣).

وكما استنارت وجوه أهل السعادة والأعمال الطيبة في الدنيا فهي في الآخرة أعظم نوراً، وأشدَّ حُسْنًا وبهاءً، فهي مُسْفِرَةٌ مضيئة مُشْرِقة ﴿صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩]؛ بما نالت من الكرامة وآثار النعيم والحبور^(٤)، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]؛ فصار ذلك نصرة في وجوههم، وسروراً في قلوبهم^(٥).

وهذا من حكمته الله ﷻ أن جعل الشيء الكامن^(٦) في النفس يظهر على صفحات الوجه، وأن من كانت سريرته صحيحة مع ربه أصلح له ظاهره عند الناس، وكانت حسناته، وأعماله الطيبة نوراً في قلبه، وضياء في وجهه، و«ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفتلت لسانه»^(٧).

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ١٣٥، وتفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٤٣، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٠١.

(٢) السَّمْتُ: النهج والقصد والطريقة. ينظر: جمهرة اللغة، مادة: (سَمَت) ١/ ٣٩٨، ومقاييس اللغة ٣/ ٩٩.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢١/ ٣٢٦، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ١٤١، والبحر المحيط ٩/ ٥٠١.

(٤) الحَبْرَةُ: السُّرُور. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٤٠، وجمهرة اللغة، مادة: (حَبْر) ١/ ٢٧٥.

(٥) ينظر: الوسيط للواحدى ٤/ ٤٢٦.

(٦) الكَامِنُ: المختفي. ينظر: العين، مادة: (كَمُن) ٥/ ٣٨٦، وجمهرة اللغة ٢/ ٩٨٣، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٦٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٣٨، من قول عثمان ؓ.

١٩ - الثناء الجميل، والذكر الطيب:

وهذا الذكر والثناء الطيب من الله ﷻ بطيبهم وحسنهم، في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

فهم طيبون بتطيب الله إياهم بنظافة الإيمان وطهر الإسلام، في حال حياتهم ومماتهم، وتتوفاهم الملائكة طاهرين من أدناس المخالفات مطهرين من كل نقص يتطرق إليهم ويُخل في إيمانهم، مُترهين من دَنَسٍ^(١) الشرك مطمئني النفوس، فقد طابت قلوبهم بمحبته، وطابت ألسنتهم وترطبت بذكره والثناء عليه، وتلذذت جوارحهم بطاعته والإقبال عليه، مع أخلاق فاضلة، وسيرة حسنة، فجلبت لهم المتزلة في قلوب الخلق، والقدر والشرف، وإن كان لا يريده ولم يسع إليه، بل يهرب منه أشدَّ الهرب؛ فيزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل، وميل القلوب إليه، والدعاء له^(٢).

إن الذكر الحسن من أعظم نعم الله على عباده الطيبين؛ فيرفع الله بين العالمين ذكرهم، ويعلي قدرهم؛ ولهذا خص أنبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [٤٥] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [٤٦] ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧]، «أي خصصناهم بخصيصة، وهو الذكر الجميل الذي يُذكرون به في هذه الدار»^(٣)، وهو لسان الصدق الذي سأله الخليل قائلاً:

﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وهو هبة ربانية يجعلها الله لمن اصطفاهم، واختارهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مریم: ٥٠]، وقال لنبیه ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وقد «رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ابتدأها أشهد أن

(١) الدَّنَسُ: الوَسَخُ، واللُّطَخُ بَقَبِيحٍ. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (دَنَسَ) ١٢ / ٢٥٥، ومقاييس اللغة ٢ / ٣٠٤.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧ / ١٩٨، وتفسير ابن رجب ١ / ٦٧٦، والتحرير والتنوير ١٤ / ١٤٤.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٨٠، وينظر: مدارج السالكين ٢ / ٢٦٠.

لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»^(١).

وعباد الله الطيبون أتباع الرسل لهم نصيب من ذلك؛ بحسب ميراثهم من طاعتهم، ومتابعتهم^(٢)، وكم هم الذين قاموا بنشر العلم، وحمل لواء الجهاد، ورفع راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول كلمة الحق، فغيروا في أخلاق الناس ومناهجهم المختلفة؛ فأنقذوهم من العقائد الخبيثة، وقاوموا أهلها حتى سطع نور الحق، واندحر ظلام الخبيثين، فأعلى الله قدرهم ورفع درجاتهم، وخلد التاريخ سيرهم واطر بطولاتهم؛ مما جعلهم أعلام هدى يقتدى بهم ويُترحم عليهم.

٢٠ - البشارة بكرامة الله:

وهي حاصلة لهم في الدنيا والآخرة، ولا يعلم قدرها ووصفها إلا الله الذي أكرم بها أوليائه؛ لَمَّا طابت قلوبهم بتوحيده، وأعمالهم بالتوجه إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزِّلَ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

فأهل الإيمان والأعمال الصالحة يبشرهم الله ﷻ في الدنيا والآخرة بالأمن والسعادة، والنعيم الدائم في الآخرة، فلهم البشرى في الدنيا بالثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية؛ بما يرونه من أطفاه، وتيسيرهم لأحسن الأعمال والأخلاق وأطيبها، وصرْفهم عن مساوئها.

ولهم البشرى في الآخرة، التي أولها عند قبض أرواحهم؛ حينما تبشرهم الملائكة بالسلامة من المخاوف والأهوال والأحزان، وبالجنان ونعيمها، ولهم البشرى في قبورهم

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤ / ٤٩٤، وجلاء الأفهام ص ٣٦٩، وتفسير القرآن العظيم ٨ / ٤٣٠.

(٢) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٨٠.

برضا ربهم عنهم، وخاتمة البشرى أن يحل عليهم ربهم رضوانه وجُوده وأمانه في جنته^(١).

٢١ - الجنة ومساكنها الطيبة:

وهي أعلى درجات الوعد التي استخدمها القرآن الكريم في استنهاض النفوس الطيبة للعبادة، ثم ترقى إلى الترغيب بما فيها من النعيم المقيم والسعادة الدائمة لأهلها؛ ذلك أنهم صدقوا الله فنفعهم صدقهم، وطابت أقوالهم ونياتهم فطاب نعيمهم في مقعد الصدق^(٢).

لقد وعد الله بها أهل التقوى والإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الزاكية، وجعلها جزاء للخوف من مقامه، وثواباً لمن طابت قلوبهم بتوحيده، وتطهرت من خبث الشرك والكفر والفسوق والعصيان، مما جعل عباد الله الطيبين يأنسون بالعبادة، ويتلذذون بتلاوة كتابه العزيز، ويحسنون الوقوف بين يدي ربهم مصليين ولمقامه خاضعين، ومن طيبات أموالهم منفقين راجين وعده الكريم والتجارة الراجحة التي لن تبور^(٣).

وإذا كان متاع الدنيا واقعاً مشهوداً، ونعيم الجنة غيباً موعوداً، فإن القرآن الكريم قد أطال في بيان أهلها، والأعمال الصالحة الموصلة لها، وكثيراً ما تأتي الآيات مبينة أوصافها، وموضحة طيب عيش سكانها، في تنوع عجيب ووصف دقيق يلفت نظر من تلاها وتدبرها وأن الله ﷻ عرّف عباده بما فيها بجنس ما كانوا يتنعمون به في الدنيا من الأسماء والأنواع، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا هو، وجعل من أوصاف نعيمها ما هو مستمد من مألوفات الناس ومفهوماتهم في الدنيا للتقريب والتمثيل؛ لأنهم لا يتأثرون إلا بما في أذهانهم من صور، وما يقع تحت مشاهدتهم ومحسوساتهم، فنحاطبهم بما يفهمونه، وجعل أحوال الدنيا أنموذجاً لما في الآخرة لا مثلها^(٤).

فأهلها يساقون إليها بإعزاز وإكرام، ويُلقون التحية والسلام من ربهم، ومن ملائكته،

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٣٦٨، والإيمان حقيقته، حوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ١/ ٨٨.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٣٢.

(٣) البوار: الفساد والكساد والهلاك. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩/ ٣٦٥، مجاز القرآن ٢/ ١٥٥.

(٤) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ٣/ ٤٢٣، والتفسير الحديث ٣/ ٢٣٣.

ومن بعضهم لبعض، وَيَسْلَمُونَ مِنَ الْمُنْغَصَاتِ^(١) وَالْمُكَدَّرَاتِ^(٢)، وتستقبلهم روائحها الزاكية ويجدون أبوابها مفتوحة، قد أعد لهم فيها ما تمتته أنفسهم، وتعلقت به إرادتهم مما فيه لذة القلوب وسرور الأرواح، فالأعين إلى ربها ناضرة، والأسماع بخطابه مبتهجة، والنفوس برضاه وقربه مسرورة، آنسة بلقاء الأحبة والإخوان، ورفقة النبيين والصدّيقين والصالحين، أما الأبدان فمتنعة بأنواع المأكّل والمشارب والمناكح، والمساكن الطيبة، والبساتين والحدائق التي اكتست رياضها بالأشجار وأشكال الثمار، فيحصل لهم التفكه بجميع خيراتها وطيباتها؛ مما تشتهيهِ نفوسهم، وتلذّه به عيونهم، متهئين بظلالها الممدودة، طاعمين من مأكولاتها الدّانية، وقطوفها المذلّة^(٣)، متمتعين بنخيلها ورماتها وأعناها، متلذذين بطّحها المنضود^(٤)، وسدرها المخصود^(٥)، شاربين من أنواع أنهارها الجارية، وعيونها المتدقّقة، من غير أن يحصل لهم فيها أذى أو ضرر، أو انقطاع أو منع، أو تحوّل، فرحين بما أعطوا من النعيم، والوقاية من عذاب الجحيم، ومما لا تعلمه نفس، ولا رآته عين أو سمعت به أذن، أو خطر على قلب أحد من الناس^(٦).

ولما كانت همهم عالية، كان جزؤهم عاليًا؛ من المساكن الطيبة، والغرفات الآمنة، والمنازل الرفيعة، والقصور الأنيقة^(٧) المزخرفة، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فمساكنهم تنشرح لها الصدور، وتستطيبها النفوس، وتشتاق لها الأرواح، فهي طيبة

(١) التَّنْغِصُ: التَّكْدِيرُ وعدم الهناءة بالشيء. ينظر: العين، مادة: (نَغَص) ٤/ ٣٧٣، ومختار الصحاح ص ٣١٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٢٧٠، والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٣٨٩، وزاد المسير ٤/ ٤٤٣.

(٣) التَّدْلِيلُ: التَّسْوِيَةُ، والتقريب. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٠.

(٤) التَّنْضِيدُ: الذي بعضه على بعض. ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤، ومهذب اللغة، مادة: (نَضَد) ١٢/ ٥.

(٥) الْمَخْضُودُ: الذي لا شوك. ينظر: العين، مادة: (خَضَد) ٤/ ١٧٥، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٤.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٧١، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧٥، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٣.

(٧) الْأَنْقُ: الإعجاب بالشيء الحسن، ينظر: العين، مادة: (أَنْق) ٥/ ٢٢١، وجمهرة اللغة ٢/ ١١٦٧.

القرار والبناء، جميلة الزخرف والارتفاع، وغرفها في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قد طاب مرآها ومزلها ومقيلها، وهم فيها درجات بحسب إيمانهم وإخلاصهم، وسبقهم وإحسانهم، وطيب أعمالهم^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٥ - ٧٦]، فقد أورثوا الجنان العالية؛ بصعودهم إلى العلياء بمخالفتهم لأهواء نفوسهم، ومحبوباتها بعزيمة ماضية، وإرادة قوية^(٢).

إنهم تركوا التمتع بما حُرِّمَ عليهم من الخمر والحريير والذهب والفضة فجوزوا به في الجنة قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، كما يُطَافُ عليهم بآنية الفضة والأكواب التي اجتمع فيها صفاء القَوَارِيرِ^(٣) وبياض الفضة^(٤).

إنهم فيها مجتمعون مُغْتَبِطُونَ^(٥) بتألف وتقابل، مُتَكَوِّنُونَ على السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر، جالسون جلوس الملوك على الأسرة، على رَفْرَفٍ^(٦) تَسْرُّ الناظر بألوانها وكثرتها، وحسن تنظيمها؛ فالسرر كثيرة مرفوعة ومصفوفة، وبَطَائِنٍ^(٧) فُرُشِهَا من الإِسْتَبْرَقِ^(٨) أحسن الحرير وأفخره، وإذا كان هذا ما خفي منها فكيف حال ما ظهر مما يلي بشرقهم؟! إنها بهيئة حسنة المنظر، مع نعومة الملمس^(٩).

-
- (١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٨٣، والبحر المحيط ١٠/٧٠، وتفسير القرآن العظيم ٧/٥٠٦.
 (٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/٣٦٣، وتفسير القرآن العظيم ٨/١١.
 (٣) القَوَارِيرُ: الزُّجَاجُ، جمع قارورة. ينظر: المفردات، مادة: (قَرَر) ص ٦٦٣، وبيان المعاني ٢/٣٣١.
 (٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/٢١، ونزهة القلوب ص ٣٨٠، والنكت في القرآن الكريم ص ٥٣١.
 (٥) الغِبْطَةُ: حسن الحال، ودوام المسرة والخير، وتمني حصول مثل ما عند الآخرين من نعمة من غير زوالها عنهم. ينظر: جوهرة اللغة، مادة: (غَبَطَ) ١/٣٥٨، ومقاييس اللغة ٤/٤١٠، والتعريفات ص ١٦١.
 (٦) الرَفْرَفُ: رياض الحنّة، أو الفرش، والمَحَاسِبُ. ينظر: مجمل اللغة، مادة: (رَفَفَ) ص ٣٦٨.
 (٧) البَطَائِنُ: ما بَطَّنَ من الثوب، وأخفي. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة، مادة: (بَطَّنَ) ص ٤٤١.
 (٨) الإِسْتَبْرَقُ: فارسي معرب، وهو ما غلظ من الثياب المزينة. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/٥٦٩، ولسان العرب، مادة: (بَرَقَ) ٦/١٠٧.
 (٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٣١.

وأما النَّمَارِقُ^(١)، والزَّرَائِبِي^(٢) فَمَبْثُوتَةٌ^(٣) ومصفوفة على شكل مُنَسَّقٍ بهيج.

إنهم يُلبسون أفاخر ألبسة الحريرِ الحُضْر؛ من السُّنْدُسِ^(٤)، والإِسْتَبْرَقِ، ويَحْلَوْنَ أنواع الحلي من الذهب والفضة واللؤلؤ^(٥)، ﴿نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]؛ إكرامًا وجزاء لهم، وإلا فكسوتهم ليست دفعًا لعريِّ اعتراضهم، وليس أكلهم عن جوع ألمِّ بهم، ولا شربهم عن ظمأ أصابهم، ولا تطيبهم عن تنن علق بهم، وإنما لذات متوالية، ونعم متتابعة، ولمَّا اجتمع لهم هذا النعيم لم يبق إلا التَّفَكُّه بِالْحُورِ^(٦) العَيْنِ^(٧)، الخَيْرَاتِ الحِسانِ اللاتي كملت أوصافهن، وخلقهن وأخلاقهن، وجمعن من جمال الصورة ما يسلب العقول فيشبهن في الصِّفَاءِ وَاللِّمَعَانِ اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتِ^(٨) وَالْمَرْجَانِ^(٩)، وباللونِ بالبَيْضِ الْمَكْنُونِ^(١٠) الذي لم يُغير صفاء لونه ضوء الشمس، ولا عبث الأيدي، وأنه لم يطمئن^(١١) ولم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان، كما لم يُمس البيض الذي داخل القشر^(١٢)، وهن الأبيكار، المحبوسات في خيام اللؤلؤ، العاربات^(١٣) اللاتي أعددن أنفسهن لأزواجهن، وقصرن الطرفَ عليهم من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهم لهم، فلم ترتفع أنظارهن لغيرهم، كما قصرن

(١) النَّمَارِقُ: الوسائد. ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٢٩٦، واللغات في القرآن ص ٥٤.

(٢) الزَّرَائِبِي: البُسْط. ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٢٩٦، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٥.

(٣) الْمَبْثُوتَةُ: الكثيرة المتفرقة المبسوطة. ينظر: مجاز القرآن ١ / ٦٢، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص ٣٤٢.

(٤) السُّنْدُسُ: فارسي مُعَرَّبٌ، وهو: رقيق الثياب المزيَّنة. ينظر: العين، مادة: (سندس) ٧ / ٣٤١، وغريب القرآن لابن

قتيبة ص ٢٦٧، وتهذيب اللغة ١٣ / ١٠٦، والنكت في القرآن الكريم ص ٥٣٢.

(٥) اللَّوْلُؤُ: ما عَظُمَ من حَبِّ الدُّرِّ التي من أصداف البحر. ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٢٤٤.

(٦) الْحُورَاءُ: شديدة بياض العين وسوادها. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٣.

(٧) الْعَيْنُ: واسعات العيون. ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ٣ / ٥١٣.

(٨) الْيَاقُوتُ: حجر عزيز، وضاء. ينظر: معترك الأقران ٣ / ٤٢٣.

(٩) الْمَرْجَانُ: صغار اللؤلؤ. ينظر: تهذيب اللغة، مادة: (مرج) ١١ / ١٧٥، والمفردات ص ٧٦٤.

(١٠) الْمَكْنُونُ: المصون. ينظر: معاني القرآن للفراء ١ / ١٥٣، ومجاز القرآن ٢ / ١٧٠.

(١١) الطَّمْتُ: التُّكاح بالتَّدْمِيَةِ. ينظر: العين ٧ / ٤١٢، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ١١٩.

(١٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩ / ٥٤١، وتأويل مشكل القرآن ص ٥٥.

(١٣) الْعَرُوبُ: الْمُتَحَبِّبَةُ إلى زوجها. ينظر: مجاز القرآن ٢ / ٢٥١، وتهذيب اللغة ٢ / ٢٢٠.

طُرْفَ الأزواج عليهن من حسنهن وجمالهن^(١).

يخدمهم الولدان الذين أنشأهم الله لخدمتهم، الذين هم في غاية من الجمال والكمال في وجوههم ولباسهم وحُليهم، فهم في الحسن والصفاء والانتشار كاللؤلؤ المنشور^(٢).

إنه وعد صادق يأتي ثمرة من ثمار الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩]، فلهم حالة طيبة، ومرجع حسن، بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، والفرح وقرة العين، وأن أطيب الأشياء في كل الأمور حاصل لهم، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة^(٣).

فمنة الله عليهم عظيمة، وفضله وكرمه وجوده عليهم واسع، وهم مقرون بذلك عندما يتزاورون ويجتمعون في مجالسهم الطيبة؛ فيتحدثون عما كان في الدنيا، وعن أهل الشر الذين شكَّوهم في الإيمان ودعوهم إلى الكفران، ويحمدون ربهم أن أذهب عنهم الحزن، وصدَّقهم وعده، وأورثهم جنته، قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧١٥.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٥٦٥، وتفسير السمعاني ٦ / ١٢٠، وتفسير الرازي ٣٠ / ٧٥٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٣ / ٣١٦، وتفسير القرآن العظيم ٤ / ٤٥٥، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤١٨.

الخاتمة

وتشتمل على ما يلي:

أولاً: أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

ثانياً: مجموعة من التوصيات التي يوصي بها الباحث.

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

- بفضل من الله ومنته توصل الباحث في رسالته عن الخبيث والطيب إلى النتائج التالية :
- ١ - الخبيث : اسم جامع لكل ما عرف في الشرع، والعقل قبحه وفساده؛ من المعتقدات والأقوال، والأفعال، والأعيان، والصفات، والأشخاص، والمطعومات، وغيرها.
 - وأما الطيبُ فهو: اسم جامع لكل ما عرف في الشرع، والعقل حسنه؛ من المعتقدات، والأقوال، والأفعال، والأعيان، والصفات، والأشخاص، والمطعومات، وغيرها.
 - ٢ - إن مبدأ التمييز، ونفي المساواة بين الخبيث والطيب منهج درج عليه القرآن الكريم ووضحه غاية التوضيح؛ حتى لا يحصل لبس، ولا خلط بينهما.
 - وقد ميز الله بينهما بالوحي، والحن والمصائب، وإرسال الرسل، وتشريع الأحكام، والتقوى، وبإبليس وأعوانه، فظهر الحق لكل ذي عينين، واتضح سبيل المجرمين الخبيثين؛ بالتمييز يتطهر الصف من الخبيثين الذين في قلوبهم مرض، وتُعرف العداوة بين الفريقين، وتنكشف ألعوبة بعض المتسمين بأسماء الإسلام، وهم الخبيثاء الساعون لتذويب المسلم في خبثهم، وتمييع ولائه لربه ودينه، وإخوانه المسلمين.
 - ٣ - ألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم عديدة، وذات دلالات ومعانٍ متنوعة، وتحمل إشارات وتبيلات لطيفة في صيغها، وسياقها، وتعالج قضايا ومواضيع مختلفة ترغيباً وترهيباً، وأمرًا ونهيًا؛ مما يُكوّن أثرًا بالغًا في نفس من تدبرها وعقلها، ومما يدعو للوقوف عندها بتأمل واعتبار، واستجابة لمضامينها، وتسليم تام لمرتها.
 - ٤ - بعد تتبع، وحصر ألفاظ الخبيث والطيب الصريحة في القرآن الكريم تبين أن العدد الإجمالي لألفاظ الخبيث ستة عشر لفظًا، أما الطيب فخمسون لفظًا.
 - ٥ - يتقدم لفظ الخبيث على الطيب؛ ليقع فعل الميز عليه، ويُعلم أنه المطرَح والملقى لردائه؛ فإن الميز يقع على الأدون والأهون.

٦ - الطيب والخبيث لفظان عامان شاملان لكل المعاني التي يدلان عليها، فلا يصرفان عن هذا العموم والشمول إلا بدليل، فهما ينطبقان على كل طيب وخبيث، من الأفكار والأقوال، والأعمال والأشخاص، وهما أيضاً صفتان، تطلقان على كل شيء؛ من الأقوال، والأفعال، والمبادئ، والأفكار، والممارسات، والتصرفات.

٧ - هناك ألفاظ تشارك لفظ (الخَبِيث) في معنى من معانيه أو تقاربه، ومنها السوء، والسيئ، والمسيء، والفحشاء، والفاحشة، والفواحش، والنَّجِس، والرَّجَس، والمنكر، والزَّيْد.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى خبث أعمال، وأقوال، وأشخاص، وغيرها، مما يُقطع يقيناً بخبثها؛ لما تلبست به من مخالفة لخالقها؛ فالمنافقون، والكافرون، والمشركون خبيثاء، وهم شر الدواب، وشر البرية.

٨ - وهناك ألفاظ تشارك لفظ (الطَّيِّب)؛ في معنى من معانيه، ويتبين ذلك من كلام المفسرين؛ وذلك بالنص على أنه يدل على الطيب، أو من خلال الوصف، أو الثواب والجزاء، أو يكون اللفظ على وزن أفعل التفضيل، أو سيق من أجل المبالغة في الحسن والخيرية، أو الطُّهر، وغيرها مما يدل على شيء محبوب مرغوب فيه، أو ممدوح؛ فالمسلمون والمؤمنون، وأهل التقى والصدق، ومن رضي الله عنهم كلهم طيبون، ومستحقون لوصف الطيب، وهم خير البرية، وموعودون بالجنات، والبركات، والخيرات.

٩ - لألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم معانٍ عديدة، ووجوه متنوعة؛ بناء على ما ورد من آثار، وما يفهم من أسباب التزول، وما يتضح من سياق الآيات، ودلالة اللغة، وما نُقل عن أئمة التفسير، والذين تحدثوا عن الوجوه والنظائر، على اختلاف فيما بينهم في عددها، ومعانيها، ونظائرها، مما يعني أن هذه الأوجه اجتهاد قابل للأخذ والرد، ما لم يستند شيء منها إلى نص معتبر، وكثير منها صحيحة، إلا أن الاختلاف يأتي عند التطبيق؛ فمنهم من يحمل هذه الآية على هذا الوجه، والآخر يحملها على وجه آخر، علماً أن كثيراً منها مما يندرج تحت التفسير بالمثال، وليست وجهاً مغايراً لا تدل عليه الآية.

١٠ - من العلماء من اجتهد فحصر ألفاظ الخبيث في عدد من الأوجه، ومنهم من أشار إليها من غير حصر، فتشملت الرديء والمنافق، والكافر، والمحرم، ويأتي الخبيث كناية عن

إتيان الرجال شهوة من دون النساء، وبمعنى الأفعال الرديئة، وكل باطل في الاعتقاد؛ من الكفر والشرك والنفاق، والكذب في المقال، والقبیح في الفعال، والأعمال الفاسدة، وما تقرر في العقول السليمة والطباع خبيثة وقذارته، وما لا يوافق النفوس السليمة، والفطر الأصيلة، والعقول الصحيحة؛ من المحظورات، والمطعومات، والمشروبات، كما يشمل الخبيث كل كلمة قبيحة؛ من كفر، وكذب ونميمة، ولعن، وشتيم، وغير ذلك.

١١ - كما أن للطيب في القرآن الكريم معاني منها: الحلال، والمُن والسَّلوى، والشحوم واللحوم، والذبائح، والغنيمة، والكلام الحسن، والجيد، والخيار، والزكّي، وجميع الأرزاق والأقوات واللذائذ، والمؤمن، والطاهر، والضعيف، وسماحة النفس ورضاها.

١٢ - ويتلخص من ضوابط الخبيث أنه شامل لكل ما حرمه الله ﷻ، أو ذم فاعله، أو لعنه، أو مقته أو مقت فاعله، أو قاتله، أو نفى محبته، أو نفى الرضا به، وعن فاعله، أو شبهه بالبهائم، أو بالشياطين، أو نسبة إلى عمل الشيطان وتزيينه، وتوليه لفاعله، أو أخير ﷻ أنه لا يكلم فاعله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزيكه، أو أعلم عن تلاعن فاعليه في الآخرة، وتبرئ بعضهم من بعض.

ويُعرف الخبيث بوصف الله له بخبث، أو رجس، أو نجس، أو بكونه فسقاً، أو إثماً أو وصفه بصفة ذم؛ مثل : كونه ظلماً أو بغياً، أو عدواناً، أو ضلالة، أو أنه ليس من الله ورسوله في شيء، أو وصف فاعله بأنه عدو لله أو أن الله عدوه.

ويكون الخبيث بما جعله الله ﷻ سبباً لدم، أو ضلالة، أو معصية، أو لعن، أو غضب أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو قسوة، أو خزي، أو لعداوة الله، أو لمحاربتة، أو للاستهزاء به وسخريته، أو جعله الرب ﷻ سبباً لنسيان فاعله في الآخرة، أو خيبتة عاجلاً أو آجلاً، أو جعل اجتنابه سبباً للفلاح، أو كان فعله سبباً لإيقاع العداوة، والبغضاء بين المسلمين، أو سبباً لإزاغة الله قلب فاعله، وصرفه عن آياته، وفهم كلامه، كما يكون الخبيث لكل عمل يمنع من الهدى، أو القبول، أو يؤدي إلى الحرمان من الجنة، أو الإبعاد، والطرده منها.

١٣ - ويتلخص من ضوابط الطيب أن كل ما دل الدليل على مشروعيته فهو طيب، ومن ذلك ما أباحه الله ﷻ، وامتن به على عباده، أو عظمه، أو مدحه، أو وصفه بالطيب أو البركة، أو الحسن، أو رتب عليه الثواب عاجلاً أو آجلاً، بالحجة، أو الرضا، أو الشكر، والذكر لعبده، وتبشيره له الكرامة والمغفرة، والإرضاء، والنصرة، والأمن، وغير ذلك من أنواع الكرامات، فهذه كلها من الطيبات.

١٤ - عرض القرآن الكريم لعدد من الأشرار اتسموا بالخبث والأذى؛ مصرحاً بأسماء البعض، ومبهماً آخرين عرفوا من أسباب التزول، والروايات؛ مما يجعل المسلم في وعي مستمر، ودراية من حالهم، وأعمالهم، وأنه لا ينفع الإنسان إلا عمله الصالح، وليس حسبه أو نسبه أو ماله، ولا يضره إلا ما اكتسبت نفسه.

١٥ - من الأموال الخبيثة التي جاء النص عليها بالتحريم، والتغليظ، وبيان شناعتها، ورداءتها وخبثها: الأموال الربوية، وأخذ شيء من صداق الزوجة ظلماً، والأموال المسروقة، والغلول من المغنم، وأكل أموال اليتامى، والأموال المكنوزة؛ التي لم تخرج زكاتها.

١٦ - نهي القرآن الكريم عن عدد من الأطعمة الخبيثة؛ صيانة لنا عن كل مستقذر ضار، منها: المَيْتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أُهْلَ به لغير الله، وأم الخبائث الحمر، وما تقرر خبثه عقلاً، وشرعاً.

١٧ - الأصل في الأراضي والأماكن الطهر والطيب، إلا ما أصابها نجاسة، وقد توصف بالخبث والسوء؛ لانتشار المعاصي بين أهلها وتماديهم بالكفر والطغيان، ومنها: مساكن قوم عاد بالأحقاف، ومساكن أصحاب الحجر، والقرية التي كانت تعمل الخبائث، وأرض مدين، وخسف بابل، ومسجد الضرار، والنار التي توعد الله بها الكافرين، والمشركين والمنافقين.

١٨ - الأقوال الخبيثة الصادرة من أهل الكفر، والضلال كثيرة، هدفها معارضة الحق، وصد الناس عنه، وتشويه سمعة أهله، والقائمين به بشتى الوسائل؛ لذا حرص الكافرون والمشركون والمنافقون، جماعات وفرادى على تنوع الأقوال الخبيثة؛ تعبيراً عن بغضهم وإبائهم، ومن ذلك: القول على الله بغير علم، ومقولات الإباء، والاستكبار، والأقوال التي فيها أذية لله ﷻ ورسله، وعباده المؤمنين.

- ١٩ - هناك أفعال خبيثة سيئة عظيمة، حذر الله منها في كتابه، وامتدح المجتنبين لها؛ كالشُّرك بالله ﷻ، والسَّحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا، وعمل قوم لوط.
- ٢٠ - تحدث القرآن الكريم عن أنواع من الطيبات؛ شملت مجموعة من الناس، والأموال، والمطعمات والأماكن، والأقوال، والأفعال وغيرها من عموم خلق الله الحكيم.
- ٢١ - أثنى القرآن الكريم على مجموعة من الطيبين الأخيار، ومنهم: الأنبياء والرسل ﷺ ولُقمان الحكيم، ومؤمن آل فرعون، وآسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، والخضر العليل، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وأبو بكر الصديق، وأم المؤمنين عائشة الطيبة المطيبة، وزيد بن حارثة ﷺ، وذو القرنين رحمة الله.
- ٢٢ - طلب المال الحلال الطيب أمر مشروع، ومما أباحه الله لعباده وطيبه لهم: الأموال المكتسبة من البيع، أو الخارج من الأرض، أو الجهاد، أو النكاح، وما خلا من الحرام والمشتبهات.
- ٢٣ - أباح الله ﷻ لعباده الطيبات، وجعلها أكثر من المحرم، وأمرهم بالأكل منها، وجعل تمتع المؤمنين بالطيبات من الرزق في الدنيا لا يمنع من اختصاصهم بها يوم القيامة.
- ٢٤ - ميز الله بعض الأماكن وفضلها على بعض، فخصها بخصائص تظهر طيبها، ومترلتها بالتقديس والتطهير، وخصوصيتها بالعبادة، والتشريف، والبركة، والاحترام والأحكام، كالمسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، ومسجد قباء، ووادي طوى، والبيت المعمور، ومساكن الجنة، وقصورها الطيبة، وغرفها المنبئة، وخيامها العجيبة.
- ٢٥ - أرشدنا القرآن المجيد إلى عدد من الأقوال الطيبة الحسنة، السديدة؛ لتتربى عليها قولا وعملا، وسلوكا، ومن ذلك: الكلمة الطيبة؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والقول الحسن، وكل كلام طيب لطيف، مرضي عند الله ﷻ، والتحية الطيبة، والباقيات الصالحات التي يبقى ثوابهن، ويدوم جزاؤهن.
- ٢٦ - أبرز القرآن الكريم أفعالا طيبة، محبوبة عند الله، ومرغوبة لدى عباد الرحمن، فكانت من أوضح صفاتهم، وعلامة على تميزهم، ومن ذلك: إقامة الصلاة، والإعراض عن اللغو، وفعل الزكاة، وحفظ الفروج من الحرام، ورعاية الأمانة والعهد، وإقامة الشهادة، وكظم الغيظ والعفو، والتوبة والتطهر.

٢٧ - لفت القرآن الكريم الأنظار إلى مجموعة من المخلوقات، واصفاً لها بالحسن والطيب، وعظيم النفع، وكثرة البركة والفضل، مع الحث على الاستفادة منها فيما يقرب إلى الله، وما يوثق الصلة بخالقها؛ كالصعيد الطيب، والريح الطيبة، والملائكة الكرام.

٢٨ - تحدث القرآن الكريم عن عدد من الأوقات الفاضلة الطيبة، التي لها مزية عن غيرها في الفضل؛ كشهر رمضان، وليلته المباركة، والأشهر الأربعة الحرم، وأشهر الحج، وعشره المباركة، ويوم النحر، يوم الحج الأكبر، والأيام المعدودات.

٢٩ - أشار القرآن الكريم إلى عدد من الأسباب الخبيثة التي تبعد عن الله وأوليائه، وتقرب من الشيطان وحزبه، فمنعت من الخير والفلاح، وسببت الشر، وحلول العذاب، وأورثت الشقاء، وحرمت من الطيبات، وأوصلت إلى الخبائث، منها: الكفر، والشرك، والنفاق، وعدم القيام بالتكاليف الشرعية، والظلم، ونقض الميثاق، وقتل الأنبياء بغير حق، والصد عن سبيل الله، وأخذ الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وما يُؤدِّي إلى الضرر في الدين، أو البدن، أو العقل؛ وما يكون سبباً للعداوة، والبغضاء، كالخمر والميسر، وما فيه قذارة، وخبث، أو نجاسة.

٣٠ - من حكمة الله ﷻ، ورحمته أن بين في كتابه أسباباً مباركة طيبة، توصل إلى المطالب العالية، وتحقق السعادة في الدنيا والآخرة؛ وحينما يعرض القرآن الكريم جزاء المؤمنين فإن يعلل ذلك بأسباب طيبة عظيمة أوصلتهم - برحمة الله - إلى ما يرضونه، وينعمون فيه من طيبات الدنيا والآخرة، وقد يجمل، وقد يفصل فيها، وأصل هذه الأسباب الإيمان، والعمل الصالح من الأقوال والأفعال وكل ما فيه طاعة، وقربة إلى الله ﷻ، حسبما قرره الشريعة.

٣١ - أساليب القرآن الكريم، في معالجة القضايا كثيرة ومتعددة، وصور بلاغته تتعدد بتعدد تلك الأساليب وتنوعها، ولا يخفى أن للأسلوب أثراً في الفهم، والوضوح، وبلوغ المراد؛ مما يجعل الكلام يتميز عن غيره مما هو معتاد، وكان للقرآن الكريم أسلوبه الفريد؛ في حديثه عن الخبيث والطيب من خلال عرضه لأمثلته، وأمره ونهيه، وقرنه بين الوعد، والوعيد، والمدح، والذم، وغيرها من الطرق المؤثرة والمعجزة، ومع التنوع في توجيه الخطاب، والتصريح، والتلميح، وحشد المرغبات، والمنفرات، وضرب الأمثال المشوقة، التي توصل المعاني إلى القلوب بأيسر السبل وأبينها.

٣٢ - للخبيث آثار سيئة منها: الحرمان من نعيم الدنيا، وحصول العداوة، والبغضاء، والبعد عن طاعة الله ﷻ، وحصول الرعب، والخوف، والرَّان على القلب، والحْتَم، والطَّبَع عليه، وعمى البصيرة، والبعد عن الهدى، وموالاته الشيطان، والوقوع في أسره، وسجن شهواته، وقيود هواه، وسُقوط جاهه ومترلته وكرامته، وسلبه أسماء المدح، والشرف، واستبدالها بأسماء الذم، والصغار؛ كالفاجر، والمجرم، والعاصي، والمسيء والمفسد والخبيث، والزاني، واللوطي، والسارق، والخائن، وغيرها من أسماء الفسوق، والخبث، بل إن الذلة، والصغار، والهوان تلاحقه، وتنتقل من باطنه إلى ظاهره، فتعلوه كآبة وظلمة، وسواد في الوجه، ويُحرم الرزق، أو من بركته، ويصاب بالمعيشة الضيقة، والمتاعب وتعسر الأمور، وحلول العذاب الدنيوي، واللُّعْن، والبعد عن المغفرة والرحمة، واللَّوْمُ والتَّوْبِيخُ، ويشعر بالندم والحسرة، ويقع بين أهل الخبائث التلاعن والمعاداة، بعد أن كانوا أصحاباً يجمعهم الكفر والفسق، والتناصر على الخبث، والتسابق في إشاعته، ويضاعف العذاب ويشتد لرؤساء الضلالة، وأئمة الخبث الفَجْرَةَ جزاءً وفاقاً، وتسود وجوههم وتعذب، وتعمى أبصارهم، ويفضحون بجرائمهم أما الخلائق يوم القيامة، حينما يحملون الأوزار، والغُلُول، وتطوق الأعناق بالأموال التي لم تخرج زكاتها، ويفوقهم خير الآخرة وطيباتها، ويكون مأواهم النار، التي هي عذاب الله الذي يعذب فيها أعداءه، وهي سجن الخبيثين، والخزي العظيم، والخسران المبين، وشر الأمكنة، وأحبثها.

٣٣ - وللطيب آثار منها: الحياة الطيبة الشاملة لجميع وجوه الرِّاحة، وحصول الثبات على الحق والربط على القلوب، والحفظ والعناية الربانية، والوقاية من الفواحش والمنكرات، والعفو والمغفرة، والرحمة، والود والمحبة الإلهية وفي قلوب العباد، ويتحقق الأمن والراحة والطمأنينة، وتآلف القلوب، واجتماع الكلمة، ويدافع الله عنهم أهل الشرور والعدي والفساد، وتكون لهم القوة والمهابة، ويتحقق لهم النصر، والفتح الاستخلاف، والتَّمَكِين والعز والشرف، وينعمون بالبركات، والخيرات، وفيضان الأرزاق وكثرتها، ويظهر أثر نعيمهم على وجوههم، ويكون لهم الشاء الجميل، والذِّكْر الطَّيِّب، ولهم البِشَارَةُ بِكَرَامَةِ اللَّهِ، ودخول الجنَّة ومساكنها الطيبة، ويساقون إليها بإعزاز وإكرام، ويُلقون التحية والسلام.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بعدد من التوصيات التالية:

- ١ - يوصي الباحث بأهمية التمييز بين الخبيث والطيب في جميع المجالات، والتنبه إلى مراعاة ذلك في جميع شؤون الحياة؛ في العقائد، والأفكار، والمناهج، والمآكل، والمشارب، والكلام، واللباس، والأسماء، والمعاملات، والزيارات، والأماكن، وغيرها.
- ٢ - يُذكَرُ الباحث من كانت لديه حاسة التمييز أن الله ﷻ قد وهبه نوراً في طريقه، وبصيرة في قلبه، يستحسن بها الحسن، ويستقبح القبيح، فلا تختلط عليه المفاهيم، مهما حاول الخبثاء لبسها وطمسها؛ ولذلك عليه أن يؤدي زكاة هذه الموهبة ببذل الجهد والوسع في بيان الطيبات؛ من المعتقدات، والأقوال، والأفعال، والمناهج، والإرشاد إلى سبل الهداية بالطرق الحكيمة، والوسائل النافعة، وأن يكون ذلك هدفاً جليلاً، وغاية مبتغاة، يسعى لتحقيقها، وترسيخها.
- ٣ - يحث الباحث على محاصرة الخبيث عن الانتشار، وإحكام الرقابة عليه، ومدافعة أهله ومجادلتهم، وفضح مخططاتهم الخبيثة، كل في مجاله، وحسب قدرته؛ من خلال المراكز والدراسات المتخصصة، ووسائل الاتصالات وبث المعلومات، وما يستجد من وسائل نافعة.
- ٤ - ينبغي على القادرين مزاحمة الخبيث وأهله؛ بالدخول في المجالات، والأعمال التي يمكن من خلالها التأثير، والنفع الأعم، واستغلال الوسائل الحديثة لنشر المواد الطيبة؛ ليحلّ الطيب مكان الخبيث، أو يقلل منه؛ وبذلك يندحر أهل الشرور والخبيث، وتنسد نافذة الفساد، وينغلق الباب الذي يلج من خلاله الخبثاء، وتنطمس منابع سمومهم الخبيثة.
- ٥ - يوصي الباحث بالتخطيط السليم، والمساهمة الجادة في وضع، ونشر البدائل الشرعية، ورسم النماذج الطيبة، التي تقي من الخبيث، وتساهم في البناء والتنمية.
- ٦ - هذه الرسالة مساهمة في فتح الباب للباحثين؛ ليستكملوا جوانب هذا الموضوع في عدد من الرسائل؛ من خلال الاطلاع على الفصل الثالث والرابع في أنواع الخبيث والطيب في القرآن الكريم؛ فكل مبحث فيهما يحتاج إلى توسع وبسط، ومن أوتي بصيرة بكتاب الله، واطلاعاً في كتب التفسير، وجدّ مادة علمية متينة كافية، وسبيل نفع عظيم لأمته.

هذا ما تيسر كتابته في موضوع هذه الرسالة، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وفضل منه وحده، وإن وقعت في خطأ فأبني أستغفر الله منه.

وفي الختام أسأل الله أن يوفقنا في جميع الأعمال لما يرضيه، وأن يجعل عملنا صالحاً، ولوجهه خالصاً.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

وتشتمل على الفهارس الآتية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريف.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس الغريب.

خامساً: فهرس الأماكن.

سادساً: فهرس المصادر والمراجع.

سابعاً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٧٦	٤	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾	البقرة
١٤٦	٨	﴿ءَامِنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	البقرة
١٤٦	٩	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	البقرة
٣٤٩	١٠	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾	البقرة
٨٣	١٥	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	البقرة
٢٢٠ ٤٤٠	٢٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾	البقرة
١٥٩ ٢٥٦	٢٩	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	البقرة
٢١١	٣٤	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾	البقرة
٦٥ ٢٥٨	٥٧	﴿وَوَهَبْنَا عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْ قَبْلِهَا بِيوتًا لِلنَّاسِ لِيَذُكُرُوا بِآيَاتِنَا وَلِيَذَّكَّرَ أَقْسَمًا وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾	البقرة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٥٧	٨٨	﴿وَقَالُوا أَفَلَوْا بِنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾	البقرة
١٩٠	٩٣	﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾	البقرة
٣٥٤	١٠٠	﴿وَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا تَبَدَّهٖ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	البقرة
٢٠٠	١٠٢	﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾	البقرة
٢٩٦	١٠٦	﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّثْلَهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾	البقرة
٩٢	١٢٠	﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾	البقرة
٢٧٩	١٢٥	﴿وَعَاهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	البقرة
٢٨٠	١٢٥	﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾	البقرة
٢٧٦	١٢٦	﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾	البقرة
٣٧٥	١٣٦	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾	البقرة
٣٣	١٤٣	﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾	البقرة
٣١	١٥٥	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	البقرة
٢٨١	١٥٨	﴿إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمُرْوَةَ مِنَ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة
٤٦٦	١٦١	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾	البقرة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦٦)	
٤٤،٤٢ ٦٣،٤٧ ٢١٤ ٣٩٢	١٦٩-١٦٨	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (١٦٩)	البقرة
٤١،٢٢ ٦٣ ١١٧ ٣٩٣	١٧٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢)	البقرة
١٦٥	١٧٣	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾	البقرة
٤٧٩	١٧٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ سُنًّا قَلِيلًا أَوْلِيَّكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤)	البقرة
٣٧٥	١٧٧	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾	البقرة
٢٠٤	١٧٩	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩)	البقرة
٣١٧	١٨٧	﴿هَن لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ﴾	البقرة
١٤٨	١٨٨	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾	البقرة
٣٦٧	١٩٥	﴿تَلْعَلُوا لَا يَبْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	البقرة
١٠٣ ٤٣٣ ٢٨٢	١٩٥	﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٢٨٢	١٩٨	﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾	البقرة
٢٨٢	١٩٩	﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	البقرة
١٩٠	٢٠٠	﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾	البقرة
١٩٢	٢١٢	﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	البقرة
٣٠	٢١٤	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾	البقرة
٣٤٣	٢١٧	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾	البقرة
١٦٨	٢١٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾	البقرة
١٠٤ ٤٣٣	٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	البقرة
١٥١	٢٢٩	﴿وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	البقرة
٥٠	٢٣٢	﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ آزَكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٢٨	٢٥١	﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾	البقرة
١٣٧	٢٥٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِيمَ فِي رِيهٖ أَن ۖ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾	البقرة
٤٤٣	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة
٣٨٨	٢٦٤	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَأُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ۗ مِمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾	البقرة
٤٤٤	٢٦٥	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ۗ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	البقرة
٣٧، ١٤ ٦٨، ٥٦ ٢٤٩ ٣٩٧ ٤٠١	٢٦٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾	البقرة
٢١٤ ٤٢٤	٢٦٨	﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾	البقرة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٧٧ ١٢٥ ١٤٩ ١٥١ ٢٤٨ ٤٥١	٢٧٦-٢٧٥	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّادِقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾	البقرة
٣١٢	٢٧٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾	البقرة
٧٨ ٤٥١	٢٧٩-٢٧٨	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُورٌ وَمُؤْمِنَاتُكُمْ لَا تَحِلُّ لَكُمْ وَلَا تَحِلُّ لِهِنَّ وَإِن لَّمْ يَكُنَّ عِدَّتُهُمْ شَهَادَةً عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْ قَبْلِهِمْ ﴿٢٧٩﴾﴾	البقرة
٣٢١	٢٨٣	﴿وَلَا تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فإِنَّهُ ءِثْمُ قَلْبِهِ﴾	البقرة
٣٧٢	٢٨٥	﴿ءَا مَنَ الرُّسُولُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	البقرة
٣٦٦	٢٨٦	﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾	البقرة
٥٠٣	٢٦	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾	آل عمران
٤١٦	٢٨	﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾	آل عمران
٤٦	٣٠	﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾	آل عمران

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٠٤	٣٤	﴿الَّذِينَ يُفِيقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤)	آل عمران
٤٢، ٢٣ ٩٩، ٦٩ ١٢١	٣٨	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٨)	آل عمران
٣٥٨	٤٢	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢)	آل عمران
٢٣٧	٤٣	﴿يَمْرِيئُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣)	آل عمران
٢٢٨	٤٥	﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	آل عمران
١٩٧	٦٧	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧)	آل عمران
٣٦٣	٧٥	﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)	آل عمران
٨٤ ٤٧٤	٧٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	آل عمران
١٩٠	٨١	﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	آل عمران
٨٢	٩١	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَقْتَدَى بِهِ﴾	آل عمران
٣٦٥	٩٣	﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٣)	آل عمران
١٠١	٩٦	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦) فيه	آل عمران

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٢٧٧		ءَايَاتُ يَبْنِتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ	
		الْبَيْتِ مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾	
٢٨٠	٩٧	﴿ فِيهِ ءَايَاتُ يَبْنِتُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾	آل عمران
٤٩٣	١٠٣	﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ	آل عمران
		كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ	
		مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾	
٤٧١	١٠٦	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ	آل عمران
		بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿	
١٩٨	١١٦	﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿	آل عمران
٤٤٢	١١٧	﴿ مِثْلَ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ	آل عمران
		حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ ۗ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن	
		أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾	
٩٢	١١٩	﴿ هَتَأْتُمْ ءُؤْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ۗ وَإِذَا لِقَاكُمْ	آل عمران
		قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتَا	
		بِعَيْطِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾	
١٠٣	١٣٤	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ	آل عمران
٣٢٣		وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾	
٣٢٦	١٣٥	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا	آل عمران
		لذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ	
		يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾	
٤٣٨	١٣٦	﴿ وَأُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا	آل عمران
٤٩٣			

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿الَّذِينَ خَلَدُوا فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ (١٣٦)	
٣٣	١٤٠	﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَجٌ مِّنَ الْقَوْمِ فَارْحُوهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	آل عمران
٤٥٤	١٥١	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾	آل عمران
١٥٣ ٤٧٣	١٦١	﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦١)	آل عمران
٤٢٥	١٦٢	﴿أَفَمَن آتَبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٦٢)	آل عمران
١٠٣	١٧٠-١٦٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠)	آل عمران
٥٨، ٢٨ ٧١ ٤٠٧	١٧٩	﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	آل عمران
٤٧٣	١٨٠	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٨٠)	آل عمران
١٨٧	١٨٣	﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا ءَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي	آل عمران

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾	
١١٨	١	﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾	النساء
٢٢، ١٤ ٦٤، ٥٩ ١٥٦ ٤٠١	٢	﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾	النساء
٤٢، ٢٢ ٦٤ ١٢١ ١٢٢ ٣١٨ ٣٩٨	٣	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾	النساء
٤٢، ٢٢ ٧٢ ٢٥٣	٤	﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَادِقِينَ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾﴾	النساء
١٥٧	٦	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾	النساء
٤٨٨	٩	﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾	النساء
٦٠ ١٥٧ ٤٧٩	١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾	النساء

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤٦	١٧	﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾	النساء
١٥١	٢١-٢٠	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِثِينَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾	النساء
٧٧ ١١٦ ٤٢٧	٢٢	﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	النساء
٧٧ ٣٦٧ ٤٠١ ٤٥٢	٣٠-٢٩	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾	النساء
٤٦٨	٤٢	﴿سُوءَى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾	النساء
١٦٨	٤٣	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾	النساء
٢٣ ٧١ ٣٣١	٤٣	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لِمَسَمٍ أَلْسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾	النساء
١٩٧	٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾	النساء
٣١٩	٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	النساء
٥٤	٥٩	﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	النساء

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		يَكُنِ اللَّهُ لِعَافِرِهِمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٩﴾	
٥٠٤	١٣٩	﴿أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾	النساء
٣٨٨	١٤٢	﴿رَأَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	النساء
٤٦	١٤٨	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾	النساء
٣٥٥ ٣٧٦	١٥٠-١٥١	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾	النساء
١٩٠	١٥٣	﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةَ﴾	النساء
٦٦ ٣٥٣ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٤ ٤٥٠	١٥٤-١٦١	﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بِهَتْنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٩﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَتَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٦٠﴾ فِظَلَمِ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦١﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾	النساء
٣٢٠	١	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	المائدة
٧٦ ١٦٠	٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئْتَةُ وَالْدَّمُ وَالْحَمُّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾	المائدة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٦٢ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ٢٨٢ ٣٦٨		وَالْمُنْحَقَّةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴿١﴾	
٢٢ ٦٦ ٤٤ ١٢٣ ٢٦٠ ٢٦١ ٤١٠	٥-٤	﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مَكَلِبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَخْذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾	المائدة
٣٢٢	٨	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾	المائدة
٨٠	١٣	﴿فِيمَا نَفَضِهِم مِّثْقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾	المائدة
٢٨٧	٢١	﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾	المائدة
٢٠٣	٣٠	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ﴾	المائدة
٢٠٤ ٣٥٦	٣٢	﴿مِنَ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ	المائدة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٣٣﴾	
١٥٣ ٢٠٤	٣٣	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾	المائدة
٨٥ ١٥٢ ٤٥٢	٣٨	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾	المائدة
١٥٥	٤٢	﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ﴿٤٢﴾﴾	المائدة
١٠٥	٤٢	﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾	المائدة
١٦٥	٦٠	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّعًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾	المائدة
١٥٥ ٣٦٣ ٤٢٦	٦٢-٦٣	﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُم الرِّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾	المائدة
٤٩٧	٦٧	﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾	المائدة
١٩٨	٧٢	﴿قَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَبِّي وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾	المائدة
٣٢٧	٧٤	﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾	المائدة
٢٣٨	٧٥	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴿٧٥﴾﴾	المائدة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿وَأُمَّهُ صِدِيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَانِ الطَّعَامِ﴾	
٣٨٦	٨١	﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا أَخَذْنَاهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَئِن كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾	المائدة
٤٤، ٢٢ ٩٥ ٣٩٩	٨٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	المائدة
٣٩٣	٨٨	﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ﴾	المائدة
٨١، ٤٨ ٨٩ ١٠٩ ١٦٩ ٣٧١ ٣٩٧ ٤١١ ٤٥٣	٩٠-٩١	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾	المائدة
٢٧٨	٩٥	﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾	المائدة
١٦١	٩٦	﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلنَّاسِ﴾	المائدة
١٦٠	٩٦	﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾	المائدة
٢٧٨	٩٧	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾	المائدة
١٣ ٤٤، ٢٣ ٦٤، ٦٠	١٠٠	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْتِي أَوْلِيَ الْآلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾	المائدة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٨١			
٤٠٥			
٣٢١	١٠٦	﴿وَلَا تَكْفُرْ شَهَادَةَ اللَّهِ إِذَا دَأْبُ مِنَ الْأَثِمِينَ﴾	المائدة
٢٠٠	١١٠	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	المائدة
١٠٥	١١٩	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	المائدة
١٩٢	١٠	﴿وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتُ رُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ﴾	الأنعام
٩٢	١٩	﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	الأنعام
٣٦٠	٢٦	﴿وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	الأنعام
٤٧٢	٣١	﴿يَحْسَرْنَآ عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَنْزِرُونَ﴾	الأنعام
٤٨	٤٥	﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾	الأنعام
٣٠٥	٥٤	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾	الأنعام
٣٣	٥٥	﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْقَهُونَ﴾	الأنعام
٣١٢	٧٢	﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾	الأنعام
١٢٨	٧٤	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَاكَ اتَّخَذْتَ أَصْنَامًا ؕ الْهٖةَ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	الأنعام
٩٢	٧٨	﴿يَنْقُومِ إِيَّايَ بِرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	الأنعام
٤٩٦	٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ﴾	الأنعام

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢)	
٢٢٤	٨٦-٨٣	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦)	الأنعام
١٩٧	٨٨	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	الأنعام
٤٦٥	٩٣	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (٩٣) ﴿يَوْمَ يُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣)	الأنعام
٤٦٦	٩٤	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ (٩٤) ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٩٤)	الأنعام
٢٦٤	٩٩	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ﴾ (٩٩) ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (٩٩) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٩)	الأنعام
٢٩٩	١٠٨	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	الأنعام
١٦٦	١١٨	﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٨)	الأنعام
١٥٩	١١٩	﴿وَقَدْ فَضَّلْنَا لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ﴾	الأنعام

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٦٦	١٢١	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾	الأنعام
٣٥٠ ٤٦٥	١٢٤	﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٤)	الأنعام
٤٥٧	١٢٩	﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٩)	الأنعام
٧٧	١٤٠	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	الأنعام
٨٧	١٤١	﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾	الأنعام
٨٩ ١٠٨ ١٥٩ ١٦٣ ٣٧٠	١٤٥	﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥)	الأنعام
٦٦ ١٥٩ ٣٦٤	١٤٦	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾	الأنعام
٤٧ ٧٦ ٢٠٥	١٥١	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ وَاللَّيْلِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلْتُمْ إِنَّهُنَّ نُرُوقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	الأنعام
١٦٥ ٣٧٤	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الأنعام
١١٨	١٦٥	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلْفَ الْأَرْضِ﴾	الأنعام

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٦١	٨	﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	الأعراف
٢١٢	١٧-١٦	﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَاتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾	الأعراف
٤٧ ١٨٧	٢٨	﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَنْتُمُ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف
٦٤، ٢٢ ١٥٩ ٢٥٧ ٤١٠	٣٢	﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	الأعراف
١٨٧	٣٣	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾﴾	الأعراف
٤٦٩	٣٨	﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأُؤْتِنْتُمْ رَبَّنَا هَذَا أَهْلُؤُنَا أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف
٨٠	٤٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾	الأعراف
٢٦٦	٥٧	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾	الأعراف

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٨،٢٣ ٥٩،٤٣ ٨٩،٧١ ١٧٤ ٢٧٤ ٤٤٢	٥٨	﴿وَأَبْلُدُ الْأَطْيَبِ يُخْرَجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾	الأعراف
١٩١	٦٠	﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾	الأعراف
١٧٥	٦٥	﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾	الأعراف
١٩١	٦٦	﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾	الأعراف
٤٣٤	٦٨	﴿أَتَلْفُكُمُ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾	الأعراف
١٧٥	٦٩	﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾	الأعراف
١٧٧	٧٦	﴿إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾	الأعراف
١٨٨	٧٧	﴿وَقَالُوا لَيُصْلِحُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾	الأعراف
٨٦،٦١ ٢٠٨ ٢٠٩	٨١-٨٠	﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾	الأعراف
٢٠٩	٨٢	﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهُرُونَ ﴿٨٢﴾﴾	الأعراف
٤٦١	٨٤	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾	الأعراف
١٨١	٨٦-٨٥	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴿٨٥﴾﴾	الأعراف

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾	
٤٥٨ ٥٠٥	٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَدَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾	الأعراف
٣٠	١١٧	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾	الأعراف
٥٠٢	١٢٨	﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾	الأعراف
٥٠٢	١٢٩	﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدَّتَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾	الأعراف
٢٠٠	١٣٢	﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ يَمُومِينَ ﴿١٣٢﴾﴾	الأعراف
٤٦٢	١٣٣	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾	الأعراف
٢٨٨	١٣٧	﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴿١٣٧﴾﴾	الأعراف
١٣١ ٤٦٥	١٥٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾	الأعراف
٦١، ١٣ ٧٥، ٧٠	١٥٧	﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ	الأعراف

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٩٥،٩٣ ١٠٨ ١٦٩ ٣٦٧ ٣٦٩		الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِنَّ الْخَبِيثَاتِ ﴿١٠٨﴾	
٣٩٢	١٦٠	﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾	الأعراف
٤٦	١٦٥	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَهَجَّوْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾	الأعراف
١٣٥ ٢١٧ ٤٣١ ٤٤٤	١٧٥-١٧٦	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾	الأعراف
٣٧٥	١٨٠	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾	الأعراف
٢١٧	٢٠٠	﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾	الأعراف
٢١٦	٢٠١	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾	الأعراف

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٣٧	٢٠٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾	الأعراف
٢٦٧	١١	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْتُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّطَهْرِكُمْ بِهِ، وَيَذْهَبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ﴿١١﴾	الأنفال
٤٠٦	١٩	﴿وَلَنْ تُغْنِيَ فِتْنَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الأنفال
٣٦٥	٢٥	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٥﴾	الأنفال
٦٧، ٢٢ ٣٩٤ ٤٠٦	٢٦	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظِفَكُمُ النَّاسُ فَنَاقُواكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	الأنفال
٣١٩	٢٧	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخَوْنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾	الأنفال
٣٤ ٤٨٨	٢٩	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	الأنفال
١٨٩	٣٢	﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾	الأنفال
٤٨٧	٣٣	﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾	الأنفال
٣٦٠	٣٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا	الأنفال

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْسِرُونَ﴾ (٣٦)	
٢٣، ١٣ ٥٨، ٢٨ ٧١	٣٧	﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾	الأنفال
٣٢٧	٣٨	﴿إِن يَنْتَهُوا يُعَفِّرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	الأنفال
٣٤	٤٢	﴿لَيْهَلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيُخَيِّئَ مَن حَىٰ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الأنفال
١٩٣	٤٩	﴿إِذ يَكْفُرُ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَوَالَاءُ دِينَهُمْ﴾	الأنفال
٤٧٠	٥٠	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيحُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠)	الأنفال
٤٩٤	٦٣	﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَتِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٣)	الأنفال
٦٧ ٢٥٢	٦٩	﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	الأنفال
٩٢	٣	﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾	التوبة
٣١٢	١٨	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أَوْلِيَّكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (١٨)	التوبة
٢٩٥	٢٤	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾	التوبة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤)	
٨٩، ٤٧ ٢٠٩	٢٨	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾	التوبة
١٩٠	٣٠	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠)	التوبة
١٩٧	٣١	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	التوبة
١٥٨ ٣٦٠ ٤٧٤	٣٥-٣٤	﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣٥)	التوبة
٣٤٤	٣٦	﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦)	التوبة
٢٤١	٤٠	﴿ إِلَّا نَصْرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٠)	التوبة
١٤٧	٤٩	﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلَا يُفْتَنِي ﴾	التوبة
٨٢	٥٤-٥٣	﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا	التوبة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		فَلَسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾	
١٤٧ ١٩٢	٦١	﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾	التوبة
٣٥٠	٦٥-٦٦	﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾	التوبة
٨٣ ١٤٧	٦٧	﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	التوبة
٤١٦ ٤٧٩	٦٨	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٦٨﴾﴾	التوبة
٦٨، ٢٣ ٢٩٤ ٤٢٢ ٥١٠	٧٢	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾	التوبة
١٤٧	٧٥-٧٧	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾	التوبة
٨٣	٧٩	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾	التوبة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٩٢		وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾	
٨٢	٨٤	﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾	التوبة
٨٩	٩٥	﴿ إِنَّهُمْ رَجَسٌ ﴾	التوبة
٢٤١ ٤٣٨	١٠٠	﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾	التوبة
٣٣٠	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾	التوبة
٣٢٧	١٠٤	﴿ التَّوَابُ الرَّجِيمُ ﴾	التوبة
١٨٥	١٠٧	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	التوبة
١٨٥	١٠٨	﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾	التوبة
١٠٤ ١٨٥ ٢٨٦ ٢٨٩ ٣٢٩	١٠٩-١٠٨	﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى اللَّهِ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾	التوبة
٨٢	١١٣	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾	التوبة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٩٠ ١٢٨	١١٤	﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾	التوبة
٤٣٤	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾	التوبة
١٧٣	٤	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾	يونس
٧٢ ٣٣٥ ٣٣٣	٢٢	﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ يَمِّمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُبْجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾	يونس
٤٦٥ ٤٧١	٢٧	﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	يونس
٢٩	٢٨	﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴾	يونس
١٠٣	٦٤	﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾	يونس
٣٢٩	٩١	﴿ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾	يونس
٦٦	٩٣	﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾	يونس
٤٩١	٩٨	﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾	يونس
٤٩٩	١٠٣	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾	يونس
٣٨٩	١٥	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا	هود

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٨٩		لَا يَبْخُسُونَ ﴿١٥﴾	
٤٤١	٢٤	﴿مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مِثْلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾	هود
١٨٨	٣٢	﴿قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَّا بِيَمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾	هود
١٣٤	٤٢	﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾	هود
١٣٣	٤٥	﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾	هود
١٣٣	٤٦	﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾	هود
١٠١	٤٨	﴿أَهِيْطُ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبِرَكْتٍ عَلَيْكَ﴾	هود
٤٩٩	٥٢	﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾	هود
٩٢	٥٤	﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾	هود
٤٦٠	٦٠	﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بَعْدَ لَعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ ﴿٦٠﴾	هود
١١٨ ١٧٧	٦١	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ ﴿٦١﴾	هود
١٧٧	٦٤	﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿٦٤﴾	هود
١٧٨	٦٥	﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ ﴿٦٥﴾	هود

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٠٤	٧٣	﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾	هود
٤٣٤	٧٥	﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾	هود
١٣٤	٨١	﴿وَلَا يَلْفَنَّتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَتَ اللَّهُ مُصِيبًا مَا أَصَابَهُمْ ﴿٨١﴾﴾	هود
١٨٢	٨٧	﴿أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِيهِ أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُ أَنْتَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾	هود
٥٣	٨٨	﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾	هود
١٨٢ ٢٣١	٨٩	﴿وَيَنْفَوِرَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾	هود
١٩١	٩٠	﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩٠﴾﴾	هود
١٨٢	٩١	﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾	هود
١٨٣ ٤٦١	٩٤	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٩٤﴾﴾	هود
٤٢٨	٩٨	﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾	هود
٣٦٣	٢١	﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾	يوسف
٥٠٤	٢٣	﴿مَعَاذَ اللَّهِ ﴿٢٣﴾﴾	يوسف
٤٨٩	٢٤	﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ ﴿٢٤﴾﴾	يوسف

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾	
٣٣٨ ٤٣٥	٣١	﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾	يوسف
٤٤١	٣٩	﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	يوسف
٢٠٦	٥١	﴿مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾	يوسف
٤٠٦	١٠٣	﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	يوسف
٣٧٤	١٠٦	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾	يوسف
٤٩	١٧	﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾	الرعد
٣٢٠ ٣٢٤ ٣٧٩	٢٢-١٩	﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفِضُونَ الْعَيْثُقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾	الرعد
٤٢٠، ٢٣ ٧٠ ١٠٣ ٣٨٥ ٥١٣	٢٩	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُ ﴿٢٩﴾﴾	الرعد
١٧٧	٩	﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾	إبراهيم
٤٢١	١٤	﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾	إبراهيم

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿وَحَافٍ وَعِيدٍ﴾ (١٤)	
١٧٣ ٤١٨	١٧-١٦	﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمَ وَسُقِيَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١٦) ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (١٧)	إبراهيم
٢١٦ ٤٢٤	٢٢	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢)	إبراهيم
٢٢٠، ١٤ ٥٩، ٣٨ ١٠٠ ٢٢١ ٢٩٧ ٤٠٩ ٤٤٠	٢٦-٢٤	﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥) ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢٦)	إبراهيم
٤٨٥	٢٧	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧)	إبراهيم
٢٧٧	٣٧	﴿فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾	إبراهيم
٣٧١	١٥	﴿إِنَّمَا سَكَّرْتُمْ أَبْصَارَنَا﴾	الحجر
٣٣٣	٢٢	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾	الحجر

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤٧٦	٤٤	﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾	الحجر
١٨٠	٧٤-٧٣	﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن سَجِيلٍ ﴿٧٤﴾﴾	الحجر
١٧٦	٨٠	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾﴾	الحجر
١٧٨	٨٤	﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	الحجر
٣٢٥	٨٥	﴿فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾	الحجر
١٣٦	٩٥	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾	الحجر
١٨٣	٢٦	﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاتَىٰ اللَّهُ بُيُوتَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾	النحل
١٨٦	٢٩	﴿فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾	النحل
٤٢٠، ٢٣٣ ٧١ ٣٠٥ ٣٧٩ ٣٨٣ ٥٠٧	٣٢	﴿الَّذِينَ نُوْقِفُهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ طٰٓيِبِينَ يَقُولُوْنَ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوْا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿٣٢﴾﴾	النحل
٤٦٤	٣٣	﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلٰكِنْ كَانُوْا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴿٣٣﴾﴾	النحل
٢٣٨	٤٣	﴿وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ اِلَّا رِجَالًا﴾	النحل
٤٢٧	٥٩-٥٨	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِنِي مِن الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾	النحل

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٢١٣	٦٣	﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ وَلِيَهُم يَوْمَ وَيَوْمَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾	النحل
٢٦٩	٦٦	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾	النحل
١٦٨ ٢٦٣	٦٧	﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾	النحل
٢٦٨	٦٨-٦٩	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾	النحل
٦٩ ٤١٠	٧٢	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَكُونُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ وَرِزْقًا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَا لِبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾	النحل
٤٧٠	٨٨	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾	النحل
٥٣	٩٦	﴿ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾	النحل
٦٤ ١٠٠ ٣١١ ٣٨٤ ٤٢١ ٤٨١	٩٧	﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾	النحل
٩١	٩٨	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾	النحل

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٢١٦	٩٩-١٠٠	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾	النحل
٤٨٦	١٠٢	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾	النحل
٧٩	١٠٦	﴿ وَلَٰكِنَّ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾	النحل
٤٥٤	١١٢	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾	النحل
٣٩٣	١١٤	﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾	النحل
١٨٨	١١٦	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾	النحل
٣٦٤	١١٨	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾	النحل
٥٣	١٢٥	﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٢٥﴾	النحل
٣٢٤	١٢٦	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴿١٢٦﴾	النحل
٣٢٤	١٢٦	﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾	النحل
١٠١	١	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى	الإسراء

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٢٨٥ ٢٨٧		الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لِنُذِكرَهُ لِيُذِكرَهُ مِنْ بَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾	
٤٦٢	١٦	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾	الإسراء
٤١٩	١٧	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾	الإسراء
٣٨٨	١٩-١٨	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾	الإسراء
٨٦	٢٧	﴿إِنَّ الْمُبَدْرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾	الإسراء
١٢٠ ٢٠٥	٣١	﴿وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خَطَاكُمْ كَبِيرًا﴾	الإسراء
٢٠٧ ٣٥٢ ٤٠٣	٣٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾	الإسراء
٣٢٠ ٤٠٢	٣٤	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾	الإسراء
٤٢٧	٣٨	﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾	الإسراء
١٩٠	٤٠	﴿أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾	الإسراء
٥٢ ٢٩٩	٥٣	﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾	الإسراء
٢١١	٦١	﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾	الإسراء

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء	﴿وَأَسْتَفِرِّزُ مِنَ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخِيلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	٢١٥
الإسراء	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾	٦٥	٢١٦
الإسراء	﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾	٦٩	٣٣٣
الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾	٧٠	٧٠ ٩٤
الإسراء	﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾	٧٢	٤٧٢
الإسراء	﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾	٧٤	٤٨٦
الإسراء	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾	٧٨	٣٤٠
الإسراء	﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبِكَمَا وَصَّمَا مَا وَنَهْمُ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾	٩٧	٤٧٢
الكهف	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾	١٣	٤٨٣
الكهف	﴿فَاتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾	١٩	٥١ ٢٥٦
الكهف	﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	١٧٢
الكهف	﴿نَعَمْ الثَّوَابُ وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا﴾	٣١	٥١٢
الكهف	﴿نَذَرُوهُ الرِّيحَ﴾	٤٥	٣٣٣

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٥٤ ٣٠٦	٤٦	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾﴾	الكهف
٢١١	٥٠	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾	الكهف
٣٢٧	٥٨	﴿الْغُفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴿٥٨﴾﴾	الكهف
٢٣٨	٦٥	﴿ءَايَاتُهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾	الكهف
٢٣٩	٦٦	﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾	الكهف
٢٣٩ ٤٨٦	٨٢	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾	الكهف
٢٤٥	٨٣	﴿سَاتِلُوا عَلَيَّكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾	الكهف
٢٤٦	٩١	﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾	الكهف
١٣٢	٩٤	﴿قَالُوا يَبْنَؤُا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾	الكهف
٤٧٥	١٠٦-١٠٣	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾	الكهف
٤٣٥	٧	﴿يُنزَكِرِيَا إِنَّا نَبِّشُرُكَ بِعَلْمٍ أَسْمُهُ يَجِيءُ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾	مریم
٢٢٨	١٥-١٢	﴿يَجِيءُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَايَاتُهُ الْخُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ	مریم

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		لَدْنَا وَزَكَاةً وَكَانَتْ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾	
٢٣٧	١٦	﴿وَأَذْكُرِي فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾	مریم
٣٣٨	١٧	﴿بَشْرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾	مریم
٢٣٧	١٨	﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾	مریم
٤٣٥	١٩	﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾	مریم
٢٦٢	٢٥	﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجُنْحِ النَّخْلَةِ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾	مریم
٣٥٨ ٢٠٦	٢٨-٢٧	﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾	مریم
١٠١ ٤٣٤	٣١	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾	مریم
٢٢٥	٤٩	﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾	مریم
٥٠٧	٥٠	﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾	مریم
٢٩٢	٥٢	﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾	مریم
٢٢٩	٥٥-٥٤	﴿وَأَذْكُرِي فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾	مریم
٣٤٠	٦٤	﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴿٦٤﴾﴾	مریم
٤٦٩	٦٩-٦٨	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾﴾	مریم
٥٤	٧٦	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ	مریم

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٠٦		رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾	
١٤٣	٨٠-٧٧	﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴿٨٠﴾﴾	مريم
١٩١	٩٢-٨٨	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾	مريم
٤٩٤	٩٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾	مريم
٢٩١	١٢	﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاطْلِعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾	طه
٣٠٥	٤٧	﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى ﴿٤٧﴾﴾	طه
٨١	٦١	﴿وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾﴾	طه
٢٠٠	٦٦	﴿يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى ﴿٦٦﴾﴾	طه
٨١	٦٩	﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾	طه
٥١١	٧٦-٧٥	﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾﴾	طه
٣٩٢	٨١	﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾﴾	طه
١٣١	٩١	﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَدِيْفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾﴾	طه
١٣١	٩٦-٩٥	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴿٩٦﴾﴾	طه

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿١٦﴾	
١٣١	٩٧	﴿ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ نُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾	طه
٤٧٢	١٠٢	﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾	طه
٣٨٥	١١٢	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾	طه
٤١٥	١١٣	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾	طه
٤٥٩ ٤٧٢	١٢٤-١٢٧	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشْدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ ﴾	طه
٥٠٤	١٠	﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	الأنبياء
٣٤١	٢٠	﴿ يَسْجُدُونَ لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	الأنبياء
٣٧٧	٢٣	﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	الأنبياء
١٩٦ ٣٧٤	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾	الأنبياء
٤٣٦	٢٧-٢٦	﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	الأنبياء
٣٤١	٢٨	﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	الأنبياء

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٢٢	٥١	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾	الأنبياء
٢٨٨	٧١	﴿وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾	الأنبياء
١٣ ٦١، ٣٨ ٩٠ ١٨٠ ٢٠٨ ٢٠٩	٧٤	﴿وَلُوطًا إِذِ انبأَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾	الأنبياء
٢٨٨	٨١	﴿وَأَسْلَمْنَا نَاصِرَةً وَرَأَيْنَا الْأَشْقَاتِ ﴿٨١﴾﴾	الأنبياء
٢٣٠	٨٥	﴿وَأَسْمِعِمْ وَأَذِّنْ لِقَوْمٍ ذُو أَلْبَانٍ ﴿٨٥﴾﴾	الأنبياء
٢٢٩	٨٨-٨٧	﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُسَبِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾	الأنبياء
٩٧	٩٠	﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾	الأنبياء
٢٣٧ ٣٥٧	٩١	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾	الأنبياء
١٣٣	٩٦	﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كَلَّ حَدِيثِ يَنْسُلُونَ ﴿٩٦﴾﴾	الأنبياء
٢١٥	٤	﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَآتَهُ، يُضِلُّهُ، وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾	الحج
٤٥٨	١٨	﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾	الحج

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤٦٥			
١٧٣	١٩	﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾	الحج
٦٨ ٣٠٠ ٤٨٣	٢٤	﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾	الحج
٢٧٥	٢٥	﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَامِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾	الحج
٩٨، ٤٩ ١٩٤ ٤٢٦	٣٠	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾	الحج
٩٨	٣٢	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْتِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	الحج
٤٩٧	٣٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانِ كَفُورٍ﴾	الحج
٥٠٠	٤٠	﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَتْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾	الحج
١٣٨	٤٢-٤٤	﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾	الحج
١٨٦	٧٢	﴿قُلْ أَفَأُنذِرُكُمْ بِشَرِّ مِنَ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّنَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾	الحج
٢٢٠	٧٣	﴿بَيَّأَتْهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾﴾	الحج

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٦٦	٧٨	﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	الحج
٣١٢	٢-١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾	المؤمنون
٣١٤	٣	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾	المؤمنون
٣١٥	٤	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾	المؤمنون
٣١٦	٧-٥	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾	المؤمنون
٣١٩	٨	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾	المؤمنون
٣١٣	٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾	المؤمنون
٢٦٢	١٩	﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾﴾	المؤمنون
٢٦٣	٢٠	﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهَبِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾﴾	المؤمنون
٣٩٤	٥١	﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	المؤمنون
٩١	٩٨-٩٧	﴿وَقُلْ رَبِّ اعْوِذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾	المؤمنون
٨٥ ٢٠٧	٢	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	النور
٢٠٧	٣	﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾	النور

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٨٥	٤	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ أَفْسِقُونَ﴾	النور
١٤٥	١١	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	النور
٤١٦	١٤	﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	النور
٤٠	١٦	﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾	النور
٤٧	١٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	النور
٢٤٢ ٣٢٤	٢٢	﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	النور
١٤٠٢٣ ٣٩٠٣٨ ٤٣٠٤١ ٥٧٠٦٨ ٧٢ ٢٠٧ ٢٤٣ ٣٠١ ٤٣٤	٢٦	﴿الْمُحْسِنَاتُ لِلْحَيْثِينِ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	النور
٥١	٢٨	﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آزِجُوا فَآزِجُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾	النور

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٥٢ ٣١٨ ٣٩٨	٣٠-٣١	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾﴾	النور
٢٠٦	٣٣	﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّبِنْعُوٓا عَرْضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾	النور
١٠١ ٢٦٣	٣٥	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾	النور
٢٨٣	٣٦	﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾	النور
١٠٦	٥١	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾	النور
٤٢١ ٥٠٢	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾	النور
١٨٦	٥٧	﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾	النور
٦٩ ١٠٢ ٣٠٢	٦١	﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾	النور

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٨٦	٦	﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً وَمُقَامًا ﴾ (٦٦)	الفرقان
٢٩٥	١٠	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴾ (١٠)	الفرقان
٣٤٢	٢٢	﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴾	الفرقان
٣٧٨	٢٣	﴿ وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٢٣)	الفرقان
١٢١	٥٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾	الفرقان
٣١٤	٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٦٣)	الفرقان
٤٣٥			
٤٢٥	٦٦	﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً وَمُقَامًا ﴾ (٦٦)	الفرقان
١٩٦	٦٨	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٦٨)	الفرقان
٢٠٥			
٢٠٦			
٤٧٩			
٣٢١	٧٢	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾	الفرقان
٣١٤	٧٢	﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٧٢)	الفرقان
٤٤٩	-٥٧ ٥٩	﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾	الشعراء
٥٠٧	٨٤	﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٨٤)	الشعراء
٤٢٨	١٠٥	﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نَبِيَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٠٥)	الشعراء
٢٠٠	١٥٣	﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴾	الشعراء
١٧٧	١٥٥	﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ (١٥٥)	الشعراء

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٧٨	١٥٨	﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٨)	الشعراء
٦١	١٦٥	﴿آتَاوُنَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	الشعراء
١٨٩	١٨٧	﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧)	الشعراء
٤٢٨	٢٢٦-٢٢٤	﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) ﴿لَمَّا تَرَأَتْهُمُ فِي كُلِّ وَادٍ يَبْتَهِيمُونَ﴾ (٢٢٥) ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٢٦)	الشعراء
٥٠٤	٣٧	﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	النمل
١٧٧	٤٥	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥)	النمل
١٣٦	٤٨	﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾	النمل
٦١	٥٥-٥٤	﴿آتَاوُنَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٥٤) ﴿أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ (٥٥)	النمل
٣٣٠	٥٦	﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ بَاطِلُونَ﴾	النمل
١٢٩	٨	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِعِينَ﴾	القصص
٢٣٦	٩	﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾	القصص
٨٧	١٥	﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾	القصص
٢٠٢			
٣٢٧	١٦	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾	القصص
٢٣٥	٢٠	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ﴾	القصص

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		بِكُمْ لِقَاتُكُمْ فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ التَّصْحِيحِ ﴿٢٠﴾	
٢٣١	٢٣	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾	القصص
١٢٩	٣٩	﴿وَأَسْتَكْبَرُوا وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾	القصص
٢٩٢ ١٢٩	٣٠-٢٩	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوِسَ إِلَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾	القصص
٧٩ ٤٢٨	٤٢	﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾	القصص
٣٢٤	٥٤	﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمَا يَرْزُقْنَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾	القصص
٣١٤ ٣٨٠	٥٥	﴿وَإِذَا سَجَعُوا اللَّغْوَ اعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾	القصص
٢٧٦	٥٧	﴿إِنْ تَبِعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُخَطِّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴿٥٧﴾﴾	القصص
٢٧٦	٥٧	﴿أُولَٰئِكَ نُمَكِّنْ لَهُمْ حُرْمًا ءَامِنًا يُجْئِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾	القصص
٤١٩	٥٨	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ	القصص

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿سُكِّنَ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥٨)	
١٣٠ ٤٦٢	٨١	﴿خَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٨١)	القصص
٣١	٢	﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	العنكبوت
١٩٧ ٤٦٩	٢٥	﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِثْنًا مِمَّن دُونِ اللَّهِ أَتُوتُونَنَا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَالِكُمْ مِنَ النَّاصِرِينَ﴾	العنكبوت
١٨٠ ٤٩ ١٨٨	٢٩-٢٨	﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) ﴿أَيُّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَنَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٩)	العنكبوت
١٣٤	٣٣	﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٣)	العنكبوت
١٨٠	٣٤	﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣٤)	العنكبوت
١٨١	٣٥	﴿آيَةٌ بَيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٥)	العنكبوت
١٧٨	٣٨	﴿وَعَادُوا وَتَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَرَثَتِهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾	العنكبوت
٤٦٢	٤٠	﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ	العنكبوت

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾	
٤٩٠	٤٥	﴿ أَنْتَلِّمَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾	العنكبوت
٢٩٩	٤٦	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْقِيَمَةِ أَوْ حَسَنًا ﴾	العنكبوت
٢٩	١٤	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ ﴾	الروم
١١٩	٢١	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِيَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾	الروم
٤٥٩	٤١	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾	الروم
٣٧٣	١١-١٠	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾	لقمان
٢٣٣	١٢	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾	لقمان
٢٣٣	١٣	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾	لقمان
٨٤ ٣٥١ ٤٧٨	١٤-١٢	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا	السجدة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		لَا تَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَيْنَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيتَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾	
٣٨٤	١٧	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	السجدة
٣٨٣	١٩	﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	السجدة
١٧٤	٢٦	﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾	السجدة
٢٤٤ ٣٣٠	٣٣	﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾	الأحزاب
٢٤٤	٣٧	﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾	الأحزاب
٣٠٥	٥٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾	الأحزاب
١٩٤	٥٨	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَّا أَكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِينُنَا ﴿٥٨﴾ ﴾	الأحزاب
٣٥٢	٥٩	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ	الأحزاب

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		﴿جَلِيْبِيَهِنَّ ذَلِكَ أَدَقُّ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	
٧٩ ٤٧٧	٦٤	﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أٰبَدًا لَا يُخٰدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِثْلَ مِثْلِهِمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾	الأحزاب
١٩١	٦٩	﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِيْنَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾	الأحزاب
٤٨٣	٧١-٧٠	﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾	الأحزاب
٣١٩	٧٢	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسٰنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾	الأحزاب
٢٣ ٦٩ ٨٣ ١٤١	١٧-١٥	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِيْنٍ وَشِمَالٍ كُلُوْا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوْا لَهُٗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُوْرٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوْا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِٓ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيْلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكٰفِرُوْنَ﴾	سبأ
١٨٩	١٩	﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾	سبأ
٣٤	٢١	﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظٌ﴾	سبأ
١٩٧	٢٢	﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِيْنَ رَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	سبأ

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٍ ﴿٣٣﴾	
٤٧٦	٣٣	﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾	سبأ
٢٠٠	٤٣	﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ بَعْدَ آبَائِكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ هُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾	سبأ
٣٣٧	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مُتَشَفِّعِينَ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾﴾	فاطر
٦٨، ٢٣ ٣٠١ ٥٠٣	١٠	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾﴾	فاطر
٢٦٧	١٢	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَهُ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾	فاطر
٣٩ ١٩٧	١٤	﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾	فاطر
٤٠٧	٢٢-١٩	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يُشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾	فاطر

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤٧٨	٣٧-٣٦	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾	فاطر
٧٩	٣٩	﴿ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾	فاطر
٤٦	٤٣	﴿ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾	فاطر
١٤٠	١٩-١٣	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينِ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	يس
٢٧١	٥٧	﴿ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	يس
٣٠٥	٥٨	﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾	يس
٢٩	٥٩	﴿ وَأَمْنَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾	يس
١٧٠	٨٠	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾	يس
٢٧٢	٤٧-٤٥	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾	الصفافات
١٧٠	٦٣	﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾	الصفافات
١٧٠	٦٤	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ ﴾	الصفافات

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٨٧	٦٥	﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾	الصفات
٢٢٩	١٠٢	﴿ فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾	الصفات
١٠١	١١٣	﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾	الصفات
١٨١	١٣٧-١٣٨	﴿ وَإِنَّكُمْ لَنُؤْمِنُونَ عَلَيْهِم مَّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾	الصفات
٢٦٩	١٤٦	﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَفْطِينِ ﴿١٤٦﴾ ﴾	الصفات
٣٣٨	١٦٤	﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾	الصفات
٣٤١	١٦٦	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾	الصفات
٤٣٥	١٨١	﴿ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾	الصفات
١٩١	٤	﴿ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ ﴾	ص
٤٢٨	١٢-١٤	﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَاصْحَابُ لَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْرَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾	ص
٩٧ ٤٣٣	٣٠	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾	ص
٩٧ ٤٣٣	٤٤	﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾	ص
٥٠٧	٤٥-٤٧	﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالصَّةِ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾	ص
٢٢٩	٤٨	﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾	ص
١٨٦	٥٦	﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنسِفْنَهَا فِي نَافِثَاتِ الْغَمَامِ ﴿٥٦﴾ ﴾	ص
١٧٢	٥٧	﴿ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾	ص

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٢٩٥	٢٠	﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبِينَةٌ﴾	الزمر
٢٩٦	٢٣	﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشَعُرْمَةٌ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾	الزمر
٤٣٩	٢٧	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾	الزمر
٤٤١	٢٩	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾	الزمر
٣٢٨	٣٥	﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	الزمر
٣٢٧	٥٣	﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾	الزمر
٤٧١	٦٠	﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾	الزمر
٤٩٨	٦١	﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَالِ تَتَهُمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾	الزمر
١٩٧	٦٥	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾	الزمر
٤١٨	٧١	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾	الزمر

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤٢٥	٧٢	﴿قِيلَ ادْخُلُوا ابْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٢)	الزمر
٢٣، ٤٢ ٧٢ ٣٠٥ ٤٢٣	٧٣	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٧٣)	الزمر
٥١٣ ٥١٣	٧٤	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ، وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَدْبُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾	الزمر
٣٤١	٧	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧)	غافر
٣٤٩	١٢	﴿ذَلِكُمْ بَأْسُهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ، تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٢)	غافر
٩١	٢٧	﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾	غافر
٢٣٥	٢٨	﴿أَنْقَتُلُونَ رِجَالًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾	غافر
٢٣٥	٢٨	﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي وَعَدْتُمْ﴾	غافر
٢٣٦	٢٩	﴿يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾	غافر
١٨٦	٥٢	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذرتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ (٥٢)	غافر
٧٠	٦٤	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً	غافر

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		وَصَوَّرَكُمُ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾	
٣٦٢	٢٦	﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾	فصلت
١٠٣ ٥٠٨	٣٢-٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنِّي غُفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٢﴾﴾	فصلت
٣٠٨	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾	فصلت
٥٣ ٣٠١ ٣٢٥	٣٥-٣٤	﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾	فصلت
٣٤١	٣٨	﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾	فصلت
٣٢٧	٥	﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾	الشورى
٣٧٤	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾	الشورى
٣٢٧	٢٥	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾	الشورى
٣٨١	٣٩-٣٦	﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنَّ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ	الشورى

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
		وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾	
٤٧ ٣٢٣	٣٧	﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾	الشورى
٣٢٦ ٤٩٢	٤٠	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾	الشورى
٣٧٧	٥٢	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾	الشورى
٤٥٦	٣٦	﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾	الزخرف
٤٥٧	٣٨	﴿يَبْلِغْتَنِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾	الزخرف
٤١٩	٥٦	﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾	الزخرف
٥١١ ٢٧١	٧١	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۗ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۗ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾	الزخرف
٣٨٤	٧٢	﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾	الزخرف
٢٧١	٧٣	﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾	الزخرف
٣٢٢	٨٦	﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾	الزخرف
١٠٢ ٣٤٣	٣	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبْرَكَةِ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾	الدخان
٨٦	٣١	﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾	الدخان
١٤١	٣٧	﴿أَهْمٌ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾	الدخان

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٧٢ ٤١٨	٤٦-٤٥	﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾	الدخان
٦٦	١٦	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	الجنات
٨٤	٣٤	﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَخُكُمْ مَا نَسَخْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾	الجنات
٥٣	١٦	﴿أَحْسِنَ مَا عَمِلُوا﴾	الأحقاف
٧٠، ٤١ ٢٥٦ ٣٥٠ ٤١٤ ٤٦٧ ٤٧٤	٢٠	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْ طَبِئَتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾	الأحقاف
١٧٥	٢١	﴿وَأَذْكُرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ، بِالْأَحْقَافِ﴾	الأحقاف
١٨٨	٢٢	﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	الأحقاف
٤٦٠	٢٥	﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾	الأحقاف
٤٨٥	٧	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾	محمد
٢٦٨ ٢٧١	١٥	﴿أَنْهَرُ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾	محمد
٣٥١	٢٢	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾	محمد
٤٦٦	٣٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾	محمد
٣٢١	١٠	﴿فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِوْتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾	الفتح

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤٨٧	٢٥	﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمَّ تَعَلَّمُوهُمُ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُم مَّعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾	الفتح
٤٤٥ ٥٠٦	٢٩	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾	الفتح
٤٨٣	٧	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾	الحجرات
٨٨ ١٩٣ ٤٥٨ ٤١٢ ٤٤٤	١١-١٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾	الحجرات
١٢١	١٣	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾	الحجرات
٣٨٨	١٧	﴿يَعْتُونَ عَلَيْكَ أَن أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾	الحجرات
١٠٢ ٢٦٦	٩	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾	ق

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٣٨ ١٤١ ٤٢٨	١٢-١٤	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾	ق
٤١٥	٢٠	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾	ق
٤٦٤	٣٧	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾	ق
٣٣٣ ٣٣٣	١	﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّاءُ ﴿١﴾﴾	الذاريات
٤٣٤	٢٨	﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾	الذاريات
١٨١	٣٧	﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾	الذاريات
١٧٥ ٣٣٤ ٣٣٣	٤١	﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾	الذاريات
١٩٢ ٢٠٠	٥٢	﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾﴾	الذاريات
٣٧٤	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	الذاريات
٢٩١	١	﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾﴾	الطور
٢٩٤	٤	﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾	الطور
٣٨٤ ٣٩٧	١٩	﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾	الطور
٣٣٧ ٤٣٧	٥-٦	﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾﴾	النجم
٣٣٨	١٣-١٤	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾﴾	النجم

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٢٧	٣٢	﴿وَأَسِعُ الْمَغْفِرَةَ﴾	النجم
٤٣٤	٣٧	﴿وَأَتْرَهَيْمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧)	النجم
١٧٦	٢٠	﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾	القمر
١٣٧	٢٩	﴿فَادَاؤُا صَاحِبِهِمْ فَعَاطَى فَعَقَرَ﴾	القمر
١٧٢	٤٤	﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ إِنْ﴾ (٤٤)	الرحمن
٢٧٣	٥٠	﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠)	الرحمن
٢٧٣	٦٦	﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ فَضَاخَتَانِ﴾ (٦٦)	الرحمن
٢٩٥	٧٢	﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٧٢)	الرحمن
٢٧٢	١٩-١٧	﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿يَا كُوفٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (١٨)	الواقعة
٤٤٥	٢٣-٢٢	﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٢) ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (٢٣)	الواقعة
٢٧١	٢٨	﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ (٢٨)	الواقعة
٢٧١	٢٩	﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ (٢٩)	الواقعة
٤٧٦	٥٦-٥١	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ﴾ (٥١) ﴿لَا كُفُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُورٍ﴾ (٥٢) ﴿فَالَّذِينَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (٥٣) ﴿فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ﴾ (٥٤) ﴿فَشَرِبُوا شَرْبَ الْهَمِيمِ﴾ (٥٥) ﴿هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٥٦)	الواقعة
٤٩ ١٩٤ ١٩٥	٢	﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنِ نَسَأَ بِهِمْ مَا هُمْ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾	المجادلة
٣٦١ ٤٣٠	١٦-١٤	﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوْلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤) ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥) ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٦)	المجادلة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٧٨	٢٢	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾	المجادلة
٢٤٠	٨	﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾	الحشر
٢٤٠ ٣٧٨	٩	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾	الحشر
٢١٤	١٧-١٦	﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾	الحشر
٩٢ ٤٣٦	٤	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	المتحنة
٣٨٧ ٤١٣	٣-٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾	الصف
٨٠ ٤٥٥	٥	﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	الصف
٦٩ ٣٨٣	١٣-١٠	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ عَجْرَةِ نُجُجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُجِّدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُعْتَمِرِينَ ﴿١١﴾﴾	الصف

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤١٣ ٤٢٢		يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾	
٨٩	٥	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَسْئَلُ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	الجمعة
٧٩ ١٤٧	٤	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشِبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْرُهُمْ فَتِلْكَ أُمَّةٌ يُؤْفَكُونَ﴾	المنافقون
١٤٥ ٥٠٤	٨	﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾	المنافقون
٣٢٢	٢	﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾	الطلاق
٥٠٥	٣-٢	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	الطلاق
٣٢٧	٨	﴿بِتَأْيِئِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾	التحريم
١٣٥ ٤٢٩	١٠	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتٍ نُوحٍ وَامْرَأَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾	التحريم
٢٣٦	١١	﴿رَبِّ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَحَمَّتْ لِآدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	التحريم
٢٣٧ ٣٥٨	١٢	﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَهُدًى وَبُشْرَى بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبَ فِيهَا بِحَمْدِ رَبِّهَا حَمْدًا مُبِينًا ﴿١٢﴾﴾	التحريم

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٣٥٠	٩	﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾	الملك
٤٦٨	١١-١٠	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَحَقًّا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾	الملك
٢٤٨	١٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾	الملك
٤٣٤	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾	القلم
٤٢٩	١٥-١٠	﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاظٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٌ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أُنِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأُولَىٰ ﴿١٥﴾﴾	القلم
٣٣٤	٦	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا أَهْلِهَا كَأُولَٰئِكَ لَمْ يَعْرِفُوا صِرَاطَ رَبِّهِمْ ﴿٦﴾﴾	الحاقة
٣٨٤	٢٤	﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾	الحاقة
١٧١	٣٧-٣٦	﴿وَلَا تَطْعَمُوا إِلَّا مِنْ عَشِيرٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾	الحاقة
٣٢١	١٩	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾	المعارج
٣١٣	٢٣	﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾	المعارج
٣١٦	٢٥-٢٤	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾	المعارج
٣٢١	٣٣	﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾	المعارج
٥٠٥	١٢-١٠	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾	نوح
٤٥٨	١٧-١٦	﴿وَالْوَالِدُوا اسْتَقِمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِاسْقِيْنَهُمْ مَّاءً عَدْوًا ﴿١٦﴾ لَنُقْنِصَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾	الجن

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٥٠٥	١٦	﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾	الجن
٢٨٤	١٨	﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾	الجن
٤١٦	١١	﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾	المزمل
١٧١	١٣-١٢	﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴿١٣﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢﴾﴾	المزمل
٢٤٩	٢٠	﴿وَأَخْرُونَ بَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	المزمل
٣٢٩	٤	﴿وَبِأَبِكَ فَطَهَّرَ ﴿٤﴾﴾	المدثر
٤١٦	١١	﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾	المدثر
٣٥١	٤٢	﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾﴾	المدثر
٣٥١	٤٦-٤٣	﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَكُنِ مِنَ الْمَصْلُومِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَظِيمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾	المدثر
٤٣٢	٥١-٤٩	﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مَسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾	المدثر
٢٧٢	٦-٥	﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَتْ مِرْجُهَا كَأْفُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾	الإنسان
٥٠٦	١١	﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ سُرَّ ذَلِكِ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾	الإنسان
٣٨٣	١٢	﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾	الإنسان
٢٧٣	١٨-١٧	﴿وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِرْجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾	الإنسان
٣٣٣	١	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾	المرسلات
٣٣٣	٣	﴿وَالنَّشْرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾﴾	المرسلات
٤١٧	١٥	﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾	المرسلات

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٤٤٦	٣٣-٣٢	﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٣﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفْرٌ ﴿٣٢﴾﴾	المرسلات
٣٩٢	٤٦	﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾	المرسلات
١٧٢	٢٥-٢٤	﴿لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا جَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٢٥﴾﴾	النبأ
٣٤١	٣٨	﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾	النبأ
٢٩٢	١٦	﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾	النازعات
٣٣٨	١٦	﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾	عبس
٥٠٦	٣٩	﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾	عبس
٢٠٥	٩-٨	﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾	التكوير
٣٣٨	٢٠	﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾	التكوير
٣٣٨	٢٣	﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقى الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾	التكوير
٤٥٥	١٤	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾	المطففين
٤٨٠	١٧-١٥	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾	المطففين
٤٨٢	٢٢	﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾	المطففين
٢٧٣	٢٨-٢٧	﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾	المطففين
١٣٨ ٣٢٧	١٠-٤	﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَحْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُرِّعَتْهَا فَعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾	البروج

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
١٧١	٧-٦	﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾	الغاشية
٣٤٥	٢-١	﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾	الفجر
١٧٥	٨-٦	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾	الفجر
١٧٦	٩	﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾	الفجر
٢٤٨	٢٠	﴿وَتُحْيُونَ الْمَالَ حَبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾	الفجر
٢٧٤	١	﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾﴾	البلد
١٠٤	٢١-١٧	﴿وَسَيَجْنِبُهَا الْأَنْفَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ، يَتَرَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٧﴾ وَسَوْفَ يُرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾	الليل
٤٣٦ ٥٠٧	٤	﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾	الشرح
٢٦٥ ٢٧٤	٣-١	﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾	التين
١٤٢ ٢٤٨	١٩-٦	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلْ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدِّعُ الزَّيْبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُهُ وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ﴿١٩﴾﴾	العلق
٣٤٤	٢	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾	القدر
٣٤٠	٤	﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾	القدر
١٣٩	٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾	البينة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
٥٤	٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾	البينة
٩٨	٥-١	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥﴾	العاديات
٢٤٨	٨	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾	العاديات
١٤٢	٥-١	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾	الفيل
٢٧٩	٣	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾	قريش
١٦٥	٢	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾	الكوثر
١٤٤	٣	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾	الكوثر
١٣٢	١	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾	المسد
١٤٦	٥-١	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾	المسد
١٩٩	٤	﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾	الفلق

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	الصفحة
١	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ...	٢٩٦
٢	اِذْنُوا لَهُ، مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ ...	٢٤
٣	اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ ...	٣٠٠
٤	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ ...	٥٩
٥	أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا ...	٢٨٣
٦	أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ ...	٣٠٧
٧	أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَاتَانِ وَدَمَانٍ ...	١٦١
٨	إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ ...	٤٨٤
٩	إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبِيثَ ...	١٤
١٠	اِذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلَيْكَ النَّفْرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ ...	٣٠٥
١١	أَرْبَعٌ مِنْ أَطْيَبِ الْكَلَامِ ...	٣٠٧
١٢	اسْقِهِ عَسَلًا ...	٢٦٨
١٣	أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ...	٢٥٢
١٤	أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ ...	٣١٥
١٥	أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ...	١٩٤
١٦	أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّقُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةُ يَرْحَمُهُ اللَّهُ ...	٢٤٠
١٧	التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ...	٢٥
١٨	الْحَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ ...	٢٤
١٩	الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ مِيلًا ...	٢٩٥

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٠	الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...	٣٤٤
٢١	الْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبْرِ...	٣٦٩
٢٢	الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ...	٢٥٨
٢٣	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ...	١٤
٢٤	إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ...	٢٤
٢٥	أَنَّ إِسْرَائِيلَ - يَعْقُوبَ - السَّلِيلَ مَرِضٌ مَرَضًا شَدِيدًا...	٣٦٥
٢٦	إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ...	٢٥٠
٢٧	إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ...	٣٤٦
٢٨	إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ...	٢١٢
٢٩	إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ وَضُوءُ الْمُسْلِمِ...	٣٣٢
٣٠	إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ...	٤٩٥
٣١	إِنَّ اللَّهَ وَجَّلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ...	٢٣٠
٣٢	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ...	٣٥١
٣٣	إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...	٥٦
٣٤	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا...	٤٠٣
٣٥	أَنَّ تَوْمِينَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...	٣٧٣
٣٦	أَنْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ...	١٣٦
٣٧	انْطَلَقَ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا...	١٧٤
٣٨	إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...	٢٢٠
٣٩	إِنَّهَا طَيِّبَةٌ...	٢٤

م	طرف الحديث	الصفحة
٤٠	أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ ...	٢٨٦
٤١	أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ...	٣٩٥
٤٢	ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ ...	١٦
٤٣	خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ ...	٢٥٣
٤٤	صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ ...	٢٨٦
٤٥	عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ ...	١٥
٤٦	فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ...	٢٤٩
٤٧	فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَاتٍ ...	٣٠٨
٤٨	فَإِيَّاكُمْ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ...	٢٥١
٤٩	فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ...	٢٩٤
٥٠	فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ ...	٧١
٥١	فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ...	٢٣
٥٢	فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيكَ هَدِيَّتُكَ	١٥٥
٥٣	قَرَّبُوهَا، فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ ...	٣٩٥
٥٤	قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ ...	٣٣٩
٥٥	لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا تُعَاءٌ ...	١٥٤
٥٦	لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ...	١٧٨
٥٧	لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ...	٣٠٦
٥٨	لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةٍ ...	٢٨٧
٥٩	لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا ...	٢٠٣

م	طرف الحديث	الصفحة
٦٠	لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ...	١٤٥
٦١	لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَخَذِي ثَلَاثٍ...	٢٠٤
٦٢	لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ...	٢٤٨
٦٣	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ...	٨١
٦٤	لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ...	١٥٦
٦٥	لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا...	١١٥
٦٦	لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ...	٣٨٤
٦٧	لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا...	١٤٣
٦٨	لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى عَرَفْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي...	٢٧٢
٦٩	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ...	٢٥١
٧٠	مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ...	٣٤٥
٧١	مَا أَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ...	٢٩٦
٧٢	مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَّانَتَانِ...	١٣٠
٧٣	مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ...	٢٨٦
٧٤	مَا لَكُمْ...	٢٥٩
٧٥	مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا...	١٩١
٧٦	مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ...	٢٧٢
٧٧	مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ شَيْئًا فَلَا يَقْرَبْنَا فِي الْمَسْجِدِ...	١٦
٧٨	مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ...	٢١٨

م	طرف الحديث	الصفحة
٧٩	مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا...	٣٤٤
٨٠	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ تَقَاتُلًا أَوْ لِيَصُمُتْ))	٣٠٠
٨١	مَنْ لَعِبَ بِاللُّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ الْخَنزِيرِ...	١٦٥
٨٢	مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلٍ قَوْمٍ لَوْطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ...	٢٠٩
٨٣	هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ...	٢٨٦
٨٤	هُمُ سَوَاءٌ...	١٥٠
٨٥	هُوَ مَسْجِدِكُمْ هَذَا...	٢٩٠
٨٦	وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبِيثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبِيثَ الْفِضَّةِ...	١٥
٨٧	وَجَعَلَتْ تُرْبَتَهَا لَنَا طَهُورًا...	١٧٤
٨٨	وَجَعَلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلَّهَا مَسْجِدًا...	٢٨٤
٨٩	وَجَعَلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا...	١٧٤
٩٠	وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَا سِوَاهُ...	٢٨٥
٩١	وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ...	١٦٦
٩٢	يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟...	١٥
٩٣	يَا صَبَاحَاهُ...	١٣٢
٩٤	يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ...	١٧
٩٥	يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ...	١٢٨

ثالثًا: فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
١	إِبْرَاهِيمُ عَلِيٌّ	٢٢٤
٢	أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ (أَبُو يَكْسُومِ)	٤٦٣
٣	ابن الأثير: المبارك بن محمد الشيباني الجزري (أبو السَّعَادَاتِ)	١٦
٤	ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد الملقب (أبو الفرج)	٥٥
٥	ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرْعِي	١٢٢
٦	ابن اللَّثْبِيَّةِ: عبد الله بن اللَّثْبِيَّةِ <small>رحمته الله</small>	١٥٥
٧	ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد الكِنَانِي العَسْقَلَانِي الشَّافِعِي	١٨
٨	ابن حيَّان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الغرناطي	٦٠
٩	ابن دُرَيْدٍ: محمد بن الحسن الأزدي (أبو بكر)	١٢
١٠	ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور	٥٨
١١	ابن عربي: محمد بن علي بن محمد أبو بكر الحاتمي الطائي	٢٣٩
١٢	ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي	١١
١٣	ابن قُدَامَةَ: عبد الله بن أحمد بن محمد (أبو محمد)	١٩٩
١٤	ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي (أبو الفداء)	٥٧
١٥	أبو السُّعُودِ: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	٤٠
١٦	أبو بكر الصديق <small>رحمته الله</small> : عبد الله بن أبي قُحَافَةَ واسمه عثمان بن عامر	٢٤١
١٧	أبو جَهْلٍ: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي	١٤٢
١٨	أبو حميد السَّاعِدِي <small>رحمته الله</small> : عبد الرحمن بن سعد بن عمرو الخزرجي	١٥٥
١٩	أبو ذرٍّ <small>رحمته الله</small> : جُنْدُبُ بن جُنَادَةَ بن سُفْيَانَ الغِفَارِي	٣٣٢
٢٠	أبو عَقِيلٍ: جَثَجَاتُ أو حَثَجَاتُ أو الحُبَابُ أو عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة بن بيجان الأنصاري <small>رحمته الله</small>	١٩٢
٢١	أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف	١٣١
٢٢	أبو بَصْرَةَ <small>رحمته الله</small> : حُمَيْلُ بن بَصْرَةَ بن أبي بَصْرَةَ وَقَاصُ بن حَاجِبِ الغِفَارِي	٢٩٣

م	العلم	الصفحة
٢٣	إِدْرِيسُ عَلِيٍّ	٢٣٠
٢٤	أَدَمُ عَلِيٍّ	٢٣٠
٢٥	أَرْوَى بنت حَرْبِ بنِ أُمَيَّةِ الأُمَوِيِّ (أم حَمِيلِ)	١٤٦
٢٦	أَزْرُ أبو إبراهيم عَلِيٍّ	١٢٧
٢٧	إِسْحَاقُ عَلِيٍّ	٢٢٥
٢٨	إِسْمَاعِيلُ عَلِيٍّ	٢٢٩
٢٩	أَسِيَّةُ بنت مُزَاحِمِ بنِ عُبيدِ بنِ الرِّيَّانِ	٢٣٦
٣٠	الأزهري: محمد بن أحمد الهروي (أبو منصور)	١١
٣١	الأَسْوَدُ بنِ المُطَّلِبِ القرشي	١٣٦
٣٢	الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني	٣٩
٣٣	البَعَوِيُّ: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (أبو محمد)	١٤٥
٣٤	البيجوري: إبراهيم بن محمد	٢٣٢
٣٥	التِّرْمِذِيُّ: محمد بن عيسى بن يزيد بن سَوْرَةَ (أبو عيسى)	١٦
٣٦	الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (أبو زيد)	٧٦
٣٧	الخصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (أبو بكر)	١٩٩
٣٨	الحيري: إسماعيل بن أحمد بن عبد الله النيسابوري (أبو عبد الرحمن)	٥٦
٣٩	الخطَّابي: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خَطَّابِ البُسْتِي (أبو سليمان)	١٧
٤٠	الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري	١١
٤١	الدَّمَغَانِيُّ: الحسين بن محمد (أبو عبد الله)	٥٥
٤٢	الرَّازِي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (أبو عبد الله)	١٥٦
٤٣	الراغب الأصبهاني: الحسين بن محمد بن المفضل (أبو القاسم)	٥٥
٤٤	الزَّمخشرِي: محمود بن عمر بن محمد (أبو القاسم)	١٥٠
٤٥	السَّامِرِي	١٣٠
٤٦	السُّدِّي: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الحجازي (أبو محمد)	٦٠

الصفحة	العلم	م
٢٦	السَّعْدِي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله	٤٧
٦٣	السَّمِينِ الحَلْبِي: أحمد بن يوسف بن محمد	٤٨
٤٩	الشَّوْكَانِي: محمد بن علي بن محمد	٤٩
٦٤	الضَّحَّاك بن مزاحم الهلالي الخراساني (أبو القاسم)	٥٠
٥٧	الطَّبْرِيّ: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (أبو جعفر)	٥١
١١١	الطَّيْبِي: الحسين بن محمد بن عبد الله	٥٢
١٤٣	العاص بن وائل السهمي القرشي	٥٣
٢٠١	القرافي: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي (أبو العباس)	٥٤
١٢	الليث بن المظفر بن نصر بن يسار اللغوي	٥٥
٢٥١	المقدّم بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد <small>رضي الله عنه</small>	٥٦
٢٠١	النّووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الخزامي	٥٧
٢٧٠	الواحدِي: علي بن أحمد بن محمد بن علي (أبو الحسن)	٥٨
٢٢٨	إلياس <small>عليه السلام</small>	٥٩
٢٢٩	اليسع <small>عليه السلام</small>	٦٠
٢٢٦	أيوب <small>عليه السلام</small>	٦١
١٣٤	بلعام بن باعوراء	٦٢
١٤٠	تبع: شراحيل الحميري	٦٣
١١	ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء (أبو العباس)	٦٤
١٢٨	جالوت	٦٥
١٤٣	جباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي <small>رضي الله عنه</small>	٦٦
٢٢٦	داود <small>عليه السلام</small>	٦٧
٢٣٠	ذو الكفل <small>عليه السلام</small>	٦٨
٢٢٨	زكريا <small>عليه السلام</small>	٦٩
٢٤٤	زيد بن حارثة شرحبيل الكلي (أبو أسامة) <small>رضي الله عنه</small>	٧٠

م	العلم	الصفحة
٧١	زينب بنت جحش بن رثاب الأَسَدِيَّة (أم المؤمنين)	١٥
٧٢	سبأ بن يشجب بن يعقوب بن قحطان	١٤١
٧٣	سَبْرَةُ بنُ الْفَاكِهِ المَخْزُومِي وقيل الأَسَدِي <small>رضي الله عنه</small>	٢١٢
٧٤	سَعْدُ بن مَالِك بن سِنَان بن ثَعْلَبَةَ الخَزْرَجِي <small>رضي الله عنه</small>	٢٨٦
٧٥	سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي (أبو الأعور) <small>رضي الله عنه</small>	٢٥٨
٧٦	سُلَيْمَانُ <small>رضي الله عنه</small>	٢٢٦
٧٧	سَمْرَةَ بن جُنْدُب بن هِلَال الفَزَارِي <small>رضي الله عنه</small>	٣٠٧
٧٨	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي	٣١
٧٩	شُعَيْبٌ <small>رضي الله عنه</small>	٢٣١
٨٠	صَالِحٌ <small>رضي الله عنه</small>	٢٣١
٨١	صَفْوَانُ بن المَعْطَل بن ربيعة السُّلَمِي <small>رضي الله عنه</small>	٢٤٣
٨٢	عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ (أم المؤمنين) <small>رضي الله عنها</small>	٢٤٢
٨٣	عاصم بن ثابت بن أبي الأَفْلَح <small>رضي الله عنه</small>	٤٨٨
٨٤	عبد الرحمن بن أبي بكر (عبد الله) بن عثمان القرشي <small>رضي الله عنه</small>	١٤٤
٨٥	عبد الله بن أَبِي بن سُلُولٍ	١٤٥
٨٦	عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السُّهْمِي القرشي <small>رضي الله عنه</small>	٢٧٥
٨٧	عبد الله زَمْعَةَ بن الأَسْوَد بن المَطْلَب القرشي الأَسَدِي <small>رضي الله عنه</small>	١٣٦
٨٨	عَدِي بن حَاتِم بن عبد الله بن سَعْد الطَّائِي <small>رضي الله عنه</small>	٣٠٠
٨٩	عَمَّارُ بن ياسر بن عامر بن مالك العَنْسِي <small>رضي الله عنه</small>	٢٤
٩٠	عمرو بن ميمون الأَوْدِي المَذْحِجِي اليماني	١١٤
٩١	عَيْسَى <small>رضي الله عنه</small>	٢٢٨
٩٢	فرعون: الوليد بن مصعب بن معاوية (فرعون موسى)	١٢٩
٩٣	قَارُونُ بن يَصْهَرُ بن قَاهِث بن لَأَوِي	١٣٠
٩٤	قُدَارُ بن سَالِف	١٣٥

م	العلم	الصفحة
٩٥	قُرَيْشٌ (لقب لجد النبي ﷺ الثاني عشر)	١٣١
٩٦	لُقْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٣٣
٩٧	لُوطٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٩
٩٨	مُحَمَّدٌ ﷺ	٢٣١
٩٩	محمد رشيد بن علي رضا الحسيني	٢٦
١٠٠	مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأمويُّ	١٤٤
١٠١	مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ (أبو عبد الرحمن) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٣١٥
١٠٢	مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٧
١٠٣	نُمرُودُ بْنُ كَنْعَانَ	١٣٦
١٠٤	نُوحٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٥
١٠٥	هَارُونُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٧
١٠٦	هَامَانَ	١٢٩
١٠٧	هُودٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٣١
١٠٨	يَاجُوجُ وَمَأْجُوجُ	١٣٢
١٠٩	يَحْيَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٨
١١٠	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي	١٤٤
١١١	يَعْقُوبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٥
١١٢	يُوسُفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٦
١١٣	يُونُسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٢٢٩

رابعاً: فهرس الغريب

الصفحة	الكلمة	م
٨٩	الاستقسامُ	٢٤
١٨٨	الاستكبارُ	٢٥
٣٥٠	الاستهزاءُ	٢٦
٣٧١	الإسكارُ	٢٧
١٤١	أصحابُ الفيلِ	٢٨
٤٩١	الاعتراءُ	٢٩
٣١٣	الإعراضُ	٣٠
٣٨٠	الإفراطُ	٣١
٣٢١	الإقامةُ	٣٢
٤٨٤	الاقترافُ	٣٣
٥٠١	الأكاسرةُ	٣٤
٣٥٥	الأكمهُ	٣٥
٤٨٤	الإلهامُ	٣٦
٣١٨	الأمانةُ	٣٧
٣٩١	الأمرُ	٣٨
٢٧٤	الأمينُ	٣٩
٣٧٧	الأنامُ	٤٠
٤٥٢	الأنفُ	٤١
٥١٠	الأنقُ	٤٢
٤٧٥	الأنكالُ	٤٣
١٦٥	الإهلالُ	٤٤
٣٤٣	الأيامُ المعدوداتُ	٤٥
٣٤٥	الأيامُ المعلّوماتُ	٤٦

الصفحة	الكلمة	م
١٨٨	الإباءُ	١
٢٧٢	الأباريقُ	٢
٤٦٣	أبرهةُ	٣
٤٢٦	إبليسُ	٤
٤٤٨	الآثارُ	٥
٨٣	الأثلُ	٦
٢٦٠	الاجترأحُ	٧
٤٧٩	الأجيجُ	٨
٣٦٠	الأخبارُ	٩
٤٢٠	الإحجامُ	١٠
٢٧٢	اختلجوا	١١
١٩١	الأذرةُ	١٢
٢٤٤	الأدعياءُ	١٣
٤٨١	الأرقُ	١٤
٢٤٦	الإرهابُ	١٥
٤٥٦	الأزُ	١٦
٦٥	الإسباغُ	١٧
٤٦٠	الاستئصالُ	١٨
٥١١	الإستبرقُ	١٩
٤٠٢	الاستحواذُ	٢٠
٥٠٢	الاستخلافُ	٢١
٤٠٩	الاستفهامُ	٢٢
٣٦٩	الاستقدارُ	٢٣

الصفحة	الكلمة	م
٤٨١	التَّجَافِي	٧١
٤١١	التَّحْرِيفُ	٧٢
٤٨٤	التَّذَلُّ	٧٣
٥١٠	التَّذِيلُ	٧٤
١٢٠	التَّرَكَّةُ	٧٥
١٢٠	التَّسَكُّعُ	٧٦
١٩٢	التَّسْلِيَةُ	٧٧
٣٤	التَّسْوِيلُ	٧٨
١٨٢	التَّطْفِيفُ	٧٩
٤٧١	التَّعْرِيفُ	٨٠
٣٨٠	التَّفْرِيطُ	٨١
٩٦	التَّقْتِيرُ	٨٢
٣٨٦	التَّلَاحِمُ	٨٣
٥٠٢	التَّمَكِينُ	٨٤
٥١٠	التَّنْعِيسُ	٨٥
١٠٤	التَّنْوِيهِ	٨٦
٤٥٦	التُّوَعَّلُ	٨٧
٤٩٣	الثَّارُ	٨٨
٤٧٨	الثُّبُورُ	٨٩
٣٩٣	الثَّرِيدُ	٩٠
١٥٤	الثُّغَاءُ	٩١
١٠٢	الثَّغْرُ	٩٢
٤٨٢	الجَاشُ	٩٣
١١٩	الجِبَلَةُ	٩٤

الصفحة	الكلمة	م
٤٠٠	الْأَيَامَى	٤٧
١١٥	الإِيدز	٤٨
٤٧٤	الإِيضَاعُ	٤٩
٣٧٢	الإِيْمَانُ	٥٠
٤٦٥	بَاؤُوا	٥١
٣٦٣	البَاطِلُ	٥٢
١١٢	البِثْرُ	٥٣
٤٠٢	البَحْسُ	٥٤
٤٥٩	البِرْزُخُ	٥٥
٣٥٥	البِرْصُ	٥٦
٥١١	البِطَانَةُ	٥٧
١٨٩	البَطْرُ	٥٨
٢٢٠	البُعُوضَةُ	٥٩
٣٥٧	البُهْتَانُ	٦٠
٥٧	البَهْرَجُ	٦١
٥٠٩	البِوَارُ	٦٢
٢١٦	البُورُ	٦٣
٤٠٥	البُونُ	٦٤
٢٤٦	التَّاجُ	٦٥
٩٧	التَّالَةُ	٦٦
٨٢	التَّبْدِيدُ	٦٧
٨٦	التَّبْدِيرُ	٦٨
٤٠٣	التَّبْرِجُ	٦٩
٤٢٠	التَّشْبِيطُ	٧٠

الصفحة	الكلمة	م
٣٥٢	الحمى	١١٩
١٧٢	الحميم	١٢٠
٢٢١	الحنظل	١٢١
٤٩٢	الحنق	١٢٢
٥١٢	الحوراء	١٢٣
٣٧٦	الحوض	١٢٤
٨٠	الحيرة	١٢٥
٤٦١	الخدن	١٢٦
٤٨٣	الخدلان	١٢٧
٢٤٧	الخراج	١٢٨
٣٣	الخرس	١٢٩
١٨٣	الخسف	١٣٠
٢٨٨	الخصب	١٣١
١٥٤	الحنق	١٣٢
٤٢٧	الخلّة	١٣٣
٤٦٩	الخلّة	١٣٤
١٥١	الخلع	١٣٥
١٦٧	الخمّر	١٣٦
٨٣	الخمط	١٣٧
١٥٥	الخوار	١٣٨
٢٦٢	الحوص	١٣٩
٤٨٢	الخيبة	١٤٠
١٩٢	الدّاب	١٤١
٤٦٨	الدّبرة	١٤٢

الصفحة	الكلمة	م
٤٠٦	الجبن	٩٥
٤٦٢	الجذب	٩٦
٤٥٥	الجسور	٩٧
٥٣	الجم	٩٨
٤٨٣	الجماح	٩٩
٤٤٦	الجمالة	١٠٠
٤٩٠	الجناح	١٠١
٣٢	الجيش	١٠٢
٣٦٩	الجيف	١٠٣
٥٠٦	الحيرة	١٠٤
٣٥٨	الحبل	١٠٥
١٩٨	الحد	١٠٦
١٥٣	الحرابة	١٠٧
٣٤٣	الحرم	١٠٨
٤٠٧	الحرور	١٠٩
٣٧٦	الحساب	١١٠
٣٢٩	الحشرجة	١١١
٥٦	الحشف	١١٢
٤٩	الحصيف	١١٣
٤٣٢	الحض	١١٤
٣١٦	الحفظ	١١٥
١٠٦	الحكمة	١١٦
١٥٦	حلوان الكاهن	١١٧
١٥٤	الحمحة	١١٨

الصفحة	الكلمة	م
٢٥٠	الرَّكَازُ	١٦٧
٢٥٩	الرَّكْوَةُ	١٦٨
٣٦٠	الرُّهْبَانُ	١٦٩
٩٦	الرَّهْبَانِيَّةُ	١٧٠
١٣٥	الرَّهْطُ	١٧١
٣٨٨	الرِّيَاءُ	١٧٢
٢٠٣	الرِّيَّةُ	١٧٣
٢١٦	الرَّيْنُ	١٧٤
٥١٢	الزَّرَابِيُّ	١٧٥
١٧١	الزَّرْدُ	١٧٦
٤٨٢	الزَّرْعَةُ	١٧٧
٤٧٧	الزَّفِيرُ	١٧٨
١٦٩	الزَّقُومُ	١٧٩
٢١٥	الزَّمَجْرَةُ	١٨٠
٤٢٣	الزُّمْرَةُ	١٨١
٤٧٧	الزَّمْهَرِيرُ	١٨٢
٢٠٥	الزَّنَا	١٨٣
٦٥	الزَّنَجِيلُ	١٨٤
١١٥	الزُّهْرِيُّ	١٨٥
١٩٤	الزُّورُ	١٨٦
٨٠	الزَّيغُ	١٨٧
١٧٤	السَّبْحَةُ	١٨٨
١٨٤	السَّبْطُ	١٨٩
١٦٦	السَّبْعُ	١٩٠

الصفحة	الكلمة	م
٤٦٧	الدَّحْرُ	١٤٣
٢٩٥	الدُّرَّةُ	١٤٤
٤٧٠	الدَّرَكُ	١٤٥
٤٩٠	الدَّرَنُ	١٤٦
٤٣٠	الدَّعِيُّ	١٤٧
٣٢	الدَّقُّ	١٤٨
٥٠٧	الدَّنْسُ	١٤٩
٤٨٥	الدَّهْشُ	١٥٠
٤٨٩	الدَّوْسُ	١٥١
٢٢٠	الدُّبَابُ	١٥٢
٤٣٠	الدُّبْدَبَةُ	١٥٣
٣٨١	الدَّرْعُ	١٥٤
٤٢٥	الدَّمُّ	١٥٥
١٢٨	الدِّيخُ	١٥٦
٤٦٠	الرَّايَّةُ	١٥٧
١٥٦	الرَّاشِي	١٥٨
٣٢	الرَّانُ	١٥٩
٣٧٣	الرَّبوبية	١٦٠
١٨٢	الرَّجْمُ	١٦١
٣٦٣	الرُّشَا	١٦٢
٣١٨	الرَّعَايَةُ	١٦٣
١٥٤	الرُّغَاءُ	١٦٤
٥١١	الرَّفْرَفُ	١٦٥
١٥٤	الرَّقَاعُ	١٦٦

الصفحة	الكلمة	م
٣٥٥	الشَّعْوَذَةُ	٢١٥
٣٧٦	الشَّفَاعَةُ	٢١٦
٣٢١	الشَّهَادَةُ	٢١٧
٤٧٧	الشَّهِيْقُ	٢١٨
١٠٨	الشَّوْبُ	٢١٩
٥٦	الشَّيْصُ	٢٢٠
١٥٤	الصَّامِتُ	٢٢١
٣٥٩	الصَّدُّ	٢٢٢
٤٥٦	الصَّدَأُ	٢٢٣
١٥١	الصَّدَاقُ	٢٢٤
٢٥٣	صَدَاقُ الْمَرْأَةِ	٢٢٥
٣٧٧	الصَّرَاطُ	٢٢٦
٣٣١	الصَّعِيدُ	٢٢٧
٤٧١	الصَّعَارُ	٢٢٨
٥٠١	الصَّنْدِيدُ	٢٢٩
١٨٤	الصَّهْرُ	٢٣٠
٢٣٩	الصُّوفِيَّةُ	٢٣١
٣٦٧	الضَّرْرُ	٢٣٢
١٧١	الضَّرِيْعُ	٢٣٣
٨٣	الضَّغِيْنَةُ	٢٣٤
٣٢	الضَّنَّةُ	٢٣٥
٢٦٢	الطَّلَعُ	٢٣٦
٥١٢	الطَّمْتُ	٢٣٧
١٣٢	الطُّوفَانُ	٢٣٨

الصفحة	الكلمة	م
٤٦١	السَّحَاقُ	١٩١
١٥٥	السُّحْتُ	١٩٢
١٩٨	السَّحْرُ	١٩٣
٨٣	السِّدْرُ	١٩٤
٣٢	السَّرْبُ	١٩٥
٤٧٧	السَّرْبَالُ	١٩٦
١٥٢	السَّرْفَةُ	١٩٧
٢٦٢	السَّعْفُ	١٩٨
٢٩٢	سَفْحُ الْجَبَلِ	١٩٩
٨٥	السَّفْسَافُ	٢٠٠
٤٩٦	السَّكِيْنَةُ	٢٠١
٣٦٢	السَّلْقُ	٢٠٢
٦٥	السَّمَانِي	٢٠٣
٥٠٦	السَّمْتُ	٢٠٤
٩٠	السَّمْرُ	٢٠٥
٤٧٧	السَّمُوْمُ	٢٠٦
٢٢٤	السَّنَاءُ	٢٠٧
٣٢	سَنَحَ	٢٠٨
٥١٢	السُّنْدُسُ	٢٠٩
٣٠	السُّوْءَةُ	٢١٠
٤٠٢	السَّوْغُ	٢١١
١١٥	السيلان	٢١٢
٤٢١	الشَّامِخُ	٢١٣
١٩٦	الشَّرْكُ	٢١٤

الصفحة	الكلمة	م
٣٢٩	الغُرْغَرَةُ	٢٦٣
٨٥	الغَرُورُ	٢٦٤
١٧٢	الغَسَّاقُ	٢٦٥
١٧١	الغَسْلِينُ	٢٦٦
٣٦٩	الغَشُّ	٢٦٧
٣٦٩	العَصْبُ	٢٦٨
٤٩١	العَفْرُ	٢٦٩
٤٧٥	العُلُّ	٢٧٠
٣٥٧	عُلْفٌ	٢٧١
١٥٣	العُلُولُ	٢٧٢
٣٢٣	العَيْظُ	٢٧٣
١٣٦	العَيْلَةُ	٢٧٤
٤٧٦	الفُتُورُ	٢٧٥
٣٦٩	الفَدَّادُونَ	٢٧٦
٤٨٩	الفَرَّاسَةُ	٢٧٧
٢٦٩	الفَرَثُ	٢٧٨
٣١٦	الفَرَجُ	٢٧٩
١٢٩	فَرَعُونَ	٢٨٠
٢٧٥	الفُسْطَاطُ	٢٨١
٤١٢	الفَطِيْعُ	٢٨٢
١١٩	الفَعْمُ	٢٨٣
٣٥٥	الفَلَقُ	٢٨٤
٣٣٣	القَاصِفُ	٢٨٥
٤٧١	القَتْرُ	٢٨٦

الصفحة	الكلمة	م
٣٧٧	طَوَى	٢٣٩
٣٥٤	الطَوِيَّةُ	٢٤٠
٤٩٠	الطَّيْشُ	٢٤١
٣٥٩	الظُّلْمُ	٢٤٢
٣٣٣	العَاصِفُ	٢٤٣
٤٧١	العُبُوسُ	٢٤٤
٤٦٢	العُتُوُ	٢٤٥
٢٦٢	العُرْجُونُ	٢٤٦
٥١٢	العُرُوبُ	٢٤٧
١٥٦	عَسْبُ الفحل	٢٤٨
٤٠٠	العَضْلُ	٢٤٩
١٤٢	العَفْرُ	٢٥٠
٤٩١	العَفْوُ	٢٥١
١٣٦	العَقْرُ	٢٥٢
٢١٨	العَقُورُ	٢٥٣
٣٣٣	العَقِيمُ	٢٥٤
٤٠٤	العَنْتُ	٢٥٥
٣١٨	العَهْدُ	٢٥٦
٣٩٤	العَيْلَةُ	٢٥٧
٥١٢	العَيْنُ	٢٥٨
٣٤١	العَارُ	٢٥٩
٣٢	العَبْشُ	٢٦٠
٥١١	العَبْطَةُ	٢٦١
٢١٦	العَبْنُ	٢٦٢

الصفحة	الكلمة	م
٣٤٩	الكُفْرُ	٣١١
٢١٧	الكلْبُ	٣١٢
٤٧١	الكلُّوح	٣١٣
٦٥	الْكَمَاءُ	٣١٤
٤٨٩	الْكَيْدُ	٣١٥
٣١	الْكَيْرُ	٣١٦
٥١٢	اللُّؤْلُؤُ	٣١٧
٤٠٧	لام الجُحود	٣١٨
١١٠	اللُّبُّ	٣١٩
١٨٩	اللِّجَاجُ	٣٢٠
١٩٨	اللِّدَدُ	٣٢١
١٥٣	اللِّصُّ	٣٢٢
٤٧٣	اللِّعَاعَةُ	٣٢٣
٣١٣	اللِّغُو	٣٢٤
١٧١	اللِّفْحُ	٣٢٥
١٩٣	اللِّمَزُّ	٣٢٦
٢١٧	اللِّهْتُ	٣٢٧
٢٠٨	لَوَطَ	٣٢٨
٣٤٥	المُبَاهَاةُ	٣٢٩
٥١٢	المُبْثُوثَةُ	٣٣٠
٣٣٣	المُبَشِّرَاتُ	٣٣١
٤٣٩	المَثَلُ	٣٣٢
٣٠٨	مُجَنِّبَاتُ	٣٣٣
٢٩٥	المُجَوِّفَةُ	٣٣٤

الصفحة	الكلمة	م
٢٠٢	القَتْلُ	٢٨٧
٤٥٩	القَحْطُ	٢٨٨
٣٤٣	القَدْرُ	٢٨٩
٢٧٠	القَدِيدُ	٢٩٠
٤٧٧	القَطْرُ	٢٩١
١١١	القِمَارُ	٢٩٢
٥٦	القِنُو	٢٩٣
٢٣٧	القُنُوتُ	٢٩٤
٣٢٧	القُنُوطُ	٢٩٥
٥١١	القَوَارِيرُ	٢٩٦
٥٠١	القِيَاصِرَةُ	٢٩٧
١٤٣	القَيْنُ	٢٩٨
٤٢٧	الْكَابَةُ	٢٩٩
٢٧٢	كأس	٣٠٠
٥٠٦	الْكَامِنُ	٣٠١
٩٦	الْكَبْتُ	٣٠٢
٤٨٣	الْكَبْحُ	٣٠٣
٤٧٥	الْكَبْكَبَةُ	٣٠٤
٤٢٠	الْكَدْرُ	٣٠٥
١١٣	الْكَدْسُ	٣٠٦
٤٦٤	الْكَسُوفُ	٣٠٧
٣٣	الْكَشْرُ	٣٠٨
٢٢١	الْكَشُوثُ	٣٠٩
٣٢٣	الْكَظْمُ	٣١٠

الصفحة	الكلمة	م
٤٢٩	المَمَالَةُ	٣٥٩
٤٣٢	المُنَاوَةُ	٣٦٠
٤٧٦	المُنْدُوْحَةُ	٣٦١
٤٨٥	المِنشَارُ	٣٦٢
٤٩٩	المِهَابَةُ	٣٦٣
٤٩٣	المُهْجَةُ	٣٦٤
١٧٢	المُهْلُ	٣٦٥
٤٣٢	المُوَاطَاةُ	٣٦٦
١٦٠	المِيْتَةُ	٣٦٧
٣٥٣	المِيثَاقُ	٣٦٨
٣٧٦	المِيْزَانُ	٣٦٩
٢٩٥	المِيْلُ	٣٧٠
٣٣٣	النَّاشِرَاتُ	٣٧١
١٢٥	النَّأْيُ	٣٧٢
١٩٢	نَتَحَامِلُ	٣٧٣
٤١٥	النُّتُوْءُ	٣٧٤
٤٢٣	النَّجَائِبُ	٣٧٥
٣٣٣	النُّحْسُ	٣٧٦
٤٧٨	النَّحِيْبُ	٣٧٧
١٦٥	النَّرْدَشِيْرُ	٣٧٨
٩١	النَّرْغُ	٣٧٩
٤٥٣	النَّرْفُ	٣٨٠
١٦٧	النُّصْبُ	٣٨١
٢٧٢	النُّضْحُ	٣٨٢

الصفحة	الكلمة	م
٢٣٣	المُحَادَّةُ	٣٣٥
٨٠	المُحَالُ	٣٣٦
٩٣	المُحْتَقِنُ	٣٣٧
٤١٦	المُحْضُ	٣٣٨
٣٥	المُحْنُ	٣٣٩
٢٥٤	المُخَادِنَةُ	٣٤٠
٥١٠	المُخَضُّودُ	٣٤١
٤٣٣	المَدْحُ	٣٤٢
٤٩٨	المَدْدُ	٣٤٣
٣٢	المَذْخُوْرُ	٣٤٤
٣٧٧	المَرَامُ	٣٤٥
١٥٦	المُرْتَشِيْ	٣٤٦
٥١٢	المُرْجَانُ	٣٤٧
٧٧	المُرُوْءَةُ	٣٤٨
٢٠٤	المُرُوْقُ	٣٤٩
٩١	المِسُّ	٣٥٠
٤٦٥	المَسْكَنَةُ	٣٥١
٢٥٣	المَطْلُ	٣٥٢
١٨٨	المَعْرَةُ	٣٥٣
٤٩٤	المَقْتُ	٣٥٤
٢٨٧	المُقَدَّسَةُ	٣٥٥
٤٨٠	المَقْمَعَةُ	٣٥٦
٣٢	المَكْنُوْنُ	٣٥٧
٣٣٧	المَلَانِكَةُ	٣٥٨

الصفحة	الكلمة	م
٨٨	الهَوْلُ	٤٠٦
٤٠٠	الوَادُ	٤٠٧
٨٢	الوَبَالُ	٤٠٨
٥٥	الوَجُوهُ	٤٠٩
٦٩	الوَخْمُ	٤١٠
٤٩٤	الوُدُّ	٤١١
٦٤	الوَدَكُ	٤١٢
٤٢٠	الوَعْدُ	٤١٣
٤١٥	الوَعِيدُ	٤١٤
٢٤٦	الوَقَارُ	٤١٥
١٨٥	الوَكَرُ	٤١٦
٤٥٨	الوَلْعُ	٤١٧
٣١	الوَهْنُ	٤١٨
٥١٢	الْيَاقُوتُ	٤١٩
١٥٦	الْيَتِيمُ	٤٢٠
١٥٥	الْيَعَارُ	٤٢١
٢٦٩	الْيَقْطِينُ	٤٢٢
٤٩٨	يَكْلَأُ	٤٢٣
٢٧٦	يَهَيِّجُهُ	٤٢٤
		٤٢٥
		٤٢٦
		٤٢٧

الصفحة	الكلمة	م
٥١٠	النَّضِيدُ	٣٨٣
٥٥	النَّظَائِرُ	٣٨٤
٤٩٦	النُّعَاسُ	٣٨٥
٢١٥	النَّعْقُ	٣٨٦
٤٧٤	النَّعْيُ	٣٨٧
٣٢٠	النَّفَاسَةُ	٣٨٨
٣٤٩	النَّفَاقُ	٣٨٩
٨٧	النَّفَايَةُ	٣٩٠
٤٤٨	النَّفْحَةُ	٣٩١
٤٠٥	النَّفْيُ	٣٩٢
٤٨٠	النِّكَايَةُ	٣٩٣
٤١٨	النِّكْبُ	٣٩٤
٨٤	النِّكْتُ	٣٩٥
٤٥٩	النِّكْدُ	٣٩٦
١٤٣	النُّكُوضُ	٣٩٧
٢٨	النُّكُولُ	٣٩٨
٥١٢	النَّمَارِقُ	٣٩٩
٤١٧	النَّهْشُ	٤٠٠
٤٨٤	النَّهْمُ	٤٠١
٣٩٩	النَّهْيُ	٤٠٢
٤٨١	الْهَجِيرُ	٤٠٣
٤٩٦	الْهَلْعُ	٤٠٤
٩١	الْهَمَزُ	٤٠٥

خامساً: فهرس الأماكن

الصفحة	المكان	م
١٧٥	الأَحْقَافُ	١
٢٨٧	الأَقْصَى	٢
١٧٦	الحِجْرُ	٣
٢٥٩	الحُدَيْبِيَّةُ	٤
٢٨٠	الصِّفَا	٥
٢٥٦	الصُّفَّةُ	٦
٢٩٢	الطُّورُ	٧
٢٧٧	الكَعْبَةُ	٨
٤٣٦	المِحْرَابُ	٩
٢٨٢	المُزْدَلِفَةُ	١٠
١٤١	أَنْطَاكِيَّةُ	١١
٤٩٦	بَدْرٌ	١٢
٤٩٦	حُنَيْنٌ	١٣
١٤١	سَبَأٌ	١٤
٢٨١	عَرَفَاتٌ	١٥
٢٨٨	قُبَاءٌ	١٦
٢٨٣	مُحَسَّرٌ	١٧

سادساً: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

- ١- الإبانة عن أصول الديانة: لعلي بن إسماعيل الأشعري، الطبعة الأولى، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- ٢- أبو بكر الصديق: لمحمد رضا، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٩هـ.
- ٣- الإتقان في علوم القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
- ٤- آثار البلاد وأخبار العباد: لزكريا بن محمد القزويني، دار صادر، بيروت.
- ٥- أثر العبادات في حياة المسلم: لعبد المحسن بن حمد البدر، الطبعة الأولى، دار المغني، ١٤٢٣هـ.
- ٦- إجابة السؤال في زكاة الأموال: لمحمد بن عبد العزيز السديس، عدد ١٢٣، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٤هـ.
- ٧- إجلال الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة: لياسين الخليفة المحجوب، الطبعة الأولى، مؤسسة الدرر السنية، السعودية، الظهران، ١٤٣٢هـ.
- ٨- الإجماع: لمحمد بن إبراهيم بن المنذر، الطبعة الأولى، دار المسلم، ١٤٢٥هـ.
- ٩- أجنحة المكر الثلاثة: لعبد الرحمن حَبَنَكَة، الطبعة الثامنة، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ.
- ١٠- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لمحمد البشاري، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١١هـ.
- ١١- أحكام الأحكام: لمحمد بن علي بن دقيق العيد، الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧هـ.
- ١٢- أحكام الجراحة الطبية: لمحمد بن محمد الشنقيطي، الطبعة الثانية، دار الصحابة، جدة، ١٤١٥هـ.
- ١٣- أحكام القرآن: لأحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- ١٤- أحكام القرآن: لأحمد بن علي الجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٥- أحكام القرآن: لأحمد بن محمد الطحاوي، الطبعة الأولى، مركز البحوث، استانبول، ١٤١٦هـ.
- ١٦- أحكام القرآن: لعلي بن محمد الهراسي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٧- أحكام القرآن: لمحمد بن عبد الله بن العربي، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ١٨- أحكام أهل الذمة: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، رمادى للنشر، الدمام، ١٤١٨هـ.
- ١٩- الإحكام في أصول الأحكام: لعلي بن أحمد بن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- ٢٠- إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- ٢١- الأخبار الطوال: لأحمد بن داود الدينوري، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٢٢- أخلاق الشباب المسلم: لمحمد الهلالي، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٣٨٨هـ.
- ٢٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية: لمحمد بن مفلح الحنبلي، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، بيروت.
- ٢٤- أدب المجالسة: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، الطبعة الأولى، دار الصحابة، طنطا، ١٤٠٩هـ.
- ٢٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): لمحمد بن محمد بن مصطفى العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٦- أركان الإيمان: لعلي بن نايف الشحود، الطبعة الرابعة، ١٤٣١هـ.
- ٢٧- إرواء الغليل: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢٨- أساس البلاغة: لمحمود بن عمرو الزمخشري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ٢٩- أسباب نزول القرآن: لعلي بن أحمد الواحدي، الطبعة الثانية، دار الإصلاح، الدمام، ١٤١٢هـ.
- ٣٠- الاستيعاب: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٣١- أسد الغابة: لعلي بن محمد بن الأثير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ٣٢- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: لمحمد أبو شهبة، الطبعة الرابعة، مكتبة السنة.
- ٣٣- أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجج والبيانات): لمحمود بن حمزة الكرماني، دار الفضيلة.
- ٣٤- الأسلوب: لأحمد الشايب، الطبعة الخامسة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٥٨هـ.
- ٣٥- الأسلوبية والأسلوب: لعبد السلام المسدي، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب، تونس.
- ٣٦- أسنى المطالب: لزكريا بن محمد الأنصاري، الطبعة الأولى، الكتاب الإسلامي.
- ٣٧- الاشتراك المتعمد في الجنابة على النفس بالقتل أو الجرح: لعبد الله بن معتق السهلي، عدد ١١٩، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٣هـ.
- ٣٨- الاشتقاق: لمحمد بن الحسن بن دريد، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
- ٣٩- الأشربة: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- ٤٠- الإصابة: لأحمد بن علي بن حجر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٤١- الأصحاب في القرآن الكريم: لعادل عبد الحلیم، الطبعة الأولى، الخدمات الحديثة، جدة، ١٤٢١هـ.

- ٤٢- إصلاح المساجد: محمد جمال الدين القاسمي، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
- ٤٣- إصلاح الوجوه والنظائر: للحسين بن محمد الدماغاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٤- أصول الإيمان: لنخبة من العلماء، الطبعة الأولى، الشؤون الإسلامية، السعودية.
- ٤٥- الأضرار الناجمة عن تعاطي المسكرات والمخدرات: لعبد الكريم بن صنيان العمري، الطبعة الأولى، دار المآثر، المدينة، ١٤٢١هـ.
- ٤٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٤٧- أطلس القرآن: لشوقي أبو خليل، الطبعة الثامنة، دار الفكر، بيروت.
- ٤٨- إغاثة الطالبين: لبكري بن محمد الدمياطي، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤١٨هـ.
- ٤٩- اعتقاد أهل السنة: لمحمد الخميس، الطبعة الأولى، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤١٩هـ.
- ٥٠- إعجاز القرآن: لمحمد بن الطيب الباقلاني، الطبعة الخامسة، دار مكتبة المعارف، مصر، ١٩٩٧م.
- ٥١- إعجاز القرآن: لمصطفى صادق الرافعي، الطبعة الثامنة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ.
- ٥٢- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: لعلي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- ٥٣- إعراب القرآن وبيانه: لمحبي الدين درويش، الطبعة الرابعة، دار الإرشاد، حمص، ١٤١٥هـ.
- ٥٤- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: لحافظ بن أحمد الحكمي، الطبعة الثانية، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٢هـ.
- ٥٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- ٥٦- الإعلام ببعض أحكام السلام: لعبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، الطبعة الخامسة، الحرس، ١٤٩١هـ.
- ٥٧- الأعلام: لخير الدين بن محمود الزركلي، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- ٥٨- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مكتبة المعارف، الرياض.
- ٥٩- الإفادة من مال اليتيم في عقود المعاوضات والتبرعات: لخالد بن علي المشيقح، عدد ١٢٥، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٤هـ.
- ٦٠- افتراءات المنصرين على القرآن: لعلي الحربي، الطبعة الأولى، مجمع الملك فهد، المدينة.
- ٦١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الطبعة السابعة، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ.

- ٦٢- اقتضاء العلم العمل: لأحمد بن علي البغدادي، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ٦٣- الإكليل في استنباط التتزيل: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ٦٤- الإلحاد والظلم في المسجد الحرام بين الإرادة والتنفيذ: لمحمد بن سعد آل سعود، عدد ١٠٧، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤١٨هـ.
- ٦٥- الأم: للإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ٦٦- الأمثال في القرآن: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار الصحابة، طنطا، ١٤٠٦هـ.
- ٦٧- أمراض القلوب وشفافؤها: للإمام أحمد بن عبد الحليم تيمية، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- ٦٨- الأموال: لحميد بن مخلد بن قتيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٦٩- إنباه الرواة: لعلي بن يوسف القفطي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٧٠- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال: لإبراهيم بن عامر الرحيلي، الطبعة الثالثة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ١٤٢٣هـ.
- ٧١- الإنجاد في أبواب الجهاد: لمحمد بن عيسى بن المناصف، الطبعة الأولى، دار الإمام مالك، مؤسسة الريان.
- ٧٢- أنساب الخيل: لهشام بن محمد الكلبي، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٣هـ.
- ٧٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: لعلي بن سليمان المرادوي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.
- ٧٤- أنفوذ جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التتزيل: لمحمد بن أبي بكر الرازي، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٣هـ.
- ٧٥- أنوار التتزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي): لعبد الله بن عمر البيضاوي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ٧٦- أهداف التربية الإسلامية: لماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الأولى، دار القلم، الأردن.
- ٧٧- إثثار الحق على الخلق: لمحمد بن الوزير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- ٧٨- إيجاز البيان عن معاني القرآن: محمود بن أبي الحسن النيسابوري، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٧٩- الإيمان بالله جل جلاله: لعلي محمد الصَّلَّابِي، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، سوريا، ١٤٣١هـ.
- ٨٠- الإيمان حقيقته: لحوارمه، عبد الله بن عبد الحميد، الطبعة الأولى، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- ٨١- الإيمان والعمل الصالح سبب النجاح والفلاح: لعلي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ٨٢- الإيمان: محمد بن إسحاق بن مَنَدَه، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٨٣- بحر الدموع: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار الفجر، ١٤٢٥هـ.
- ٨٤- البحر الرائق شرح كثر الدقائق: لزين الدين بن إبراهيم بن نجيم، الطبعة الثانية، الكتاب الإسلامي.
- ٨٥- بحر العلوم: لنصر بن محمد السمرقندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٨٦- البحر المحيط في أصول الفقه: لمحمد بن بهادر الزركشي، الطبعة الأولى، دار الكتيبي، ١٤١٤هـ.
- ٨٧- البحر المحيط في التفسير: لمحمد بن حيان الأندلسي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٨٨- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأحمد بن محمد بن عجيبة، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- ٨٩- البدء والتاريخ: للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- ٩٠- بدائع الصنائع: لأبي بكر بن مسعود الكاساني، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
- ٩١- بدائع الفوائد: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٩٢- بداية المجتهد: لمحمد بن أحمد بن رشد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ.
- ٩٣- البداية والنهاية: لإسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.
- ٩٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- ٩٥- البدع الحولية: لعبد الله بن عبد العزيز التويجري، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ٩٦- البركة في الرزق والأسباب الجالبة لها في ضوء الكتاب والسنة: لعبد الله مرحول السوالمه، عدد ١٩٩، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٣هـ.
- ٩٧- البرهان في علوم القرآن: لمحمد بن عبد الله الزركشي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ.
- ٩٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- ٩٩- بغية الوعاة: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا.

- ١٠٠- البلدان: لأحمد بن محمد بن محمد بن الفقيه، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٠١- بنو إسرائيل في ضوء الإسلام: لمحمد أمين، الجامعة الإسلامية، المدينة، عدد ٣، ١٣٩٥هـ.
- ١٠٢- بيان المختصر: لمحمد بن عبد الرحمن الأصفهاني، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، السعودية، ١٤٠٦هـ.
- ١٠٣- بيان المعاني: لعبد القادر بن ملا العاني، الطبعة الأولى، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٨٢هـ.
- ١٠٤- البيان في إعجاز القرآن: لصلاح بن عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الأولى، دار عمان، الأردن، ١٩٩٢م.
- ١٠٥- البيوع المحرمة والمنهي عنها: لعبد الناصر ميلاد، الطبعة الأولى، دار الهدى النبوي، مصر، ١٤٢٦هـ.
- ١٠٦- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد الحسيني (مرتضى الزبيدي)، مكتبة دار الهداية.
- ١٠٧- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر): لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ١٠٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: لمحمد بن أحمد الذهبي، المكتبة التوفيقية.
- ١٠٩- تاريخ الخلفاء: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، مكتبة نزار الباز، ١٤٢٥هـ.
- ١١٠- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): للإمام محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثانية، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.
- ١١١- التاريخ الكبير: لمحمد بن إسماعيل البخاري، دائرة مكتبة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
- ١١٢- تاريخ يعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب بن وضاح، الطبعة الأولى، دار الغرى، ١٣٥٣هـ.
- ١١٣- تاريخ بغداد: لأحمد بن علي البغدادي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ١١٤- تاريخ حكماء الإسلام: لظهير الدين البيهقي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، مصر، ٢٠٠٠م.
- ١١٥- تاريخ دمشق: لحمزة بن أسد القلانسي، الطبعة الأولى، دار حسان، دمشق، ١٤٠٣هـ.
- ١١٦- تأويل مشكل القرآن: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١٧- التبصرة: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ١١٨- التبيان في أقسام القرآن: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت.
- ١١٩- التبيان في تفسير غريب القرآن: لأحمد بن محمد بن الهائم، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٠- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤هـ.

- ١٢١- تحفة الأحوذى: محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٢- تحفة الحبيب على شرح الخطيب: لسليمان بن محمد البجيرمي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- ١٢٣- تحفة الذاكرين: لمحمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.
- ١٢٤- التحفة الربانية: لإسماعيل بن محمد السعدي، الطبعة الأولى، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٣٨٠هـ.
- ١٢٥- تحفة المودود: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩١م.
- ١٢٦- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) : لمحمد بن عبد الله بن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.
- ١٢٧- تحقيق الوصال بين القلب والقرآن: لمجدي الهلالي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ١٤٢٩هـ.
- ١٢٨- تخريج أحاديث مشكلة الفقر: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٢٩- التخويف من النار: لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الطبعة الثانية، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤٠٩هـ.
- ١٣٠- التدمرية: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الطبعة السادسة، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ١٣١- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم): لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٥هـ.
- ١٣٢- تذكرة الحفاظ: لمحمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ١٣٣- التذكرة في الوعظ: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ١٣٤- التربية الإسلامية أصولها وتطورها: لمحمد منير مرسي، دار عالم الكتب، ١٤٢٥هـ.
- ١٣٥- التربية الإسلامية ومراحل النمو: لعباس محجوب، عدد ٥٢، الجامعة الإسلامية، ١٤٠١هـ.
- ١٣٦- الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة: لرقية بنت نصر الله نياز، جامعة الإمام، الرياض.
- ١٣٧- التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير بن جزى) : لمحمد بن أحمد بن جزى، الطبعة الأولى، دار الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٣٨- التصوف: لإحسان إلهي ظهير، الطبعة الأولى، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٤٠٦هـ.

- ١٣٩- التصوير الفني في القرآن: لسيد قطب الشاربي، الطبعة السابعة عشر، دار الشروق.
- ١٤٠- التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية: لعلي صبح، الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٢٣هـ.
- ١٤١- التعبير القرآني: لفاضل بن صالح السامرائي، الطبعة السادسة، دار عمار، عمان، ١٤٣٠هـ.
- ١٤٢- تعدد الزوجات بين حقائق التنزيل وافتراءات التضليل: لمحمود محمد غريب، الطبعة الثانية، دار القلم، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- ١٤٣- التعرف لمذهب أهل التصوف: لمحمد إبراهيم الكلاباذي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤٤- التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤٥- تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير): لعبد الحميد بن محمد بن باديس، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٤٦- تفسير أسماء الله الحسنى: لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، العدد ١١٢، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢١هـ.
- ١٤٧- التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: لسامي القدومي، الطبعة الأولى، دار الوضاح، الأردن.
- ١٤٨- تفسير الثوري: لسفيان بن سعيد الثوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٩- تفسير الحجرات والحديد: لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- ١٥٠- التفسير الحديث: لدروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- ١٥١- تفسير الراغب الأصفهاني: للحسين بن محمد الأصفهاني، كلية الآداب، طنطا، ١٤٢٠هـ.
- ١٥٢- تفسير الشعراوي (الخواطر): لمحمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- ١٥٣- تفسير الفاتحة والبقرة والكهف: لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ١٥٤- تفسير القرآن (تفسير السمعي): لمنصور بن محمد السمعي، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ١٥٥- تفسير القرآن (تفسير العز بن عبد السلام): لعبد العزيز بن عبد السلام، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ.

- ١٥٦- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- ١٥٧- تفسير القرآن العزيز (تفسير ابن أبي زمنين): محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، الطبعة الأولى، الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- ١٥٨- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم): لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، الطبعة الثالثة، مكتبة نزار الباز، السعودية، ١٤١٩هـ.
- ١٥٩- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): لإسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الثانية، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
- ١٦٠- تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن القيم): محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ١٦١- تفسير القرآن: محمد بن إبراهيم بن المنذر، الطبعة الأولى، دار المآثر، المدينة، ١٤٢٣هـ.
- ١٦٢- التفسير القرآني للقرآن: لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ١٦٣- تفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ١٣٦٥هـ.
- ١٦٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: لوهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.
- ١٦٥- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: لنخبة من العلماء، الطبعة الأولى، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ.
- ١٦٦- التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، الطبعة الأولى، دار الجيل الجديد، بيروت، ١٤١٣هـ.
- ١٦٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ١٦٨- تفسير آيات الأحكام للسايس: محمد علي السايس، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م.
- ١٦٩- تفسير عبد الرزاق: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ١٧٠- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن فتوح الحميدي، السنة، القاهرة.
- ١٧١- تفسير مجاهد: لأبي الحجاج مجاهد بن جبر، الطبعة الأولى، دار الفكر الإسلامي، مصر، ١٤١٠هـ.
- ١٧٢- تفسير مقاتل: لمقاتل بن سليمان البلخي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ١٧٣- تفسير يحيى بن سلام: ليحيى بن سلام البصري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

- ١٧٤- التقريب لحد المنطق: لعلي بن أحمد بن حزم، الطبعة الأولى، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٠٠م.
- ١٧٥- تليس إبليس: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ١٧٦- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: لأحمد بن علي بن حجر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.
- ١٧٧- التمهيد: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ١٧٨- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والموسلين: لنصر بن محمد السمرقندي، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ١٧٩- التبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيقة: لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤١٤هـ.
- ١٨٠- تزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء: لعلي بن أحمد بن خمير، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، لبنان، ١٤١١هـ.
- ١٨١- تهذيب الأسماء واللغات: ليحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٨٢- تهذيب التهذيب: لأحمد بن علي بن حجر، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.
- ١٨٣- تهذيب الكمال: لمغلطاي بن قليج الحكري، الطبعة الأولى، الفاروق الحديثة، ١٤٢٢هـ.
- ١٨٤- تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد الأزهرى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ١٨٥- التوبة: لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، الطبعة الأولى، مكتبة القرآن، مصر.
- ١٨٦- توجيهه وتنبيهه إلى هواة الصيد: لعبد الله بن محمد الطيار، الطبعة الأولى، دار المتعلم، ١٤٢٤هـ.
- ١٨٧- توفيق الرحمن في دروس القرآن: لفيصل بن مبارك، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.
- ١٨٨- التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد بن عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ.
- ١٨٩- تيسير التحرير: لمحمد أمين بن محمود أمير بادشاه، دار الفكر، بيروت.
- ١٩٠- تيسير العزيز الحميد: لسليمان بن عبد الله عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ١٩١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- ١٩٢- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الطبعة الأولى، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٢هـ.

- ١٩٣- التيسير بشرح الجامع الصغير: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثالثة، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- ١٩٤- الثبات عند الممات: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ١٩٥- الثقات: لمحمد بن حبان البستي، الطبعة الأولى، دائرة مكتبة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٣هـ.
- ١٩٦- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): للإمام محمد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- ١٩٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ١٩٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- ١٩٩- الجامع لأحكام الصلاة: لعادل بن سعد، الطبعة الأولى، الكتاب العالمي، بيروت، ١٤٢٧هـ.
- ٢٠٠- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): لمحمد بن أحمد القرطبي، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
- ٢٠١- الجبال والأمكنة والمياه: لمحمود بن عمرو الزمخشري، دار الفضيلة، القاهرة، ١٣١٩هـ.
- ٢٠٢- جلاء الأفهام: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، دار العروبة، الكويت، ١٤٠٧هـ.
- ٢٠٣- المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: للمعافى بن زكريا النهرواني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ.
- ٢٠٤- جماليات المفردة القرآنية: لأحمد ياسوف، الطبعة الثانية، دار المكتبي، دمشق، ١٤١٩هـ.
- ٢٠٥- الجمان في تشبيهات القرآن: لعبد الله نايقا، الطبعة الأولى، مركز الصف، جدة، السعودية، ١٤٠٧هـ.
- ٢٠٦- جمهرة اللغة: لمحمد بن الحسن بن دريد، الطبعة الأولى، دار العلم، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٠٧- لجنة والنار: لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة السابعة، دار النفائس، الأردن، ١٤١٨هـ.
- ٢٠٨- الجني الداني في حروف المعاني: لحسن المرادي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

- ٢٠٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الطبعة الثانية، دار العاصمة، ١٤١٩هـ.
- ٢١٠- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار المعرفة، المغرب، ١٤١٨هـ.
- ٢١١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي): لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ٢١٢- جواهر القرآن: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٢١٣- الجيم: لإسحاق بن مرار الشيباني، هيئة المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- ٢١٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مطبعة المدني، القاهرة.
- ٢١٥- حاشية البيجوري على الجوهرة (تحفة المرید علی جوهرة التوحيد): لإبراهيم بن محمد البيجوري، الطبعة الأولى، دار السلام، مصر، ١٤٢٢هـ.
- ٢١٦- الحاوي الكبير: لعلي بن محمد الماوردي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ٢١٧- الحبايك في أخبار الملائك: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢١٨- الحجّة في القراءات السبع: للحسين بن أحمد بن خالويه، الطبعة الرابعة، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ٢١٩- الحدود والتعزيرات عند ابن القيم: لبكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثانية، دار العاصمة، ١٤١٥هـ.
- ٢٢٠- حديث الإفك: لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، الطبعة الأولى، دار البشائر، ١٩٩٤م.
- ٢٢١- حراسة الفضيلة: لبكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الحادية عشرة، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- ٢٢٢- الحق المين في معرفة الملائكة المقربين: لمحمد علي إمام، الطبعة الأولى، دار السلام، مصر، ٢٠٠٧م.
- ٢٢٣- حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني: لشاكر عبد الجبار، مطبوعة اليرموك، بغداد، ١٩٨٤م.
- ٢٢٤- حكم التمثيل: لبكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ.
- ٢٢٥- حكمة التشريع وفلسفته: لعلي بن أحمد الجرجاوي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.
- ٢٢٦- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: لسعيد بن علي القحطاني، الطبعة الأولى، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٣هـ.

- ٢٢٧- حلية الأولياء: لأحمد بن عبد الله أبو نعيم، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.
- ٢٢٨- حوار مع إبليس: لمحمد عبدة المغاوري، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ٢٢٩- حياة الحيوان: لمحمد بن موسى الدميري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٣٠- الحياة في القرآن الكريم: لحزمي سامعون جزولي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٢٣١- الحيوان: لعمر بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٣٢- الخشوع في الصلاة: لمحمد بن لطف الصبَّاح، الطبعة الثالثة، دار السلام، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- ٢٣٣- الخطر اليهودي: لمحمد خليفة التونسي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٣٤- الخمر وتأثيرها على العيون: لفكري عوض، عدد ٥٤، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٠٢هـ.
- ٢٣٥- خواص القرآن الكريم: لتركي بن سعد الهويمل، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.
- ٢٣٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- ٢٣٧- دراسات في الأديان: لسعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الرابعة، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- ٢٣٨- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: لمحمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة.
- ٢٣٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لأحمد بن علي بن حجر، الطبعة الثانية، دائرة مكتبة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ.
- ٢٤٠- دستور الأخلاق في القرآن: لمحمد بن عبد الله دراز، الطبعة العاشرة، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ.
- ٢٤١- دعوة الرسل: لأحمد أحمد غلوش، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ.
- ٢٤٢- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: لعبد العزيز بن باز، الطبعة الرابعة، رئاسة البحوث، السعودية، ١٤٢٣هـ.
- ٢٤٣- دفاع عن العقوبات الإسلامية: لمحمد بن ناصر السحيباني، عدد ٦٣-٦٤، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٠٤هـ.
- ٢٤٤- الدلائل في غريب الحديث: لقاسم بن ثابت السرقسطي، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ٢٤٥- دليل إعداد وكتابة الرسائل العلمية: الطبعة الأولى، جامعة القصيم، ١٤٣٢هـ.
- ٢٤٦- دليل مكتبة المرأة المسلمة: لأحمد بن عبد العزيز الحمدان، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤١١هـ.

- ٢٤٧- الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لإبراهيم بن علي بن فرحون، التراث، القاهرة.
- ٢٤٨- الذريعة إلى مكارم الشريعة: للحسين بن محمد الأصفهاني، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ.
- ٢٤٩- ذيل تذكرة الحفاظ: لمحمد بن علي الحسيني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.
- ٢٥٠- ذيل طبقات الحنابلة: لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- ٢٥١- رجال ذكرهم القرآن: لعبد العزيز الشناوي، دار النصر، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ٢٥٢- الرحيق المختوم: لصفي الرحمن المبارك فوري، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ٢٥٣- الرد الوافر: لمحمد بن عبد الله القيسي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ٢٥٤- الرد على الأحنائي: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ٢٥٥- الرد على القائلين بوحدة الوجود: لعلي الهروي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤١٥هـ.
- ٢٥٦- الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه): لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، جدة.
- ٢٥٧- رسالة التوحيد: لإسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، الطبعة الأولى، وحي دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م.
- ٢٥٨- رسالة الشرك ومظاهره: لمبارك بن محمد الملي، الطبعة الأولى، دار الراية، ١٤٢٢هـ.
- ٢٥٩- الرسل والرسالات: لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الرابعة، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤١٠هـ.
- ٢٦٠- الرشوة: لعطية سالم، عدد ٤٧ - ٤٨، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٠٠هـ.
- ٢٦١- رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة ﷺ: لمحمد طاهر حكيم، عدد ١١٦، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٢هـ.
- ٢٦٢- روائع التفسير (تفسير ابن رجب): لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الطبعة الأولى، دار العاصمة، السعودية، ١٤٢٢هـ.
- ٢٦٣- روح البيان: لإسماعيل حقي الإستانبولي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.
- ٢٦٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لمحمود بن عبد الله الألويسي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

- ٢٦٥- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٢٦٦- رياضة النفس: لمحمد بن علي الحكيم الترمذي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ.
- ٢٦٧- زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٢٦٨- زاد المعاد في هدي خير العباد: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٢٦٩- الزاهر في معاني كلمات الناس: لمحمد بن القاسم الأنباري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٢٧٠- الزهر النَّضْر في حال الحَضْر: لأحمد بن علي بن حجر، الطبعة الأولى، مجمع البحوث، نيودلهي، ١٤٠٨م.
- ٢٧١- الزواج في ظل الإسلام: لعبد الرحمن اليوسف، الطبعة الثالثة، المطبعة السلفية، الكويت، ١٤٠٨هـ.
- ٢٧٢- الزواج: لمحمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- ٢٧٣- الزواجر عن اقتراف الكبائر: لأحمد بن حجر الهيتمي، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤٠٧هـ.
- ٢٧٤- سبيل الدعوة الإسلامية للوقاية من المسكرات والمخدرات: لجمعة علي الخولي، عدد ٥٤، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٠٢هـ.
- ٢٧٥- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: لمحمد بن أحمد الشربيني، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- ٢٧٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ.
- ٢٧٧- سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد القزويني، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية.
- ٢٧٨- سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث السُّجِسْتَانِي، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٢٧٩- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي، الطبعة الثانية، مصطفى الباي، ١٣٩٥هـ.
- ٢٨٠- سنن الدار قطني: لعلي بن عمر الدار قطني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٨١- سنن الدارمي: لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، الطبعة الأولى، دار المغني، السعودية، ١٤١٢هـ.
- ٢٨٢- السنن الصغرى: لأحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الثانية، المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.

- ٢٨٣- السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين البيهقي، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٨٤- السنن الكبرى: لأحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٢٨٥- سنن سعيد بن منصور: لسعيد بن منصور الجوزجاني، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية، الهند، ١٤٠٣هـ.
- ٢٨٦- سوء الخلق: لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الثانية.
- ٢٨٧- سير أعلام النبلاء: لمحمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٨٨- السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية: لمحمد بن إبراهيم شقرة، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ٢٨٩- السيرة النبوية: لعلي أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية عشرة، دمشق، ١٤٢٥هـ.
- ٢٩٠- شذرات الذهب: لعبد الحي بن أحمد بن العماد، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
- ٢٩١- شرح ابن ماجه: لمغلطاي بن قليج الحكري، الطبعة الأولى، مكتبة نزار الباز، السعودية، ١٤١٩هـ.
- ٢٩٢- شرح السنة: للحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٣هـ.
- ٢٩٣- شرح العقيدة السفارينية: لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- ٢٩٤- شرح العقيدة الواسطية: لمحمد بن خليل هرّاس، الطبعة الثالثة، دار المهجرة، الخبر، ١٤١٥هـ.
- ٢٩٥- الشرح الكبير على متن المقنع: لعبد الرحمن بن محمد بن قدامة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٩٦- شرح الكوكب المنير: لمحمد بن أحمد بن النجار، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ.
- ٢٩٧- شرح صحيح البخاري: لعلي بن خلف بن بطلال، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- ٢٩٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: لعياض اليحصبي، الطبعة الثانية، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧هـ.
- ٢٩٩- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٣٠٠- الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٣٠١- صحيح ابن حبان: لمحمد بن حبان البُستي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٣٠٢- صحيح ابن خزيمة: لمحمد بن إسحاق النيسابوري، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٣٠٣- صحيح أبي داود: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مؤسسة غراس، الكويت، ١٤٢٣هـ.
- ٣٠٤- صحيح الأدب المفرد: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، دار الصديق، ١٤١٨هـ.
- ٣٠٥- صحيح الترغيب والترهيب: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف، الرياض.

- ٣٠٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٣٠٧- الصحيح المسند من أسباب النزول: لمقبل بن هادي الوداعي، الطبعة الرابعة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
- ٣٠٨- صحيح سنن ابن ماجه: لمحمد ناصر الألباني، الطبعة الأولى، مكتب التربية العربي، ١٤٠٧هـ.
- ٣٠٩- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣١٠- صفات المنافقين: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ١٤١٠هـ.
- ٣١١- صفة الجنة في القرآن الكريم: لعبد الحليم السلفي، الطبعة الرابعة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٩هـ.
- ٣١٢- صفة الجنة: لأحمد بن عبد الله أبو نعيم، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، سوريا.
- ٣١٣- صفة الجنة: لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
- ٣١٤- صفة النار: لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٣١٥- صفة النفاق: لأحمد بن عبد الله أبو نعيم، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٣١٦- الصلاة وأحكام تاركها: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة، المدينة.
- ٣١٧- صيد الخاطر: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ.
- ٣١٨- ضعيف أبي داود: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، مؤسسة غراس، الكويت، ١٤٢٣هـ.
- ٣١٩- الضياء اللامع من الخطب الجوامع: لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، رئاسة البحوث، السعودية، ١٤٠٨هـ.
- ٣٢٠- طبقات الحفاظ: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٣٢١- طبقات الشافعية: لأبي بكر بن قاضي شهبة، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٣٢٢- طبقات الشافعية: لعبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الطبعة الثانية، دار هجر، ١٤١٣هـ.
- ٣٢٣- طبقات الفقهاء: لإبراهيم بن علي الشيرازي، الطبعة الأولى، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م.
- ٣٢٤- الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد بن منيع بن سعد، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ٣٢٥- طريق المهجرتين وباب السعادتين: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- ٣٢٦- طوق النجاة: لمجدي الهلالي، الطبعة الثامنة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ١٤١٣هـ.
- ٣٢٧- عالم الملائكة الأبرار: لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٣هـ.

- ٣٢٨- العبودية: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٦هـ.
- ٣٢٩- عدة الصابرين: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، ١٤٠٩هـ.
- ٣٣٠- العدة شرح العمدة: لعبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ.
- ٣٣١- العدة في أصول الفقه: لمحمد بن الحسين بن الفراء، الطبعة الثانية، جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٠هـ.
- ٣٣٢- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: لعبد الحميد بن محمد بن باديس، الطبعة الثانية، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر ١٣٥٩هـ.
- ٣٣٣- العقيدة الطحاوية: لمحمد بن أبي العز الحنفي، الطبعة الأولى، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤١٨هـ.
- ٣٣٤- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة: لعبد المحسن بن حمد العباد، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة، ١٤٢٠هـ.
- ٣٣٥- العلاج والرقي: لخالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة الأولى، الرياض.
- ٣٣٦- العلمانية: لمحمد بن أحمد الرحيلي، عدد ١١٥، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٢هـ.
- ٣٣٧- علوم البلاغة: لأحمد مصطفى المراغي، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٣٣٨- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٣٣٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لمحمد بن أحمد العيني، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٣٤٠- العملية الإرشادية: لمحمد محروس الشناوي، الطبعة الأولى، دار غريب، ١٤١٦هـ.
- ٣٤١- عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي): لأحمد بن محمد الحفاجي، دار صادر، بيروت.
- ٣٤٢- عون المعبود (حاشية ابن القيم): لمحمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٣٤٣- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال.
- ٣٤٤- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: لمحمد بن أحمد السفاريني، الطبعة الثانية، مؤسسة قرطبة، مصر، ١٤١٤هـ.
- ٣٤٥- غرائب القرآن: للحسن بن محمد القمي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

- ٣٤٦- غريب الحديث: لإبراهيم بن إسحاق الحربي، جامعة أم القرى، مكة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٣٤٧- غريب الحديث: لحمد بن محمد الخطابي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
- ٣٤٨- غريب الحديث: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٣٤٩- غريب الحديث: للقاسم بن سلام الهروي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٤هـ.
- ٣٥٠- غريب القرآن (نزهة القلوب): ل محمد بن عزيز السجستاني، الطبعة الأولى، دار قتيبة، سوريا، ١٤١٦هـ.
- ٣٥١- غريب القرآن: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.
- ٣٥٢- الغريب المصنف: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١٠١، ١٠٣، المدينة، ١٤١٥هـ.
- ٣٥٣- غمز عيون البصائر: لأحمد بن محمد مكّي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
- ٣٥٤- الفائق في غريب الحديث والأثر: لمحمود بن عمرو الزمخشري، الطبعة الثانية، دار المعرفة، لبنان.
- ٣٥٥- الفاحشة عمل قوم لوط: ل محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة، ١٤١٥هـ.
- ٣٥٦- فتاوى الطب والمرضى: من فتاوى محمد بن إبراهيم، وابن باز، واللجنة الدائمة، البحوث والإفتاء، السعودية.
- ٣٥٧- الفتاوى الكبرى: للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- ٣٥٨- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة، مكة، ١٣٩٩هـ.
- ٣٥٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٣٦٠- فتح البيان في مقاصد القرآن: ل محمد صديق خان، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤١٢هـ.
- ٣٦١- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: ل زكريا بن محمد دار الأنصاري، الطبعة الأولى، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٣٦٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ل محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٤هـ.

- ٣٦٣- فتح القوي المتين في شرح الأربعين: وتممة الخمسين، عبد المحسن بن حمد العباد، الطبعة الأولى، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ١٤٢٤هـ.
- ٣٦٤- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: للإمام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ.
- ٣٦٥- الفروسية: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار الأندلس، حائل، ١٤١٤هـ.
- ٣٦٦- الفروق اللغوية: للحسن بن عبد الله العسكري، مكتبة الثقافة، القاهرة، مصر.
- ٣٦٧- فضائح الصوفية: لعبد الرحمن بن عبد الخالق، الطبعة الأولى، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ١٤٠٤هـ.
- ٣٦٨- فضل أم المؤمنين عائشة: لعلي بن الحسن بن عساكر، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦هـ.
- ٣٦٩- فقه السنة: لسيد سابق، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ٣٧٠- الفكر الإسلامي والتطور: لمحمد فتحي عثمان، الطبعة الأولى، الكويت، ١٣٨٨هـ.
- ٣٧١- فن البلاغة: لعبد القادر حسين، الطبعة الثانية، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٣٧٢- في ظلال القرآن: لسيد قطب الشاربي، الطبعة السابعة عشر، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٣٧٣- فيض التقدير بشرح الجامع الصغير: لمحمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
- ٣٧٤- القاموس الفقهي: لسعدي أبو حبيب، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ.
- ٣٧٥- القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ.
- ٣٧٦- القرآن والمجتمع: لمحمد البهي، الطبعة الأولى، دار غريب، القاهرة، ١٣٩٦هـ.
- ٣٧٧- القرآن ونقض مطاعن الرهبان: لصلاح بن عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ.
- ٣٧٨- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين: لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الأولى، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤١١هـ.
- ٣٧٩- قصص الأنبياء: لإسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الأولى، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- ٣٨٠- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح: لأحمد سالم، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٣٨١- قصص القرآن: لعبد الحميد كشك، دار البشير، القاهرة.
- ٣٨٢- القضاء والقدر: لعمر بن سليمان الأشقر، الطبعة الثالثة عشر، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٥هـ.

- ٣٨٣- قطعة الرحم: محمد إبراهيم الحمد، وزارة الأوقاف، السعودية.
- ٣٨٤- قواطع الأدلة في الأصول: لمنصور بن محمد السمعاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ٣٨٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ٣٨٦- القواعد الفقهية: محمد مصطفى الزحيلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٧هـ.
- ٣٨٧- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الثالثة، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢١هـ.
- ٣٨٨- القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير: لعبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٣هـ.
- ٣٨٩- القواعد والفوائد الأصولية: لعلي بن محمد بن اللحام، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ.
- ٣٩٠- القواعد: لعبد الله محمد المقرئ، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى.
- ٣٩١- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد: لمحمد ابن علي الحارثي، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ.
- ٣٩٢- قوت المغتذي على الترمذي: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ.
- ٣٩٣- القول السديد شرح كتاب التوحيد: لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الطبعة الثانية، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢١هـ.
- ٣٩٤- القول المفيد على كتاب التوحيد: لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٤هـ.
- ٣٩٥- الكافي في فقه الإمام أحمد: للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ.
- ٣٩٦- الكامل في التاريخ: لعلي بن أبي الكرم بن الأثير، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٣٩٧- الكبائر: لعبد الله محمد الذهبي، الندوة الجديدة، بيروت.
- ٣٩٨- الكشاف عن حقائق غوامض الترتيل (تفسير الزمخشري): لمحمود بن عمرو الزمخشري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- ٣٩٩- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: المكتبة المصرية، مصر، ٢٠٠٤م.
- ٤٠٠- كشف المشكل من حديث الصحيحين: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الوطن، الرياض.
- ٤٠١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد الثعلبي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٤٠٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: لأيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٤٠٣- اللامات: لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ.
- ٤٠٤- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): لعلي بن محمد الخازن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٤٠٥- لباب النقول في أسباب النزول: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٠٦- اللباب في علوم الكتاب: لعمر بن علي النعماني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.
- ٤٠٧- لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٤٠٨- لطائف الإشارات: لعبد الكريم بن هوازن القشيري، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- ٤٠٩- لطائف المعارف: لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.
- ٤١٠- اللغات في القرآن: لعبد الله بن الحسين بن حسنون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٣٦٥هـ.
- ٤١١- لغة المنافقين في القرآن: لعبد الفتاح لاشين، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٤١٢- لقمان الحكيم وحكمه: لمحمد خير رمضان يوسف، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤١٥هـ.
- ٤١٣- اللمع في أصول الفقه: لإبراهيم بن علي الشيرازي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- ٤١٤- لوامع الأنوار البهية: لمحمد بن أحمد السفاريني، الطبعة الثانية، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢هـ.
- ٤١٥- المال في القرآن: لمحمود محمد غريب، نشرة ٢١٨، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٩٦هـ.
- ٤١٦- مباحث في علوم القرآن: لمناع بن خليل القطان، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.
- ٤١٧- المبدع في شرح المقنع: لإبراهيم بن محمد بن مفلح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ٤١٨- المبسوط: لمحمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٤١٩- متطلبات المحافظة على نعمة الأمن: لسليمان بن عبد الرحمن الحقييل، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٤٢٠- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

- ٤٢١- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية: لمحمد بن عمر السفيري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ.
- ٤٢٢- مجالس شهر رمضان: لمحمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٠٨هـ.
- ٤٢٣- المجلي في شرح القواعد المثلى: لكاملة بنت محمد الكواري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ.
- ٤٢٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- ٤٢٥- مجمل اللغة: لأحمد بن فارس القزويني، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٤٢٦- مجموع الفتاوى: للإمام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مجمع الملك، المدينة ١٤١٦هـ.
- ٤٢٧- المجموع شرح المهدب: ليحيى بن شرف النووي، دار الفكر.
- ٤٢٨- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: لمحمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ١٤١٣هـ.
- ٤٢٩- محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ٤٣٠- محاسن الشريعة ومساوئ القوانين الوضعية: لعطية بن محمد سالم، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٣٩٣هـ.
- ٤٣١- المحبر: لمحمد بن حبيب الهاشمي، الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٤٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية): لعبد الحق بن غالب بن عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٤٣٣- المحكم والمحيط الأعظم: لعلي بن إسماعيل بن سيده، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٤٣٤- محمد (الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة): لخالد السيد روشه، ومحمد بن عبد الله الدويش، الطبعة الأولى، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٣١هـ.
- ٤٣٥- مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر الرازي، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٤٣٦- مختصر القواعد المطبوعة السلفية: لمحمد بن عبد الرازق الرضواني، الطبعة الثالثة، سلسبيل، القاهرة، ١٤٢٦هـ.
- ٤٣٧- المختصر في أخبار البشر: لإسماعيل بن علي بن أيوب، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية.
- ٤٣٨- المخصص: لعلي بن إسماعيل بن سيده، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٤٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ.

- ٤٤٠- مدارك التزئيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : لعبد الله بن أحمد النسفي، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ٤٤١- المدهش: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٤٤٢- مراتب الإجماع: لعلي بن أحمد بن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٤٣- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لعبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٤٤٤- مرض الإيدز الطاعون الجديد: لعبد الفتاح عطا الله، الطبعة الأولى، دار الوفاء، ١٩٩٨م.
- ٤٤٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعلي بن سلطان القاري، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٤٤٦- المسالك والممالك: لإبراهيم بن محمد الاصطخري، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ٤٤٧- المستدرک على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله الحاكم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- ٤٤٨- المسكرات والمخدرات: لأحمد حاج الأزرق، عدد ٥٤، الجامعة الإسلامية، المدينة.
- ٤٤٩- مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود الطيالسي، الطبعة الأولى، دار هجر، مصر، ١٤١٩هـ.
- ٤٥٠- مسند الحميدي: لعبد الله بن الزبير الحميدي، الطبعة الأولى، دار السقا، دمشق، ١٩٩٦م.
- ٤٥١- المشاهد في القرآن الكريم: لحامد قنبي، الطبعة الأولى، دار المنار، الزرقاء، ١٩٨٤م.
- ٤٥٢- مشاهير علماء الأمصار: لمحمد بن حبان البستي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١١هـ.
- ٤٥٣- مشاهير علماء نجد: لعبد الرحمن بن عبد اللطيف، الطبعة الأولى، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٢هـ.
- ٤٥٤- مشكاة المصابيح: لمحمد بن عبد الله التبريزي، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٤٥٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد الفيومي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت.
- ٤٥٦- مصرع التصوف: لإبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الأولى، عباس الباز، مكة المكرمة.
- ٤٥٧- المصنف: لعبد الرزاق بن همام اليماني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٤٥٨- المصنف: لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ٤٥٩- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: لمصطفى السيوطي، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ.
- ٤٦٠- مع الأنبياء في القرآن الكريم: لعفيف عبد الفتاح طبارة، دار الكتب، بيروت.

- ٤٦١- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش: لزهرا الأملعي، الطبعة الثانية، عيسى البابي، بمصر، ١٣٩٦هـ.
- ٤٦٢- المعارف: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٤٦٣- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان: لعبد الرحمن بن محمد دار الأنصاري، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤١٧هـ.
- ٤٦٤- معالم التزييل (تفسير البغوي): للحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الرابعة، دار طيبة، ١٤١٧هـ.
- ٤٦٥- معالم السنن: لحمد بن محمد الخطابي، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب، ١٣٥١هـ.
- ٤٦٦- معالم علي طريق العفة: لعبد الله بن عبد الرحمن الوطبان، الطبعة الأولى، الصفدي، ١٤١٢هـ.
- ٤٦٧- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني: لفتحي عامر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦م.
- ٤٦٨- معاني القراءات: لحمد بن أحمد الأزهرى، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٢هـ.
- ٤٦٩- معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السري الزجاج، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٤٧٠- معاني القرآن: لأحمد بن محمد النحاس، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٩هـ.
- ٤٧١- معاني القرآن: ليحيى بن زياد الفراء، الطبعة الأولى، دار المصرية، مصر.
- ٤٧٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٤٧٣- المعتمد: لحمد بن علي الطيب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٤٧٤- المعجزة الكبرى القرآن: لحمد بن أحمد أبو زهرة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي.
- ٤٧٥- معجم الأدباء: لياقوت بن عبد الله الحموي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٤٧٦- المعجم الأوسط: لسليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة.
- ٤٧٧- معجم البلدان: لياقوت بن عبد الله الحموي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٤٧٨- معجم الصحابة: لعبد الله بن محمد البغوي، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، الكويت، ١٤٢١هـ.
- ٤٧٩- المعجم الصغير (الروض الداني): لسليمان بن أحمد الطبراني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، عمار، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- ٤٨٠- المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ٤٨١- معجم المؤلفين: لعمر بن رضا كحالة، الطبعة الأولى، مكتبة المثني، بيروت.
- ٤٨٢- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: لعاتق بن غيث الحربي، الطبعة الأولى، مكة، ١٤٠٢هـ.
- ٤٨٣- معجم المناهي اللفظية: لبكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثالثة، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٧هـ.
- ٤٨٤- المعجم الوسيط: لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- ٤٨٥- معجم ما استعجم: لعبد الله بن عبد العزيز البكري، الطبعة الثالثة، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٤٨٦- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس القزويني، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ٤٨٧- معرفة الصحابة: لأحمد بن عبد الله أبو نعيم، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ٤٨٨- معيار العلم في فن المنطق: لمحمد بن محمد الغزالي، مكتبة المعارف، مصر، ١٩٦١م.
- ٤٨٩- المغرب في ترتيب المغرب: لناصر بن عبد السيد المطرزي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي.
- ٤٩٠- مغني اللبيب: لعبد الله بن يوسف بن هشام، الطبعة السادسة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- ٤٩١- مغني المحتاج: لمحمد بن أحمد الشرييني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ٤٩٢- المغني: للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة، مكتبة القاهرة.
- ٤٩٣- تفسير الرازي: لمحمد بن عمر الرازي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٤٩٤- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٩٥- مفحمت الأقران في مبهمات القرآن: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ٤٩٦- المفردات في غريب القرآن: للحسين بن محمد الأصفهاني، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.
- ٤٩٧- مفهوم الحكمة: لصالح بن عبد الله بن حميد، الطبعة الأولى، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٢هـ.
- ٤٩٨- المكاسب والورع والشبهة: للحرث المحاسبي، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٤٩٩- ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التنزيل: لأحمد بن إبراهيم الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ٥٠٠- من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية وأحكام المدينة: لعبد الله بن جار الله آل جار الله، الطبعة الثالثة، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٠٩هـ.
- ٥٠١- من بديع لغة التزليل: لإبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٤هـ.
- ٥٠٢- من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي: لكامل الدين عبد الغني المرسي، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، ١٤١٩هـ.
- ٥٠٣- منار السبيل: لإبراهيم بن محمد بن ضويان، الطبعة السابعة، المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- ٥٠٤- مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية.
- ٥٠٥- المنتخب في تفسير القرآن الكريم: للجنة من علماء الأزهر، الطبعة الثامنة عشر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مؤسسة الأهرام، مصر، ١٤١٦هـ.
- ٥٠٦- المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ: للزبير بن بكار، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٥٠٧- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٥٠٨- منزلة الصلاة في الإسلام: لسعيد بن علي القحطاني، الشئون الإسلامية، ١٤٢٣هـ.
- ٥٠٩- المنهاج الواضح للبلاغة: لحامد عوني، الطبعة الأولى، المكتبة الأزهرية للتراث.
- ٥١٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على مسلم) : ليحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- ٥١١- منهج التشريع الإسلامي: لمحمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية، المدينة.
- ٥١٢- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: لحمود بن أحمد الرحيلي، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٢٤هـ.
- ٥١٣- منهج القرآن في القضاء والقدر: لحمود غريب، الطبعة الثانية، دار القلم، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- ٥١٤- منهج القرآن في تربية الرجال: لعبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، شركة مكنتات عكاظ، الرياض، ١٤٠١هـ.
- ٥١٥- المنهيات: لمحمد بن علي الحكيم الترمذي، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤٠٦هـ.
- ٥١٦- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥١٧- الموافقات: لإبراهيم بن موسى الشاطبي، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.

- ٥١٨- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: لحماس الجلعود، الطبعة الأولى، دار اليقين، ١٤٠٧هـ.
- ٥١٩- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: لحكمت ياسين، الطبعة الأولى، دار المآثر، المدينة، ١٤٢٠هـ.
- ٥٢٠- موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي: لعبد اللطيف عاشور، الطبعة الأولى، القاهرة.
- ٥٢١- الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف الكويتية، دار الصفوة، الكويت، ١٤٠٤هـ.
- ٥٢٢- موسوعة فقه القلوب: لمحمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية، عمان، ٢٠٠٢م.
- ٥٢٣- موعظة المؤمنين: لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ٥٢٤- ميزان الاعتدال: لمحمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ.
- ٥٢٥- ميزان العمل: لمحمد بن محمد الغزالي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، مصر، ١٩٦٤هـ.
- ٥٢٦- النبأ العظيم: لمحمد بن عبد الله دراز، دار القلم، ١٤٢٦هـ.
- ٥٢٧- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لعبد الرحمن بن علي الجوزي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ٥٢٨- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: لمحمد الإدريسي، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ٥٢٩- النسائي بشرح السيوطي، وحاشية السندي: لمحمد بن عبد الهادي السندي، الطبعة الثانية، المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.
- ٥٣٠- النشر في القراءات العشر: لمحمد محمد محسن، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٥٣١- النص القرآني من الجملة إلى العالم: لوليد منير، الطبعة الأولى، المعهد العالي للفكر، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- ٥٣٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ: لعدد من المختصين، الطبعة الرابعة، الوسيلة، جدة.
- ٥٣٣- نظرات في وصية لقمان: لمحمد مصطفى نابلسي، الطبعة الأولى، الفرقان، عمان، ١٤١٥هـ.
- ٥٣٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر البقاعي، الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٥٣٥- نظم العقيان في أعيان الأعيان: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت.
- ٥٣٦- النكت في القرآن الكريم: لعلي بن فضال القيرواني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ.

- ٥٣٧- النكت والعيون: (تفسير الماوردي): لعلي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٣٨- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: لمحمد بن عمر الرازي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م.
- ٥٣٩- النهاية في غريب الحديث والأثر: للمبارك بن محمد بن الأثير، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ٥٤٠- نواقض الإيمان القولية والعملية: لعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، الطبعة الثالثة، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٧هـ.
- ٥٤١- هجر القرآن العظيم أنواعه وأحكامه: لمحمود الدوسري، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.
- ٥٤٢- الهداية إلى بلوغ النهاية: لحمّوش بن محمد القرطبي، الطبعة الأولى، جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ.
- ٥٤٣- هدية العارفين: لإسماعيل بن محمد الباباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٤٤- هذه مفاهيمنا: لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الطبعة الثانية، إدارة المساجد، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ٥٤٥- الوافي بالوفيات: لصالح الدين خليل الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٥٤٦- وجوب تطبيق الحدود الشرعية: لعبد الرحمن بن عبد الخالق، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ١٤٠٤هـ.
- ٥٤٧- وجوه القرآن: لإسماعيل بن أحمد الضير، الطبعة الأولى، دار السقا، دمشق.
- ٥٤٨- الوجوه والنظائر: للحسن بن عبد الله العسكري، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٨هـ.
- ٥٤٩- الوجيز في عقيدة السلف: لعبد الله عبد الحميد، الطبعة الأولى، الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤٢٢هـ.
- ٥٥٠- الورع: لعبد الله أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٨هـ.
- ٥٥١- الورع: لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية، الكويت، ١٤٠٨هـ.
- ٥٥٢- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة: لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية، المدينة، ١٤٠٩هـ.
- ٥٥٣- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لعلي بن أحمد الواحدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٥٥٤- وفيات الأعيان: لأحمد بن محمد بن خلكان، دار صادر، بيروت.

٥٥٥- وقفات مع هذه الآيات: لصلاح بن عبد الفتاح الخالدي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ.

٥٥٦- ولا تقربوا الفواحش: لجمال بن عبد الرحمن إسماعيل، الشؤون الإسلامية، السعودية.

٥٥٧- الولاء والبراء في الإسلام: لمحمد بن سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض.

٥٥٨- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن: لمحمد بن عبد الواحد المطرز، (غلام ثعلب)، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ١٤٢٣هـ.

٥٥٩- يسألونك عن المعاملات المالية: لحسام الدين بن موسى بن عفانة، طبعة المكتبة العلمية، ١٤٣٠هـ.

٥٦٠- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار: لمحمد صديق خان، الطبعة الأولى، مكتبة عاطف، القاهرة.

ثانياً: المجالات العلمية:

١- مجلة البحوث الإسلامية: رئاسة البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

- ١- موقع (زهري/ ar. wikipedia. org/ wiki).
- ٢- موقع (سيلان/ar. wikipedia. org/ wiki).
- ٣- موقع أسرار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (www. kaheel. com).
- ٤- موقع ملتقى أهل التفسير (www. tafsir. net).
- ٥- موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (m. com www. quran).
- ٦- موقع موسوعة النباتات الطبيعية (adelbarhoum. com).
- ٧- موقع موسوعة لاروس (com. www. Larousse).
- ٨- موقع موسوعة مكنون الإسلامية (www. maknoon. com).
- ٩- موقع ويكيبيديا: الموسوعة الحرة (ar. wikipedia. org).

سابعاً: فهرس الموضوعات

٩-١	المقدمة:
٣	أهمية الموضوع
٣	أسباب اختيار الموضوع
٤	الدراسات السابقة
٤	أهداف البحث
٤	خطة البحث
٨	منهج البحث

التمهيد: ٣٥-١٠

١١	المبحث الأول: مفهوم الخيـث:
١١	أولاً: مفهوم الخيـث في اللغة
١٣	ثانياً: مفهوم الخيـث في الشرع
١٨	أقوال العلماء في تعريف الخيـث
١٩	ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي
٢٠	المبحث الثاني: مفهوم الطيب:
٢٠	أولاً: مفهوم الطيب في اللغة
٢١	ثانياً: مفهوم الطيب في الشرع
٢٥	أقوال العلماء في تعريف الطيب
٢٧	ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي
٢٨	المبحث الثالث: أهمية التمييز بين الخيـث والطيب:
٢٩	ما يحصل به التمييز بين الخيـث والطيب:
٢٩	أولاً: الرسل والمعجزات
٣٠	ثانياً: الابتلاء بالأذية
٣١	ثالثاً: الابتلاء بالحن، والمصائب
٣٢	رابعاً: الابتلاء بالهزيمة

- ٣٣ خامساً: الابتلاء بالتشريع
- ٣٤ سادساً: تسليط إبليس
- ٣٤ سابعاً: التقوى

الفصل الأول: ألفاظ ومعاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم ٣٦-٧٢

- ٣٧ مدخل
- ٣٧ المبحث الأول: ألفاظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم:
- ٣٧ المطلب الأول: ألفاظ الخبيث في القرآن الكريم
- ٤١ المطلب الثاني: ألفاظ الطيب في القرآن الكريم
- ٤٤ لطائف في الألفاظ
- ٤٥ المبحث الثاني: مرادفات لفظ الخبيث والطيب في القرآن الكريم:
- ٤٥ المطلب الأول: مرادفات لفظ الخبيث في القرآن الكريم
- ٥٠ المطلب الثاني: مرادفات لفظ الطيب في القرآن الكريم
- ٥٥ المبحث الثالث: معاني الخبيث والطيب في القرآن الكريم:
- ٥٥ المطلب الأول: معاني الخبيث في القرآن الكريم
- ٦٣ المطلب الثاني: معاني الطيب في القرآن الكريم

الفصل الثاني: ضوابط الخبيث والطيب في القرآن الكريم ٧٣-١٢٥

- ٧٤ مدخل
- ٧٥ المبحث الأول: ضوابط الخبيث في القرآن الكريم:
- ٧٥ الضابط الأول: كل ما حرمه الله ﷻ فهو خبيث:
- ٧٥ الأمثلة والأدلة:
- ٧٥ ١- تحريم ما عرف خبيثه
- ٧٦ ٢- تحريم الشرك
- ٧٦ ٣- تحريم قتل الأنفس المعصومة
- ٧٦ ٤- تحريم الفواحش
- ٧٧ ٥- تحريم نكاح المحارم

- ٧٧ ٦- تحريم أكل أموال الناس بالباطل ٧٧
- ٧٨ الضابط الثاني: كل من عاقبه الله ﷻ، أو فعل ما يستحق به العقاب فهو خبيث: ٧٨
- ٧٨ الأمثلة والأدلة: ٧٨
- ٧٨ ١- الكافرون، والمشركون، والمنافقون ٧٨
- ٨٤ ٢- المقترفون لما يوجب إقامة الحد ٨٤
- ٨٦ الضابط الثالث: كل شيء ذمه الله ﷻ في القرآن الكريم فهو خبيث: ٨٦
- ٨٦ الأمثلة والأدلة: ٨٦
- ٨٦ ١- المبدرون والمسرفون ٨٦
- ٨٧ ٢- ثمر شجرة الزقوم ٨٧
- ٨٧ ٣- القتل بغير حق ٨٧
- ٨٨ ٤- السخرية بالناس، وعيبيهم، وتعييرهم بقول، أو فعل ٨٨
- ٨٨ ٥- عدم العمل بالعلم ٨٨
- ٨٩ ٦- الموصوفون بالخبيث، والنجاسة ٨٩
- ٩٠ ٧- الموصوفون بالعداوة، والمسيبون لها ٩٠
- ٩٠ الضابط الرابع: كل ما استعاذ منه الأنبياء، أو تبرؤا منه فهو خبيث: ٩٠
- ٩١ الأمثلة والأدلة: ٩١
- ٩١ ١- الشياطين وشروهم ٩١
- ٩١ ٢- المتكبرون عن الحق ٩١
- ٩٢ ٣- معبودات المشركين، وشركهم ٩٢
- ٩٣ الضابط الخامس: كل مضر فهو خبيث: ٩٣
- ٩٣ الأمثلة والأدلة: ٩٣
- ٩٤ المبحث الثاني: ضوابط الطيب في القرآن الكريم: ٩٤
- ٩٤ الضابط الأول: كل ما أحله الله ﷻ فهو طيب: ٩٤
- ٩٤ الأمثلة والأدلة: ٩٤
- ٩٤ ١- الرزق من الطيبات ٩٤
- ٩٥ ٢- ما عرف طيبه فهو حلال ٩٥

- الضابط الثاني: كل شيء أثنى الله عليه في القرآن الكريم فهو طيب: ٩٦
- الأدلة والأمثلة: ٩٧
- ١- عباد الله الصالحون ٩٧
- ٢- حرمان الله وشعائره ٩٨
- ٣- من أقسم الله عَلَيْكَ به لشرفه ٩٨
- الضابط الثالث: كل من وصفه الله بوصف حسن فهو طيب: ٩٩
- الأدلة والأمثلة: ٩٩
- ١- الذرية الطيبة ٩٩
- ٢- المساكن الطيبة ٩٩
- ٣- الحياة الطيبة ١٠٠
- ٤- الكلمة الطيبة ١٠٠
- ٥- الموصوفون بالبركة ١٠١
- الضابط الرابع: كل شيء رتب الله عليه جزاء حسنًا فهو طيب: ١٠٢
- الأدلة والأمثلة: ١٠٢
- ١- الجهاد في سبيل الله ١٠٢
- ٢- الإيمان والعمل الصالح ١٠٣
- ٣- الإحسان ١٠٣
- ٤- التوبة والتطهر ١٠٤
- ٥- العدل في الأحكام ١٠٥
- ٦- الصدق ١٠٥
- المبحث الثالث: الحكمة من تحريم الخبائث وإباحة الطيبات في القرآن الكريم: ١٠٦
- المطلب الأول: الحكمة من تحريم الخبائث في القرآن الكريم: ١٠٧
- ١- تحريم أكل الميتة ١٠٧
- ٢- تحريم أكل لحم الخنزير ١٠٩
- ٣- تحريم شرب الخمر ١٠٩
- ٤- تحريم القمار ١١١

- ١١٢ ٥- تحريم السرقة
- ١١٣ ٦- تحريم المكاسب الربوية
- ١١٣ ٧- تحريم الفواحش
- ١١٥ ٨- تحريم الأنكحة الفاسدة
- ١١٧ المطلب الثاني: الحكمة من إباحة الطيبات في القرآن الكريم:
- ١١٧ ١- إباحة الطعام والشراب الطيب
- ١١٨ ٢- إباحة النكاح
- ١٢٢ ٣- إباحة تعدد الزوجات
- ١٢٣ ٤- إباحة الزواج بالكتايات
- ١٢٥ ٥- إباحة البيع

الفصل الثالث: أنواع الخبيث في القرآن الكريم ١٢٦-٢٢١

- ١٢٧ مدخل:
- ١٢٧ المبحث الأول: الخبيث من الناس في القرآن الكريم:
- ١٢٧ المطلب الأول: الخبيث المصرح بأسمائهم في القرآن الكريم:
- ١٢٧ ١- آزر
- ١٢٨ ٢- جالوت
- ١٢٩ ٣- فرعون
- ١٢٩ ٤- هامان
- ١٣٠ ٥- قارون
- ١٣٠ ٦- السَّامِرِي
- ١٣٢ ٧- أبو لهب
- ١٣٢ ٨- يأجوج ومأجوج
- ١٣٣ المطلب الثاني: الخبيث الذين لم يصرح بأسمائهم في القرآن الكريم:
- ١٣٣ ١- ابن نوح عليه السلام
- ١٣٤ ٢- امرأة نوح عليها السلام

- ٣- امرأة لوط عليه السلام ١٣٤
- ٤- الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ١٣٥
- ٥- الرهط التسعة ١٣٦
- ٦- عاقر الناقة ١٣٦
- ٧- الذي حاج إبراهيم في ربه ١٣٧
- ٨- الأقوام الكفرة، والمشركون المكذبون للأنبياء، والمرسلين ١٣٧
- ٩- الكفرة من أصحاب الأخدود ١٣٨
- ١٠- كفرة أهل الكتاب ١٣٩
- ١١- أصحاب القرية ١٤٠
- ١٢- قوم تبع ١٤٠
- ١٣- أهل سبأ ١٤١
- ١٤- أصحاب الفيل ١٤١
- ١٥- أبو جهل ١٤٢
- ١٦- العاص بن وائل السهمي ١٤٣
- ١٧- الذي قال لوالديه أف لكما ١٤٤
- ١٨- عبد الله بن أبي بن سلول ١٤٥
- ١٩- امرأة أبي لهب ١٤٦
- ٢٠- المنافقون ١٤٦
- المبحث الثاني: الخيث من الأموال في القرآن الكريم: ١٤٨
- ١- الأموال الربوية ١٤٩
- ٢- أخذ شيء من صداق الزوجة ظلماً ١٥١
- ٣- الأموال المسروقة ١٥٢
- ٤- الغلول ١٥٣
- ٥- السحت ١٥٥
- ٦- أخذ مال اليتامى، ونحوهم ١٥٦
- ٧- الأموال التي لم تخرج زكاتها ١٥٧

- المبحث الثالث: الخبيث من المطعومات في القرآن الكريم: ١٥٩
- ١- الميتة ١٦٠
- ٢- المنخقة ١٦١
- ٣- الموقوذة ١٦١
- ٤- المتردية ١٦٢
- ٥- النطيحة ١٦٢
- ٦- الدم ١٦٢
- ٧- لحم الخنزير ١٦٣
- ٨- ما أهل به لغير الله ١٦٥
- ٩- ما أكل السبع ١٦٦
- ١٠- ما ذبح على النصب ١٦٧
- ١١- الخمر ١٦٧
- ١٢- الخبائث ١٦٩
- ١٣- طعام أهل النار ١٦٩
- المبحث الرابع: الخبيث من الأماكن في القرآن الكريم: ١٧٤
- ١- مساكن قوم عاد بالأحقاف ١٧٥
- ٢- مساكن أصحاب الحجر ١٧٦
- ٣- القرية التي كانت تعمل الخبائث ١٧٩
- ٤- أرض مدين ١٨١
- ٥- خسف بابل ١٨٣
- ٦- مسجد الضرار ١٨٥
- ٧- النار ١٨٦
- المبحث الخامس: الخبيث من الأقوال في القرآن الكريم: ١٨٧
- ١- القول على الله بغير علم ١٨٧
- ٢- مقولات الإباء، والاستكبار ١٨٨
- ٣- أقوال فيها أذية لله ﷻ ١٩٠

- ١٩١ ٤- أقوال فيها أذية للأنبياء، والرسول ﷺ
- ١٩٢ ٥- أقوال فيها أذية للمؤمنين
- ١٩٤ ٦- قول الزور
- ١٩٦ المبحث السادس: الخبيث من الأفعال في القرآن الكريم:
- ١٩٦ ١- الشرك بالله ﷻ
- ١٩٨ ٢- السحر
- ٢٠٢ ٣- القتل بغير حق
- ٢٠٥ ٤- الزنا
- ٢٠٨ ٥- عمل قوم لوط
- ٢١١ المبحث السابع: الخبيث من عموم المخلوقات في القرآن الكريم:
- ٢١١ ١- إبليس
- ٢١٧ ٢- الكلب
- ٢٢٠ ٣- البعوضة
- ٢٢٠ ٤- الذباب
- ٢٢١ ٥- الشجرة الخبيثة
- الفصل الرابع: أنواع الطيب في القرآن الكريم** ٢٢٢-٣٤٦
- ٢٢٣ مدخل:
- ٢٢٣ المبحث الأول: الطيب من الناس في القرآن الكريم:
- ٢٢٤ ١- الأنبياء، والرسول ﷺ
- ٢٣٣ ٢- لقمان الحكيم
- ٢٣٤ ٣- مؤمن آل فرعون
- ٢٣٦ ٤- آسية
- ٢٣٦ ٥- مريم ابنة عمران
- ٢٣٨ ٦- الخضر عليه السلام
- ٢٣٩ ٧- السابقون الأولون إلى الإسلام

- ٢٤١ ٨- أبو بكر الصديق رضي الله عنه
- ٢٤٢ ٩- عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها
- ٢٤٤ ١٠- زيد بن حارثة رضي الله عنه
- ٢٤٥ ١١- ذو القرنين كلمته
- ٢٤٧ المبحث الثاني: الطيب من الأموال في القرآن الكريم:
- ٢٤٨ ١- الأموال الطيبة المكتسبة من البيع
- ٢٥٠ ٢- الأموال الطيبة المكتسبة من الخارج من الأرض
- ٢٥٢ ٣- الأموال الطيبة المكتسبة عن طريق الجهاد
- ٢٥٣ ٤- صداق المرأة
- ٢٥٦ المبحث الثالث: الطيب من المطعومات في القرآن الكريم:
- ٢٥٨ ١- المن، والسلوى
- ٢٦٠ ٢- صيد الجوارح المعلمة
- ٢٦١ ٣- ما ذبحه أهل الكتاب
- ٢٦١ ٤- المطعومات الطيبة في الدنيا
- ٢٧١ ٥- المطعومات في الجنة
- ٢٧٤ المبحث الرابع: الطيب من الأماكن في القرآن الكريم:
- ٢٧٤ ١- البلد الأمين
- ٢٨٣ ٢- المساجد
- ٢٩١ ٣- وادي طوى
- ٢٩٤ ٤- البيت المعمور
- ٢٩٤ ٥- مساكن الجنة
- ٢٩٦ المبحث الخامس: الطيب من الأقوال في القرآن الكريم:
- ٢٩٧ ١- شهادة التوحيد
- ٢٩٨ ٢- القول الحسن
- ٣٠٢ ٣- التحية الطيبة
- ٣٠٦ ٤- الباقيات الصالحات

- ٣٠٨ ٥- الدعوة إلى الله ﷻ
- ٣١١ المبحث السادس: الطيب من الأفعال في القرآن الكريم:
- ٣١١ ١- إقامة الصلاة
- ٣١٣ ٢- الإعراض عن اللغو
- ٣١٥ ٣- فعل الزكاة
- ٣١٦ ٤- حفظ الفروج
- ٣١٨ ٥- رعاية الأمانة، والعهد
- ٣٢١ ٦- إقامة الشهادة
- ٣٢٣ ٧- كظم الغيظ، والعفو
- ٣٢٦ ٨- التوبة
- ٣٢٩ ٩- التطهر
- ٣٣١ المبحث السابع: الطيب من عموم المخلوقات في القرآن الكريم:
- ٣٣١ ١- الصعيد الطيب
- ٣٣٣ ٢- الرياح الطيبة
- ٣٣٧ ٣- الملائكة الكرام البررة
- ٣٤٣ ٤- الأزمنة الطيبة

الفصل الخامس: أسباب الخبث، والطيب في القرآن الكريم ٣٤٧-٣٨٩

- ٣٤٨ مدخل:
- ٣٤٨ المبحث الأول: أسباب الخبث في القرآن الكريم:
- ٣٤٩ ١- الكفر، والشرك، والنفاق
- ٣٥١ ٢- عدم القيام بالتكاليف الشرعية
- ٣٥٣ الأسباب الخبيثة لدى اليهود التي استحقوا بها العذاب:
- ٣٥٣ أ- نقض الميثاق
- ٣٥٤ ب- الكفر بآيات الله ﷻ
- ٣٥٥ ج- قتل الأنبياء بغير حق

- د- قولهم قلوبنا غلف ٣٥٧
- هـ- البهتان العظيم لمريم ٣٥٧
- و- الظلم ٣٥٩
- ز- الصد عن سبيل الله ٣٥٩
- ح- أخذ الربا ٣٦٣
- ط- أكل أموال الناس بالباطل ٣٦٣
- ٣- ما يؤدي إلى حدوث الضرر ٣٦٧
- ٤- الاستخبات، والاستقذار ٣٦٩
- ٥- النجاسة ٣٧٠
- ٦- ما يؤدي إلى الإسكار ٣٧١
- المبحث الثاني: أسباب الطيب في القرآن الكريم: ٣٧٢
- ١- الإيمان ٣٧٢
- ٢- العمل الصالح ٣٧٩
- آفات العمل الصالح ٣٨٧

الفصل السادس: أساليب القرآن في التحذير من الخيث والحث على الطيب ٣٩٠-٤٤٦

- مدخل: ٣٩١
- المبحث الأول: أسلوب الأمر ٣٩١
- المبحث الثاني: أسلوب النهي ٣٩٩
- المبحث الثالث: أسلوب النفي ٤٠٥
- المبحث الرابع: أسلوب الاستفهام ٤٠٩
- المبحث الخامس: أسلوب الوعيد ٤١٥
- المبحث السادس: أسلوب الوعد ٤٢٠
- المبحث السابع: أسلوب الذم ٤٢٥
- المبحث الثامن: أسلوب المدح ٤٣٣
- المبحث التاسع: أسلوب ضرب الأمثال ٤٣٩

الفصل السابع: آثار الخبيث والطيب في القرآن الكريم ٤٤٧-٥١٣

- مدخل: ٤٤٨
- المبحث الأول: آثار الخبيث الدينية والدنيوية: ٤٤٨
- ١- الحرمان من نعيم الدنيا..... ٤٤٩
- ٢- العداوة والبغضاء..... ٤٥٣
- ٣- الرعب، والخوف..... ٤٥٤
- ٤- الرين على القلب..... ٤٥٥
- ٥- موالاة الشيطان..... ٤٥٦
- ٦- سقوط الجاه والمترلة والكرامة..... ٤٥٧
- ٧- نقصان الرزق، والحرمان من بر كته..... ٤٥٨
- ٨- المعيشة الضيقة..... ٤٥٩
- ٩- العذاب الدنيوي..... ٤٦٠
- ١٠- الذل، والهوان..... ٤٦٤
- ١١- اللعن، والبعد عن المغفرة والرحمة..... ٤٦٦
- ١٢- اللوم، والتوبيخ..... ٤٦٧
- ١٣- الندم، والحسرة..... ٤٦٧
- ١٤- التلاعن، والعداوة..... ٤٦٩
- ١٥- زيادة العذاب ومضاعفته، وشدته..... ٤٦٩
- ١٦- اسوداد الوجوه وعذابها..... ٤٧٠
- ١٧- العمى في الآخرة..... ٤٧٢
- ١٨- الفضيحة أمام الخلائق..... ٤٧٢
- ١٩- تطويق الأعناق..... ٤٧٣
- ٢٠- الحرمان من طيبات الآخرة..... ٤٧٤
- ٢١- دخول النار..... ٤٧٥

المبحث الثاني: آثار الطيب الدينية والدينية: ٤٨١

١- الحياة الطيبة ٤٨١

٢- التوفيق والهداية ٤٨٣

٣- الثبات على الحق ٤٨٥

٤- الحفظ والعناية الربانية ٤٨٦

٥- التمييز بين الخبيث والطيب ٤٨٨

٦- الوقاية من الفواحش، والمنكرات ٤٨٩

٧- العفو والمغفرة ٤٩١

٨- تأليف القلوب، واجتماع الكلمة ٤٩٣

٩- الود والمحبة ٤٩٤

١٠- الأمن، والطمأنينة ٤٩٥

١١- مدافعة الله عنهم ٤٩٧

١٢- السلامة، والنجاة ٤٩٨

١٣- القوة، والمهابة ٤٩٩

١٤- النصر، والفتح ٥٠٠

١٥- الاستخلاف والتمكين ٥٠٢

١٦- العز، والشرف ٥٠٣

١٧- البركات، والخيرات ٥٠٥

١٨- حسن الوجوه، ونضارتها ٥٠٦

١٩- الثناء الجميل، والذكر الطيب ٥٠٧

٢٠- البشارة بكرامة الله ٥٠٨

٢١- الجنة ومساكنها الطيبة ٥٠٩

الخاتمة: ٥٢٣-٥١٤

أولاً: أهم النتائج التي تم التوصل إليها: ٥١٥

ثانياً: التوصيات: ٥٢٢

- ٦٦٠-٥٢٤ الفهارس العامة
- ٥٢٥ أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- ٥٩٧ ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- ٦٠٢ ثالثاً: فهرس الأعلام
- ٦٠٧ رابعاً: فهرس الغريب
- ٦١٦ خامساً: فهرس الأماكن
- ٦١٧ سادساً: فهرس المصادر والمراجع
- ٦٤٧ سابعاً: فهرس الموضوعات

Was allocated the third and fourth quarter to types of malignant and good in the Koran, and in all seven of them , to include a statement of the bad and the good people, money and the kinds of food, and places ,words and deeds and Pan-creatures.

It was clear from the number of Chapter V of the causes of evil and good in the Qur'an, makes a Muslim is keen to achieve good and aversion from the bad.

The sixth chapter is on the methods of the Koran in the warning from the bad, and encourage good, methods included the commands and prohibitions, and exile and Interrogative , and the warning and promise, and slander and praise, and proverbs.

And closing chapters was a statement to a group of the effects of bad and the good in the Koran, inherited in this temptation and intimidation from the other.

In conclusion, the most important research results that have been reached, with a set of recommendations useful, and finally the message is equipped with a set of indexes; in the verses and hadiths , flags, places and countries, and sources and references, and topics.

God make it Pure to his face and beneficial to the slaves , he's listens and responds

words and actions, and objects and qualities, people, and the kinds of food, and others.

The good: When the people of the language is the best of everything, and love of the senses and the soul, and all except of mischief and malice, and gave up all vices, and shown virtues, and expand its meaning comes in the sense: good and tasty and beautiful, and purity, and became a lawful, ie virtuous, and it is easy to , and forgiveness and the vacuum, and so on, which is very lovable.

And knows that good: the name combines both what is known in Islam and the mind that it was good; of beliefs, words and actions, and objects and qualities, people, and the kinds of food, and others.

The conversation was in the first chapter of words and meanings of bad and good in the Koran, and found to be numerous, and it came in the contexts and on different occasions; was the same connotations and meanings of variety, carrying signals and alerts for the nice formulas and context, and address the issues and topics prominent; and endearing, intimidation, and the commands and prohibitions ; which have a significant impact in the same of her mind and manageable, and calls to stand then the reflection and consideration, in response to its content, and The extradition of the God.

Chapter II: talks about bad and good controls, and the wisdom of Muharram (Forbidden) bad and allow the good things in the Koran.

of religious and secular.

And the need to know the good from the bad and the distinction between them is necessary all the time, especially at this time, which disrupted the balance, and numerous the temptations and distractions, and temptations and variables, and featured many of the wrong behaviors, and courage to the law of God, and the desirability of all Bad ; was therefore a significant impact on the ideas , and acts of worship, transactions, ethics, and behavior.

Through the boot shows the concept of Badness in the language and Islam, and the relationship between them, then a statement of the importance of distinguishing between the bad and the good.

When the people of the language (malignant) on against good; of living, people, taste and color, and action, speech, and ethics are corrupt, and bad, and evil and its owner, and badness, and debauchery, and Muharram(Forbidden), and the unclean, and so on which is repugnant hated.

The Shara has used the term (malignant) in the corrupt and the Sacred, and harmful and bad, and the unclean, and hate the soul; of taste and smell, and malicious act and say people, and evil and disbelief, and sin and immorality and debauchery, and other things that is hateful repugnant of or unreasonable.

The researcher concluded that the malignant: the name of all that was known in Islam and the mind and the sense of ugliness and corruption; of beliefs,

Badness and goodness in the light of the Holy Quran

topicality study

By

Abdul-Aziz bin Mohammed bin Saleh Al-Robey

Summary of the message

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon the Messenger of Allah, but after:

The message badness and goodness in the light of the Holy Quran

Consists of an introduction, preface, seven chapters and a conclusion and a set of indexes.

Keenness of And the Quran to talk about this subject, and his statement and indigenize, and draw attention to it, taking the principle of discrimination, and denial of equality between the bad and the good; so do not get to wear, do not mix, and to be a Muslim aware and warned of conspiracies seeking to dissolve a Muslim in their wickedness, and dilute his loyalty to his Lord and religion, and his Muslim brothers.

The distinction between Badness and goodness is stable in the soul, a mind and a legitimate demand, and has stuck in people's affairs, and affects the lives

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
Qassim University
Faculty:
Department:



Badness and goodness in the light of the Holy Quran

topicality study

By

Abdulaziz bin Mohammed bin Saleh Al-Robey

Recommendation of the Committee

The committee has approved this dissertation as a partial completion of the requirement of the Master's degree in (the Qur'an and its science).

Examination and decision Making Committee

Committee Members	Name	Academic Degree	Specialies Action	Signature
Advisor	Dr.Ibrahim Bin Saleh Al-Humaidhi	Associate Professor	the Quran and its Sciences	
Internal Examiner	Dr.Mohammed bin Abdullah Alaidey	Associate Professor	the Quran and its Sciences	
External Examiner	Dr.Abdullah bin Abdulaziz Al-Awaji	Assistant Professor	the Quran and its Sciences	

Date H 1433 / 7 / 15 Date AD 5 / 6 / 2012

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
Qassim University
Faculty:
Department:



Badness and goodness in the light of the Holy Quran

topicality study

**A Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for (the Master) Degree in (the Holy Quran and its
Sciences)**

By

Abdulaziz bin Mohammed bin Saleh Al-Robey

University identification number

291900054

Supervisor

Dr. Ibrahim bin Saleh bin Ibrahim Al-Humaidhi

**Associate Professor in the Department of the Quran and its Sciences at
the University of Qassim**

Date H 1433 Date AD 2012